1

الجزو الرابع من بدايع الزهور لابن اياس الحنفي

عرب

٢٤

الجزو الرابع من بدايع الزهور في وقايع الدهور

تاليف كاتبه العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن احمد ابن اياس الحنفي عامله الله بلطفه الخفي والمسلمين اجمعين امين

وقف حضرة السلطان الاعظم والخاقان المعظم ظل الله في العالم السلطان ابن السلطان السلطان المظفر الغازي محمود خان خلد الله ملكه الى اخر الزمان حرره الفقير ... الحنفي ... وكاتب درويش مصطفى المفتش عفي عنه

Mikrofilm Arşivi
No. 1138

T.C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

٤١٩٨٧

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı Fatih
Yeni
Eski Kayıt 4197

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

الحمد لله الذي فاوت بين العباد، وفضل بعض خلق على بعض حتى في الأمكنة والبلاد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد وعلى آله وصحبه السادة الأمجاد، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه، وجعلنا ممن يحمد فضله على دفع قضاه، وبعد فهذا جزء من كتابنا المؤلف في التاريخ، الموسوم ببدائع الزهور في وقائع الدهور، وقد أوردت فيه فوائد سنية وغرائب مستعذبة مرضية، تصلح لمسامرة الجليس، وتكون للمنفرد كالأنيس وقد طالعت على هذا التاريخ كتبا شتى حتى استفاض لي ما أريد، وجاء بحمد الله كالدر النضيد

وفيه أقول

طالع كتابي إن أردت مخبرا، عن مبتدا أخبر الدهور بما جرا

فتراه كالمرآة تنظر فعلها، أبدا الزمان عجائبا بين الورى

وقد توخيت فيه أخبار مصر وأوردت ذلك شيئا فشيئا على الترتيب، فاصلا فيه الاختصار فجاء بحمد الله ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وذكرت فيه ما وقع في القرآن العظيم من الآيات المكرمة في أخبار مصر كناية أو تصريحا

وما

وما ورد فيها من الأحاديث الشريفة النبوية في ذكرها، وما خصت به من الفضائل، وما فيها من المحاسن دون غيرها من البلاد، وما اشتملت عليه من عجائب وغرائب ووقائع وغير ذلك ومن نزلها من أولاد آدم ونوح عليهما السلام ومن دخلها من الأنبياء عليهم السلام، ومن ملكها من مبتدا الزمان من الجبابرة والعمالقة واليونان والفراعنة، والقبط وغير ذلك، ومن وليها في صدر الإسلام من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ومن وليها من طايفة الأخشيدية والفاطميين العبيدية، ومن وليها من بني أيوب وهم الأكراد، ومن وليها من ملوك الترك والجراكسة إلى وقتنا هذا وهو افتتاح عام أحد وتسعماية، ومن كان بها من الحكماء والعلماء والفقهاء والمحدثين والقراء، ومن كان بها من الصلحاء والزهاد، ومن كان بها من الشعراء وغير ذلك من أعيان الناس وقد بينت ذلك في تراجمهم من مبتدا خبرهم وذكر أنسابهم ومدة حياتهم إلى حين وفاتهم حسبما يأتي ذكر ذلك في مواضعه من الشهور والأعوام، ومن هنا نشرع في الكلام، ذكر ما وقع في القرآن العظيم من الآيات الكريمة الشريفة في أخبار مصر فمن ذلك قوله تعالى اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم، وقوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه، وقوله

تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ادخلوا مصر
إن شاء الله آمنين وقال تعالى حكاية عن
فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار
تجري من تحتي أفلا تبصرون وقال تعالى
ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق يعني مصر
قال ابن زولاق ذكر الله تعالى مصر في القرآن
العظيم في ثمانية وعشرين موضعا وقيل بل أكثر من
ثلاثين موضعا كناية أو تصريحا وقال تعالى
حكاية عن عيسى بن مريم عليهما السلام وآويناهما
إلى ربوة ذات قرار ومعين يعني مصر قال
ابن أسامة وليس الربى إلا بمصر والماء حين
يرسل يكون الربى عليها القرى ولولا الربى
لغرقت القرى أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عيسى عليه السلام
كان يرى العجائب من المعجزات في صغره ففشا
ذلك في اليهود فهمت به بنو إسرائيل فخافت
عليه أمه من القتل فأوحى الله تعالى إليها أن
تنطلق به إلى أرض مصر وقال تعالى حكاية
عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الأرض
يعني أرض مصر وقال تعالى وكذلك مكنا ليوسف
في الأرض يعني مصر وقال تعالى إن فرعون
علا في الأرض يعني أرض مصر وقال تعالى عسى
ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض يعني
أرض مصر وقال تعالى إن تريد إلا أن تكون
جبارا في الأرض يعني أرض مصر وقال ابن عباس
رضي الله عنهما سميت مصر بأرض في عشرة مواضع
من

من القرآن العظيم وقيل ذكرت في اثني عشر
موضعا من القرآن وقال تعالى كم تركوا
من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
قال الكندي لا يعلم بلد في أقطار الأرض
أثنى الله تعالى عليه في القرآن العظيم بالمقام
الكريم غير مصر وقال تعالى فأخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال
أبو رهم كانت الجنات بحافتي النيل من أوله
إلى آخره في الجانبين جميعا ما بين أسوان إلى
رشيد لا ينقطع منها شيء عن شيء وكان جميع
أراضي مصر تروى يومئذ من ستة عشر
ذراعا أعاليها وأسافلها لما دبروه من قناطر
وجسور بالحكمة لا ينقطع الماء عن الخلجان صيفا
ولا شتاء وكان بها سبعة خلجان متصلة بعضها
ببعض وأما المقام الكريم قال بعض علماء
التفسير المقام الكريم هو الفيوم قيل كان بها ألف
منبر من الذهب برسم الوزراء يجلسون عليها في
المواكب وقال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا
حوله قال بعض علماء التفسير المراد بالمكان
المبارك فيه حول المسجد الأقصى مصر ولكن الآية
أعم من ذلك وهذا القدر كاف هنا من الآيات
العظيمة في أخبار مصر وأما ما ورد فيها من
الأحاديث الشريفة النبوية فمن ذلك ما
أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر
وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها
خيرا فان لهم ذمة ورحما فاذا رأيتم رجلين
يقتتلان على لبنة فاخرج منها قال ... أبو
ذر بن ربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن حسنة
يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها وأخرج
عبد الله بن عبد الحكم من طريق بن ذاخر المعافري
عن عمرو ابن العاصي عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها
خيرا فان لكم منهم صهرا وذمة وفي رواية
فان لهم نسبا وصهرا قال القضاعي صاهر القبط
من الأنبياء ثلثة وهم ابراهيم عليه السلام تسرر
بهاجر أم ولده اسمعيل وكانت من قرية امام
مدينة الفرما من قرى مصر ويوسف عليه
السلام تزوج ببنت صاحب عين شمس وهي
من قرى مصر ورسول الله صلى الله عليه وسلم
تسرر بمارية أم ولده ابراهيم وكانت من قرية
انصنا من قرى الصعيد وكان اسمها مارية بنت
شمعون وكانت جميلة الصورة شديدة بياض اللون
فاعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعجابا شديدا ولما
دخل عليها حملت منه بابراهيم وعاش ثمانية عشر
شهرا ولما مات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو بقي ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت عنه
الجزية اخرج هذا الحديث عبد الله بن عبد الحكم عن
راشد

راشد بن سعد وقال هذا حديث حسن غريب
وأخرج بن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها
جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض فقال
ابو بكر ولم يا رسول الله قال لانهم وازواجهم في
رباط الى يوم القيامة وعن حيوة بن شريح عن
عقبة بن مسلم يرفعه أن الله تعالى يقول يوم
القيامة لساكني مصر يعدد عليهم ألم أسكنكم مصر
أفكنتم تشبعون من خبزها وترون من مائها
وهذا من باب تعداد النعم لا من باب التقريع ولا
التوبيخ لهم وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه
قال قسمت البركة عشرة أجزاء ففي مصر تسع وفي
الأرض كلها واحده ولا تزال في مصر بركة اضعاف
ما في جميع الارضين وعن أبي موسى الاشعري قال
أهل مصر الجند الضعيف ما كادهم أحد الا كفاهم
الله مؤنته قال محمد بن ربيع بن عامر الكلاعي
فاخبرت بذلك معاذ بن جبل فاخبرني ان بذلك
أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي في
بعض الأخبار ان يوسف عليه السلام لما دخل مصر
وأقام بها قال اللهم اني غريب فحببها الي والى
كل غريب فمضت دعوة يوسف فليس يدخل مصر
غريب الا احب المقام بها وروي عن كعب الاحبار عليه
السلام انه قال لبني اسرائيل اعملوا فان الله تعالى

بجاز يكم في الآخرة بمثل مصر ازاد الجنة. وقال
القرطبي في التذكرة من حديث حذيفة اليماني
مرفوعا أنه قال الخراب في أطراف الارض حتى تخرب
مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب البصرة وخراب
وخراب مصر من جفاف النيل وخراب البصرة من
العراق وخراب العراق من القحط وخراب مكة من
الحبشة وخراب المدينة من الجوع وخراب اليمن
من الجراد وخراب الأيلة من الحصار وخراب
فارس من الصعاليك وخراب الترك من الديلم
وخراب الديلم من الأرمن وخراب الأرمن
من الخزر وخراب الخزر من الترك وخراب الترك
من الصواعق وخراب السند من الهند وخراب
الهند من الصين وخراب الصين من الرمل وخراب
الحبشة من الرجفة وقال بن عبد الحكم عن
عبد الله بن عمرو ابن العاصي رضي الله عنه قال خلقت
الدنيا على خمس صور من أعضاء الطير الصدر
الراس والصدر والجناحين والذنب فالراس مكة
والمدينة واليمن والصدر مصر والشام والجناح
الأيمن العراق والجناح الايسر السند والهند والذنب
ذات الحمام الى مغرب الشمس وشر ما في الطير
الذنب قال كعب الاحبار رضي الله عنه لما خلق
الله تعالى الأشياء قال العقل انا لاحق بالشام فقالت
الفتنة وانا معك وقال الخصب انا لاحق بمصر فقال
الذل وانا معك وقال الشقاء انا لاحق بالبادية فقالت

فقالت الصحة وانا معك وقال الكبر انا لاحق بالعراق
فقال النفاق وانا معك قال الجاحظ خصت
القناعة بالبصرة والفصاحة بالكوفة والتخبيش
ببغداد والغي بالري والجفا بنيسابور والحسن
بهراة والطرمذة بسمرقند والمروة ببلخ والتجارة
بمصر والبخل بمرو قال كعب الاحبار لولا
رغبتي في بيت المقدس ما سكنت الا مصر فقيل
له ولم ذلك قال لانها بلد معافاة من الفتن
ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه وهو
بلد مبارك لأهله فيه قال ابو بصرة الغفاري
مصر خزائن الأرض كلها ولو زرعت كلها لوفت
بخراج الدنيا بأسرها ولو ضرب بينها وبين ساير
بلاد الدنيا بسور لا تستغني أهلها بما فيها من
الغلال وغير ذلك عن ساير البلاد جميعها انتهى
ما أوردناه من الآيات الشريفة والأحاديث النبوية
في أخبار مصر ومعولي في صحة هذه الأحاديث
والأخبار بما أورده الشيخ جلال الدين الأسيوطي
في كتابه المسمى بحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد أسمائها
المعنى الذي من أجله سميت الأرض بمصر وما
السبب في ذلك قال المسعودي سميت مصر
بمصر بن مركابيل بن دوابيل بن عرياب بن ادم
عليه السلام وهو مصر الأول وقيل بل سميت بمصر
الثاني وهو مصرام بن نقراوش الجبار بن مصريم
بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان ذلك بعد
الطوفان وهو اسم أعجمي لا ينصرف وقال اخرون هو

ذكر عدد أسمائها

اسم عربي مشتق واما من ذهب الي ان مصر اسم
اعجمي فانه استند الي ما رواه اهل العلم بالاخبار
من نزول مصريم بن بيصر بهذه الارض وقسمها
بين اولاده فعرفت به وقال بن عباس
رضي الله عنهما كان لنوح عليه السلام اربعة من
الولد وهم سام وحام ويافث وارفخشد ثم ان
نوحا عليه السلام رغب الي الله تعالي بان يرزقه
الاجابة في ولده وذريته فصعد الي جبل عالي
ونادي اولاده عند السحر وهم نيام فلم يجبه احد
منهم الا ابنه سام وابنه ارفخشد فلما حضرا بين
يديه وضع يمينه علي ابنه سام وشماله علي ابنه
ارفخشد وسال الله تعالي ان يبارك في ابنه سام
وان يجعل من نسله النبي وان يبارك في ابنه
ارفخشد وان يجعل الملك والنبوه في اولاده ثم
نادي ابنه حام فلم يجبه احد من اولاده فقال
اللهم اجعل اولاده اذلة وعبيدا لاخيه سام وكان
مصريم بن بيصر بن حام نايما الي جانب جده حام
فلما سمع دعا نوح علي جده حام فقام مسرعا وجاء
الي نوح وقال يا جدي قد اجبتك وان لم يجبك جدي
فاجعل لي دعوه من دعوتك فوضع نوح يده علي راس
مصريم وقال اللهم انه قد اجاب دعوتي فبارك
فيه وفي ذريته واسكنه الارض المباركة التي هي
ام البلاد وغوث العباد التي نهرها افضل انهار
الدنيا واجعل فيها افضل البركة وسخر له ولولده
ثم دعا ولده يافث فلم يجبه ولا احد من ولده فدعا
عليه

عليه وقال اللهم اجعل نسله شرار الخلق فكان
من نسله ياجوج وماجوج قال بن عبد الحكم
اول من سكن مصر بعد الطوفان مصريم بن بيصر
بن حام بن نوح عليه السلام وبه سميت مصر ومصريم
هذا هو ابو القبط وكان اسم مصر قبل الطوفان جزله
فلما جا الطوفان ومحي رسمها وعمرت بعد الطوفان
فسميت درسان اي باب الجنة لحسن ما كانت
عليه من كثرة الثمار والفواكه وخصب الارض
وكثرة الزرع وافلاحه باراضي مصر قال علي
ابن محمد الحكيم الترمذي وليس بابي عيسي الترمذي
صاحب الجامع الصحيح ذكر في كتاب نوادر الاصول
عن بن عباس رضي الله عنهما انه قال لما غرست
الاشجار بعضها في ايام مصريم بن بيصر بن حام بن نوح
عليه السلام كانت ثمارها عظيمة جدا بحيث ان الاترجه
تشق بنصفين ويحمل كل نصفه منها علي بعير وكانت
القثا في طول اربعة عشر شبرا وكان طول الطرف
القرع ثلاثين شبرا وكان طول البلحة الواحده شبرا
وكان العرجون الموز يحمل ثلثماية موزه وكل موزه
منها رطلا وكان العنقود العنب اذا قطع من كرمه
يحمل علي بعير من عظمه وكانت الكمثري زنة كل
واحده سبعماية درهما وكانت الرمانه الواحده اذا
قشرت يقعد في قشرها ثلاثة انفار وكانت البطيخة
الواحده وزنها ثمانون رطلا وكانت الحبة القمح تعدل
كلية البقره وكانت الوردة الواحده تحمل النعورفه
وعلي هذا فقس بقية الاصناف من الفواكه والحبوب
وغير ذلك وكان هذا بدعوة ادم عليه السلام حين

دعا لها بالبركة وكذلك نوح عليه السلام دعا لها بالبركة
قال بن عباس رضي الله عنهما لا زالت الناس
ينقصون في الأرزاق والآجال في كل عام الى وقتنا
هذا من حين ابتداء الزمان والى الآن قلت
ومصداق هذه الأخبار ما قاله الشيخ حسام الدين
بن زنكي الشهرزوري قال كان بالواحات الداخلة
الداخلة شجرة نارنج يقطف منها في كل سنة نحو
أربعة عشرة الف نارنجة ما سوى ما يتناثر من
الريح وما هو أخضر قال الشيخ تقي الدين
المقريزي فلما سمعت بذلك أنكرته ولم أصدق به
لغرابته فقدر أني سافرت الى الواحات الداخلة
وشاهدت هذه الشجرة فاذا هي تحل رحبيزه
كبيرة فسألت مستوفي الناحية عما تطرح في كل
سنة فأحضر لي قوائم تتضمن لذلك فتصفحتها فاذا
فيها قطف منها في سنة أحدى وسبعمائة أربع عشرة
الف نارنجة صفرا مستوية سوى ما بقي عليها من
الأخضر وما تناثر من الريح فتعجبت من ذلك
غاية العجب انتهى ذلك فهذا بقية ما كان بمصر
من العجايب ذكر حدود أرض مصر وجهاتها
واقطارها قال صاحب مباهج الفكر ومنا
هج العبر أن حد اقليم مصر من ثغر أسوان
الى العريش مسافة ذلك في الطول نحو من
ثلثين مرحلة وحدها عرضا من مدينة
برقة الى ساحل البحر الرومي الى أيلة التي
على ساحل بحر القلزم مسافة ذلك عشرون
مرحلة

صاحب الخطط

مرحلة قال ابو الصلت أمية الأندلسي
ان حد اقليم مصر في الطول من مدينة برقة
الى عقبة أيلة وذلك نحو اربعين مرحلة
ومسافة حدها في العرض من مدينة اسوان
من أعمال الصعيد الى العريش عند الشجرتين والحفاير
التي هناك وقال بن حوقل في كتاب
الأقاليم ان حد اقليم مصر الشمالي من برقة
الى منتهى الواحات السبع وتمتد الى بلاد النوبة
من حد اسوان الى منتهى بحر الروم عند ثغر
دمياط الى ساحل رشيد الى الاسكندرية آخذا
جنوبا الى لهف الواحات الى حدود النوبة والحد
الشرقي من بحر القلزم فيا له اسوان الى عيذاب
الى القصير الى تيه بني اسرايل ثم يعطف شمالا
الى بحر الروم من عند الحفاير التي هناك خلف العريش
وينتهي الى ثغر دمياط الى رشيد والاسكندرية ثم
ينعطف الى برقة من الساحل حيث ابتدا منه انتهى ذلك
قال أبو الصلت أمية الأندلسي كان اقليم مصر متصلا
بالعمارة على شطي النيل كأنها مدينة واحدة مشتبكة
بالاشجار المثمرة والفواكه اليانعة والقرى العامرة
حتى كان المسافر يسير من ثغر الاسكندرية الى مدينة
اسوان بلا زاد بل يسير في ظل من الاشجار وقرى
عامرة لا يحتاج فيها الى زاد يحمله معه انتهى ذلك
ذكر عجائب مصر التي كانت بها من الطلسمات والبرابي
وغير ذلك قال القضاعي ذكر الجاحظ ان عجائب
الدنيا ثلثون اعجوبة عشرة منها في ساير البلاد

والباقي منها بمصر فالذي في ساير البلاد وهي مسجد
دمشق وقصر غمدان وكنيسة رومية وصنم
الزيتون وايوان كسره بالمداين وبيت الذهب
بتلسمر والجوزين والسدين بالجزيره والثلاث
أحجار ببعلبك وهي بيت الكواكب السبعه لكل
كوكب منها بيت بها وكنيسة الرها واما بقية
الاعاجيب العشرون أعجوبه بمصر فمن ذلك الهرمان
وهما بالجيزة وطولهما أربع مائة ذراعا كانهما جبلان
قايمان في الهواء قال بعض الحكماء ليس من
شي الا وانا ارحمه من الدهر الا الهرمين فاني
أرحم الدهر منهما ومنها صنم الهرمين الذي
يقال له عند العوام ابو الهول يقال انه طلسم
للرمل لئلا يغلب الرمل علي طين بر الجيزه
وكان طول نحو سبعين ذراعا وكان طمم بالرمال
وكان يقابل هذا الصنم صنم أخر في بر مصر عند
قصر الشمع وكان عظيم الخلقة متناسب الاعضاء
وهو من الصوان الملون علي هيئة امراة وفي
حجرها مولود من الصوان أيضا وكان الناس يسمونه
سرية ابي الهول ويقال انه وضع علي راس ابي
الهول خيط ومد الي تلك الصنم التي يقال له
السريه لكان علي راسهما مستقيما ويقال ان ابا
الهول طلسم للرمل يمنعه عن الطين وان صنم
السريه طلسم للماء يمنعه عن بر مصر لئلا يهدم
املاكها وكان لهما حكمة وقد كسر الصنم التي يقال له
السريه سنة احدي عشره وسبعماية كسره الملك
الناصر

الناصر محمد بن قلاوون وعمل منه قواعد واعتاب
للجامع الجديد لما بناه ومنها بربا سمنود وهو
من جملة الاعاجيب ذكر عمر الكندي قال خزن
بعض عمال الناحية فيه قرطا فرايت الجمل اذا
دنا من بابه وهو بحملة تساقط كل ذبيب
كان في القرط قبل ان يدخل من باب البربا ولكن
خرب عند سنة خمسين وثلثماية ومنها بربا اخميم
عجبا من العجايب بما فيه من الصور والعجايب وكان
به صور الملوك الذين يملكون مصر وكان ذي النون
المصري يقف ما علي حيطان هذه البربا من الحكم
والعجايب فافسد الشرها وسد بابها ومنها بربا دندره
وهو بربا عجيب فيه ثمانون كوه تدخل الشمس كل يوم من
كوه منها حتي تنتهي الي اخرها ثم تكر راجعة الي موضع
بدأت منه ومنها حايط العجوز من العريش الي
اسوان تحيط بأرض مصر شرقا وغربا ومنها المنار الذي
كان بالاسكندريه وما فيه من العجايب وما كان بثغر
الاسكندريه من الملعب وعمود السواري وبناء المدينه
وما كانت عليه من العجايب من قديم الزمان ومنها
السلسليان وهما جبلان قايمان علي سرطان من نحاس
في كل ركن من اركانه سرطان وكان له حكمه ومنها عمود
الاعباد وهما عمودان ملقيان ووراء كل عمود منهما
جبل حصا كحصي الجمار فاذا دنا منهما انسان ورمي سبع
حصيات ولا يلتفت خلفه ويحمل احدهما وعضي به
خطوات فلا يحس بثقله ابدا ومنها القبة الخضرا

وهي من أعجب الأشياء ملبسه بنحاس أصفر كأنه الذهب
الابريز لا تغيره الليالي ولا الأيام وكانت تضي في الليل
المظلم حتى يهتدي المسافر الى الطريق علي ضويها ومنها
منية عقبة وما كان بها من العجايب وقصر فارس وكنيسة
أسفل الارض وهي مدينة علي مدينة ليس علي وجه
الارض مدينة بهذه الصفه حتى قيل انها ارم ذات
العماد ومنها الثلاثة جبال المطلة علي بحر النيل
وهم جبل الكهف وجبل الطيلمون وجبل الساحره
ومنها شعب البوقيرات بناحية الاشمونين وهو شعب
في جبل فيه صدع تاتيه البوقيرات في يوم معلوم
من السنة فتعرض نفسها علي ذلك الصدع فكلما ادخل
بوقير منها منقاره في الصدع تمضي فلا تزال تفعل
ذلك حتى يستلقي الصدع علي بوقير منها فيحبسه وتمضي
عنه البوقيرات الى حال سبيلها فلا يزال معلقا بمنقاره في الصدع
حتى يموت ويتساقط وهذا من العجايب ومنها العمودان
اللذان بمدينة عين شمس المعروفه الآن بالمطريه وكان
طول كل عمود منهما نحو خمسين ذراعا فاذا دخلت
الشمس دقيقه في برج الجدي تطلع علي قمة راس
احدهما وهو منتهى قصر النهار واذا دخلت الشمس
دقيقه في برج السرطان وهو منتهى طول النهار تطلع
علي قمة راس الاخر وهما اللذان يقال عنهما منتهى
الميلين وخط الاستواء وقد سقط العامود الثاني
سنة خمسين وستمايه وبقي هذا الواحد منهما ويقال
له اليوم مسلة فرعون ومنها مدينة منف وما كان
بها من العجايب والرخام والدفاين والكنوز وغير ذلك
من

من آثار الملوك القدماء من الجبابرة والفراعنة
ومنها مدينة الفرما وهي اكثر عجايبا من غيرها
وكان منها طريق سالكه الى جزيرة قبرس ولكن غلب
عليها البحر المالح فطمها وكان بها مقطع الرخام الغرانى
والرخام الابيض فغلب عليهما الماء وكان بها النخل
التي يثمر حين يقطع البسر والرطب من ساير الدنيا
وكان وزن كل بسره منها نحو عشرين درهما وطول
كل بسره شبرا وهي المدينة التي قال يعقوب عليه السلام
لبنيه لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقه
ولكن خربت في دولة الفاطميين عند ما هجم الفرنج علي اخذ
بيت المقدس سنة تسع وخمسمايه ومنها مدينة الفيوم التي
قد دبرت بالوحي علي يد يوسف عليه السلام وجعلها
علي ثلث مايه وستين قريه علي عدد ايام السنه لتغل
كل قرية منها علي اهل مصر يوما وكان انتهاء العمل منها
في سبعين يوما فتعجب الناس من ذلك وقالوا هذا كان
يعمل في الف يوم فسميت من حينئذ الفيوم وكان بالبركه
التي بها سمك يسمى الجبروم وهو البلطي وقد ورد فيه
حديث انه يتبع اوراق الجنه في اوايل منبع النيل غير ان هاهنا
وكان من محاسن مصر ولكن انقطع من هناك لما دخل قرن
التسعمايه ومنها النيل وهو من اعظم عجايبها في نقصانه في
الشتاء وزيادته في الصيف ومنافعه تعم ساير البلاد لما
يجلب اليها من الغلال وبه اعجوبه وهو البرزخ الذي عند
ثغر دمياط لان البحر العذب ينصب في البحر المالح ولا
يختلط احدهما بالاخر بل يشاهد كل منهما متميز عن الاخر
مسافة طويله ثم يغوص بحر النيل في البحر المالح ولا يختلط ...

بل يجري تحته متميزًا عنه كالزيت مع الماء وهو
قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا
يبغيان أي لا يغلب الملح على العذب فيفسد حلاوته
ولا يغلب العذب على الملح فيفسد مرارته فسبحان
القادر على كل شي وقد قال الشاعر
وبأمره البحران يلتقيان لا يبغي على عذب مرور
أجاج
ومنها كان بها الحجر الذي اذا امسكه الانسان بكلتي يديه
تقايا كل شي كان في بطنه وكان بها خرزه اذا جعلتها المرأة
على حقوها فلا تحبل ابدا وكان بالصعيد حجاره رخوه اذا
كسرت تتقد في الليل كالمصابيح ومنها كان في بحر النيل
حوض مدور من رخام أخضر يركب فيه الواحد من
الناس والأربعه والخمسه يعدي بهم من جانب الى
جانب فأخذه امير مصر كافور الاخشيدي من الماء
والقاه في البر فبطل فعله ومنها كان بقرية من قرى
الصعيد قريه يقال لها دشنا شجره اذا تهددت
بالقطع تذبل وتجمع أوراقها فاذا قيل لها قد عفونا
عنك من القطع فتتراجع أوراقها كما كانت وهذا من
العجايب التي لم يسمع بمثلها ومنها قال ابن نصر
المصري كان على باب قصر الشمع عند الكنيسه المعلقه
صنم من نحاس أصفر على خلقة الجمل وعليه شخص
راكب عليه عمامه مثل العرب وفي رجليه نعلان
من جلد كانت القبط اذا تظالموا واعتدى بعضهم
على بعض يتحاكموا اليه ويقفوا بين يدي ذلك الصنم
ويقول

ويقول المظلوم للظالم انصفني قبل ان يخرج
هذا الراكب الجمل فيأخذ الحق لي منك شئت أم
أبيت يعنون بالراكب النبي صلى الله عليه وسلم فلما
فتح عمرو ابن العاصي مصر أخفت القبط ذلك الصنم
لئلا يكون حجة عليهم قال القضاعي ولو بسطت
عجايب مصر كلها لجاء منها عدد كثير لا يحصى وليس
في بلد شي عجيب الا وفي مصر مثله او اعجب منه انتهى
ذلك ذكر اعمال الديار المصرية وكورها قال
عبد الله بن عبد الحكم اعلم ان ارض مصر كانت في الزمن
الاول تشتمل على مائة وخمسين كوره وثلثمائة وخمس
وستين قريه كل قريه تصلح ان تكون مدينه على انفرا دها
وقد قال الله تعالى وابعث في المدائن حاشرين
فخرب منها قبل دخول بخت نصر اليها ثمان وستون
كوره فلما عمرت بعد تخريب بخت نصر لها صارت
تشتمل على خمس وثمانين كوره ثم تناقصت حتى جاء
الاسلام وفيها اربعون كوره عامره ثم استقرت
أرض مصر كلها على قسمين الوجه القبلي والوجه البحري
وقد قسمت ارض مصر جميعها قبليها وبحريها على ستة
وعشرين عملا شرقيها وغربيها وقبليها وبحريها
قال الكندي صورت للرشيد صورة الدنيا كلها
في درج فلما تأملها فما اعجبه منها غير كورة اسيوط
من اعمال الصعيد فرأى مساحتها نحو ثلاثين ألف
فدان في ساحة واحدة لو قطرت قطرة من السماء
فاضت على جميع جوانبها فتزرع هذه الساحه في زمن
الربيع القرط والكتان والقمح والفول وساير الغلال

فتصير كأنها بساط من سندس أخضر ومن الجانب
الغربي جبل أبيض على صورة الطيلسان كأنه
قدرون ويحف بها من الجانب الشرقي النيل كأنه
جدول من فضة لا يسمع فيها غير ترنم الأطيار
على الأشجار وهي أحسن كورة من أعمال الصعيد
ذكر وادي هبيب هذا الوادي بالجانب الغربي من
أرض مصر فيما بين مريوط والفيوم كان يجلب منه
الملح والاطرون وكان به ماية دير للنصارى قيل لما
فتح عمرو ابن العاصي مصر خرج اليه من وادي هبيب
سبعماية راهب يطلبون منه الأمان فكتب لهم أمانا
وبقي عندهم يتوارثونه الى الآن وكان يجلب منه
الملح الأندراني وهو على هيئة ألواح الرخام ويجلب منه
حجر الكحل الأسود وحجر الزجاج ثم بطل ذلك ذكر مدينة
مريوط أعلم أن هذه المدينة كورة من كور الاسكندرية
وكانت لشدة بياض حيطانها لا يدخل الليل اليها الا
بعد مضي عشرة درج من الغروب وكانت متصلة بالعمرة
الى أرض برقة ذكر صعيد مصر قال جعفر بن ثعلب
مسافة أقليم الصعيد مسيرة اثنا عشرة يوما وعرضه
مسيرة ثلثة أيام بحسب الأماكن العامرة وكان بالصعيد
نخلة تحمل كل سنة من الثمر عشرة أرادب تباع منه كل
حبة بدينار فجعل عليها بعض ولاة الناحية عليها مكسا
فلم تحمل من بعد ذلك شيا ذكر مدينة البجة هذه
المدينة بينها وبين قوص ثلث مراحل ومن عجايبها أن بها
معدن الزمرد الذبابي الذي اذا نظرت اليه الحيات

تفقعت

تفقعت أعينها ومن خواصه اذا سحق منه وزن ثلاث
شعيرات وسقي منه المسموم قبل أن يعمل فيه السم برئ
من وقته ومن خواصه أن من تختم به دفع عنه الصداع
ومن خواصه أن من حمله لا يقربه عقرب ولا حية ولا
ثعبان ومن خواصه أن من شرب من حكاكته ينفع من
الجذام ويوقفه قال الجاحظ ليس في الدنيا
معدن الزمرد الا بصعيد من نواحي الصعيد ويوجد في
مغاير مظلمة لا يدخل اليها الانسان الا بالمصابيح ويحفر عليه
بالمعاول فيجده في وسط حجارة خضر الألوان قيل
أن في سنة أربع وسبعماية ظفر بعض عمال الناحية بقطعة
من الزمرد زنتها ماية وخمسة وسبعون مثقالا فأخفى أمرها
عن الناس فجاء به بعض التجار ودفع له فيها ماية ألف
درهم فأبى أن يبيعها بهذا القدر فشاع أمرها بين الناس
حتى بلغ الملك الناصر محمد بن قلاوون فبعث أخذها منه
غصبا فمات الرجل من قهره بعد ثلاثة أيام ذكر مدينة
أسوان اعلم أن أسوان ثغر من ثغور الاقليم القبلية تفصل
بين النوبة وبين أرض مصر وعلى خمسة عشرة يوما منها
يوجد معدن التبر وكان بها أنواع البسر ومنه نوع
من الرطب أشد ما يكون من الخضرة مثل لون السلق وهو
شديد الحلاوة وكان الرشيد يطلبه من عمال مصر حتى يأكل منه
وليس في الدنيا بسر يتمر قبل أن يصير رطبا الا بأسوان
ذكر صحراء عيذاب أعلم أن الحجاج أقاموا نحوا من مايتي سنة
لا يتوجهون الى مكة الا من صحراء عيذاب يركبون النيل
في المراكب الى قوص ثم يركبون الابل من قوص الى عيذاب
ويتنزلون في الجلبات الى ساحل جدة ومن جدة الى مكة

ولم تزل مسلكًا للحاج ذهابًا وإيابًا من سنة خمسين واربع مائة الى سنة ستين وستمائة وذلك عند ما انقطع الحاج من البر في دولة الفاطميين وقيل كان بعيذاب مغاص اللولو في جزائر هناك ذكر مدينة ارجنوس هذه المدينة من جملة اعمال البهنسا وبها كنيسة فيها بير يقال لها بير شوش لها عيد يعمل في الخامس والعشرين من بشنس احد الشهور القبطية فيفور منها الماء عند مضي ست ساعات من النهار حتى يطفو الى فمها ثم يعود الى ما كان عليه ويستدلون النصارى بذلك على زيادة النيل في كل سنة بقدر ما يعلو من الماء في البير ذكر ابويط هذه المدينة من اعمال البهنساويه وكان بها منارة محكمة البناء اذا هزها الزجاج تحركت يمينًا وشمالًا ويرى ميلها رؤية ظاهره ذكر اهناس هذه المدينة دخلت اليها مريم ام عيسى عليه السلام وبها النخلة التي كانت تنضح لهما الزيت حتى يتقوتون به ذكر مدينة انصنا اعلم ان هذه المدينة من اجل مداين الصعيد وكان بها عدة اعاجيب منها المقياس الذي بنته دلوكة الساحرة وكان بهذا المقياس ثلثمائة وستون عامودًا من الصوان الاحمر ومسافة كل عمودين مقدار خطوة انسان وكان ماء النيل يدخل الى هذا المقياس من فوهة عند الزيادة فاذا بلغ ماء النيل الحد الذي كان اذا ذلك تحصل منه ري ارض مصر كلها جلس الملك عند ذلك في مشرف له على ذلك المقياس وتصعد جماعة من خواصه الى رؤس تلك الاعمدة فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت ويتساقطون من الاعمدة الى

الى الماء وهو ممتلي في الفسقية الكبيرة ويكون ذلك اليوم عندهم عيد ابو جاء النيل ويقال ان سحرة فرعون الذي امنوا في ساعة واحدة كانوا من انصنا ذكر القيس قال بن عبد الحكم لما بعث عمرو بن العاص رضي الله عنه قيس بن الحارث الى الصعيد نزل بهذه القرية فسميت به وكان يعمل بها الاكسية الحسلية من صوف المعز تغني في الشتاء عن لبس الفراء ذكر مدينة البهنسا هذه المدينة من اجل مداين القبط قيل ان مريم وابنها عيسى عليهما السلام اقاما بها سبع سنين وقيل هي الربوة التي اوى اليها المسيح ودعوته لاهل البهنسا مشهوره وكان بها العجايب من الطلسمات والصور واشيا غريبه ذكر مدينة الاشمونين هذه المدينة بناها اشمون بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وقيل انه بنا من الاشمونين الى انصنا سرب تحت النيل وكان مبلط بالرخام ومعقود بالزجاج الملون قيل عمله لبناته اذا اردن هيكل الشمس الذي كان بانصنا وكان ينزل بها جماعه من بني اميه ذكر مدينة اخميم قال بن وصيف شاه هذه المدينة كانت من اجل مدن الصعيد وكان بها البرابي العجيبه وما كان فيها من الحكم قيل ان رجلا دخل الى بعض البرابي التي بها فراى صورة عقرب على الحايط فالصق عليه شمعًا ومضى الى بيته فلما اصبح وجد العقارب التي كانت في بيته قد اجتمعت كلها عند تلك الصورة ولم تبرح عنها حتى قتلها عن اخرها وكان بها بربا اخر

فيها صنم قايم وله احليل كبير فمن حك احليله بذلك
الاحليل فانه لا يزال احليله قايما ولو يجامع ما شاء
لم ينحط له احليل فاذا اراد ابطال ذلك حك احليله
في ظهر ذلك الصنم فينام عليه احليله **ذكر الواحات
الداخله** هذه المدينه بناها قفطريم وكان بها بركه
اذا مر بها الطير سقط فيها لا يبرح منها حتي يوخذ
باليد وكان لها اربعة ابواب علي كل باب منها صنم من
نحاس اصفر اذا دخل من احدي ابوابها غريب القي عليه
النوم فينام عند الباب ولا يبرح حتي ياتيه احد من
اهل المدينه وينفخ في وجهه فيقوم وان لم يفعلوا ذلك
لا يزال نايما عند الباب حتي يموت **ذكر مدينة قفط**
كانت من اجل المداين وقد خربت من سنة اربع مايه
وكان بها خباب عاليه اشارة لمن يملك عشرة الاف
دينار يجعل علي داره قبه وكان بها معدن الزمرد
الذبابي ايضا يوجد في مكان يسمي الخزنه علي مسيرة
ثمانية ايام منها **ذكر العباسه** هذه القريه عمرت
في الاسلام **قيل** ولد بها العباس بن احمد بن طولون
فسماها به ولم تزل متنزها للملوك بمصر حتي بنا الملك
الظاهر بيبرس البندقداري علي فم الوادي قريه
وسماها الظاهريه وانشا بها جامعا بخطبه وذلك سنة
ست وستين وستمايه ثم حينيذ تلاشي امر العباسه
قال بعض المورخين انما سميت العباسه باسم عباسه
عباسه بنت الامير خمارويه بن احمد بن طولون
عندما توجهت الي بغداد لما تزوج بها الخليفه
المعتضد بالله ضربت خيامها هناك فسميت بها
يعني

يعني بالعباسه **ذكر مدينة المنصوره** هذه المدينه
علي بحر اشموم طناح بناها الملك الكامل محمد بن
العادل ابي بكر بن ايوب سنة عشرين وستمايه عند
استيلاء الفرنج علي ثغر دمياط وبنا بها الاسواق وبنا
بها الحمامات والفنادق ولما انتصر علي الفرنج سماها من
حينئذ المنصوره وبنا بها قصر علي البحر كان يجلس فيه
عند توجهه الي دمياط **ذكر قرية دبيق** هذه
القريه من قري دمياط واليها ينسب الثياب الدبيقيه
المنسوجه بالذهب يبلغ الثوب منها مايه دينار وكانت
الخلفاء يتغالون فيها وكان يعمل بها العمايم الشرب
المذهبه وكان لطول كل عمامه منها مايه ذراع وفيها
رقمات بالذهب تبلغ العمامه منها مايتين دينار ذهب
واستمرت علي ذلك الي سنة خمس وستين وثلثمايه
ذكر النحريريه هذه القريه من اعمال الغربيه انشاها
الامير سنقر السعدي نقيب الجيوش المنصوره وهو صاحب
المدرسه السعديه التي عند بجوار بيت الامير بشتك من
مهدي الدوادار الكبير عمرت هذه القريه في ايام الملك
الناصر محمد بن قلاوون سنة ثمان وعشرين وسبعمايه **ذكر
مدينة دمياط** اعلم ان هذه المدينه كوره من كور مصر
قال ابن وصيف شاه دمياط بلد قديم بناها دمياط
بن اشمون بن مصريم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام
فسميت به فتح هذه المدينه علي يد المقداد بن الاسود رضي الله
عنه بعد فتح مصر سنة اثنين وعشرين من الهجره وكان
بها ملك يقال له الهاموك وهو خال المقوقس صاحب
مصر وكان للهاموك ولد يسمي شطا فراي النبي صلي الله
عليه وسلم

في المنام فلما أصبح نزل الي المقداد بن الاسود واسلم علي
يده وحسن اسلامه وصار عونا للمسلمين وقاتل
اهل دمياط وتنيس اشد القتال حتي قتل في المعركة
ودفن بمكانه المعروف به الآن وهو خارج دمياط
وكان قتلته في ليلة الجمعة نصف شعبان سنة اثنين
وعشرين من الهجرة ولذلك صار له في كل ليلة نصف
شعبان موسما يجتمع اليه الناس من ساير النواحي ويقصدون
زيارة شطا رحمة الله عليه الي يومنا هذا . ذكر مدينة
تنيس قال محمد بن احمد بن بسام كانت مدينة
تنيس من الاقليم الرابع بنتها امراة تسمي تنيس بنت صا
من تك ارس احد ملوك القبط بمصر وكانت صحيحة الهواء
قليلة الوبا وكان طول هذه المدينة من الجنوب الي الشمال
ثلاثة الاف ومايتي ذراعا وعرضها من الشرق الي الغرب
ثلاثة الاف وخمسه وثمانون ذراعا وكان عليها سورا من
الحجر وعدة ابوابها تسعة عشرة بابا وكان بها سبعه
وستون مسجدا وسبعون كنيسة وكان بها ثلثون حماما
ومائة معصرة وستون طاحونا والفين وخمسماية حانوتا
للبضايع ومن المناسج خمسة الاف منسج وكان بها ثوب يقال
له البدنه ينسج من الذهب صناعة محكمة تباع كل بدنه
منها بالف دينار تحمل من مصر الي بغداد برسم الخلفا وكان
يعمل بها طرز من الكتان بغير ذهب يباع كل طراز منها
بمائة دينار وهو بغير ذهب ولم تزل علي ما ذكرناه الي
سنة ثلث وسبعين وخمسماية حتي هجم عليها الفرنج وملكوها
ونهبوا كلما فيها وهرب اهلها الي دمياط فالقوا فيها الفرنج
النار واحرقوها واستمرت خرابا الي الان ولم يبق منها
غير الرسوم وكانت من اجل مداين مصر واعظمها انتهى
وكان

وكان فيما بين تنيس ودمياط قرية تسمي بورا يصاد
منها السمك الذي يقال له البوري واليها ينسب
جماعة من الناس يلقبوا بالبوري وكان بمصر اميرا
يسمي بوري خربت هذه القرية سنة عشرة وستمائة
ذكر رمل الغرابي وهو متصل من حد العريش
الي ارض العباسه اعلم ان هذا الرمل حادث وسبب
ذلك ان شداد بن عاد احد ملوك العادية لما قدم
الي مصر نزل في هذه الارض وكانت ذات اشجار
مثمرة وعيون جارية فاقام بها دهرا طويلا حتي عتوا
قومه وتجبروا فسلط الله تعالي عليهم الريح فنسفت
ديارهم حتي صارت رمالا فجميع ما نراه من الرمال
اثار ديار قوم عاد قال الله تعالي وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته
كالرميم . ذكر مدينة بلبيس وسميت في التوراة
ارض جاشان قيل ان يعقوب عليه السلام لما قدم
الي مصر نزل بها وكانت عامرة في غاية العمارة الي سنة
ست وثمان مائة فتلاشي امرها من بعد ذلك . ذكر مدينة
الصالحية هذه المدينة عمرت في الاسلام عمرها الملك
الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد سنة
اربع واربعين وستمائة واستمرت تتزايد في العمارة الي
يومنا هذا . ذكر مدينة ايلة اعلم ان هذه المدينة
كانت بين مصر والينبع وكانت علي شاطي البحر المالح
وهي اول حد الحجاز وكانت مدينة عامرة محلة التجار وكان
بها قصر عالي هناك يجلسون فيه القباض عند اخذ المكس من
التجار وكان بينها وبين بيت المقدس ست مراحل وما
يتصل اليها الامن هناك وكانت العقبة صعبة السلوك
الي ان اصلحها الامير احمد بن طولون وسوي طريقها التي

كانت محجة لمن يومئذ يسلك طريقها ولم تزل مدينة أيلة
عامرة الى سنة خمسة عشرة واربع مائة فتلاشى امرها من
بعد ذلك. ذكر مدينة القلزم قال ابن الطويران
مدينة القلزم كانت ساحلا لمصر من الحجاز وكانت
عامرة كاملة البناء وكان يؤخذ المكوس من التجار في المراكب
هناك. وقيل ان فرعون غرق بالقرب من ذلك المكان
في مكان يقال له تاران وهناك معظم هيجان البحر المالح
ذكر التيه اعلم ان التيه على مقدار اربعين فرسخا
في مثلها والفرسخ اثني عشرة الف ذراع والذراع اربعة
وعشرون قيراطا والقيراط ست شعيرات بطونهن
والشعيرة ست شعرات من ذنب بغل وقيل ان بني
اسرائيل تاهوا فيه نحو اربعين سنة لم يدخلوا مصر
وقيل ان موسى عليه السلام مات به ونقل الى بيت المقدس
من هناك. ذكر الطريق فيما بين مصر ودمشق
اعلم ان هذا الدرب الذي تسلكه العساكر والتجار
من القاهرة الى غزة ليس هو الدرب الذي كان
يسلك في قديم الزمان وانما ظهر هذا الدرب سنة
خمس مائة من الهجرة عند انقراض الدولة الفاطمية
وكان الدرب اولا من بلبيس الى مدينة الفرما من ارض
الحوف ويسلك من الفرما الى قطيا ومن قطيا الى ام
العرب وهي بلد خراب على شاطئ البحر المالح فلما اتوا
الفرنج من القسطنطينية صاروا يقطعون الطريق في
هذا الدرب على المسافرين فصار الدرب مخوف
وقل منه السالك فلما كانت دولة صلاح الدين يوسف
بن ايوب واستخلص بيت المقدس من ايدي الفرنج
وذلك سنة ثلث وثمانين وخمسمائه فصار من ذلك
الوقت

الوقت يسلك هذا الدرب الآن من حينئذ فلما
كانت دولة الملك الظاهر بيبرس البندقداري
ورتب خيل البريد وجعل لها مراكز ما بين مصر
الى دمشق وذلك سنة تسع وخمسين وستمائة فتحايا
هذا الدرب وكثر السلوك به فتلاشى امر الدرب
العتيق وصار العمل على هذا الدرب الى الآن انتهى
ذكر من دخل مصر من الانبياء عليهم السلام
قال ابو محمد محمد بن يوسف الكندي في كتاب
فضايل مصر دخل مصر من الانبياء ثلاثين نبيا
عليهم السلام منهم ادريس ويقال له هرمس
وابرهيم الخليل وفي بعض الاخبار ان اسمعيل بن
ابرهيم دخل مصر نقل ذلك الشيخ جلال الدين السيوطي
ويعقوب ويوسف واثنا عشرة من ولد يعقوب
عليهم السلام وهم الاسباط ولوط عليه السلام
وولد بها موسى وهرون ويوشع بن نون عليهم
السلام ودخلها دانيال وارميا وعيسى بن مريم
عليه السلام وسليمان بن داوود عليهما السلام نقل
ذلك الشيخ جلال الدين السيوطي وذكر ان ايوب
عليه السلام دخل مصر قال ابن عساكر في
تاريخه وعلمت ان ايوب دخل مصر ان رحمة زوجة
ايوب كانت بنت منشا بن يوسف عليه السلام ويمكن
انه دخل مصر بسببها ودخلها شعيب عليه السلام في
زمن فرعون ودخلها لقمان الحكيم وفي نبوته خلاف
وقال عكرمة والليث بن سعد انه نبي ودخلها
من العلماء يقين الخضر عليه السلام قال ابو حيان في
التفسير ان الخضر عليه السلام كان نبيا وجزم به الثعلبي
ودخلها ذا القرنين قال ابن عباس رضي الله عنهما
ادخلها

كان ذا القرنين نبيا أخرجه بن أبي حاتم في تفسيره
وقال ابن عبد الحكم أن ذا القرنين كان من أهل
مصر واسمه مرزبا وكان من ولد يونان بن يافث
بن نوح عليه السلام وكان أسود اللون من قرية من
قرى مصر يقال لها لوبية من أعمال الغربية قال
صاحب مرآة الزمان أن ذا القرنين مات بأرض
بابل وجعل في تابوت من خشب وطلي بالصبر
وحمل من بابل إلى الإسكندرية ودفن بالمنار الذي
أنشأه هنالك قال ابن الجوزي في كتاب تنوير
الغبش في فضل السودان والحبش أن ذا القرنين
كان أسود اللون وأنه عاش ألف وستمائة سنة
والله أعلم بذلك ومن أهلها مؤمن آل فرعون
الذي أثنى عليه الله تعالى في القرآن ولم يكن من
آل فرعون مؤمن غيره ومن أهلها المؤمن الذي
أنذر موسى عليه السلام ومن أهلها جلساء فرعون
وفضيلة عقولهم فلما استشارهم فرعون في أمر
موسى وهارون قالوا أرجئه وأخاه وابعث في
المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وأين هذا
من قول أصحاب النمرود لما استشارهم في أمر
إبراهيم الخليل فأشاروا بقتله حيث قالوا حرقوه
وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ومن أهلها السحرة
الذين آمنوا بموسى عليه السلام في ساعة واحدة
مع كثرتهم قال بن عبد الحكم كان عدتهم
هم وعرفائهم مائتي ألف وأربعين ألفا وهذا من
رقة قلوب أهل مصر وأما ما كان من أهلها من
النساء

النساء زليخا ومحبتها ليوسف عليه السلام وآسية
امرأة فرعون التي مدحها الله تعالى في القرآن العظيم
وأم موسى عليه السلام وكان اسمها يوحانه ودخل
من النساء سارة زوج إبراهيم عليه السلام ومريم
أم عيسى عليه السلام ومن أهلها ماشطة بنت
فرعون حين آمنت بموسى عليه السلام فمشطها فرعون
بأمشاط الحديد كما يمشط الكتان وهي ثابتة على إيما
نها بالله تعالى روي بن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة
أسري بي أتيت على رائحة طيبة فقلت يا جبريل
ما هذه الرائحة الطيبة قال هذه رائحة ماشطة
بنت فرعون وأولادها انتهى ذلك ذكر من كان
بمصر من الحكماء في أول الدهر قال الكندي
كان بمصر من الحكماء هرمس وهو إدريس عليه السلام
وقد جمع بين النبوة والملك والحكمة وكان بها من
الحكماء أغاثيمون وفيثاغورس وهما تلاميذ
هرمس وإليهم يعزى علم الكيمياء والنجوم وعلم السحر
والروحانيات والطلسمات وأسرار الطبيعة ومنهم
أرسلاوس وبنك قليس أصحاب الكهانة والسحر ومنهم
سقراط صاحب الكلام على الحكمة ومنهم أفلاطون
صاحب السياسة والكلام على المدن والأقاليم وغير
ذلك ومما وقع له من النكت اللطيفة أنه رأى امرأة
مصلوبة على شجرة فقال ليت على كل شجرة مثل هذه
الثمرة ومنهم أرسطاليس صاحب المنطق ومنهم
بطليموس صاحب الرصد والحساب وتركيب
الأفلاك وتسطيح الكرة ومنهم أراطس صاحب صور

الفلك ومنهم أفلطينوس صاحب الفلاحة ومنهم
ابرجيس صاحب المعرفه بذات الحلق ومنهم ثاوك
صاحب التريح ومنهم داما ينوس ووا اليس واصطقر
أصاحب كتب أحكام النجوم ومنهم أثلرنه صاحب
الهندسه والمقادير والالات لقياس الساعات
ومنهم فليبور صاحب عمل الدواليب والأرحيه
ومنهم أرشميس صاحب المنجنيقات التي يرمي بها
علي الحصون ومنهم فليطش وصارنه أصحاب
الطلسمات والبرابي ومنهم أبلفنيوس صاحب
المخروطات ومنهم ثابو شيش صاحب الالزه
ومنهم فيطس صاحب حساب الافلاك ومنهم
أفطوقس صاحب كتاب الأسطوانيه ومنهم
بهاجا لينقوس صاحب الطب وتلميذها وافا
ودينسقوريدس صاحب الحشايش والينوس وفيثاغورس
والأغاي واشاسيوس وقد هجونوس وهما من حكماء
اليونان وسقراط وبقراط وقس بن ساعده حكيم
العرب الذي ضرب به الشاعر المثل حيث قال
ولو أن قسا واصف منك وجنة لأعجزه نعت بها
وهو باقل

وأما حكماء الإسلام الرئيس أبو علي بن سينا صاحب
القانون في الطب **قيل** لما مات كتب علي قبره هذه

الأبيات

قد قلت لما قال لي قايل صار بن سيناء الي رمسه
فأين ما يوصف من طبه وحدثه بالماء مع جنسه
هيهات لا يدفع عن غيره فكيف أن يدفع عن
نفسه

ومنهم شرف الدين بن [illegible] وضياء الدين [illegible] الفارسي [illegible] والتعويذي [illegible]

والشيخ

والشيخ علاي الدين بن نفيس صاحب الموجز في الطب
وغير ذلك من الحكماء في دولة الإسلام انتهى ذلك

ذكر من دخل مصر من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين قال

الإمام محمد بن الربيع
الجيزي دخل مصر من الصحابة مايه ونيفا وأربعين
رجلا **قال** الشيخ جلال الدين الأسيوطي رحمة
الله عليه وقفت علي كتاب محمد بن الربيع ورايت
ما أورد فيه ممن دخل مصر من الصحابه فتتبعت ذلك
من تآليف المتقدمين فزدت في العدد علي كتاب
بن الربيع حتي بلغ العدد ثلثمايه ونيفا ممن دخل
مصر من الصحابه والفت في ذلك كتابا لطيفا وسميته
در السحابه في من دخل مصر من الصحابه وأوردت
أسمايهم علي حروف المعجم وزدت في تراجمهم اسم
الأب والجد والسن والوفاة **قلت أنا** وقفت علي
كتاب الشيخ جلال الدين رحمة الله عليه فرايته قد
طال في هذا المعني فاحببت أن أذكر في هذا
التاريخ جماعه من أعيان الصحابه رضي الله عنهم ممن
دخل مصر ومات بها واقتصرت علي ذلك خوف
الاطاله ولكن اوردت وفاة كل واحد منهم في السنة
التي مات بها علي توالي السنين في مواضعه كما سياتي
ذكر ذلك ان شاء الله تعالي **ذكر طرف يسيره من فضايل مصر**
اعلم ان لمصر فضايل كثيره لا تحصي فمن
ذلك **قال** ابن زولاق عن عبد الله بن عمر رضي
الله عنه انه **قال** لما خلق الله تعالي آدم عليه
السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها

[illegible] علاء الدين [illegible] بن نفيس [illegible]

وبرها وبحرها ومن يسكنها من الأمم ومن يملكها
من الملوك فلما رأى مصر رأى أرضا سهلة ذات
نهر جاري تنحدر مادته من تحت سدرة المنتهى
وتمازجه الرحمة ورأى جبلا من جبالها مكسوا
بالنور لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة فأعجبت
آدم عليه السلام تلك الأرض ودعا لها بالرحمة
والرأفة وبارك في نيلها سبع مرات فكان آدم
عليه السلام أول من دعا لمصر ومن فضايلها أن
نوحا عليه السلام دعا لها بالبركة والخصب بعد
الطوفان ومن فضايلها ألقى موسى عصاه بها
وانفلق البحر له وبها الوادي المقدس والطور
الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ومرقب
موسى مشهور في ذيل المقطم وبها الجميزة التي صلى
تحتها موسى كانت بطرا وبها النخلة التي كانت تنضح
الزيت لمريم عليها السلام وهي بمدينة أشمون
وأقام بها عيسى والحواريون سبع سنين بالبهنسا
وبها بئر البلسان التي بالمطرية قيل أن المسيح اغتسل
فيها وقيل أن أمه غسلت قميصه من تلك البئر وصب
الماء في الأرض فنبت هناك البلسان وليس يوجد البلسان
إلا بالمطرية فقط وكانت ملوك الفرنج تتغالى في ثمنه
ولهم فيه اعتقاد عظيم ولا يتم التنصر عندهم إلا بدهن
البلسان يضعون منه شيئا في ماء المعمودية ويغمسون فيه
وكان يشترى بثقله ذهبا وكان من محاسن مصر ولكن
انقطع وجوده من مصر في مستهل قرن التسعماية وبطل معه

جملة

جملة ما بطل من مصر نكتة لطيفة قال أبو شامة
أن الملك الكامل محمد استأذن أباه الملك العادل
أن يزرع في بستانه شيئا من البلسان فأذن له في ذلك
فنقل منه في بستانه فلم ينجح عنده فقيل له إنما ينجح
إذا سقي من ماء البئر التي هناك فحمل مجراه
من المطرية إلى بستانه بسواقي حتى تسقى البلسان فلم
ينجح وقل عيل صبره في ذلك فقيل له السر في تلك
البقعة لا ينتقل إلى غيرها ولو كان البلسان ينبت في غير
أرض المطرية لكان أول من نقله ملوك الفرنج إلى بلادها
ومن فضايل مصر أن بها سجن يوسف عليه السلام في
نواحي الجيزة وكان الوحي ينزل عليه هناك وصار الآن
مسجدا يعرف بمسجد موسى وكان في قديم الزمان إلى
أيام الحاكم بأمر الله تخرج جماعة من أهل مصر بسبب
زيارة هذا المكان ويقيمون هناك ثلاثة أيام في وقت
معلوم من السنة وتنفق هناك أموال جزيلة في المأكل
والمشرب وغير ذلك قيل أن كافور الإخشيدي سأل
أهل مصر عن موضع معروف بإجابة الدعاء فيه فقالوا له
سطح سجن يوسف عليه السلام قال القضاعي وهو في بوصير
من أعمال الجيزة وأجمع أهل مصر على صحة هذا المكان أنه
كان سجن يوسف عليه السلام وبها مسجد يعقوب عليه السلام
في مدينة الفيوم ومسجد أيضا قيل هو مكان يأوي فيه
يوسف عليه السلام ومن فضايل مصر أن بها الأهراء التي
كان يخزن فيها يوسف القمح فلا يفسد وبها الجدار الذي
بناه يوسف لرد الماء عن مدينة الفيوم وآثاره باقية إلى الآن
وكان طوله مائتا ذراعا وقيل أن سفينة نوح عليه السلام
طافت بأرض مصر حتى زار سفح الجبل المقطم ودعا هناك
إلى الله

تعالى

لما فيه من اجابة الدعا وقيل ان بمصر قبر زليخا امرأة
يوسف عليه السلام واقام يوسف مدفونا بها على نيل
الفيوم ثلثماية سنة حتى نقل عظامه موسى عليه السلام
الى بيت المقدس ومن فضايل مصر ان دفن بها جماعة
من اولاد يعقوب عليه السلام ودفن بها جماعة كثيرة
من الصحابة رضي الله عنهم ونقلت اليها راس الحسين
بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من عسقلان
سنة تسع واربعين وخمسماية ودفن بها من العلماء
والصلحاء ما لا يحصى عددهم منهم الامام الشافعي
محمد بن ادريس رضي الله عنه وناهيك به ومصر كلها
في حمايته وهو الامام بمصر وصاحب البلد ومن
فضايل مصر ان الرخامة الخضرا الفستقي التي في
حجر اسمعيل عند الكعبة اصلها من مصر بعث بها
محمد بن طريف مولى العباس بن محمد الى مكة سنة
احدى واربعين وماتين وبعث معها رخامة
اخرى فستقي وضعت فوق سطح الكعبة عند
الميزاب وطول كل رخامة ذراع بالعمل وثلث
اصابع ومن فضايل مصر انها توسع على اهل الحرمين
بما يجلب منها اليهم من الغلال في البحر ومن فضايل مصر
قال ابو بصره الغفاري سلطان مصر سلطان الارض
كلها وله ميزة على ساير ملوك الارض لكونه خادم
الحرمين الشريفين فتشرف على الملوك بذلك وقيل
هو القطب الظاهر في تصرف الاحوال الدنيوية
وفيه يقول شمس الدين الدمشقي
اذا البلاد افتخرت لم تزل مصر لها عز وتفضيل

وكيف

ودفن بها آسية امرأة فرعون ... موسى عليه السلام ... بها في التربة
ودفن بها ... نفيسة ... رضي الله عنها

وكيف لا تفخر مصر وفي ارجايها السلطان والنيل
واعظم من هذا كله ما قاله الامام ابو شامه المورخ
لما نقلت الخلافه الى مصر عظم امرها وتشرف قدرها
بين البلاد وغيض سلطانها على ساير الملوك وذلك
سر في بني العباس حيث ما كانوا بارض تشرفت بهم
وقال القضاعي لم يكن في الارض اعظم من ملك مصر
ولو ضرب بينها وبين ساير البلاد سور لاستغنى اهلها
بما فيها عن ساير البلاد وهي اكثر البلاد كنوزا وعجايب
واثارا من البرابي والطلسمات وذلك لما فيها من الحكم
والعجايب وغير ذلك انتهى ما اوردناه من فضايل مصر

ذكر ما خصت به مصر من المحاسن دون غيرها
من البلاد قال كعب الاحبار من اراد ان
ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى ارض مصر في زمن
ربيعها قبل طلوع الشمس وساءل بعض الحكماء متى
تطيب ارض مصر قال اذا اعتدل هواها وطاب
مرعاها وارتفع وباها وازهرت اشجارها وغردت
اطيارها يعني في فصل الربيع وقال القايل في المعنى
ان فصل الربيع فصل مليح نحن في الصعد منه كالاغنياء
ذهب حيث ما ذهبنا ودر حيث درنا وفضة في الفضاء
وقال بعض الحكماء مصر نيلها عجب وارضها ذهب وهي
لمن غلب ونساها لعب وملكها سلب ومالها رغب وخيرها
جلب وفي اهلها صخب وطاعتهم رهب وحربهم حرب قال
الكندي نيل مصر سيد انهار الدنيا لانه يخرج من الجنة من
تحت سدرة المنتهى كما ورد به خبر الشريعة وقال كعب
الاحبار النيل يصير يوم القيامة نهر العسل في الجنة وقيل
نهر الخمر والله اعلم قال المسعودي في مروج الذهب
وصف بعض الحكماء ارض مصر فقال ثلاثة اشهر لولوة
بيضا وثلاثة اشهر مسكة سودا وثلاثة اشهر زمردة

خضراء وثلاثة اشهر كهدبة صفراء فاما اللولوة
البيضاء فان ارض مصر تصير في شهر ابيب ومسري
وتوت بيضاء لا يركبها ماء النيل ويفترش على ارضها
وتصير الضياع مثل الكواكب في السماء فلا يصل اليها
اهلها الا في الزوارق واما المسكة السوداء فان ارض
مصر في شهر بابه وهاتور وكيهك ينصرف عنها
الماء فتصير مثل المسكة السوداء ولها روائح طيبة تشبه
روائح المسك واما الزمردة الخضراء فان ارض مصر
في شهر طوبه وامشير وبرمهات تصير بالزرع مثل
الزمردة الخضراء واما الكهدبة الصفراء فان ارض
مصر في شهر برموده وبشنس وبونه يدرك الزرع
ويحمد فيصير مثل السبيكة الذهب الصفراء فهذه
صفة ارض مصر في الاربعة فصول من السنة انتهي

وقال العوج الشامي في المعنى

ان كان في الصيف ريحانة وفاكهة فالارض مستوقد والجو تنور
وان يكن في الخريف الدوح منذهبة فان اوراقها بالريح منثور
وان يكن في الشتاء الغيم متصلا فالارض عريانة والجو مقرور
ما العيش الا الربيع المستنير اذا جاء الربيع اتاك النور والنور
فالارض ياقوتة والجو لولوة والنبت فيروزج والماء بلور

قال الكندي مصر اعلاها حجازية واسفلها شامية

وقال في مصر القايل من ابيات
فهي في صيفها درة وفي خريفها فحسنه سوداء طيبة النشر
واما شتاها فالزمرد ويرجع في فصل الربيع الى التبر

كان

تحت

ان اهلها لا يحتاجون في الشتاء الي التدفي بالنار
ولا في الحر كعادت اهل الشام ولا في الحر التضلل
الخيش من حر الشمس كعادت اهل الحجاز وهي في
الاقليم الثالث والرابع فسلمت من حر الاقليم الاول
والثاني ومن برد الاقليم السادس والسابع فضعف
حرها وخف بردها قال صاحب مباهج الفكر ومناهج
العبر ليس في الدنيا شجرة الا وبمصر عدتها ويوجد بمصر
في كل وقت من الزمان من الماكول والمشموم وساير اصناف
البقولات والخضر في الصيف والشتاء لا ينقطع ابرد ولا حر
قال بعض الحكماء لولا ماء طوبه ورميس امشير
ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين
بوونه وعسل ابيب وعنب مسري ورطب توت
ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وقال
جالينوس الحكيم لولا قصب السكر بمصر لما بريت العلل
عن اهلها سريعا وقيل يعمل من قصب السكر الف نوع من
الحلوي والاطعمة وغير ذلك وقد قال القايل في المعنى
امسي بمصر حلاوة تثني علي ال قصب الذي فيها الطيب
خبايه
والله ان منت عليه خالها فضلت عليه لانها من مايه

وقال اخر

سبحان من انبت في ارضنا ما بين شوك وحلا فيها
انبوبة في حشوها سكر قد كان ماء وحلا فيها
ومن محاسن مصر وهي السبع زهرات التي تجتمع في وقت
واحد بمصر وذلك في اوايل فصل الربيع وهي النرجس

وهو أول ما يقدم ثم البنفسج ثم البان ثم الورد
النصيبي ثم الزهر وهو زهر النارنج ثم الياسمين
ثم الورد الجوري ويعرف أيضا بالقحابي ويأتي أواخر
هذه الأزهار فهذه السبع زهرات التي تجتمع في
صعيد واحد وتلهج المصريون بذكرها وأما زهر
النسرين وإن كان من أعظم الزهور رائحة فإنه غير
معدود في جملة هذه السبع زهرات لأنه يأتي
في أثناء أيام الورد الجوري فلا يلحق النرجس
ولا البنفسج فلم يكن معدودا في جملة هذه السبع
زهرات لأجل تأخره عنهم وقد قلت في المعنى
يا طيب وقت عصر فيه قد جمعت سبع من الزهر
تحويها البساتين
بنفسج نرجس زهر وبان لنا ورد نصيب وجوري
ويسمين
وأما الأزهار التي تأتي في الصيف وهي الياسمين
والنسرين والتمر حنا والريحان المدور وشقايق النعمان
والأقحوان والآس والريحان والنمام والنيلوفر
والياسمين الأصفر وأكثر أزهار الصيف الياسمين الأبيض
والتمر حنا والآس ومن محاسن مصر بها من الفواكه
الخوخ الزهري وهو لا يوجد إلا بها والعنب البحيري
وهو أصل في حلاوة من العنب الشامي وبها التفاح
السكري والكمثري البلدي والرمان المنزلاوي والخوخ
المشمش الفوي وهو غاية في الحسن ومن مأكولها
الرطب وهو يغني عن أكل الحلوى معه وبها التين
البرشومي وهو ما دق الحلاوة وبها الجميز وهو نوع

نوع شهي لا يوجد إلا بها وبها نوع يسمى الشقير وهو
مثل البرقوق لا يوجد إلا بها وبها النبق واللوز
الأخضر وكان بها نوع يسمى السنج وهو مثل اللوز
الأخضر ولكن انقطع من مصر سنة سبعمائة وبها الموز
الدمياطي لا يوجد إلا بها ومن محاسن مصر الأترج
والكباد والنارنج والحماض الشعيري وله منافع مفيدة
والليمون وله منافع مفيدة لأوجاع الصفرا وبها الليمون
الأحمد الغزنسيسي قيل نقل إلى مصر سنة ثلثمائة من
الهجرة وهو نوع غريب ويجلب إليها بطول السنة
الفواكه الشامية مثل الكمثري والتفاح والسفرجل وغير
ذلك من الأنواع وليس في الدنيا بلد فيها نخيل بلح مثل
أقليم مصر يأكلوا من ثمره البسر والرطب والتمر على
أنواع والعجوه وينتفعوا بخشبها وجريدها وخوصها
وليفها ويعمل منه جملة أنواع مفيدة لا يستغني عنها
أحد من الناس وهي عمارة مصر وقال القايل في المعنى
أي أهل الشام يتفاخرونا وتلك وقاحة
وليبق يتفاخروا بالشام مصرا وشهوة كل من في الشام نخلة
ومن محاسن مصر العسل النحل المصري روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه أهدى إليه المقوقس صاحب مصر
هدية ومن جملتها عسل نحل من بنها فلما أكل منه أعجبه فقال
من أين هذا العسل فقيل له من قرية من قرى مصر يقال لها
بنها فقال بارك الله في بنها وفي عسلها فعمت هذه الدعوه
ساير قرى مصر وبها نوع يسمى النيدة يعمل من بقول القمح
روي عن مريم عليها السلام لما دخلت مصر ومعها ابنها عيسى
عليه السلام وهو رضيع فشكت إلى الله تعالى قلة اللبن منها
فألهمها الله تعالى أن علمت النيدة وأطعمت منها عيسى عليه السلام

فاغتنى بها عن اللبن. ومن محاسن مصر البطيخ الصيفي قيل
انه نقل من الهند الى مصر وبها البطيخ العبدلاوي والبطيخ
السلطاني والبطيخ العبدلاوي قيل ان عبد الله بن طاهر نقل
زريعته الى مصر سنة مايتين من الهجرة فنسب اليه وقيل
العبدلي. ومن محاسن مصر الخيار البلدي وله منافع
مفيدة والقثا والخس وكان بها نوع يسمى الفقوس ولكن له
من حين انقطع عن مصر وبها نوع يسمى الفل وله منافع مفيدة
لبعض الاكل. وبها من الخضر اللفت والجزر والاسفاناخ
والكرنب والقرع والباذنجان والقلقاس والفول والحمص
والسلق والبامية والملوخية والرجلة وهذه الانواع منها
اشيا تختص بها دون غيرها من البلاد. وبها الافيون وهو
عصارة الخشخاش وله منافع يجلب منه الى ساير البلاد
ولا سيما بلاد الهند. ويجلب من مصر الى البلاد الشامية
الحنا والسمك القديد والجبن الحلوم والجبن الاقفهسي والنيدة
والعصفر والبسلة والعدس وخيار الشنبر وغير ذلك
من الانواع التي لا توجد الا بمصر. ومن محاسن مصر ان
يوجد بها من العقاقير المفيدة في الطب وهو بزر الهند
وبزر الرجلة والشمار العريض والعرق سوس البوقي وخيار
الشنبر والاهليلج وله منافع مفيدة والماسله وهو طين
اصفر داخل حجر اسود يحل في الماء ويشرب منه لوجع
المعدة وكان نافعا ولكن انقطع من مصر وكان يجلب من
وادي هبيب من اراضي الصعيد والعوسج. وبها المومية ولها
منافع. وبها الغاسول البري وله منافع مفيدة. ومن
محاسن مصر بها السمك الرعاد وله منافع مفيدة. قال
جالينوس الحكيم اذا علق على راس من به صداع برئ. وبها
الاسقنقور وله منافع مفيدة لوجع الظهر. وبها السمك الذي
يقال له الابرميس الذي هو سلطان الاسماك وله منافع

مصره

والكتان والزيت الحار

مفيدة وكان بها البلطي الفيومي وكان من محاسن مصر ولكن
انقطع من الفيوم في اوايل قرن التسعماية. وبها السمك
المعروف بالبوري. قال الكندي ليس في الدنيا بلد
ياكل اهله صيد البحرين طريا غير مصر. وبها النمس
والعرس ولهما فايدة جليلة في اكل الثعابين حتى قيل
لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين
فانها تاتي مع ماء النيل من اعالي البلاد المحررة. وبها
الحباة التي يعمل منها الدرياق ولا توجد الا بمصر فقط
تصاد في فصل الربيع من الجبال. ويجلب اليها من بلاد
الصعيد العسل الاسود الشقنقبري وله منافع مفيدة
ويجلب اليها من الواحات الانطاع الالواحية ولها ميزة
على غيرها من الانطاع. ويجلب اليها من الفيوم الزيتون
الفيومي وهو نهاية في الكبر والطعم. ويجلب اليها الملح
والاطرون والشب ولهم منافع لا تحصى. ويجلب اليها
الخشب الابنوس الاسود وخشب السنط الذي يوقد
يوما وليلة ولا يوجد له رماد. ويجلب اليها الحمام
النوبي والقمري والنعام وهو بطي الخمود سريع
والارنب وبقر الوحش وغير ذلك. قال الكندي
ان العصفور الدوري لا يفرخ الا بمصر دون غيرها
من البلاد ويكون ذلك في كانون الاول. وبها طير الحواصل
وهو البجع الذي يعمل من جلده اخفاف ومن حواصله
فرا تقوم مقام الفرا الفنك وهو غاية في الدفا.
وبها القراطيس وهي الورق البلدي. قال الكندي
ان اول من اتخذ القراطيس وكتب بها يوسف عليه
السلام وهي يكتب فيها مراسيم السلطان وتسير الى ساير
الافاق ويجلب بها الارزاق. ومن محاسن مصر ان بها

معامل البيض وهي كالتنانير يوقد عليها بالنار فتحاكي بها
نار الطبيعة لحضانة الدجاجة للبيض فيخرج منها الفراريج
دفعة واحدة وهي من اعظم ماكول اهل مصر ولا تعمل
هذه التنانير الا بمصر ومن اطيب ماكولها الاوز البلدي
قيل لما قدم المامون الي مصر فاكل منه واستطيبه على
غيره من الطير ومنها لحوم الغنم الضان وهي اطيب من
لحوم اغنام ساير البلاد ومنها القمح اليوسفي وهو اطيب
من حب غيرها من البلاد ومن محاسن مصر ان
بها الخيول العربية وهي اجود من ساير خيول البلاد
ويقال ان مصر تفتخر بالخيول العربية والبغال السندية
والحمير البرلسية والابقار الخيسية والبخاتي البجاوية
والاغنام النوبية والمعز الصعيدية ومنها المراكب
الحربية والمضارب السلطانية والسلاسل الرهانية ومنها
يعمل صنعة الكفت لا يعمل في بلد غيرها وكذلك
صنعة الدهان لا تعمل الا بها وتجلب اليها الرقيق من
بلاد الزنج وليس في الدنيا بلد فيها رقيق زنج اكثر من
مصر ومنها كان علم النجوم وعلم السحر والطلسمات القديمة
وعلم الطير الذي مكتوب به على البرابي وغيرها ولم يكن
هذا ببلد غيرها ومنها ظهر علم الطب اليوناني وعلم المساحة
وعلم الحساب القبطي والديواني والقراريط ولم يكن هذا
ببلد غيرها ومنها مقطع الرخام المرمر وله منافع مفيدة
ومقطع الرخام الابيض الصعيدي والاسود السوسي
والرخام الشامي والزرزوري والفستقي لا يوجد الا
بها ومنها حجر الصوان المانع الذي يعمل منه الاعمدة
والاعتاب وحجر الطواحين والمعاصر ولا يوجد هذا في
بلد

بلد غير مصر ومنها حجر الكذان الذي يبلط به الدور ويعقد
به السلالم الدرج من السلالم العالية ومن محاسن
مصر في ملابسها وهي التفاصيل السكندرانية والابراد
الطهور المنزلاوية والمقاطع الشرب الدبيقية
والثياب التنيسية التي كانت تجلب الي بغداد برسم
الخلفا وكانت تنسج بالذهب تبلغ البدنة منها خمسماية
دينار والطرز البهنساوية يباع الطراز منها ماية
دينار وهو بغير ذهب والاكسية الصوف العسلية التي
كانت تعمل من صوف المعز قيل ان معاوية لما كبر وسنه
كان في الشتاء لا يدفا فارسل طلب من عامل مصر كساء
منها يلتف بها حتى يدفا ومنها اجلال الخيل تجلب منها
الي ساير البلاد والبراقع والستور القيومية تجلب منها
الي ساير البلاد والطنافس والبسط العمل الشريف الذي
لا تعمل الا بها والوشي الذي كان يعمل بالاسكندرية يقوم
مقام وشي الكوفة ومنها معمل الحصر العبداني لا يعمل الا
بها وتجلب الي ساير البلاد منها قال صاحب مباهج الفكر
ان بمصر سبعماية وخمسين نوعا من المعادن والاصناف
والملابس والفواكه لا توجد الا بها فقط ومن محاسن
مصر وهو القرط الذي يزرع في اراضيها زمن الربيع
وتربط عليه الخيول والبهايم وتكثر في تلك الايام المرعي
وتطيب اللبن وتصير ارض مصر ما بين الاملاك في ماء
وخضرة وليس توجد هذه الاوصاف في بلد من البلاد
غيرها وقد قال القايل في المعنى

ولما جلي وجه الربيع محاسنا ... وصفق ماء النهر اذ غرد القمري
اتاه النسيم الرطب رقص دوحه ... فنقط وجه الارض بالذهب

ومن محاسن مصر نيلها وهو من أجل محاسنها في حلاوته
وسرعة هضمه للأكل قال ابن وحشية أن ماء
النيل حلوا جدا والشرب منه يخصب الأبدان ويؤثر
البثر والدماميل لكثرة الفضلات الرديه اذا اختلط الطعام
فيحدث منه ذلك ولكن يدفع عن أهل مصر ذلك الضرر
ادمان شرب ماء الليمون والنارنج وكثرت استعمال الخل
وهذا راس طبهم الأكبر قال المسعودي اذا بلغ النيل
ثمانية عشر ذراعا وانهبط كانت العاقبة لأهل مصر
في انصرافه حدوث وباء بالديار المصرية وقال ابن
عبد الحكم نيل مصر مخالف لبقية الأنهار اذا زاد تنقص جميع
الأنهار والنيل عمارة مصر في الزراعة وأقوات أهلها
وفرحة أهل مصر بيوم وفاء النيل لا يعدلها عندهم
شيء وقد خصوا بذلك دون غيرهم من البلاد الشامية
وغيرها وقد قال القايل في المعنى

نادي منادي الوفا بمصر اذ علقوا ستره علامه
من الغلا قد سلمت حقا وبت في الستر والسلامه

قال الكندي مصر تشتمل على ثلاث مدن وهي
مدينة الفسطاط التي أنشاها عمرو ابن العاص رضي الله
عنه والقاهرة التي عمرها جوهر القايد للمعز الفاطمي
وقلعة الجبل التي بناها قراقوش للملك الناصر صلاح
الدين يوسف بن أيوب ومن محاسن مصر أيضا
البيمارستان المنصوري الذي هو من محاسن الزمان وهو
لا يستغني عنه الغني ولا الصعلوك وليس في الدنيا
آثار حسنه وخير مثله انتهى ذلك وقد عد من محاسن
مصر أيضا انتهى ذلك

ذكر أخلاق أهل مصر ومعايبهم وأمزجتهم وما أشبه ذلك والله أعلم

أن

أن المعايب أهل مصر وأمزجتهم وأخلاقهم بعضها
شبيهها ببعض فان أبدانهم سخيفة سريعة التغيير
قليلة الصبر والجلد وكذلك أخلاقهم تغلب عليها
الاستحالة والانتقال من شي الى شي وعندهم الجبن
والقنوط والشح وقلة الصبر على الشدايد وسرعة
الخوف من السلطان وعندهم قلة الغيرة على عيالهم
وعندهم التجاسس في بعضهم وكثرت الكذب وذم
الناس ومنهم من خصه الله بالعقل وحسن الخلق
حتى قيل أن كلاب مصر أقل جراءة من كلاب غيرها
من البلدان وقيل أن الأسد اذا دخلت مصر ذلت
وقلت أذيتها عما كانت في القفار قال بعض الحكماء
أجساد أهل مصر سخيفة لا تقبل الأدوية المفرطة التي
في كتب الحكماء اليونانيين والفرس فانها كانت على قدر
أبدانهم القوية فيجب على الطبيب أن لا يعطي المريض أدوية
قوية ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامها قال أبو الصلت
أهل مصر الغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك في اللذات
والاشتغال بالترهات والتصديق بالمحالات وفي أخلاقهم
رقه وعندهم بشاشه وملق وعندهم مكر وخداع ومكر وكيد
وحيل وخصوا بالأفراح دون غيرهم من الأمم قال بعض
الحكماء أهل مصر يتحدثون بالأشياء قبل وقوعها ويخبرون
بالأمور المستقبلة قبل كونها وسبب ذلك أن منطقة الجوزاء
تسامت رؤوسهم فلذلك يتحدثون بالأشياء قبل كونها قال
المسعودي لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه العراق
والشام ومصر كتب الى بعض الحكماء انا اناس عرب وقد فتح الله
علينا البلاد ونريد أن نتبوأ من الأرض مسكنا فكتب اليه

فصف لنا الأقاليم فكتب اليه عدة أقاليم فلما وصل الي وصف
مصر قال واما مصر فهي ارض غبرا كالمراة العاري اي
الحايض تطهر بالنيل كل عام وهي مسكن الجبابرة ودار
الفراعنة هواها راكد وحرها زايد وشرها بايد وهي
معدن الذهب ومغارس الغلال تسمن الابدان وتسود
الابشار وتنموا فيها الاعمار نساوها شر نساء الارض
وعندهم خبث ودهاء ومكر ورياء وهي بلد مكسب لا
مسكن اهلها اهل شر فكن منهم علي حذر **وقال** معاوية
بن ابي سفيان رضي الله عنه وجدت اهل مصر ثلاثة اصناف
فثلث اناس وثلث اشبه بالناس وثلث لا اناس ولا اشبه
بالناس

وقد قال القايل في المعني

وقد دفعنا الي زمان لئيم ○ لم ننل منه غير غل الصدور
وبلينا من الوري باناس ○ تركتهم اعجازهم في الصدور

انتهي ما اوردناه من فضايل مصر ومحاسنها وقد اطلقت
عنان القلم في ميدان الاستطراد هذا المعني حسبما التزمته
من ذلك

ذكر ما قاله الشعراء في وصف مصر ونيلها ومنتزهاتها واوان ربيعها واملاقها فمن ذلك قول الشيخ شرف الدين بن الفارض رضي الله عنه

وطني مصر وفيها وطري ○ ولعيني مشتهاها مشتهاها
ولنفسي غيرها ان سكنت ○ يا خليلي سلاها ما سلاها

وقال الصلاح الصفدي

من شاهد الارض واقطارها ○ والناس انواعا واجناسا
ولا راي مصرا ولا اهلها ○ فما راي الدنيا ولا الناسا

وقوله

لم لا اهيم بمصر وارتضيها واعشق ○ وما تري العين احلي
من مايها ان تعلق

وقوله

وقوله ايضا

رايت في ارض مصر مذ حللت بها ○ عجايبا ما راها
الناس في جيل
تسود في عيني الدنيا فلم ارها ○ تبيض الا اذا ما
كنت في النيل

وقال الشيخ زين الدين بن الوردي رحمة الله عليه

وكان بمصر السحر قدما فاصبحت ○ واسحارها اشجارها
تتزندق
ويعجبني فيها تعلق اهلها ○ وقد زاد حتي ماءها يتعلق

وقوله

ديار مصر هي الدنيا وساكنها ○ هم الانام فقابلها
بتفضيله
يا من يباهي ببغداد ودجلتها ○ مصر مقدمة والشرح
للنيل

اخذ هذا المعني الصلاح الصفدي وقال

ركبت في النيل يوما مع اخي ادب ○ فقال دعني من قال
ومن قيل
شرحت يا نيل صدري اليوم قلت له ○ لا تنكر الشرح يا
نحوي للنيل

وقال الشيخ علاي الدين الوداعي رحمه الله

رق بمصر وسكانها ○ شوقي وجدد عهدي الخالي
وصف لنا القرط وشنف به ○ سمعي وما العاطل كالحالي
وازو لنا يا سعد عن نيلها ○ حديث صفوان ابن عسال

وقال المعمار

ما مصر الا منزل مستحسن ○ فاسنو طنوه مشرقا او مغربا

هذا وإن كنت علي سفره . فنيمموا منه صعيداً طيبا

وقال بدر الدين بن الصاحب

كانت بمصر ميزة . بالنيل منذ ولي خلت
كأنه بعلك لها . من بعده تدملت

وقال الشهاب المنصوري

أعلموا أهل مصر لله شكرا . وقليل من العباد الشكور
إن مصرا سقي الإله ثراها . بلد طيب ورب غفور

وقال بن الصايغ الحنفي

أرض بمصر فتلك أرض . من كل فن لها فنون
ونيلها العذب ذاك بحر . ما نظرت مثله العيون

وقال ناصر الدين العيزراوي

لعمرك ما مصر بمصر وإنما . هي جنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان والحور عينها . وروضتها المقياس والنيل كوثر

وقال الشيخ صدر الدين بن عبد الحق

لا تعجبوا من أهل مصر إن وفوا . بعهودهم ما في الوفي منهم خفا
وفي لهم في كل عام نيلهم . فتعلموا من نيلهم ذاك الوفا

وقال الصاحب بهاء الدين زهير

يا رعى الله أرض مصر وحيا . ما مضي لي بمصر من أوقات
حبذا النيل والمراكب فيه . مصعدات بنا ومنحدرات
هات زدني من الحديث عن النيل . ودعني من دجلة والفرات

وقال بن فضل الله

تحق لمصر أن تتيه إذا جرى . بها النيل وامتدت إليه عيون

فما

فما مثله من زاير لقدومه . تغض عيون إذ تقر عيون

وقوله أيضا

تكرم مصر النيل إن زارها وتفرش الخد له في سراه
لو لم يكن الكرم ضيف أتي . ما قدمت كل قراها قراه

وقال الصلاح الصفدي

قالوا علا نيل مصر في زيادته . حتي لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت هذا عجيب في بلادكم . إن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال بعضهم

مصر لها الأفضال إذ لم تزل . علي العلا منصورة ظاهره
ما غولبت كلا ولا قوهرت . إلا وكانت مصر والقاهره

وقال بعضهم مطلع زجل

أصبحت مصر نزهة الناظرين هي أم القرا وزين الملح
خطبتها منا التتر بالنفوس وعلي مصر راحت الأرواح

ذكر ما قيل في أسماء مفترجات الديار المصريه

فمن ذلك ما قيل في بركة الحبش وهي من المفترجات القديمة **قال أبو الصلت أمية الأندلسي**

لله يوم ببركة الحبش . والأفق بين الضياء والغبش
والماء تحت الرياح مضطرب . كصارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مفوفة . دبج بالنور عطفها ووشي
قد نسجتها يد الغمام لنا . فنحن من بسطها علي فرش
فأثقل الناس كلهم رجل . دعاه داعي الصبا فلم يطش

وقوله في البشنين

لله يوم بالبديع قطعته • بعشرة دارت به أفلاكه •
حثت به أمواهه فتداقصت • طربا بالحسن غنائم أسماكه •

وقال الشيخ شمس الدين النواجي فيه ايضا واجاد

الا رب يوم بالبديع قطعته • بديم تحاكي البدر قبل غيومه •
ولله ما أحلا بديع جناسه • فقد سرني ذاك البديم بديمه •

ما قيل في الدصل وهو من المفترجات القديمة

وليلة عاش سروري بها • ومات من يحسدنا بالكمد •
بت مع المحبوب في روضة • وبات من يرقبنا بالرمد •

ما قيل في الاثار النبوي قال بن خطيب داريا

يا عين أن بعد الحبيب وداره • ونات مرابعه وشط مزاره •
فلقد ظفرت من الزمان بطايل • أن لم تريه فهذه أثاره •

ما قيل في افتراق النيل عند المقياس لظافر الحداد

أنظر الي الروضة الغناء والنيل • واسمع بدايع تشبيهي وتمثيلي •
وانظر الي البحر مجموعا ومفترقا • تراه أشبه شيء بالسراويل •

ما قيل في المقياس وهو من المفترجات القديمة

قال الشهاب المنصوري

تقول لنا مصر انا خير موطن • ولا ناس في الأمصار أظرف من ناس •
فأن تك أوقات السرور قصيرة • فلا تقطعوها في الا عقياس •

وقال اخر

تقول مصر حين قاسوا القري • بها أيا من ضيعوا عمري

باي

باي شيء قستموني به • وبسطة المقياس في قبضتي •

وقال اخر

ان مصر الأطيب الأرض عندي • ليس في حسنها البديع التباس •
ولئن قستها بأرض سواها • كان بيني وبينك المقياس •

لابن الفارض رضي الله عنه

لقد بسطت في بحر جسمك بسطة • أشارت اليها بالوفاء الأصابع •
فيا مشتهيها ها أنت مقياس نيلها • وأنت بها في روضة الحسن يانع •

ما قيل في الروضة والمشتهي قال بن الصايغ الحنفي

وليلة مرت لنا حلوة • ان رمت تشبيها بها عبتها •
لا يبلغ الواصف في وصفها حدا ولا يلقي لها منتها •
بت مع المعشوق في روضة • وتلك من خرطومة المشتها •

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي في المعني

رشق القلب بالسهام رشيق • مشتهي حسنه هو المعشوق •
هو في مصر روضة ومحيا • وسيم يصبوا اليه المشوق •

وقوله فيها ايضا

وروضة أضحي لها المنتهي • وحسنها المعشوق والمشتهي •
وهي لمن قد حلها روضة • وجنة فيها الذي يشتهي •

وقال الشهاب المنصوري

كأنها الروضة الغناء غانية • يحبها قلب هذا النيل مشغول •
اعطافها من غصون الدوح مايسة • وريقها من زلال الماء معسول •

للشهاب بن صالح

ان جيت بحر النيل عدي روضة • يا مشتهاي وقاتلي من صده •
ولئن اتتك من العذول ملامة • فاضرب علي فوق العذول

ما قيل في القوس الذي كان بالروضة من المفترجات القديمة قال فيه شمس الدين النواجي

مصر قالت دمشق لا تفتخر قط باسمها
لو رأت قوس روضتي منه راحت بسهمها

ما قيل في الوادي التي تجاه المنشية

مررت بشط النيل يوما فحلته ... مراتع غزلان كوين فؤادي
وناحت على غصن هناك حمامة ... سقاها الهوى من لوعتي وبعادي
فإن أنكروا العذال حالي وحالها ... أقول هوى قد ضرني وكوا

ما قيل في منشية المهراني لبعضهم فيها

منشية الحسن أنعمنا بها ... مع رغد في جنة عاليه
أطيارها ناحت بأغصانها ... ولم تزل أنهارها جاريه

ما قيل في موردة الحلفا لبعضهم فيها

بدل الشعر في الخد الذي كان يشتهي ... يبين للمحبوب حالي وما يخفي
وقد كانت الوجنات بالأمس روضة ... من الورد وهي الآن موردة الحلفا

ما قيل في الجزيرة المسمى بالطمية لابن مكانس

بأبي الطمية جنة ... قد زخرفت حور وولدان بها ورحيق
لي في ربى جناتها الذنب العلي ... ولها بقلبي هزة وعلوق

ما قيل في الجزيرة التي ظهرت قبالة المقياس وقد سميت حليمه وفيها يقول الشيخ ابرهيم المعمار

جزيرة البحر هامت ... بها عقول سليمه
لما حوت حسن معنى ... وبسطة مستقيمه
فكم يخوضون فيها ... وكم مشوا بنميمه
ولم تزل ذي احتمال ... ما تلك الا حليمه

ما قيل في قناطر الخمس التي في الجيزة قال برهان

الدين القيراطي فيها

قناطر الجيزة كم قادم ... عليك يلقي فيك أقصى مناه
أتاك قوم لا طة فانحني ... ظهرك للوطي وصب المياه

ما قيل في وسيم التي بالجيزة وفيها يقول بن فضل الله

ما مثل مصر في زمان ربيعها ... لصفاء ماء واعتدال نسيم
أقسمت ما تحوي البلاد نظيرها ... لما نظرت الي جمال وسيم

ما قيل في الأهرام لابن عبد الظاهر وبيت

لله ليال أقبلت بالنعم ... في ظل فناء شاهق كالعلم
بالجيزة والنيل بدا آن له ... في مقتبل الشباب عند الهرم

ما قيل في الجانبي الذي كان فيه شجر الورد وهو بالجيزة وكان من مفترجات مصر القديمة الي سنة احدى وخمسين وثمان مائة ثم انقطع الورد من هناك وبطل أمره ~~الورد من هناك~~ كما بطل أمر البلسان من المطرية وكان البلسان أشبه شيئا بورق الملوخية وكان ذي الرائحة وله رائحة غريبه وكان أيضا من مفترجات مصر بالمطرية يسمونه عند القبط عيد الشمشيه ويتوجهون هناك أعيان الناس على سبيل الفرجة ثم بطل ذلك مع جملة ما بطل من مصر وفي الجانبي يقول بعض الشعراء في الورد الذي كان به

أنظر الي الورد اذ ما ساقطه ... فوق الغصون سحيرا
والندى نزلا ... عرب عذارى بوجنات موردة
وثيبات نشاوى من ورود طلا ... رقصن ملتحفات سندسا خضرا
فنقطت بنضار فالتست خجلا

ما قيل في جزيرة أروي والزربيه قال المنصوري

قم سيدي نسعي الي فرج زهت ما بين أملاك وبين جسور
وترى زرابيها مبثوثة تسبيك بالولدان أو بالحور

وقال آخر

إذا رحت الجزيرة كي أغدي أري خلقا كخيل للطراد
فأذكر يوم حشر الخلق طرا وأدعوا بالسلامة في المحادي

وقال بن أبي حجلة

أمسيت في قصب الجزيرة مغرما وبقده العسال كالولهان
عيدا نه لولا حلاوة ذوقها شبهتها في الشكل بالمران

ما قيل في بولاق لبعضهم مطلع زجل

في جزيرة بولاق راينا عجب أسد ساروا معهم ظبا شاردين
حين راينا ذيك الوجوه الصباح أذهلونا خضنا مع الخايضين

وقال بعض الموالة في جمع أسماء المفترجات

بديع جيزي حلاوي صنعة الخلاق
خلي دموعي خطيري بحر في اطلاق
لو لفظ مقياس منيه طيب الأخلاق
وخد روضة وخالوا المشتهى بولاق

وكان من مفترجات مصر مكان يعرف بالسبع هايل وكان بالقرب من شبرا على بحر النيل

وكان

وكان يتصل للفرجة وفيه يقول سيدي أبو الفضل بن أبي الوفا

هل طرفا دارت دواليبنا بضوع نشر الزهر الشايع
أم فقدت في الروض ألافها فلم تدر الا على ضايع

ما قيل في المنيه قال شمس الدين النواجي

اركب النيل ما استطعت ففيه راحة للفتي وغاية بغيه
كم تفرجت حين سافرت فيه في بلاد وكم ظفرت بمنيه

وكان من مفترجات مصر قديما مكانا يعرف بالقنطره على خليج الذكر وكان مكان الازبكيه الآن وفيه يقول المعمار

يا طالب القنطرة نلت المنا وفزت منها ببلوغ الوطر
قنطرة من فوقها تكة وتحتها تلقى خليج الذكر

ومن المفترجات الحادثه وهي بركة الازبكيه التي أنشاها الاتابكي ازبك سنة احدي وثمانين وثمان مائة وفيها يقول الشيخ شمس الدين القادري رحمه الله

يا حسنها بركة بالحسن ما برحت تزهو على ساير الخلجان والبرك
تجمع الحسن فيها من محاسنه فاصبح الحسن فيها غير مشترك
حفت بلا زنها الاقمار فهي بهم تضئ في حندس الديجور والحلك
مرآة حسن فربات الجمال بها مثل الشموس ترى في دائرة الفلك
وعندما نصبت أشراك بهجتها صادت طيور قلوب الناس بالشرك

ما قيل في الخليج زمن النيل قال الشهاب المنصوري

جل بعينك تلق فوق الخليج زبدا رابيا كقطن حليج

أَوْ شَدْ وَرْداً مِنْ ابْيَضِ الخيم زانتْ زُرْقَةً فِي السَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ

مَا قِيلَ فِي بِرْكَةِ الرَّطْلِي وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ مُعْتَرجَاتِ
مِصْرَ قَرِيبٌ مِنَ النِّيلِ وَالرَّبِيعِ وَكَانَ مَنْشَأُهَا سَنَةَ
خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ فِي دَوْلَةِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ
قَلَاوُونَ وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِأَرْضِ الطَّبَّالَةِ قَدِيمًا وَفِيهَا
يَقُولُ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الصَّائِغِ الحَنَفِي

فِي أَرْضِ طَبَّالَتِنَا بِرْكَةٌ ... مُذْ هَشَّةٌ لِلْعَيْنِ وَالعَقْلِ
تَرْجَحُ فِي مِيزَانِ عَقْلِي عَلَى ... كُلِّ بِحَارِ الأَرْضِ بِالرَّطْلِ

وَقِيلَ فِيهَا

أُنْظُرْ إِلَى بِرْكَةِ الرَّطْلِي مُبْتَهِجًا ... وَاشْرَحْ مَحَاسِنَهَا يَا أَيُّهَا الحَاكِي
المَاءُ وَالنَّبْتُ وَالحُورُ الحِسَانُ بِهَا ... كَأَنَّهَا جَنَّةٌ حُفَّتْ بِأَمْلَاكِ

وَقَالَ آخَرُ

قَدْ قُلْتُ فِي بِرْكَةِ الرَّطْلِي إِذْ جَمَعَتْ ... مِنَ البُدُورِ وَأَصْنَافِ المِلَاحِ زُمَرْ
إِنْ كَانَ فِي الفَلَكِ الأَعْلَى يُرَى قَمَرٌ ... فَعِنْدَهُ فَلَكٌ دَارَتْ بِالفِ قَمَرْ

وَقَالَ الشِّهَابُ المَنْصُورِي

دَعَوْتُكَ فَانْهَضْ مُسْرِعًا يَا أَخَا الفَضْلِ ... لِنَشْرَبَ أَرْطَالًا عَلَى بِرْكَةِ الرَّطْلِي
فَقَدْ سَلَّ كَفُّ الخِصْبِ سَيْفَ خَلِيجِهِ ... لِيَضْرِبَ عُنْقَ الجَدْبِ أَوْ هَامَةَ المَحْلِ
وَقَدْ مَدَّتِ الأَدْوَاحُ أَيْدِي غُصُونِهَا ... إِلَى النِّيلِ تَسْتَجْلِي بِهَا المَاءَ وَتَسْتَجْلِي

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ سُودُونَ مَوَالِيَا

يَا بِرْكَةَ الرَّطْلِي لِيشْ زَوْجِي كِلِي تِرْتَاحْ ... لأَنْ مَا فِيكِ لَا غُولَهْ وَلَا تِمْسَاحْ

كم

كَمْ مِنْ فَتًى أَمْسَى لَمَّا البِلَى رَاحَ خَلِيعَ عِذَارٍ وَصَارَ فِيكِ خَلِيعْ

مَا قِيلَ فِي الجِسْرِ الَّذِي بِالبِرْكَةِ لِلْمَنْصُورِي

وَبِي لَيْلَةٍ بِالجِسْرِ فِيهَا تَجَاسَرَتْ ... يَدَا بِي عَلَى شُرْبِ المُدَامَةِ بِالرَّطْلِ
وَقَدْ سَنَحَ الآرَامُ فِي ضَوْءِ بَدْرِهَا ... فَإِنْ خِفْنَ مِنْ وَاشٍ تَسَتَّرْنَ بِالظِّلِّ
فَقُمْ نَجْتَلِيهَا مِنْ غَزَالٍ مُسَلَّطٍ ... بِكَسْرَةِ أَجْفَانٍ عَلَى صِحَّةِ العَقْلِ

مَا قِيلَ فِي الجُنَيْنَةِ الَّتِي بِجِوَارِ بِرْكَةِ الرَّطْلِي لِلشِّهَابِ المَنْصُورِي

كَمْ بِالجُنَيْنَةِ مِنْ قَتِيلِ حُشَيْشَةٍ ... لَا يَسْتَفِيقُ وَلَا بِنَفْخِ الصُّورِ
وَهَبَتْ لَهُ الخَضْرَاءُ مِنْ أَفْعَالِهَا ... أُذْنَ الطُّرُوشِ وَعَيْنَ ضَرِيرِ

وَقَوْلُهُ فِيهَا أَيْضًا

كَمْ بِالجُنَيْنَةِ مِنْ أَصَمَّ أَبْكَمٍ ... وَرِجْلَاهُ فِي خَبْلٍ وَعَيْنَاهُ فِي قُفْلِ
أُشَبِّهُهُ فِي خِلْقَةٍ بِابْنِ آدَمٍ ... مَجَازًا وَفِي أَكْلِ الحُشَيْشَةِ بِالعِجْلِ
يُحَاوِلُ مِنْهُ النَّاسُ رَدَّ جَوَابِهِمْ ... وَكَيْفَ يَرُدُّ القَوْلَ مَنْ مَاتَ
أَيُصْغِي بِلَا سَمْعٍ أَيُومِي بِلَا يَدٍ ... أَيَرْنُو بِلَا عَيْنٍ أَيَمْشِي بِلَا رِجْلِ

مَا قِيلَ فِي كَوْمِ الرِّيشِ وَهُوَ مِنَ المُعْتَرجَاتِ الغَرِيبَةِ

أُنْظُرْ إِلَى كَوْمِ رِيشٍ قَدْ عَلَا نُزَهًا ... لِلُبِّ كُلِّ سَلِيمِ الطَّبْعِ يَخْتَلِبُ
بِهِ بِحَارٌ وَلَا لِي غَيْرُ حَوَتْ ... قَضْبًا مِنَ الزَّبَرْجَدِ مِنْهَا يَحْمِلُ العَجَبُ
وَلَا تَقُلْ كَوْمُ رِيشٍ مَا لَهُ ثَمَنٌ ... فَإِنَّ بِالرِّيشِ حَقًّا يَحْسُنُ الذَّهَبُ

مَا قِيلَ فِي قَنَاطِرِ الأَوِزِّ وَبِرْكَةِ البَشْنِينِ قَالَ القَائِلُ

فِي مِصْرَ تُعْزَى لِلأَوِزِّ قَنَاطِرٌ ... يُصْبُوا الَّذِي بِهَا الخَمْرَةَ كَأْسِهِ
وَحُلِّيَ بِهَا البَشْنِينُ شَخْصًا خَائِفًا ... فِي المَاءِ لَفَّ ثِيَابَهُ فِي رَأْسِهِ

ما قيل في التاج والسبع وجوه وكان من منتزهات
مصر قديما وقد هدم سنة ثلاث وخمسين وثمان
مائة في دولة الظاهر جقمق ولم يبقي له أثر يعرف
قال ابن حجة فيه
سبع وجوه لتاج مصر تقول ما في الوجود شبهي
وعندنا ذو الوجوه يهجي وأنت تاج بغير وجه
ما قيل في بركة النيلوفر التي بالأميرية لبعضهم
رأيته في البركة نيلوفرا نسيمه يشبه نشر الحبيب
مفتح الأجفان من نومه حتى إذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على عينه وغاص في البركة خوف الرقيب
وفيه يقول التنوخي
ألف المياه تشاكلا بلطافة فمتى يفارق ألفه لم يصبر
فكأنه والماء صاحب مذهب أعداه وسواس بأن لم يطهر
ما قيل فيما يزرع بمصر زمن الربيع من القرط
والكتان والفول الأخضر والخشخاش وغير ذلك
ما قيل في القرط
وزهر قرط قد بدا ينفي هموم المكمد
تخاله جواهر في قضب الزبرجد
ما قيل في الكتان فمن ذلك لعلي بن بردبك
وكأن الكتان والأرض تحكي صفحة العنبر المشوب بورد
الغات زمرد قد علاها هذبات النضار واللازورد
وقال آخر فيه
أنظر لكتان روض وزهره حين يبدو
زمرد الغات همذا نها لازورد
ما قيل في البستان لبدر الدين بن جمعة
كأنما البستان إذ أخرج زهرا في الشبه

اغصان

أغصان نبت زبرجد تيجانها من ذهبه
ما قيل في الفول الأخضر قال الصفي الحلي
أنظر لزهر الباقلاء وقد غدا فوق القضيب يميس في أبراده
يحكي عيون البلق في تلوينها بفتوره وبياضه وسواده
ما قيل في زهر الخشخاش لبعضهم فيه
وزهر خشخاش بدا مشرقا كعسكر للحرب قد بيرقا
وإن رمى أوراقه مفردا عاد دبابيس إلى الملتقى
وقال ابن النبيه
طاب الربيع كأنما عجن الصبا كافور مزنته بعنبر طينه
وتفضضت أزهاره وتذهبت فكأنها الطاووس في تلوينه
انتهى ما أوردناه في منتزهات مصر على التمام والكمال
ذكر من ملك الديار المصرية في أول الزمان من
الجبابرة والفراعنة واليونان والقبط وغير ذلك
إلى مبتدا دولة الإسلام ومن ملكها في الإسلام
إلى دولة الأتراك ومن ملكها من الأتراك إلى
عامنا هذا وهو عام إحدى وتسعمائة وذلك على توالي
السنين وانتهاء كل دولة فيما وقع فيها من الحوادث
من الابتداء للانتهاء وذلك على الترتيب كما سيأتي ذكر
ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى والمستعان بالله
في الابتداء والختام ومن هنا نشرع في الكلام قال
أحمد بن يوسف التيفاشي في كتاب سجع الهديل
في أوصاف النيل أن شيث بن آدم عليه السلام
دخل مصر ونزل بها هو وأولاد أخيه وكانت مصر تدعى
بابليون فسكن شيث فوق الجبل وسكن أولاد أخيه

قابيل أسفل الوادي وصاروا يتوارثونها الي ايام اخنوخ
وهو ادريس عليه السلام وأما ما ذكره محمد المسعودي
قال أول من ملك أرض مصر قبل الطوفان تبلبل
الالسن وهو من أولاد قابيل بن آدم عليه السلام
وكان عالما بعلم الطلسمات والكيمياات وغير ذلك من
العلوم الجليلة واستمر علي مصر الي ان هلك وتولي
من بعده ابنه نقراوش الجبار وهو الذي بني مدينة
أمسوس وهي أول مدينة بنيت بأرض مصر وكان
جماعة من أولاد قابيل يسكنون في مغاير في الجبل المقطم
تجاه طرا واستمروا علي ذلك حتي بني نقراوش هذه
المدينة وصارت دار المملكة قبل الطوفان ثم تزايد
العماير وبنيت المدن حتي قيل كان من مدينة أمسوس
الي الغرب أربع مائة مدينة محكمة البناء يسكنها أمم
من الجبابرة وذلك قبل الطوفان قال العلامة
ابرهيم بن وصيف شاه في أخبار مدينة أمسوس وما
كانت عليه من العجايب قيل كان بها طاير من نحاس علي
أسطوانة من رخام اخضر يصفر كل يوم عند طلوع الشمس
مرتين وعند غروبها مرتين فيستدل بلون صفيره
علي ما يكون من الحوادث في ذلك اليوم فيتهيئون لها
وعمل صنم من حجر أسود في وسط المدينة وتجاهه
صنم مثله اذا دخل المدينة سارق لا يقدر ان يزول
حتي يسلك بينهما فاذا سلك بينهما انطبقا عليه فيوخذ
باليد وعمل علي جوانب هذه المدينة اصناما من نحاس
أصفر وهي مجوفة وملاءها كبريتا ووكل بها روحانين

النار

النار فكانت اذا قصدهم عدو ارسلت تلك الاصنام
من افواهها نارا احرقته من وقته وعمل فوق جبل
مقطم منارا يفور منها الماء ويسقي ما حولها من
المزارع ولم تزل هذه الاثار باقية حتي ازالها الطوفان
وقيل نقراوش هو الذي اصلح مجرا النيل وكان قبل
ذلك يتفرق بين الجبلين فوسع طريقه وقطع من
الجبلين واجراه الي بلاد النوبة وشق منه نهرا عظيما
وبني عليه المدن وغرس فيها الاشجار ثم سار الي منبع
النيل حتي بلغ خط الاستواء ونظر الي البحر الاسود
المسمي بالزفتي وراء النيل يجري عليه كالخيط الابيض حتي
يدخل تحت جبل القمر ثم رجع الي مدينة امسوس
واقام بها مائة وثمانون سنة حتي هلك فلما مات لطخ
جسده بادوية مفردة حتي لا يبلي وجعل في تابوت
من ذهب ودفن في مدينة امسوس ولم تزل مدينة
امسوس باقية حتي محاها الطوفان ولما مات نقراوش خلف
من الاولاد ثلاثة وهم نقراش ومصريم وعيقام
فتولي بعده ابنه نقراش وكان عالما بعلم الكهانة
والسحر والطلسمات وكانت الشياطين تحمله بسريره
علي اعناقهم وتطوف به ساير الاقاليم حتي انتهي الي
البحر المحيط وبني هناك قلعة في وسط البحر المحيط
ثم رجع الي امسوس واقام بها حتي هلك ثم تولي بعده
أخاه مصريم وهو الذي بني مدينة مصر واليه تنسب
وجعل هذه المدينة علي عشرين ميلا واجرا اليها ماء
النيل وغرس بها شجرة عظيمة كانت تطعم ساير الفواكه
وعمل في وسط المدينة قبة من رخام احمر وعلي راسها

منهم من نحاس ووكل به الروحانية فكان اذا خرج احد من
اللصوص في الليل هلك مكانه وجعل بهذه المدينة اشيا
كثيرة من الطلسمات والسحر واستمر على ذلك حتى هلك
وتولى بعده أخاه عيقام وكان عالما بعلم الكهانة
والسحر واليه تعزى كتب القبط الذي فيها تواريخهم وما
يحدث في الدنيا الى اخر الزمان وقيل أن ادريس عليه
السلام رفع في ايامه الى السماء والقبط تذكر عن هذا
عيقام أشيا غريبة من السحر لا تقبلها العقول لغرابتها
وقيل أنه توجه الى جبل القمر وبنا هناك قلعة من
نحاس أصفر وجعل على منبع النيل هناك خمسة وثمانين
تمثالا من نحاس يخرج من حلوقها ماء النيل بقانون
وتدبير بما يكون فيه لأهل مصر المنفعة دون الفساد
وقدر ذلك على ستة عشر ذراعا بما تروى به أراضي مصر
كلها أعاليها وأسافلها وتحمل لها الرى الكامل في جميع
جهاتها واستمر عيقام ساكنا بالقصر الذي بناه على سفح
جبل القمر عند البطائح التي يصب فيها ماء النيل من
تلك التماثيل الذي صنعها هناك الى ان هلك ودفن
بقصره المذكور ولما مات تولى بعده ابنه عرياق
وكان عالما بعلم الطلسمات قيل انه عمل شجرة من
نحاس أصفر ولها فروع اذا قرب منها الظالم اختطفته
تلك الفروع فلا تفلته حتى يقر بظلمه ويخرج من
مظلمة خصمه وقيل أن هاروت وماروت
كانا في زمانه وقيل أن عرياق هذا بنى في وسط
مدينة أمسوس قبة عظيمة وفوقها كالسحابة التي

في

في السماء تمطر مطرا خفيفا شتاء وصيفا وعمل تحت
تلك القبة مطهرة فيها ماء أخضر يتحمل من ذلك
المطر فاذا استعمله من به عاهة برأ من وقته واستمر
عرياق على ذلك حتى تغايرت عليه نسايه فعملت
أخلاطا التي لطعامه ووضعت فيه السم وقدمته اليه
فأكل منه فمات من وقته فكان كما قيل في المعنى
خذ ما استطعت عن النساء بمعزل أن النساء حبايل الشيطان
ولما مات عرياق تولى بعده ابنه لوجيم وكان عالما
بعلم الطلسمات والسحر وكانت له أعمال عجيبة منها انه
عمل أربع منارات في جوانب مدينة أمسوس وجعل على
كل منارة صورة غراب وفي فمه حية قد التوت عليه
فلما عاينوا الغربان ذلك نفروا من المدينة وكانوا قبل
أفسدوا الزروع والبساتين وأكلوا الثمار فمن حينئذ
لم يدخل المدينة غراب واستمر لوجيم على ذلك حتى
هلك وتولى بعده خصليم وكان عالما بعلوم الهند
سه وهو أول من عمل مقياسا لزيادة النيل وبناه بالرخام
وجعل في وسطه بركة صغيرة فيها ماء موزون بالحكمة
وعليها عقابان من نحاس أحدهما ذكر والآخر انثى
فاذا كان أوان الشهر الذي يزيد فيه النيل جمع الكهان
على تلك البركة وتكلموا بكلامهم فان صفر الذكر كان النيل
عاليا في تلك السنة وان صفرت الانثى كان النيل ناقصا
فيستعدون لذلك وهو الذي بنا القنطرة الكبيرة ببلاد
النوبة على حد النيل واستمر خصليم في ملكه الى ان هلك
وتولى بعده ابنه قنال وكان عالما بعلوم الطلسمات

والسحر وقيل أنه عمل سربًا تحت النيل ينتهي الي بلاد
الصعيد برسم نسايه ينزلون به ويمشون فيه الي بلاد
الصعيد حتي يزورن البرابي التي في أخميم وقيل ان نوحًا
عليه السلام بعث في زمانه واستمر فقال علي ذلك حتي
هلك وتولي بعده ابنه تدرسان وكان عالمًا
بعلوم الطلسمات والسحر وكانت له أعمال عجيبة منها
انه عمل قصرًا من خشب ونقش فيه صور الكواكب
وفرشه باحسن الفرش وحمله علي الماء وصار
يجلس فيه هو وبنات عمه وكان يقتصر علي حب
النساء الحسان فلما جلس في ذلك القصر الخشب احضر
سفرة الشراب وشرب فبينما هو في ارغد عيش
والكاس في يده اذ هبت من الجو ريح شديدة
وهو في وسط البحر فاضطرب الماء فانقلب ذلك
القصر الخشب به وتكسر فغرق هو ومن كان معه
في ذلك القصر عن آخرهم وعاد سروره كدر

فكان كما قيل في المعني

تمتع من الدنيا بلذتك التي ظفرت بها ما لم تعقك العوايق
فما امسك الماضي عليك بعايد ولا يومك الآتي به انت واثق

ولما غرق تدرسان تولي بعده ابنه سرقاق
وكان عالمًا بعلوم الطلسمات والسحر وكانت له من
الاعمال

الاعمال العجيبة اشيا كثيرة فمن ذلك انه عمل صورة
بطة من نحاس اصفر قايمة علي اسطوانة من
رخام اخضر علي باب المدينة فاذا دخل المدينة
غريب صفقت تلك البطة بجناحيها وتصفر حتي
يسمعها كل من في المدينة فيمسكوا ذلك الغريب بيده
فكان في ايامه لا يستطيع غريب أن يدخل المدينة
وهو الذي شق من النيل نهرًا ممدًا الي بلاد الغرب
وبنا عليه المدن وملك ارض مصر مائة وستين سنة
ولما هلك تولي بعده ابنه شهلوق وكان عالمًا بعلوم
الطلسمات والسحر فمن ذلك أنه عمل شجرة من نحاس
اصفر ونصبها فوق الجبل المعظم فكان يقسم بها الرياح
الي البلاد التي يريد الفساد الي اهلها فلا يستطيعون
بها الاقامة حتي يأتون اليه ويدخلون تحت طاعته
وفي ايامه ظهر معدن الفضة في بلاد البجة من أعلا
بلاد الصعيد فاثار منه أشياء كثيرة فكان جميع اوانيه فضة
حتي انعال خيله وهو اول من اظهر عبادة النار وظهر
في ايامه كنوز مصر الاول واقام شهلوق علي ذلك
حتي هلك ولما مات تولي بعده ابنه سوريد وكان عالمًا
بعلوم الكهانة والسحر وكان اغنا ملوك مصر بما ظفر به اباه
شهلوق من كنوز مصريم قيل أن سوريد هذا عمل مرآة
من معادن شتي فكان ينظر فيها ما يحدث في الاقاليم من
الحوادث ونصبها في وسط مدينة امسوس وعمل ايضًا
صورة امراة جالسة وهي من حجر وفي حجرها صبي
ترضعه وكانت الامراة من نساء مصر اذا اصابها علة
اللبن وقل لبنها مسحت ثديها بثديي تلك الصورة فيدر

وقيل سوريد

لبنها وان عسرت ولادة امراه مسحت راس تلك الصوره
فتضع حملها سريعا واذا وضعت الزانيه يدها علي تلك
الصوره ارتعدت جميعها فلا تقدر علي الرجوع حتي
تتوب من ذنبها ولم تزل هذه الصوره باقيه في مدينة
امسوس حتي ازالها الطوفان وقيل أن هذه الصوره
ظهرت بعد الطوفان وعبدها اكثر الناس قال
أبن وصيف شاه أن سوريد هذا هو الذي بنا الهرمين
العظيمين بمصر قبل الطوفان بثلاث مائة سنة وكانت
الكهنة تنذر الناس بامر الطوفان فبنا سوريد هذه
الأهرام واودع فيها أمواله وتحفه وكتبه النفيسه
في العلوم الجليلة وقال أن مضي الطوفان ونحن في
الدنيا فنرجع الينا اموالنا وذخايرنا وان نحن متنا في
هذا الطوفان فتكون هذه الأهرام قبورا لأجسادنا
وقد أوسعت في اخبار الاهرام في أول التاريخ
عند قصة نوح عليه السلام قال بن عبد الحكم
لم اجد عند احد من أهل المعرفه عن الاهرام خبر
يثبت عن بانيها وفي اي وقت بنيت وما السبب
في ذلك وقد قال القايل في المعني

حسرت عقول أولي النهي واستصغرت لعظيمها
الأهرام
ملس ممنعة البناء شواهق قصرت لعالي دونهن
سهام
لم ادر حين كبا التفكر دونها واستوجبت لعجيبها
الافهام
أقبور املاك الاعاجم هن أم طلسم رمل كن
ام

أم اعلام
قال بن عبد الحكم وجد علي الأهرام مكتوب
بالخط القديم وهو قلم الطير فكان معناه انا سوريد
بن شهلوق بنيت هذه الأهرام في ستين سنة فمن
أتي بعدي وزعم انه مثلي فليهدمها في ستمائة سنة
فان الهدم ايسر من البناء واني لما انتهي العمل منها
جللتها بالديباج الملون فمن أتي
بعدي وزعم انه مثلي فليكسوها بعدي بالحصر أن
استطاع لذلك سبيلا قال ابن عبد الحكم لما دخل
الأمير احمد بن طولون الي مصر اراد أن يفتح احد
الهرمين فحفر حولها علي ان يجد شيا من ابوابها
فبينما هو يغوص في الرمال فوجد قطعه كبيره من
مرجان احمر وعليها سطور مكتوبه بقلم الطير فاحضر
من له خبره بهذا القلم فقرا ذلك الخط فاذا معناه
أبيات شعر وهي
أنا باني الأهرام في مصر كلها وما لكها قد ما بها والمقدم
تركت بها اثار علمي وحكمتي علي الدهر لا تبلي ولا تتثلم
وفيها كنوز جمة وعجايب وللدهر لين مرة وتهجم
وفيها علومي كلها غير انني اري قبل هذا ان اموت
فتعلم
ستفتح اقفالي وتبدو عجايبي وفي ليلة في اخر الدهر
تنجم
ثمان وتسع واثنتان واربع وسبعون بعد المئتين
تسلم

ومن بعد هذا جرَّ تسعين برهة ● وتُلقي البرابي سحرها وتهدّمُ

تُورثُ فعالي في صخورٍ صنعتها ● ستبقى وأفنى ثم تَبلى وتَعدمُ

فجمع بن طولون الحكماء وأمرهم بأن يحسبوا هذه المدة فلم يقدروا على ذلك ووجدوا تاريخ هذه الكتابة قبل أن تبنا مصر بأربعة آلاف سنة فلم يحصوا ذلك فتندم في فتح الاهرام ولم يظفر منه بغير تلك القطعة المرجان انتهى

وقال بعض الشعراء

ألستَ ترى الأهرامَ دامَ بناؤها ● ويفنى لديها العالم الإنس والجن

كأن رحالَ الأفلاك الوارها على قواعدها الأهرام والعالم الطحن

وقال آخر

لله أيّ غريبةٍ وعجيبةٍ ● في صنعة الأهرام للألباب

تحكي الخيام مقامةً في نصبها ● من غير أعمدةٍ ولا أطناب

وقال الشهاب المنصوري

أنِ جزتَ بالهرمين قلْ كم فيهما ● من عبرةٍ للعاقلِ المتأملِ

يفنى الزمانُ وفي حشاهُ منهما ● غيظُ الحسودِ وضجرةُ المستثقلِ

وقوله أيضا

واعجبا والعجائبُ من هرمٍ ● في أرض مصر من حكمة القدما

قد أُهرم ثقل وطأته ● فهي إلى الله تشتكي الهرما

وقال آخر

تحقق أنَّ مدار الأرض مصرُ ● ونهلُها من الهرمين شاهد

فوا عجباه كم أفنت قرونا ● على هرمٍ وذا الثدي ناهد

وقال السراج الوراق

هل شاقك بعد الهرمين تشيد سموا حتى أضاعا الأرض من [illegible]

أم حال [illegible] حسنا على [illegible] هل من [illegible] الحسنا

واستمر

36

واستمر سوريد في مملكته حتى هلك بالطوفان بعد أن عاش نحو مائتي سنة ● ثم تولى بعده ابنه **هوجيب** وكان عالما بعلوم الكهانة والسحر ● **وقيل** هو الذي بنى أهرام دهشور وحمل إليها أمواله وذخايره ● ومن أعماله العجيبة أنه عمل درهما من نحاس وعليه كتابة ● ومن شأن هذا الدرهم إذا ابتاع به صاحبه شيئا ● اشترط على البايع أن يزن له ما يبتاعه منه من البضايع بوزن هذا الدرهم ولا يزد عليه شيئا ● فيعقد البايع ذلك ويقبل منه الشرط فإذا وقع به الوزن يدخل قبالة هذا الدرهم جميع ما عند البايع من الأصناف ولا تعدله في الوزن ● وكان من شأن هذا الدرهم إذا أراد صاحبه يبتاع به حاجة يقبله ويقول له أذكر العهد الذي بيننا ثم يبتاع به ما أراد فإذا مضى صاحبه إلى داره يجد ذلك الدرهم قد سبقه إلى منزله ● ويجد البايع به مكان الدرهم ورقة من آس أو ورقة بيضا من قرطاس فكان الناس يتعجبوا من شأن هذا الدرهم ● وقد وجد هذا الدرهم في بعض الكنوز ● وحمل إلى خزاين بني أمية وأقام مدة طويلة ثم فقد من بعد ذلك بالكلية ● واستمر هوجيب في مملكته حتى هلك ● وتولى بعده ابنه **منقاوس** ● وكان جبارا عنيدا سفاكا للدما وكان مولعا بحب النساء إذا سمع بامرأة جميلة أخذها من زوجها غصبا ● وكان يسمع بوصف الجنة فقال أنا أبني لي في الدنيا جنة مثلها فبنى له قصرا على شاطي النيل وتناها في زخرفه وأجرى فيه الأنهار من النيل وفرشه بالفرش الفاخره

وكان يجلس فيه وحوله النساء الحسان فبينما هو جالس في
بعض الايام والكاس في يده فشرق به ومات من وقته
ودفن في ذلك القصر الذي بناه وتولي من بعده
ابنه **افروس** فكان حسن السيره عادلا في الرعيه
ومن اعماله العجيبه انه عمل قبة علي شاطي النيل
من نحاس اصفر وجعل حولها اطيار من ذهب وفضه
اذا دخل فيها الريح تصفر باصوات مطربه في لغات
شتي وكان عنده مدهن من ياقوت احمر فطره
خمسة اشبار فكان يشرب فيه الخمر وقد وجد هذا المد
هن بعد الطوفان في بعض البرابي وصار يتوارثونه الملوك
حتي خفي امره واستمر افروس في ملكه حتي هلك وتولي
بعده ابنه **افالينوس** فلما ولي بعد ابيه اظهر العدل
في الرعيه ومن اعماله العجيبه انه عمل مناره وعلي
راسها قبه من نحاس اصفر وطلاها بادويه مفرده
فكانت اذا دخل الليل اضاءت تلك القبه علي اهل المدينه
حتي تصير مثل النهار يمشون الناس في ضوها الي حوايجهم لا
يحتاجون الي السرج فاذا طلع النهار واشرقت الشمس خمد
ضوها ولا يغسلها كثرة الامطار ولا اختلاف الرياح
وعاش افالينوس مده طويله وتزوج ثلثماية امراه ولم
يولد له ولد فلما هلك لم يكن له ولد فتولي بعده ابن
عمه **فرعان** فكان جبارا عنيدا مغرما يحب النساء وكان
شجاعا بطلا يحب الحرب ويقمع الجبابره وفي ايامه وقع
الطوفان العميم بالدنيا وكانت الكهنه تخبر بذلك من ايام
سوريد حتي انه بنا الاهرام وقد تقدم ذكر ذلك عند قصة
نوح عليه السلام **قيل** لما اقبل الطوفان ونبع الما كان

فرعان

[illegible]

فرعان سكرانا لا يعي فقام ليهرب في الاسراب من
الما فتخلخلت به الارض ونبع الما من تحت قوايم
فرسه فسقط في الما وغرق وهلك من دخل في
الاسراب بالغم وقد طغي الما وعم الدنيا مشرقا
ومغربا وهلك كل من علي وجه الارض من ادمي
ووحش وطير ولم ينجوا من هذا الامر الا من دخل
السفينه وقد تقدم ذكر ذلك فهذه اخبار من ملك
ارض مصر قبل الطوفان ومن هنا نشرع فيمن ملكها
بعد الطوفان وهم امم غير هولاء الذين تقدم ذكرهم
قال ابن عباس رضي الله عنهما ان نوحا لما خرج
من السفينه كان معه اربعة اولاد وهم سام وحام
ويافث وارفخشد **وقيل** كان له ولد اخر يسمي
محطوت فلما خرج من السفينه قسم الارض بين اولاده
واولاد اولاده فاعطي بيصر بن ولده حام ارض مصر
قال ابن عبد الحكم ان بيصر بن حام بن نوح هو الذي بنا
مدينة منف بعد الطوفان وهي اول مدينه بنيت
بعد مدينة امسوس بارض مصر وكان بيصر بن حام له
ثلثون رجلا فبذلك سميت مدينة منف مافة وهي
بلسان القبط ثلثون فسكن بيصر بن حام منف هو
واولاده وانشا بها العجايب وكانت في غربي النيل
علي مسافة اثني عشر ميلا في مثلها وكان لها من الابواب
سبعين بابا مصفحه بالنحاس الاصفر وكان بها سبعة بيوت
من رخام اخضر باسم الكواكب السبعه وقد بقي من هذه
البيوت بيتا كان بمنف الي سنة خمسين وسبعماية فنقله

[illegible]

الاثابلي شيخو العمري وجعله على باب خانقته التي في
الصليبة وهو باقي الى الآن وكان عنقوع انهار تجري
من اعلا سورها محكمه من ماء النيل في درج كلما وصل
الماء الى درجة امتلات الاخرى حتى يصعد الماء الى
اعلا السور ويدخل بيوت المدينة عن آخرهم ثم
تخرج من مواضع ويسقي البساتين والقرى ثم يرجع
الى البحر وقد سكنها من بعد ذلك فرعون موسى
عليه السلام وهو القايل اليس لي ملك مصر وهذه
الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ولم تزل عنقوع
محكمة البناء كثيرة الاثار والكنوز والعجايب على ما
ذكرناه حتى قدم بخت نصر الى مصر واخربها عن
آخرها كما سياتي ذكر ذلك في موضعه واستمر بيصر بن
حام عنقوع حتى كبر سنه وقيل انه عاش سبعماية
سنه وكان له خمسة من الاولاد وهم مصرايم وقفط
واشمون واتريب وصا فلما مات بيصر بن حام
اقتسمت اولاده ارض مصر وعمر كل واحد منهم
مدينة فسميت به ولما مات بيصر بن حام فاستخلف ابنه
مصرايم وكان اكبر اولاده وهو الذي بنى مدينة مصر
وبه سميت وهو مصر الثاني فبنى مصر واختط
سورها واظهر بها العجايب والحكم واقام بها الى
ان هلك فاستخلف اخاه قفط واليه تنتسب
مدينة قفط وقيل هو الذي بنى اهرام دهشور
وقيل ان هود عليه السلام بعث في ايامه وقيل
ان قفط هذا عاش اربع ماية سنة ثم هلك فاستخلف

وبيصر هذا هو الذي تنتسب اليه القبط

وهو اول من اتخذ النيروز وعيدا في ايامه

فاستخلف اخاه اشمون واليه تنتسب مدينة اشمون
وهو الذي شق بمصر الانهار وغرس بها الاشجار
وعقد بها القناطر وصنع بها الجسور واستمر اشمون
على ذلك حتى هلك فاستخلف اخاه اتريب وهو
الذي بنا مدينة اتريب واليه تنتسب وهو اول
من اتخذ الكيل والميزان واستخرج المعادن من
الارض وسار في الناس بسيرة حسنة واستمر على ذلك
حتى هلك فاستخلف اخاه صا وهو الذي بنا مدينة
صا واليه تنتسب وهي مدينة كانت على شاطى بحر
النيل واثارها باقي الى الآن قيل كان بها اسطوانة
من رخام ابيض وعليها مراه من معادن شتى
فكان ينظر فيها ما يحدث من الحوادث في ساير
الاقاليم السبعة من خير او شر واستمر صا في مملكته
حتى هلك فاستخلف ابنه تدراس وكان
عالما بعلوم السحر والكهانة وقيل ان صالح عليه
السلام بعث في ايامه الى قوم ثمود وهو اول
من جبا خراج مصر وقد بلغ الخراج في ايامه الف الف وخمسين
الف الف دينار وهو اول من اظهر الصيد واتخذ الكلاب
السلوقية والجوارح وكان مولعا بالصيد وعمل شجرة من
حديد ذات اغصان فكانت تجلب كل صنف من اصناف
الطير والوحش اليها حتى تصاد باليد فشبع الناس
في ايامه من لحوم الطير والوحش وكان اذا غضب
على اهل قرية سلط عليهم السباع يقتلوهم في بيوتهم

واستمر تدراس في ملكه حتى هلك ثم تولى بعده ابنه
ماليق وكان عالما بعلوم السحر والكهانه وهو الذي
غزا مداين البربر واسر اهلها وكان بالبربر مدينه عظيمه
يقال لها قدميكه وكان بها امراه ساحره فلما حاصرهم
ماليق اظهرت لهم اشيا من سحرها فطمست عن العسكر
مكان المياه فلم يعرفوها فهلكوا بالعطش حتى مات
منهم نحو الثلث فلما عاين ماليق ذلك ترك حصار تلك
المدينه ومضى قيل لما غزا ماليق بلاد البربر راى بها
مدينه وبها جماعه من اهلها وجوههم كوجوه الانسان
وارجلهم مثل حوافر البقر وعلى ابدانهم شعر كشعر المعز
ولهم انياب بارزه كانياب السباع فلما حاصرهم لم يقدر
عليهم واظهروا اشيا عظيمه من سحرهم فتركهم ومضى
فلما رجع الى مصر حاق بسحر اهل قرميده بمصر فكثر
بها الثعابين والعقارب والضفادع وفاض النيل
في غير اوانه حتى غرق القرى ودخل الدور فلما
عاين ماليق ذلك لبس المسوح وافترش الرماد وسجد
عليه ودعا الى الله تعالى بكشف هذه النازله حتى انها
انكشفت عن اهل مصر واستمر ماليق في ملكه حتى
هلك ثم تولى بعده ابنه خرنتاه وكان عالما بعلوم
السحر والكهانه وكان يجلس في السحاب ويغيب به ستة
اشهر ثم ظهر من بعد ذلك عند طلوع الشمس وهي في
برج الحمل واشار الى قومه بانه ما بقي يرجع اليهم وان
يولوا غيره فلما ايسوا منه ولوا ابنه عديم وكان من
الجبابره

الجبابره وهو اول من صلب اصحاب الجرايم وكانت له
اعمال عجيبه منها انه عمل قدحا من زجاج اخضر
اذا صب فيه ماء او غيره وشرب منه جميع من في
المدينه لا ينقص منه شي ولو اقام دهرا طويلا
واستمر عديم في ملكه حتى هلك ثم تولى بعده منقاش
وكان عالما بعلوم السحر والكهانه وهو الذي توجه
الى بلاد المغرب وانتهى الى الجبل الاسود الذي ليس
له مصعد فنقب فيه مغاير ونقل امواله وتحفه فيها
حتى قيل انه نقل من مصر الى هذه المغاير اثني عشر
الف عجله موسوقه من الجواهر وستمايه الف عجله موسو قه
من الذهب والفضه ولما هلك دفن في ذلك الجبل عند
امواله ثم تولى بعده ابنه قرسون وكان عالما بعلوم
الكهانه والسحر فمنها انه عمل مناره على بحر القلزم ووضع
فوقها مراه من معادن شتى وكان من شان هذه المراه
انها تجلب المراكب الى البر فلا تبرح عن البر حتى يوخذ
منها العشر من اصناف البضايع واستمر قرسون في ملكه
حتى هلك ولم يكن له ولد ذكر وكانت له بنتا تسمى
نونيه الكاهنه فتولت بعده وهي اول امراه ملكت
ارض مصر فلما ملكت مصر اظهرت من سحرها العجايب ثم
هلكت وتولى بعدها ابنة عمها زلفا ابنة مانوم بن
ماليا فعمرت في مصر دهرا طويلا ثم وثب عليها مرقونس
ونزعها من الملك وتولى عوضها وكان عالما بعلوم السحر
والكهانه فمنها انه عمل شربه من زجاج اخضر اذا مليت
بالماء يصير خمرا وقد وجدت هذه الشربه في بعض الكنوز

بمدينة أطفيح وأستمر مرقونس في ملكه حتى هلك فأتى
الي مصر العماليقة وغزوا أهلها وملكوها فجاربهم الوليد
ابن رومع وكان شجاعا بطلا فقاتل العماليق أشد القتال
حتى كسرهم ورحلوا عن مصر فلما رأوا أهل مصر شجاعة
الوليد ملكوه عليهم فأقام علي مصر نحو مائة سنة ثم أنه
طغي وتجبر وأجهر الفاحشه فسلط الله عليه سبعا
فافترسه وأكل لحمه قيل كان له خلقة عظيمة وقد وجد
بعد موته ضرسا من أضراسه فكان وزنه ثمانية عشرة
منا وعلي هذا فقس بقية جسده

ذكر من ملك مصر من الفراعنة قال ابن عبد الحكم الفراعنة الذي
ملكوا مصر خمسة وهم طوطيس فرعون ابرهيم عليه
السلام والريان بن الوليد فرعون يوسف عليه السلام
والوليد بن مصعب فرعون موسي عليه السلام ودارم
بن الريان وأخر ما تحضرني أسمه الآن فأما طوطيس
فرعون ابراهيم عليه السلام فانه كان مغرما بحب النساء
الحسان وكان يأخذ نساء الناس وبناتهم غصبا وكان
له في الطرقات حراس بسبب ذلك فاتفق ان ابرهيم
عليه السلام دخل الي مصر في تجارة وكان معه زوجته
سارة فلما دخل مصر وسمع بأخبار ملكها فخاف منه علي
سارة فعمد الي صندوق من الخشب وأدخل فيه
سارة فلما مر من تحت قصر الملك فرآه من أعلا القصر
فقال لمن حوله أمضوا واكشفوا الي عن خبر ما في هذا
الصندوق فجاؤا أعوان الملك الي ابرهيم فسألوه
عما في الصندوق فقال فيه بضاعة ثم انهم اخذوا
منه

منه الصندوق واحضروه بين يدي الملك فلما فتحه
فوجد فيه امرأة كأنها الشمس المضية فقال لابرهيم
ما تكون هذه المراه منك قال هي اختي فقال له الملك
زوجني بها فقال ابرهيم انها متزوجة فأغتاظ منه
الملك وأمر بسجنه فسجن ثم ان الملك أدخل سارة
الي قصره وزينها بأحسن الزينه وأجلسها الي جانبه
علي السرير ثم مد يده اليها فيبست يده في الحال
فقال لها انك لساحرة عظيمة ثم هم بها ثانيا فابتلعته
الارض الي نصفه فقال لها أيتها المراة كفي عني سحرك
فقالت له سارة ليس هذا من فعلي انما هو من ابرهيم
خليل الله فأرسل خلفه فلما دخل عليه قام اليه وعظمه
وأجلسه معه علي السرير واستغفر له فمسكه ابرهيم
من يده وخلصه من الأرض ثم ان الملك رد سارة علي
ابرهيم ووهب له جارية جميلة تسمي هاجر وكان لها من
العمر اربعة عشرة سنة وكان أصلها من مدينة عين شمس
التي في المطرية فأحب ابرهيم هاجر وتسرر بها فجاءه منها
ولده اسمعيل عليه السلام **وقيل** ان الملك طوطيس أسلم
علي يد ابرهيم عليه السلام انتهي ذلك **وأما** فرعون يوسف
عليه السلام فكان اسمه الريان بن الوليد بن ارسلادوس
وكان حسن السيرة عادلا في الرعية وكان خراج مصر في ايامه
الف الف دينار قيل وقع الغلا في ايامه فأسقط عن المزارعين
بمصر خراج ثلث سنين وهو الذي بنا مدينة العريش وكانت
من أجل المداين وهو غزا بلاد السودان وكان منهم طايفة
يأكلون الناس جهارا روي في بعض الاخبار عن الامام
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اذ قال بعث الله تعالي الي

بعد ما كادت تبتلعه

نفر من السودان نبيا فذبحوه وطبخوه واكلوا من لحمه
فهم اقسى الامم قلبا ونساؤهم اصلح من رجالهم وهو
الذي غزا بلاد الجنوب فراى بها اقواما كخلقة القرود
ولهم اجنحة يلتفون بها وغزا اقواما عند البحر المظلم
فراى هناك واديا شديد الظلمة فكانوا يسمعون فيه
صياحا عظيما ولا يرون فيه اشخاصا لشدة ظلمته وراى هناك
سباعا سودا مخرومة الانوف وسار حتى انتهى الى البحر
الاسود المسمى بالزفتي فراى هناك عقارب طيارة فخرجت
على عسكره فهلك منه جماعة كثيرة ثم سار حتى وصل الى مدينة
سلوقة فراى بها حية عظيمة الخلقة طولها نحو ميل اذا قرب
منها الفيل ابتلعته فلما عاين الريان ذلك رجع الى مصر وقد
فقد من عسكره نحو النصف وكان مدة غيبته في هذه السياحة
احدى وثلثين سنة قال الواقدي ان الملك الريان هذا
هو الذي بنا قصر الشمع القديم وكان مطلا على بحر النيل وانما
سمي قصر الشمع لانه كان يوقد فيه الشمع عند نقل الشمس من
برج الى برج من الشهور القبطية فتعلم اهل مصر ان الشمس
نقلت في تلك الليلة ولم يزل هذا القصر عامرا الى ان
اخربه بخت نصر لما قدم الى مصر واقام خرابا نحو خمسماية
سنة فلما قويت شوكة الروم على اليونان واستولوا على
مصر جددوا بنايه وجعلوه بيتا لعبادة النيران وسمي قصر
الجمع قال وهب بن منبه ان يوسف عليه السلام لما
دخل مصر واشتراه وزير الريان المسمى قطفير كان في زمن
الريان هذا وهو الذي راى تلك الرويا المشهورة وقصها
على يوسف وهو في السجن وهو الذي قال له يوسف عليه
السلام اجعلني على خزاين الارض وقيل ان يوسف بنا
مدينة الفيوم في ايامه وكان ارضها مخايض للما فدبرها
بالوحي

بلغ

بالوحي من جبريل عليه السلام حتى خرج عنها الماء فلما
انتهى منها العمل ركب الريان لينظر ما صنعه يوسف
فلما راى ذلك تعجب منه وقال هذا كان يعمل في الف
يوم فسميت من يومئذ الفيوم وكانت محكمة على ثلثماية
وستين قرية على عدد ايام السنة لتغل كل قرية
منها على اهل مصر يوما واستمر الريان على مملكة مصر حتى
مات في ايام يوسف عليه السلام وقيل انه اسلم على
يد يعقوب عليه السلام لما دخل مصر انتهى ذلك ولما مات
الريان استخلف بعده ابنه دارم وهو الفرعون الثالث
وكان جبارا عنيدا فاظهر عبادة الاصنام وعمل صنما
من الرخام الاخضر والبسه الثياب الحرير الاحمر واتخذ
له عيدا كلما دخل القمر برج السرطان ومن اعماله العجيبة
انه عمل تنورا يشوي فيه من غير نار وعمل قدرا يطبخ
فيه من غير نار وعمل سكينا منصوبة في وسط مدينة
منف ومن شانها تاتي البهايم اليها فتذبح نفسها بها من
غير يد وعمل ماء يستحيل نارا ونارا تستحيل ماء
وعمل اشيا غريبة من هذه الانواع ولم يزل على ذلك حتى
نزل ذات يوم في مركب وقد الى نحو حلوان فقام
عليه ريح عاصف فغرق في البحر عند حلوان فطلعوا به
وحمل الى منف فدفن بها وهو الذي توفي يوسف
عليه السلام في ايامه ودفن بالفيوم قال ابن لهيعة
أتي م يوسف هل فجعلنا في بحر الفيوم وهو في صندوق
رخام في وسط البحر نحو ثلثماية سنة حتى نقله موسى عليه
السلام الى بيت المقدس ولما هلك دارم بن الريان
تولى بعده دعموس وقيل اسمه عند القبط ميلا
طيس

لهما

وهو الفرعون الرابع وكان عالما بعلوم السحر والكهانة ومن
اعماله العجيبة انه عمل ميزانا بكفتين من ذهب وعلقها
في هيكل الشمس وكتب على احدى كفتيها حق والاخرى
باطل وجعل تحتها فصوصا ونقش عليها اسم الكواكب
فاذا دخل الظالم والمظلوم واخذ من ذلك الفصوص
فص وجعله في كفة الميزان فتثقل كفة الظالم وتخف
كفة المظلوم وقيل ان بخت نصر لما دخل مصر اخذ
هذه الميزان ونقلها الى بابل مع جملة ما اخذه من
مصر واستمر درعوس في مملكة بمدينة منف حتى هلك
وتولى بعده **الوليد بن مصعب** وهو الفرعون
الخامس فرعون موسى عليه السلام **قال** وهب بن
منبه كان اصل فرعون من مدينة بلخ وقيل من ارض
حوران من نواحي الشام وكان عطارا فتحمل عليه دين
فخرج هاربا من اصحاب الديون حتى دخل مدينة
منف وكانت يومئذ دار المملكة وكان فرعون بشع المنظر
المنظر اعور بعينه اليسرى وكان طول لحيته سبعة
اشبار بحيث انه كان يعثر فيها وكان قصير القامة يعرج
برجليه عرجا فاحشا وكان بجبهته شامة سودا كبيرة
فلما دخل منف وقف على خباز يقال له هامان وكان
هامان كثير القراية في الملاحم فلما وقف عليه فرعون
راى به علامات تدل على ما عنده في الملاحم بان
من يكون به هذه الصفة لا بد ان يملك مصر فقال
له هامان من اي ارض اقبلت فقال فرعون من بلخ
فقال هامان هل لك في صحبتي فقال فرعون ان شئت
كنت لك فاضافه هامان تلك الليلة ثم ان فرعون
اشترى

اشترى حمل بطيخ وجاء به الى باب المدينة فلما اراد
ان يدخل من باب المدينة نهبوه منه جماعة من
البوابين فلم يبق معه غير بطيخة واحدة فباعها
بقدر ما اشترى الحمل ثم قال للناس اما في هذه
المدينة من ينظر في مصالح الرعية فقيل له ان ملك
هذه المدينة مشغولا بلذاته وفوض امر مملكته
لوزيره فهو لا ينظر في مصالح الناس فقال فرعون
في نفسه هذا وقت انتهاز الفرصة ثم خرج الى المقابر
وصار لا يمكن الناس ان يدفنوا موتاهم الا بخمس
دنانير على كل راس فاتفق ان بنت الملك ماتت فلما
ارادوا دفنها فقال هاتوا خمس دنانير العادة فقالوا
له ويحك هذه بنت الملك فقال ما اخذ عليها الا عشرة
دنانير فما مكنهم من دفنها حتى اخذ عليها عشرة دنانير
فلما بلغ الملك خبره فقال من يكون هذا الرجل فقالوا له
الذي عملته عامل الاموات فانكر الملك ذلك وارسل خلف
فرعون فلما حضر بين يديه قال له ومن عملك عامل
الاموات فاخبره بما جرى له في الحمل البطيخ ثم قال له وانما
عملت عامل الاموات حتى يصل اليك خبري وتستيقظ
لنفسك وتنظر في مصالح رعيتك وقد حفظت لك في هذه
المدة مالا لا يحصى فلما سمع الملك كلامه افصل وزيره الذي
كان يغشه واستقر به وزيرا فلما تولى سار في الناس سيرة
حسنة وعدل في الناس وكان يقضي بالحق ولو على نفسه
فاحبته الرعية فلما مات الملك فاختاروه الرعية ان يكون ملكا
عليهم فولوه الملك بمدينة منف فاظهر العدل ونظر في
احوال المملكة فاقام جسورها وبنا قناطرها وقطع جزايرها
وحفر خلجانها وكان بها سبعة خلجان جارية شتاء وصيفا

لا ينقطع عنها الماء وهم خليج الاسكندرية وخليج سخا
وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج المنهي
وخليج الفيوم وكان يرسل مائة الف وعشرون الف
رجل ومعهم الطواري والمساحي بسبب قلع القصاب والحلفا
وكل نبات يضر بالارض فيسيرون قبلي وبحري ولهم رواتب
معلومة بسبب ذلك وكان يرسل في ايام التخضير قايدين
من قواده ومع كل واحد منهما اردبا من الفح فيذهب
احدهما الي اعلا بلاد الصعيد والاخر الي اسفل البلاد
البحرية فان وجدا مكانا من الارض بايرا بغير زرع فيكاتبان
فرعون بذلك فيرسل بطلب عامل ذلك المكان بسبب
بوره وربما عاد القايدان ومعهما الفح ولم يجدا مكانا
بايرا باراضي مصر وكان اهل النواحي يكدون القري من
اهلها بكراء معلوم لا يزيد ولا ينقص فاذا مضي اربع سنين
ينقض ذلك ويعدل تعديلا جديدا فيرفق بمن يستحق
الرفق ويزاد علي من يحمل الزيادة فلما دبر اراضي مصر
هذا التدبير استقامت احوال الديار المصرية وصار
خراجها يومئذ مائة الف الف دينار بالدينار الفرعوني
وكان يومئذ ثلثة مثاقيل بالمثاقيل الان فيكون ذلك
ثلثمائة الف الف دينار وسبعين الف الف دينار فاذا انكامل
جبي الخراج فياخذ فرعون من ذلك الربع لنفسه
والربع الثاني لجنده ○ والربع الثالث لمصالح القري وما
تحتاج اليه من حفر الخلجان وبناء القناطر واصلاح ما
تشعث من الجسور وغير ذلك والربع الرابع يدفن
في الارض بسبب السنين المجدبة وهي كنوز فرعون
التي تتحدث الناس بها الي الان ولم يزل فرعون علي
ما

ما ذكرناه قايما علي مملكة بمدينة منف حتي انقرضت ايامه
ثلث قرون من العالم وهو باق علي حالة قال
وهب بن منبه عاش فرعون اربع مائة سنة وهو
مخول في النعمة لا يري ما يكره من نفسه ولا حمة في
جسده ولا دخل عليه سوء فعند ذلك كلل لحيته
باللولؤ والجواهر وطغي وتجبر وادعي الربوبية
من دون الله تعالي فارسل الله اليه موسي عليه السلام
يدعوه الي الايمان فلم يؤمن فاوحي الله تعالي لموسي
ان يخرج ببني اسرايل الي بحر القلزم فلما بلغ فرعون
ذلك خرج في اثر موسي وهو في عساكر لا تحصي فلما انفلق
البحر لموسي وعدي ببني اسرايل تبعه فرعون ومن
معه من العساكر فانطبق عليهم البحر فغرق فرعون هو
وعساكره في بركة الغرندل وقد تقدمت اخباره في اول
التاريخ عند قصة موسي عليه السلام ○ نكتة لطيفة قال
وهب بن منبه لما طغي فرعون اتاه جبريل عليه السلام
في صفة رجل مستفتي فقال لفرعون ما تقول في رجل
اشتري عبدا ورباه صغيرا فلما كبر عصي علي مولاه وقال
لست بعبد لك وادعي مقام سيده فما يكون جزاء ذلك
العبد فقال فرعون جزاؤه التغريق في البحر فقال له
جبريل اعطني خطك بذلك فكتب له فرعون خطه بذلك
فلما الجم فرعون الغرق اتاه جبريل بخطه فعرفه وقضي
علي نفسه فاراد ان يقول امنت برب موسي وهرون
فاخذ جبريل خطه وحشاه في فمه حتي غرق انتهي ذلك
قال القضاعي لما غرق فرعون وقومه صارت مصر
ليس بها احد من اشراف اهلها سوي العبيد والاجراء فقط

وكانت أعيان النساء من القبط تعتق عبدها وتتزوج
أو تتزوج بأجيرها وكانوا يشترطون عليهم أن لا يفعلوا
شيا الا باذنهن وقد صار ذلك سنة عند القبط الى
اليوم لا يفعلون شيا من الاشياء حتى يستاذنون
نساهم ثم أن النساء اجتمعن رايهن على أن يولين
عليهن امراة يقال لها دلوكه وكانت ذات عقل
ومعرفة وكان لها من العمر نحو ماية سنة فملكوها عليهم
فبنت على أرض مصر حايطا من اسوان الى العريش
وحاشت به قرى مصر وضياعها وجعلت على تلك الحايط
احراسا من نحاس فاذا أتاهم من يخافونه حرك
الأحراس الموكلون بها من كل جانب فيسمعها من
بالمدينة فيستعدون لذلك واثار هذا الحايط باقي
الى الآن ببلاد الصعيد وتسمى حايط العجوز قال
بن عبد الحكم لما ملكت دلوكه مصر ارسلت خلف امراه
ساحره من انصنا يقال لها تدوره وكانت مشهوره
بالسحر فقالت لها دلوكه انا قد احتجنا الى شي من سحرك
يمنع عنا من يقصد بلادنا بسوء فعملت تلك المراه بربا
من الحجر الصوان في وسط مدينة منف وجعلت لها
اربعة ابواب الى الجهات الاربع ونقشت على كل باب
منها صور الرجال والخيل والابل والحمير والسفن وقالت
لدلوكه قد عملت لكم عملا تهلكوا به من اراد لكم بسوء
من بر أو بحر فكانوا اذا قصد اليهم احد من الملوك وعجزوا
عن قتاله دخلوا الى تلك الصور التي في البربا وقطعوا
رؤسها

روسهن من تلك الصور او فقوا اعينها فيهما فعلوه في
تلك الصور فيأتي مثل ذلك في عساكر العدو والذي
يقصدهم فامتنعت عنهم الملوك لاجل ذلك فاقامت
دلوكه على ملك مصر نحو ماية وثلاثين سنة ولم تزل
مصر ممتنعه من العدو في مدة حياتها واقامت
البربا على ما ذكرناه بعد هلاك الساحره التي صنعتها
وكان كلما فسد منها شيا لا يقدر على اصلاحه الا من
يكون من نسل تلك العجوز الساحره فلما انقطع نسلها
خربت تلك البربا ولم يقدر احد على اصلاحها من
بعد ذلك ولما هلكت دلوكه بنت زبا تولى على مصر
بعدها شخص من اولاد القبط يقال له دركون
بن بلطوس ذكر ابتداء دولة الاقباط بمصر قال
المسعودي لما هلكت دلوكه بنت زبا ملكت القبط بعدها
مصر ستمائة وست وعشرين سنة وكان عدة من ملك
مصر من الاقباط سبعه وعشرون ملكا اولهم دركون
واخرهم المقوقس ونحن نذكر من اخبارهم شيا يسيرا
على سبيل الاختصار قيل كان دركون هذا في يوم
النيروز وهو اول السنة القبطيه فاذا اصبح الصباح
يدخل عليه شخص من غير اذن ويكون ولد شخص
حسن الوجه طيب الرايحه عليه اثواب فاخره ويكون
فصيح اللسان فيقف بين يديه فيقول له من انت
ومن اين اقبلت وما اسمك وما معك والى اين تريد
ولاي شي وردت فيقول الرجل انا المنصور واسمي
المبارك والى الملك السعيد اردت وبالهنا والسلامه
وردت وبالعام الجديد اقبلت ثم يجلس بين يديه وكان
يصنع ذلك من نوع التفاول في ذلك اليوم ثم ياتي بعده شخص

أخذ ومعه طبق من الفضة وفيه شيء من القمح والشعير
والفول والحمص والعدس والبسلة والجلبان وفيه
قطعة سكر ودينار ذهب ودراهم فضة ضرب ذلك
العام الجديد وفوق الطبق باقات الآس فيضع الطبق
بين يديه ثم يقدم اليه رغيفا قد صنع من هذه
الحبوب السبعة فياكل الملك من ذلك الرغيف ويطعم
من حوله من الوزراء وارباب الدولة ثم يفرق ما في
حواصله من الثياب والفرش ويجدد غيرها في ذلك العام
وكانت هذه عادة القبط في يوم النيروز واستمر دركون
في ملك مصر حتى هلك واستخلف من بعده ابنه **توتوس**
فاستمر في ملك مصر حتى هلك واستخلف بعده أخاه **لقاس**
فلم يمكث غير ثلث سنين وهلك ولم يترك ولدا فتولي
من بعده أخاه **مرينا** فاستمر الي ان هلك وتولي بعده
ابنه **أسمارس** فكان جبارا عنيدا سفاكا للدماء عسوفا
في حق الرعية فلم تطقه القبط فقتلوه وولوا عليهم
شخصا يقال له **بلوطس** فاستمر عليهم نحو اربعين سنة
فلما هلك تولي بعده ابنه **مالوس** فلما هلك تولي بعده
أخاه **مناكيل** فاستمر في ملك مصر نحو اربعين سنة فلما
هلك تولي بعده ابنه **بوله** وهو المعروف عند
القبط بالأعرج وكان جبارا عنيدا وهو الذي سبا اهل
بيت المقدس وأتي بهم الي مصر واستمر متوليا علي ملك
مصر نحو مائة وعشرين سنة فلما هلك تولي بعده أخاه
مرينوس واستمر في ملك مصر دهرا طويلا فلما هلك
تولي بعده ابنه **قرقوره** فاقام بملك مصر نحو سنتين
وهلك فتولي بعده أخاه **قوميس** وفي ايامه خربت تلك
البرابي التي صنعتها تدوره الساحرة وزالت ما كانوا القبط

يتجعرون

بختنصر

يتجهرون به الملوك واستمر قوميس في ملك مصر حتي هلك
وتولي بعده أخاه **مرتينوس** وفي ايامه زحف بخت
نصر البابلي علي البلاد واخرب بيت المقدس وسبا بني
اسرائيل ثم دخل الي مصر وقتل مرينوس وسبا اهل
مصر واسر دانيال وارميا عليهما السلام وتوجه بهما
الي ارض بابل وقتل من اهل مصر نحو سبعين الفا من
بني اسرائيل وغيرها واخرب ما كان بمصر من البرابي والحكم
الذي كانت بها والطلسمات ونهب الاموال الذي كانت
بمصر وحمل ذلك جميعا الي ارض بابل ثم رحل عن مصر بعد ما
اخربها وقتل اهلها فاقامت مصر بعد ذلك اربعين سنة
خرابا ليس بها ساكن ولا متحرك فكان النيل اذا زاد
ينفرش علي الارض ثم ينهبط ولا ينتفع به في امر الزرع
وهذه اول شدة نزلت بارض مصر ولم تزل مصر من
بعد ذلك مقهورة من العدو **قال** ابن لهيعة
لم تزل مصر ممتنعة من العدو ومن بعد غرق فرعون
سبعمائة سنة عادت بدرته دكوكه من السحر العظيم الذي
كان بالبرابي فلما خربت البرابي طمع فيها العدو ثم بعد ذلك
تراجع الي مصر جماعة من القبط وعمروا ما اخربه بخت
نصر منها وتداجعت احوالها قليلا قليلا واخر من حكم
بها من القبط المقوقس وكان اسمه جريج بن مينا وهو
اقام في ملكه بمصر احدي وثلثين سنة وفي ايامه جاءت
الروم وفارس الي مصر وحاربوا اهلها نحو ثلث سنين
من البر والبحر فلما راي المقوقس ذلك صالح الروم علي ان
يدفع اليهم قدرا معلوما في كل سنة ويعدوهم بمصر علي
عادتهم ويكونوا القبط في ذمة الروم ثم ان الفرس تجهزت
علي الروم فغلبوهم قهرا لحقوا القبط الفرس كما لحقوا
الروم واقامت مصر بين الروم والفرس نصفين نحو سبع سنين

ثم تحاربت الروم مع الفرس فتظاهرت عليهم الروم
وكسروا الفرس أشد كسرة وكان ذلك علي عهد
رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد نزلت هذه الآية
ألم غلبت الروم في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون في بضع سنين قال الليث بن سعد
رضي الله عنه لما ملكت الفرس مصر أسست بناء الحصن
وهو المسمي الآن قصر الشمع فلما بلغ هرقل ذلك أمد
المقوقس صاحب مصر بعساكر عظيمة وحارب الفرس
أشد المحاربة فطردهم عن مصر وأقام بنصرة صاحب
مصر المقوقس واستمر المقوقس علي مصر إحدي وثلثين سنة
حتي فتحت مصر علي يد عمرو ابن العاص رضي الله عنه
كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه قال عبد الله بن
عبد الحكم لما كانت سنة ست من الهجرة ورجع رسول
الله صلي الله عليه وسلم من غزوة الحديبية بعث
قصاده الي الملوك يدعوهم الي الإسلام فبعث
حاطب بن أبي بلتعة الي المقوقس عظيم القبط بمصر
فلما دخل حاطب الي مصر وجد المقوقس بالإسكندرية
فتوجه حاطب الي الإسكندرية فوجد المقوقس في
قصر يشرف علي البحر فأشار اليه بكتاب رسول الله
صلي الله عليه وسلم بين أصبعيه فلما رآه أشار لمن
حوله بأخذ الكتاب منه فلما وصل اليه وجده مختوما
بخاتم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقبله ووضعه
علي عينيه فلما فضه وقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الي المقوقس عظيم القبط السلام
علي من اتبع الهدي اما بعد فاني أدعوك بدعاية
الإسلام

الإسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين يا أهل
الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون فلما فهم ما في كتاب رسول الله صلي الله
عليه وسلم أخذه ووضعه في حق من عاج وختم عليه
بالرصاص وتركه عنده قال أبان بن صالح ان المقوقس
أرسل الي حاطب ذات ليلة وخلا به وليس عنده أحد
الا ترجمان فقال لحاطب الا تخبرني عن أمور اذا
سألتك عنها فاني أعلم ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك
فقال حاطب لا تسألني عن شيء الا صدقتك عليه فقال له
المقوقس ما منع نبيكم ان يدعو علي فقال حاطب ما
منع عيسي بن مريم ان يدعو علي من أبا عليه فسكت عنه
المقوقس ساعة ثم قال له حاطب انه قد كان قبلك
رجل زعم انه الرب الاعلي فانتقم الله منه فاعتبر انت
بغيرك ولا يعتبر بك وما بشارة موسي بعيسي بن مريم
الا كبشارة عيسي بمحمد صلي الله عليه ثم قال له المقوقس
ماذا يدعوا محمد اليه قال له حاطب ان نعبد الله ولا نشرك
به شيئا ويامرك ان تصلي في كل يوم و ليلة خمس صلوات
و تصوم في السنة شهرا وتحج البيت وتعطي زكاة مالك وينهاك
عن الخمر واكل الميتة والدم ولحم الخنزير ثم قال المقوقس
لحاطب أفي عينيه حمرة قوية لتنفيه خاتم النبوه ويركب الحمار
و يجتزي بالتمرات والكسر قال حاطب هذه صفته قال
المقوقس قد كنت اعلم ان نبيا قد بقي وكنت اظن ان مخرجه
من الشام ومن هنالك كانت تخرج الانبياء من قبله فاراه
قد خرج من العرب في ارض جهد وبؤس وان القبط لا تطاوع

واستطعني (?) مالك

في أتباعه وأنا أعلم أن صاحبك سيظهر على البلاد وتنزل
أصحابه بساحتنا هذه حتى يظهروا على البلاد وأنا لا
أخبر للقبط شيئاً من ذلك ثم إن المقوقس دعا كاتباً
يكتب بالعربية فكتب كتاباً وهو يقول فيه من المقوقس
عظيم القبط إلى محمد بن عبد الله السلام أما بعد
فإني قد قرأت كتابك وفهمت ما فيه مما تدعونا
الله من الإسلام وقد علمت أنك نبي مرسل وأنت
خاتم الأنبياء وقد أكرمت غاية الإكرام وبعثت إليك
على يده هدية ذكر الهدية التي بعث بها المقوقس
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي
كانت هدية المقوقس ألف مثقال من الذهب
وجاريتين وهما مارية وشيرين أختها قال الواقدي
وجارية أخرى يقال لها حسنة وغلام خصي يقال له
مابور وبغلة يقال لها الدلدل وحمار يقال له عفير
وكسوة من بياضات مصر وعسل نحل من عسل بنها
فلما وصلت هذه الهدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبلها ونظر إلى مارية وأختها شيرين فأعجبتاه
وكره الجمع بينهما ثم عرض الإسلام عليهما فأسلمت
مارية قبل شيرين فاختار النبي صلى الله عليه وسلم مارية
على شيرين وتسرى بها فجاءه منها إبراهيم فعاش ثمانية
عشر شهراً ومات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو بقي إبراهيم ما تركت قبطياً إلا وضعت عنه الجزية
وعاشت مارية إلى سنة خمسة عشرة من الهجرة وماتت
بالمدينة وأما شيرين فوهبها رسول الله صلى الله عليه
وسلم لحسان بن ثابت فهي أم ولده عبد الرحمن وقيل

بل

بل وهبها لمحمد بن مسلمة الأنصاري وأما حسنة فوهبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهم بن حذيفة العبدي
وأما مابور فإنه كان قرابة لمارية وكان كثيراً ما
يدخل عليها فوقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه
شيء فرجع فلقيه عمر بن الخطاب فأخبره بذلك فأخذ
عمر السيف ودخل على مارية فأهوى ليضرب مابور
فكشف عن ثيابه فإذا هو خصي فأخبر بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك فطابت نفسه وأما البغلة
والحمار فكانا أحب دوابه إليه وأما العسل أكل منه
فاستطيبه فسأل من أين هذا العسل فقيل له من قرية
من قرى مصر يقال لها بنها فقال بارك الله في بنها وفي
عسلها وأما الثياب البيض فإن بقي عنده منهم بقية
حتى أنه كفن صلى الله عليه وسلم في بعضها انتهى ذلك

ذكر دخول عمرو ابن العاص إلى مدينة الإسكندرية في زمن الجاهلية قبل الإسلام

قال بن عبد الحكم
كان القبط يجتمعون في الملعب الذي كان بالإسكندرية
في يوم معلوم من السنة ويترامون بالكرة فلا تقع
في حجر أحد من الحاضرين إلا ملك مصر وكانت هذه الكرة
من الذهب مكللة باللؤلؤ والياقوت وكانوا يلتقفونها
بأكمامهم فمن وقعت الكرة في كمه واستقرت فيه لم يمت
حتى يملك مصر وكان يحضر هذا الملعب ألف ألف إنسان من
القبط وغيرها فلا يكون فيهم أحد إلا وهو ينظر في وجه
صاحبه عند وقع الكرة فاتفق أن عمرو ابن العاص حضر ذلك
الملعب في بعض السنين في زمن الجاهلية فأقبلت الكرة
تهوي حتى دخلت في كم عمرو ابن العاص واستقرت به ساعة
فتعجبوا القبط من ذلك وقالوا ما كذبنا هذه الكرة قط

الا في هذه المدة أترى هذا الأعرابي ملكنا هذا لا يكون
ابدا فلم يزل عمرو حتى تملك مصر في الاسلام انتهى ذلك

ذكر ابتداء دولة الاسلام وفتح مصر على يد عمرو ابن العاصي رضي الله عنه

قال ابن عبد الحكم لما
كانت سنة ثمان عشر من الهجرة وفتح امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة دمشق قام اليه
عمرو ابن العاصي وقال له يا امير المومنين أتأذن لي
ان أسير الى مصر قال عمر ان فتحتها كانت قوة
للمسلمين فلم يزل عمرو يهون فتحها عند امير المومنين
عمر حتى عقد له على اربعة الاف رجل او دون ذلك
ثم قال عمر لعمرو ابن العاص سر وانا مستخير الله في
امرك فسار عمرو في جوف الليل ولم يشعر به احد
من الناس وسار حتى نزل فيما بين رفح والعريش
فلما نزل بها اخرج كتاب امير المومنين عمر بن الخطاب
وقراءه على المسلمين وقال لهم الستم تعلمون ان هذه
القرية من قرى مصر قالوا بلى قال فان امير المومنين
عهد الي وامرني ان لحقني كتابه ولم ادخل مصر ان
ارجع وقد خاف على المسلمين وان لحقني كتابه حتى ادخل
ارض مصر فانني ادخلها فامضوا على بركة الله تعالى
فسار عمرو حتى دخل مصر فلما بلغ المقوقس دخول
العرب الى مصر فارسل جيشا الى عمرو ابن العاصي فتلاقا
مع جيشه على الفرما وهي من قرى مصر فوقع هناك
قتالا شديدا وهو اول قتال وقع في قرى مصر ثم ان
عمرو اقام يحاصر اهل الفرما نحو شهر ففتح الله على
يده الفرما وهي اول قرية فتحت على يد عمرو ابن العاص
فقال المقوقس لا تعجبوا من هولاي العرب يقدمون
على

على جيوش الروم مع كثرتهم وهم في قلة من الناس
فاجابه بعض القبط وقال ان هولاي القوم لا يتوجهون
الى جيش الا استظهروا عليه وغلبوه ثم ان عمرو
وصل الى بلبيس فتقاتل مع اهلها نحو شهر فغلبهم
وملكها ثم ان عمرو ارسل الى امير المومنين عمر بان
يستمده بالعساكر فامده باربعة الاف اخرى فبقي
معه ثمانية الاف فسار عمرو بمن معه من العساكر
حتى نزل على الحصن وهو مكان قصر الشمع فصار
من بالمدينة فاقام يحاصرهم مده طويله فلما ابطا
خبر الفتح على امير المومنين عمر فامد عمرو باربعة
الاف اخرى وفيهم الزبير بن العوام والمقداد
بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد
رضي الله عنهم اجمعين فنصب عمرو بن العاصي
منجنيقا ورمى به على اهل الحصن وكان في الحصن
علج من علوج الروم يقال له الاعرج فقال لمن
حوله اذا مر من عليكم عمرو امير القوم فالقوا عليه
صخره فتقتله فمر عليهم عمرو فحالوا بينه وبين
اصحابه فقال لهم عمرو انا اصغر ما في القوم ولا يضرهم
قتلي ان قتلتموني فقال الاعرج في نفسه وايش تفيد
من قتل واحد من جماعة كثيره فامر باطلاقه فخرج
الى اصحابه سالما ولم يعلم الاعرج انه امير القوم وكانت
هذه الحيلة التي دبرها عمرو اول المكايد منه ثم ان
الزبير بن العوام رضي الله عنه وضع سلما الى جانب
السور من ناحية سوق الحمام وصعد عليه وامر اصحابه
اذا سمعوه يكبر فيزحف العسكر جميعا فلما صعد الزبير
على السلم وكبر والسيف في يده فزحف الجيش جميعا

وكبروا أيما شك من بالحصن أن العرب قد اقتحموا الحصن
فهربوا من وجه العرب فحمد الزبير وأصحابه إلى باب
الحصن وفتحوه فلما بلغ المقوقس ذلك خاف على نفسه
من القتل فتوجه إلى الجزيرة يعني الروضة وأرسل إلى
عمرو يسأله في الصلح وأن يفرض للعرب على القبط
دينارين على كل رأس فأرسل عمرو يقول للمقوقس
ليس بيني وبينك إلا ثلث خصال إما تدخل في الإسلام
وإما تعطي الجزية وتكون آمنا وإما تقاتلنا ونقاتلك
قال الليث بن سعد أقام عمرو ابن العاصي يحاصر
الحصن ستة أشهر فلما جاءت رسل عمرو إلى المقوقس
بعد الجواب قال لمن حوله من القبط كيف رأيتموا
في هذا الأمر قالوا أن هذا القوم لا طاقة لنا بهم
فإن الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب
إليهم من الرفعة وليس لأحدهم في الدنيا رغبة
يجلسون على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم
كواحد منهم لا يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا يعرف
السيد من العبد فإن لم نغتنموا صلحهم وهم محصورون
فلم يجيبونا بعد ذلك إلى الصلح ثم أن المقوقس أرسل
إلى عمرو يقول له أرسل إلينا أحد من عقلائكم حتى
نتكلم معه ما يكون فيه أمر الصلح بيننا وبينكم وكان
المقوقس في الجزيرة وهي الروضة وكان بها قصر مطل مطل
على البحر يسمى الهودج تتنزه فيه ملوك مصر من
القبط فبعث إليه عمرو ابن العاصي عشرة من الصحابة
وكبيرهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان أسود
اللون فلما دخلوا على المقوقس استصغر قدر عبادة
بن

ابن الصامت لسواده فقال المقوقس نحوا عني هذا
الأسود وقدموا غيره يكلمني فقالوا هذا الأسود
أفضلنا وهو سيدنا فقال المقوقس لعبادة تقدم
يا أسود وكلمني برفق فإني أهاب سوادك فتقدم
عبادة إليه وقال قد بعثنا الأمير عمرو على أحدى
الثلاث خصال المتقدم ذكرها ولا ثم لها وجه رابع
فقال المقوقس أن عساكر الروم ما لا يحصى عددهم
وأنا أخشى أن يقع بينكم القتال فيقتلوكم عن آخركم وقد
طابت أنفسنا أن نصالحكم صونا لنا ولكم من القتل على
أن نفترض أن يكون لكم على كل رأس من القبط دينارين
ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألفي دينار فتقبضونها
وترحلوا عنا إلى بلادكم قبل أن تحاط بكم عساكر الروم
فقال له عبادة بن الصامت يا هذا أما تخويفك لنا
بعساكر الروم من القتال فنحن أرغب ما يكون في قتالهم
فإن ظفرنا بكم فلله الحمد وإن ظفرتم بنا فنحن أشوق
إلى لقاء الله تعالى والمسير إلى الجنة وأما ما ذكرته
من المال فنحن قوم لا نبالي بالمال إن كثر ولا إن قل فقال
المقوقس أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث
خصال فقال عبادة لا ورب السماء والأرض فاختاروا
لا نغسلكم منهم خصلة فالتفت المقوقس لمن حوله من
الأقباط وقال لهم قد فرغ القول منهم فماذا ترون
في ذلك فقالوا أما الدخول في دينهم فهذا لا يكون
أبدا وأما أنهم يسبونا ويجعلونا لهم عبيدا فالموت
أهون علينا من ذلك فقال المقوقس لعبادة قد أبى
القوم من ذلك فما ترى فقال عبادة وهم بالانصراف

فقال المقوقس لمن حوله أطيعوني وأجيبوا القوم
الي خصلة من هذه الثلاثة وأن لم تجيبوا اليها وانتم
طايعين فتجيبوا اليها وانتم كارهين فقالوا واي خصله
نجيبهم اليها قال المقوقس اما دخولكم في دينهم
فلا امركم به واما قتالهم فانا اعلم انكم لن تقووا
عليهم ولا تصبروا صبرهم ولكن افعلوا الثالثة فقالوا
أفتكونون لهم عبيدا قال نعم تكونوا لهم عبيدا انتم
واولادكم الي ان تموتوا عن آخركم فلما رجع عباده
الي عمرو ابن العاصي واخبره بما قالوه القبط فامر
جيوشه بالقتال لهم والمحاصره فلما حاصروهم لم
يطيقوا القبط ذلك وتحيزوا في السفن الي الروضة
وحصنوا ابرها بالسفن من كل ناحية واحدقوا بهم
المسلمون من كل جهة فلما راي المقوقس ذلك قال
للقبط الم اعلمكم بهذه الاحوال قبل وقوعها فما ترددوا
الآن قالوا نذعن للجزيه وتعقد الصلح بيننا وبينهم
فارسل المقوقس الي عمرو ابن العاصي يقول له
اني لم ازل حريصا علي اجابتك الي خصلة من تلك
الخصال التي ارسلت الي بها فابي ذلك علي من حضرني
من القبط والآن عرفوا نصحي لهم ورجعوا الي قولي لهم
بالنصح فاعطني منك اما انا اجتمع انا وانت فان استقام
الامر بيننا تم لنا ذلك وان وقع بيننا خلف رجعنا الي
ما كنا عليه فلما سمع عمرو ذلك استشار اصحابه في ذلك
فقالوا لا نجيبه الي الصلح ولا الجزيه ونحاربه حتي يفتح
الله علينا بالنصر عليهم فقال لهم عمرو قد علمتم ما عهد
الي به امير المؤمنين بان اجيب الي خصلة من هذه
الخصال

الخصال الثلاثة وقد طال الامر بيننا وبينهم فعند ذلك
اجتمع راي الصحابه رضي الله عنهم علي ان يفرضوا علي
كل راس من القبط دينارين وليس علي الشيخ الفاني
ولا علي الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا علي النساء في
شيء من الجزية وعلي ان للمسلمين عليهم النزول والضيافة
حيث ما كانوا من القري مقدار ثلاثة ايام فان اجابوا الي
ذلك عقدنا بيننا وبينهم الصلح فارسل عمرو يقول للمقوقس
قد وقع الراي بيننا علي ان تزنوا الجزيه كما تقرر الحال عليه
قال ابن عبد الحكم كان عدد القبط يومئذ ثمانية الاف
الف انسان غير الروم ثم ان المقوقس قال للروم من
احب منكم ان يقيم بارض مصر فليزن الجزيه ومن اراد
الخروج الي ارض الروم فليخرج ولا جزية عليه ثم ان
المقوقس كتب كتابا الي ملك الروم يعلمه بذلك فكتب
اليه ملك الروم قد اتاك من العرب اثنا عشر الف انسان
فعجزت عن قتالهم ومعك ما لا يحصي عدد هم من الروم
فلا سبيل الي هذا ابدا فارسل المقوقس يقول لعمرو ابن
العاصي ان ملك الروم لم يوافق علي امر الصلح ولا الجزيه ولم يكن
نقض الصلح مني ثم جاءت الاخبار بان ملك الروم ارسل
عسكرا عظيما في البر والبحر فلما سمع ذلك عمرو خرج اليهم بمن
معه من العربان فتلاقوا بالكريون وكان عبد الله بن
عمرو ابن العاصي علي مقدمة الجيش وحامل اللواء يومئذ
وردان مولي عمرو فحمل ذلك علي عمرو صلاة الخوف
وبرز للقتال وتلاقا مع عساكر الروم هناك فلم تكن الا
ساعه وقد فتح الله تعالي علي المسلمين بالنصر علي عساكر
الروم فقتل في ذلك اليوم من عساكر الروم ما لا يحصي
عددهم وقتل من الصحابة في ذلك اليوم اثنان وعشرون
رجلا فلما وقعت الكسره علي عساكر الروم توجهوا الي
ثغر الاسكندريه وحصنوها وكان عليها يومئذ سبعة اسوار

فلما تحصنوا الروم بالاسكندريه ارسل هرقل الي ساير اعماله
من البلاد يستحثهم في جمع العساكر وسرعة الحضور وقصد
قتال عمرو واصحابه فلما سمعوا الصحابه بذلك تغلقوا وضاق
صدرهم ثم بعد ايام قلايل جاءت الاخبار بان هرقل قد
هلك وكفي الله المومنين القتال فكان كما قيل في المعني
كم صنع ربك كيف ياتي بما تهواه من فرج قريب
فلا تياس اذا ما ناب خطب فكم في الغيب من عجب عجيب
قال الليث بن سعد رضي الله عنه مات هرقل سنة
عشرين من الهجرة وكسر الله تعالي بموته شوكة الروم
قال ابن لهيعة ان مصر فتحت قبل فتح الاسكندريه
بتسعة اشهر وقد اختلف العلماء في فتحها عنوة او صلحا
قال ابن شهاب فتحت مصر بعضها عنوة وبعضها صلحا
وقال يزيد بن ابي حبيب مصر كلها فتحت بالصلح الا
الاسكندريه فانها فتحت عنوة
قال ابن عبد الحكم
لما ابطا خبر الفتح علي امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه كتب الي عمرو بن العاص كتابا يقول فيه اما بعد فقد
عجبت لابطائكم عن خبر الفتح منذ سنتين وقد اخبرنا رسول
الله صلي الله عليه وسلم ان مصر تفتح علي ايديكم وما ذاك الا
لما احدثتم واحببتم من الدنيا في قلوبكم وان الله تعالي
لا ينصر قوما الا بصدق نياتهم فاذا اتاك كتابي فاخطب
بالناس وحضهم علي القتال ورغبهم في الصبر وان تكون
لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال
من يوم الجمعة فانها ساعة تنزل فيها الرحمه ووقت
الاجابه فلما اتي كتاب عمر الي عمرو قراه علي المسلمين ثم صلي
ركعتين وسال الله تعالي النصر علي الاعداء وكان عمرو لما
اتاه كتاب امير المومنين عمر كان علي الاسكندريه يحاصرها
فلما قرا كتاب امير المومنين توجه الي القتال وكان ذلك في
يوم الجمعة مستهل المحرم سنه عشرين من الهجره فبرزوا
للقتال كصدمة رجل واحد فانتصروا علي الروم الذي هنالك من
عساكر

عساكر هرقل فلما فتحت الاسكندريه وكانت يومئذ
دار المملكه هرب الروم الذي كانوا بها وتسحبوا في
المراكب الكبار وحملوا ما قدروا عليه من الاموال ومن
الامتعة وتوجهوا الي نحو بلاد الروم وتاخر
منهم جماعه بالاسكندريه قال بن عبد الحكم احصي
من بقي بالاسكندريه من عساكر الروم غير من تسحب
منهم فكانوا نحو ثمانية الف انسان غير الصبيان وغير
النساء فافرضت عليهم الجزيه علي كل راس دينارين
وكان بها اربعين الف يهودي فرضت عليهم الجزيه
قال ابن لهيعة لما توجه عمرو ابن العاص الي
فتح الاسكندريه بعد فتح مصر فحاصر المدينة مده
طويله فلما اعيا من ذلك جاء اليه رجل يقال له بن
بسامه وكان بوابا بالاسكندريه فقال له ايها الامير
اعطني الامان لي ولاولادي واهل بيتي وانا افتح
لك العسكر بابا مخفي عن الناس من ابواب المدينة فيملكونها
من غير قتال فاجابه عمرو ابن العاص الي ذلك ففتح
له الباب فما شعر اهل المدينه الا وقد هجم عليهم
العسكر وملك المدينه فتسحب من كان بها كما تقدم وقد
اخذ له الله تعالي عساكر الروم حتي فتحت هذه المدينة
العظيمه وكانت في غاية التحصين قيل كان عليها ثلاثة
اسوار قال ابن عبد الحكم لما فتحت مصر والاسكندريه
فارسل عمرو ابن العاص يبشر امير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فتوجه بهذه البشارة معويه بن خديج
فسار حتي دخل المدينة الشريفة وقت الظهر فلما اخبر
امير المومنين بذلك فنادي بالصلاة جامعه فتسامعت
الصحابه بذلك واتوا افواجا فلما تكاملوا خرج امير المومنين
عمر وصلي بهم ركعتين شكرا لله تعالي علي ذلك ثم صلي بهم

[illegible] قال ابن لهيعة [illegible] في فتح الاسكندريه
[illegible] ابن الاسود وكان من مشاهير الصحابه

عدلاة الغيبة علي من استشهد في هذا الفتح من الصحابة
رضي الله عنهم وكان معني كتاب عمرو ابن العاص الي
امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اما بعد
فاني فتحت مدينة الاسكندرية وهي مدينة لا اقدر
ان اصف لك ما فيها وهي ثلث مداين بعضها فوق
بعض تختطف بالابصار من شدة بياض حيطانها وفيها
من الاعمدة الرخام ما لا يحصي عددهم وبها منار في
وسط البحر طوله نحو اربع ماية ذراعا وفي اعلاه مراة
مسلطة علي بلاد الفرنج ينظر الراي فيها ما يحدث في
بلاد الفرنج ومن يقصد المدينة من العدو وفي المراكب
فيخبر بذلك اهل المدينة قبل وصول المراكب اليها بايام
فيستعد لذلك وهذا المنار من جملة عجايب الدنيا
ليس في ساير الدنيا اعجوبة تشاكله وبها عمود يقال له
عمود السواري ارتفاعه سبعون ذراعا وقطره خمسة
اذرع وله قاعدتان طول كل واحدة اثنا عشرة ذراعا
ووجدت بالمدينة اربعة الاف دار محملة البناء مفروشة
بالرخام الملون وفي كل دار منها حمام تختص بها
ووجدت بها اربع ماية ملهي برسم الملوك ووجدت بها
اثني عشرة الف بقال يبيعون البقل الاخضر من بعد
العصر الي العشاء ووجدت بها ماية الف مركب من مراكب
الروم الكبار ووجدت بها اربعين الف يهودي وجب
عليهم الجزية ومن الروم والقبط ستماية الف انسان سوي
النساء والصبيان ووجدت علي هذه المدينة ثلثة
اسوار مانعة فاعان الله تعالي وفتحت هذه المدينة علي
ايدي المسلمين فلما جري ذلك ارسل امير المومنين عمر الي
عمرو ابن العاص تقليدا بولاية مصر علي يدي معوية بن
خديج فكان عمرو ابن العاص اول من تولي علي مصر في
مبتدا

وكان فتح مدينة الاسكندرية عنوة [illegible]

مبتداء الاسلام وهو اول امرايها ثم ان امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الي عمرو ابن
العاص كتابا يقول له فيه من كان من القبط والروم في
ايديكم فخيروه بين الاسلام ودينه فان اسلم فهو
من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه
فابقوه علي دينه وقرروا عليه في كل سنة دينارين
ثم ان معوية بن خديج اتي الي عمرو ابن العاص بكتاب
امير المومنين عمر وتقليدا له بولاية مصر **قال**
ابن عبد الحكم لما فتح عمرو ابن العاص الحصن وهو
المسمي الان قصر الشمع فكان فسطاطه قبالة الحصن
فلما اراد التوجه الي الاسكندرية امر بنزع الفسطاط
من ذلك المكان فلما ارادوا ذلك وجدوا اعليه عش
يمامة قد باضت به وافرخت فقال عمرو اتركوا
الفسطاط علي حاله احتراما لليمامة فلما فتح الاسكندرية
واراد التوجه الي الحصن فقالوا له اين ينزل العسكر
قال مكان الفسطاط يعني الخيمة التي تركها هناك
فلما بنا هناك المدينة فسميت مدينة الفسطاط بسبب
ذلك **قال** ابن عبد الحكم لما رجع عمرو ابن العاص من
الاسكندرية شرع في بناء مدينة تجاه قصر الشمع وكان هذا
الموضع يعرف بلد الحصاة فانشا هنالك دار الحكم فيها
بين الناس وسماها مدينة الفسطاط دار المملكة وهي
اول مدينة بنيت في الاسلام وكان اولها من كوم الجارح
واخرها عند الرصد وصارت تتزايد في العمارة من مبتدا الاسلام
الي ان انشا المعز القاهرة فتلاشي امر مدينة الفسطاط
قال الشيخ اثير الدين ابو حيان اول مدينة عرف
اسمها بارض مصر مدينة امسوس وكانت غربي الاهرام

يسكنها ملوك الجبابره فلما جاء الطوفان محا رسمها ونسي
اسمها ثم بعد الطوفان بنيت مدينة منف وصارت دار
المملكه يسكنها الفراعنه واخر من سكنها من الفراعنه
فرعون موسى عليه السلام الى ان خربها بخت نصر
ثم صارت دار المملكه الاسكندريه وسكن بها القبط
واخر من سكنها من القبط جريج المعروف بالمقوقس
وكان يصيف بمصر ويشتي بالاسكندريه فلما جاءت
دولة الاسلام وفتحت مصر فانشا عمرو ابن العاص
رضي الله عنه مدينة الفسطاط وصارت دار المملكه
الى ان جاء الامير احمد بن طولون فانشا مدينه من
عند حدره بن قميحه الى الجبل المقطم الى قناطر السباع
وسماها القطايع وصارت دار المملكه الى ان جاء جوهر
القايد من الغرب وانشا للمعز القاهره فصارت دار
المملكه وبنا بها قصر الزمرد وكان مكان دار الضرب
فلما زالت دولة الفاطميين وجاءت دولة الناصر صلاح
الدين يوسف بن ايوب فبنى قلعة الجبل وبنا سور
القاهره بالحجر الفص فصارت قلعة الجبل دار المملكه
عصرا الى يومنا هذا **قال** ابن عبد الحكم لما استقر
عمرو ابن العاص بمدينة الفسطاط جمع الاقباط وقال
لهم من كان عنده كنز وكتمه عني ضربت عنقه
فقيل له ان شخصا من الاقباط يقال له بطرس
عنده كنز عظيم فارسل خلفه فلما حضر بين يديه
قال له بلغني ان عندك كنزا فاحضره فانكر بطرس
ذلك فامر عمرو بسجنه فسجن اياما ثم ان عمرو قال
للموكلين به هل تسمعون منه يذكر احدا من اصحابه
في

في هذه المده قالوا نعم سمعناه يسال عن راهب
في الطور فارسل عمرو الى بطرس وهو في السجن
يامره بان ينزع خاتمه من اصبعه ويرسله اليه
فارسل اليه بالخاتم الذي كان في اصبعه فاخذ
عمرو وارسله الى ذلك الراهب الذي في الطور
عن لسان بطرس وهو يقول له ارسل لي الوديعه
التي عندك صحبة حامل هذا الخاتم بسرعه فلما راى
الراهب خاتم بطرس عرفه فلم يشك في ذلك
الاماره بانها صحيحه فارسل على يد حامل الخاتم
حقه مختومه بالرصاص فلما حضرت بين يدي عمرو
فتحها فوجد فيها صحيفة مكتوبا فيها ان الاموال
التي وجدت في كنوز فرعون تحت الفسقيه الكبيره
التي في قصر الشمع فتوجه عمرو الى قصر الشمع فوجد
الفسقيه المذكوره ملاء بالماء فصرف عنها الماء
فوجد ارضها مرخمه بالرخام الابيض فقلع ذلك
الرخام فوجد مخباه فيها ذهب دنانير مسكوبه
كالعرمه القمح فنقله بالقفاف الى داره ثم انه اكتاله
بالربع فاذا هو اثنان وخمسون اردبا هكذا نقله
ابراهيم بن وصيف شاه في اخبار مصر ثم ان عمرو
احضر بطرس بين يديه وضرب عنقه بحضرة
جماعه من الاقباط فلما راوا ذلك صار كل من كان
عنده كنز احضره بين يدي عمرو ولا صار مثل
بطرس انتهى ذلك **قال** ابن نصر المصري كان
على باب قصر الشمع صنم من نحاس اصفر على خلقة
الجمل وعليه شخص راكب وهو في زي العرب وعلى

راسه عمامه وفي رجليه نعلان من جلد فكانت
القبط والروم اذا تظالموا واعتدي بعضهم علي بعض
يقفوا بين يدي ذلك الصنم ويقول المظلوم للظالم
ان لم تنصفني قبل ان يجي هذا الرجل الاعرابي فياخذ
الحق لي منك ان رضيت او لم ترضي يعنون بالراكب علي
الجمل عن النبي صلي الله عليه وسلم فلما فتح عمرو ابن العاص
مصر اخفت القبط ذلك الصنم لئلا يكون حجة عليهم
قال ابن عبد الحكم كان بالاسكندريه بابا لانزال
مغلقا دايما وعليه اربعه وعشرين قفلا فعزم
المقوقس علي فتحه فنهوه عن ذلك القساقسه
والرهبان وقالوا له لا تفتح هذا الباب واجعل عليه
قفلا كما فعل من تقدمك من ملوك القبط فلم ينتهي
عن فتحه فقالوا له الرهبان نحن نعطيك من المال
ما خطر ببالك ان في هذا المكان منه ولا تفتحه فلم يسمع
لهم شيا وفتحه فلما دخل فيه فلم يجد به شيا من المال
وراي علي حيطان الحايط منقوشا هيئة تصاوير العرب
وهم علي خيولهم بعمايمهم وسيوفهم في اوساطهم
وهم علي الخيل والابل وراي تحت هذه الصور كتابه
بالقلم القديم فاحضر من قرا ذلك الخط فاذا معناه اذا
فتح هذا المكان في اخر الزمان تملك العرب المدينه في السنة
التي يفتح فيها وكان الامر كذلك وملكوا العرب المدينه في
تلك السنه وكان كل من ملك الاسكندريه يجعل علي ذلك
الباب قفلا وهذه الاقفال بعدد من ملك الاسكندريه من
الملوك انتهي قال ابن لهيعه لما فتحت الاسكندريه
احتال جماعه من الروم المستعربه واتوا الي عمرو ابن العاصي
رضي الله عنه واحضروا معهم كتابا بخط قديم فاذا فيه مكتوب
ان

وقيل فليبش
[illegible]
[illegible]

ان اموال الاسكندر بن فليبش المجدوني الرومي تحت
المنار التي بالمدينه عند النصف من بنايته فحسنوا لعمرو
بن العاصي ان يهدم المنار الي نصفه وياخذ الاموال التي
فيه ثم يعيد بناء المنار الي ما كان عليه فامر عمرو بهدم
المنار وقلع المراة التي كانت به فلما هدموه الي مقدار
ثلثه فلم يجدوا فيه شيا من المال فطلب الجماعه الذي
ذكروا له ذلك فلم يجدهم وقد هربوا تحت الليل
وتمت حيلتهم علي عمرو ابن العاص وعلم انها خديعه
من الروم ثم شرع عمرو في بناء ما هدم من المنار
ووضع المراه كما كانت اولا فبطل فعلها من حينيذ وكان
من شان هذه المراة اذا دنا من المدينه عدو يقابلوا
بهذه المراه عين الشمس ويستقبلون بها سفن العدو
فيقع شعاع الشمس علي المراة فتحترق السفن وهي في البحر
ويهلك من فيها من العدو وكانت هذه المراه يري فيها
ما يحدث في القسطنطينيه من الحوادث حتي يري فيها
المراة وهي تحلب البقره وغير ذلك فبطل فعلها من يومئذ
وكانت من جملة عجايب الدنيا انتهي ذلك ثم دخلت سنة
احدي وعشرين من الهجرة فيها ارسل عمرو ابن العاص
المقداد بن الاسود رضي الله عنه الي مدينة دمياط
فحاصر اهلها بمن معه من العساكر حتي فتحها وكان بها
شخصا من القبط يقال له الهاموك وكان خال المقوقس
وكان للهاموك ولد يسمي شطا فاسلم واتي الي المقداد
بن الاسود ودله علي مكان دخل منه الي المدينه حتي
ملكها ومات شطا في المعركة ليلة النصف من شعبان سنة
احدي وعشرين ودفن خارج دمياط وقبره يزار الي
الان رحمة الله عليه وقد نقلت منه اخبار عند فتح
مدينة دمياط انتهي ذلك ذكر ما كان من اخبار

المقوقس بعد فتح الإسكندرية قال ابن لهيعة
لما فتحت الإسكندرية كان المقوقس بها فأرسل يطلب
الأمان من عمرو فأرسل له أماناً وصار المقوقس
يؤدي الجزية عنه وعن أولاده وعياله ويحضر
مجالس عمرو ابن العاص فقال له عمرو يوماً يا مقوقس
لقد وليت على مصر أحدى وثلثين سنة فاخبرني
بما يكون فيه عمارة أراضي مصر فقال له المقوقس
أني رأيت الذي يقوم بعمارة أراضي مصر حفر
خلجانها وإصلاح جسورها وسد ترعها ولا يؤخذ
خراجها إلا من غلالها ويجري على عمالها من المطل
ويمنعهم من أخذ الرشاء وترفع عن أهلها المعاون
والهدايا ليكون ذلك قوة للمزارعين على وزن
الخراج وكان بها على زمن فرعون أربع مائة الف الف
وثمانين الف الف حراث يلازمون العمل بها دائماً
وكان بها مائة الف الف وعشرين الف مزارعاً
يتفرقون في البلاد قبلي وبحري وقد ضبطت مسا
حتها في زمن القبط عند تلاشي أمرها بالنسبة الى
ما كانت عليه في زمن الفراعنة فكانت مائة الف الف
وثمانين الف الف فدان تزرع غير البور وكان جملة
خراجها في زمن الفراعنة الف الف دينار بالدينار
الفرعوني وهو ثلثة مثاقيل من مثقالنا الآن انتهى
قال ابن عساكر في تاريخه عن سفين بن وهب
الخولاني قال بينما نحن نسير في فناء مصر مع عمرو
ابن العاص وكان المقوقس راكباً معه فالتفت اليه
عمرو وقال له يا مقوقس ما بال جبلكم اقرع ليس
به نبات ولا شجر كجبال الشام فقال له المقوقس ما
أدري ولكن أغنى الله تعالى أهل مصر بهذا النيل

نما بزرع

عما يزرعون عليه ولكنا نجد في كتبنا ما هو خير من
ذلك قال ما هو قال ليدفن تحته قوم يبعثهم
الله تعالى يوم القيامة لا حساب عليهم فقال
عمرو اللهم اجعلني منهم فقبر فيه قال ابن لهيعة
قبر تحت الجبل المقطم من أعيان الصحابة خمسة وهم
عقبة بن عامر الجهني وعبد الله بن حذافة السهمي
وعبد الله بن الحارث الزبيدي وابو بصرة الغفاري
وعمرو ابن العاص رضي الله عنهم أجمعين قال ابن
عبد الحكم واستمر المقوقس مقيماً بالكنيسة المعلقة
حتى هلك في أيام عمرو ابن العاص وكان عمرو يكرمه
ويقبل شفاعته في الأقباط وكان المقوقس يحضر الى
عمرو اذا كانت له حاجة فيقضيها له انتهى ذلك
ثم دخلت سنة اثنين وعشرين من الهجرة فيها
شرع عمرو ابن العاصي في بناء جامعه الكبير الذي بالقرب
من قصر الشمع بمصر العتيقة قال الليث بن سعد رضي
الله عنه لما فرغ عمرو ابن العاصي من بناء مدينة الفسطاط
شرع في بناء الجامع المعروف به وهو أول جامع بني في
الإسلام بمصر وكان مكان أرضه أشجار وبساتين نحو
ذلك وبنا هذا الجامع وكان طوله أولاً نحو خمسين ذراعاً
في عرض ثلثين ذراعاً قال ابن فضل الله في
المسالك لما وضع عمرو قبلة هذا الجامع كان واقفاً عليه
نحو ثمانين رجلاً من الصحابة فلما اتخذ المنبر جعله عالياً
فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغني انك قد
اتخذت منبراً عالياً ترقى به على رقاب المسلمين فعزمت
عليك الا ما كسرته قال ابن عبد الحكم لما بنا عمرو هذا
الجامع جعل الى جانبه داراً وسماها دار أمير المؤمنين

مسا

بناء عمرو ابن العاص هو أول من اختط الفسطاط ... قبل ذلك دار الحديث ...

فلما بلغ أمير المؤمنين ذلك كتب الي عمرو وهو يقول له
بلغني أنك بنيت لي دارا وأني لرجل بالحجاز افيكون لي
دار بمصر فعزمت عليك بالله الا ما جعلتها سوقا
للمسلمين فامتثل عمرو ذلك وجعلها سوقا يباع فيه الرقيق
وهي تسمى الي اليوم دار البركه قال ابن عبد الحكم لما
ولي مسلمة بن مخلد الانصاري علي مصر زاد في بناء هذا
الجامع وبنا به المنار فلما ولي عبد العزيز بن مروان هدم
هذا الجامع ووسعه فلما ولي قره بن شريك العبسي هدمه
وبناه وزخرفه وذهب رؤوس العمد الذي به فلما ولي
عبد الله بن طاهر زاد في عرضه باذن المامون وادخل
فيه الدور التي حوله فلما كان ايام خمارويه بن احمد بن
طولون احترق هذا الجامع كله وذلك سنة خمس وسبعين
ومائتين فاستمر علي ذلك الي ايام الفاطميين فبناه الحاكم
بامر الله وزخرفه وجعل فيه تنور فضة زنته مائة
الف درهما وجعل لعمودي المحراب اطواق فضه
وكان به الف ومائتين مصحفا وجعل لطوله اثنان
واربعون الف ذراعا وعرضه ثمانيه وعشرون الف
ذراعا بالعمل وجعل له ثلاثة عشرة بابا وكان له
راتب من الزيت في كل شهر احد عشر قنطارا ويوقد فيه
في كل ليلة عشرة الاف فتيلة وكان به اربعين حلقة لاقراء
العلم والتدريس ولما قدم الامام الشافعي الي مصر جلس
فيه لتدريس العلم وكان في صحن هذا الجامع فواره تغلب
في فسقية يصل اليها الماء من بحر النيل فامر القاضي تاج
الدين بن بنت الاعز بابطالها لما فيها من الضرر علي
جدران الجامع فبطلت من سنة ثمان وستين وخمسمائه وفي
الجملة انه جامع مبارك لا يخلوا من ولي صالح قط انتهى
ثم

ثم دخلت سنة ثلث وعشرين فيها جاءت جماعة
من الاقباط الي عمرو ابن العاص وقالوا له ايها الامير
ان لنيلنا سنة في كل سنة لا يجري الا بها فقال لهم
وما هي قالوا اذا كان اثنا عشرة ليلة تخلوا من
بؤنه من الشهور القبطية عمدنا الي جارية بكر واخذناها
من ابويها غصبا وجعلنا عليها الحلي والحلل ثم نلقيها
في بحر النيل في مكان معلوم عندنا فلما سمع عمرو بذلك
قال هذا لا يكون في الاسلام ابدا فاقاموا اهل مصر بؤونه
وابيب ومسري وتوت لم يجري فيها النيل لا كثيرا ولا
قليلا فلما عاينوا اهل مصر ذلك هموا بالجلاء منها فلما راي
عمرو ابن العاص ذلك كتب كتابا وارسله الي امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما وصل اليه وعلم ما فيه
كتب بطاقة وارسلها الي عمرو ابن العاص وامره ان
يلقيها في بحر النيل فلما وصلت اليه البطاقة فتحها وقراء
ما فيها فاذا فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد
الله عمر بن الخطاب الي نيل مصر اما بعد فان كنت تجري
من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي
يجريك فنسال الله الواحد القهار ان يجريك فلما وقف
عمرو علي البطاقة القاها في النيل قبل عيد الصليب بيوم
واحد فاجري الله تعالي النيل في تلك الليلة ستة عشر
ذراعا في دفعة واحده وقد تهياء اهل مصر للجلاء
منها لان النيل هو عمارة مصر فلما عاينوا اهل مصر ذلك
فرحوا بابطال تلك السنة السيئة عنهم وذلك ببركة
امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد وقع
له من الكرامة ما وقع لموسى عليه السلام بمثل هذه الواقعة
بعينها قال ابن وصيف شاه ان حاجب الصدفي هو

وعيد الصليب سابع عشر توت

الذي قرأ بطاقة عمر بن الخطاب علي النيل فزاد باذن
الله تعالي ستة عشر ذراعا في تلك الليلة وفيها
اعني سنة ثلث وعشرين توفي ابو مالك الاشعري
واسمه كعب بن عاصم شهد فتح مصر وكان من مشاهير
الصحابة رضي الله عنه وفيها توجه عمرو ابن العاص
الي المدينة الشريفة ليزور امير المومنين عمر بن الخطاب
تزاره ووجه الي مدينة الفسطاط ثم دخلت سنة اربع
وعشرين فيها جاءت الاخبار بوفاة امير المومنين
عمر بن الخطاب رحمة الله عليه فحزن عليه عمرو ابن
العاص حزنا شديدا وجلس للعزاء قال ابن عبد
الحكم عاش امير المومنين عمر بن الخطاب بعد فتح مصر
ثلاث سنين ثم دخلت سنة خمس وعشرين فيها
عزل الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه عمرو ابن
العاص عن ولاية مصر وولي عبد الله بن ابي سرح
علي مصر فكانت مدة ولاية عمرو ابن العاص علي مصر
هذه المدة نحو ست سنين الا شهرا وسيعود
الي ولاية مصر ثانيا كما سياتي ذكر ذلك في موضعه
وهو اول من جبا خراج مصر في الاسلام وقد بلغ
خراج مصر في ايامه اثني عشر الف الف دينار انتهي

ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن ابي سرح بن
الحارث القرشي العامري رضي الله عنه وقيل

كان اسمه حسام وقيل عويف قال الكندي
كان عبد الله هذا اخا الامام عثمان بن عفان من
الرضاع وكان من جملة كتبة الوحي نقل الشيخ
جلال الدين الاسيوطي ان عبد الله هذا اسلم قديما
ثم افتتن وخرج من المدينة الي مكة فارتد الي دينه

فلما

فلما فتح رسول الله صلي الله عليه وسلم مكة فاهدر دمه
فجاء عثمان بن عفان الي النبي صلي الله عليه وسلم وقال
انه اخي من الرضاع فاستامن له فامنه رسول الله
صلي الله عليه وسلم وسال له المبايعة ثانيا فبايعه
رسول الله صلي الله عليه وسلم ثانيا وقال الاسلام
يهدم ما كان قبله فلما ولي الامام عثمان الخلافة
ولي عبد الله ابن ابي سرح علي مصر فلما ولي اظهر له
نتيجة في خراج مصر واورد اربعة عشر الف
الف دينار فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعمرو
ابن العاص درت اللقحة بعدك يا ابا عبد الله عن
ما كنت من درها الاول فقال عمرو نعم ولكن اجاعت
اولادها وان هذه الزيادة التي اخذها عبد الله
بن ابي سرح انما هي علي الجماجم فانه اخذ علي كل
راس دينارا خارجا عن الخراج فحصل لاهل مصر بسبب
ذلك الضرر الشامل وكانت هذه اول شدة وقعت
لاهل مصر في مبتدا الاسلام وفي ايامه توفي قاضي
مصر عثمان بن قيس بن ابي العاص فولي بعده بمصر القاضي
ابو خزيمة واستمر قاضيا بمصر حتي توفي سنة اربع وخمسين
من الهجرة وفي ايامه توفي المقداد بن الاسود رضي الله
عنه وليس الاسود اباه وانما تبناه الاسود بن عبد يغوث
وهو صغير فعرف به واسم ابيه عمرو ابن ثعلبة الكندي وكان
المقداد ممن شهد فتح مصر وفتح دمياط ثم توجه الي المدينة
الشريفة فمات بها سنة ثلث وثلثين رحمة الله عليه وتوفي
في ايامه من الصحابة ايضا شرحبيل بن حسنة شهد فتح مصر
ومات سنة ثمان وعشرين ومن الحوادث في ايام عبد
الله بن ابي سرح قال ابن لهيعة لما كانت سنة

وفيها توفي حاطب بن ابي بلتعة [illegible] ... وكان من [illegible] مصر [illegible]

وكان اسم [illegible] مطلع الكندي [illegible] بالشام

خمس وثلاثين مشت الروم الى قسطنطين بن هرقل
وقالوا له أتترك الاسكندرية في ايدي العرب وهي
مدينتنا الكبرى فجمع قسطنطين العساكر واشحن منهم
الف مركب وقصد التوجه الى الاسكندرية فبينما هو في
وسط البحر بعث الله تعالى عليهم ريحا عاصفا فغرق
تلك المراكب عن آخرهم واما قسطنطين بن هرقل فان
الريح القته بصقلية فسأله ولاة اهلها عن امره فاخبرهم
بأمر الريح وتغريق المراكب بالجيوش فقالوا له اهلكت
صقلية افنيت النصرانية واغرقت رجالها فلو ان
العرب دخلت علينا لم نجد من يردهم ثم انهم قتلوا
قسطنطين وكفى الله المؤمنين القتال كما قيل في المعنى
ان عقل الفرنج عقل خفيف ... حيث راموا قتالنا والنزالا
أخذوا بغتة بغير قتال ... وكفى الله المؤمنين القتالا
ثم دخلت سنة ست وثلاثين فيها توفي عبد
الله بن ابي سرح امير مصر قيل مات بفلسطين ودفن
بها رحمة الله عليه فكانت مدة ولايته على مصر
نحو اثني عشرة سنة ثم تولى بعده
قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الانصاري الامير رضي
الله عنه وكان من اعيان الصحابة فاقام على ولايته
مصر نحو سنة ومات ثم تولى بعده الامير مالك
بن الحرث بن الاشتر النخعي من مشاهير الصحابة
تولى مصر في ايام الامام علي رضي الله عنه فاقام
مدة يسيرة ومات وقيل انه مات مسموما من
عبده فلما بلغ الامام علي موته حزن عليه حزنا
شديدا وقال لقد كان لي كما كنت لرسول الله
صلى

(أقول) في هذه السنة أعني سنة ست وثلاثين فيها [illegible] عبد الله بن [illegible] قيس [illegible] مصر [illegible] من مشاهير الصحابة [illegible] بالشام [illegible] توفي عبد الله بن [illegible] قيس بن عدي القرشي

صلى الله عليه وسلم ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين فيها في نحو
تولى على مصر الامير محمد بن الامام ابي بكر رضي الله
عنه قال ابن وصيف شاه لما تولى الامير محمد على مصر
ثارت عليه الشيعة بسبب ثار الامام عثمان بن عفان
رضي الله عنه فانهم نسبوا الامير من جملة من تعصب
على الامام عثمان رضي الله عنه فلما دخل مصر ثار عليه
معوية بن خديج ومسلمة بن مخلد وبشر بن ارطاة
وغير ذلك من الشيعة اتوا من الشام ودخلوا مصر وحاربوا
الامير محمد وكان مع صغر سنه شجاعا بطلا فقاتلهم
هو واخوه عبد الرحمن قتالا لا شك به فلما قووا عليهم
الشيعة تفرق عنهما العساكر الذي كانوا معهما فانكسر الامير
محمد واخيه عبد الرحمن وهرب الامير محمد واختفى في
بعض الخربات فلما حتوا الشيعة في طلبه قالت لهم عجوز
من عجايز الفسطاط اتريدون الامير محمد بن ابي بكر
قالوا نعم قالت أتعطوني الامان لاخي وانا ادلكم
على مكانه قالوا نعم قد اعطينا الامان لاخيك وكان
اخوها يبيع الغلة بمدينة الفسطاط فدلتهم على مكانه
فلما دخلوا عليه وجدوه قد كده العطش فقال لهم
بالله اسقوني شربة من الماء فقال له معوية بن خديج
لا سقاني الله ان سقيتك انسيت منعك الماء لعثمان
وهو في الدار فقال اكرموني لاجل ابي بكر فقال له معوية
بن خديج لا اكرمني الله ان اكرمتك ثم تقدم اليه معوية
بن خديج وضرب عنقه بالسيف ثم ادخل جثته في جوف
حمار واحرقه كما زعموا وانا استغفر الله العظيم من ذلك
وكانت قتلته في رابع عشر صفر من سنة ثمان وثلاثين وكانت
مدة ولايته على مصر خمسة اشهر وكان مولد الامير محمد عام

حجة الوداع وكان له من العمر لما قتل ثمانيه وعشرون سنه
ومات ابوه ابو بكر وله من العمر نحو سنتين ونصف قال
ابن وصيف شاه لما قتل الأمير محمد أخذ راسه وجثته
زمام الخادم ودفنه خارج مدينة الفسطاط وبني هناك
مسجدًا وهو الي الآن يعرف بمسجد زمام يزوره الناس
قال الكندي لما قتل الأمير محمد أرسلت اخت معويه
بن خديج الي عايشه بنت ابي بكر رضي الله عنه بخروف
مشوي وقالت لها هكذا شوي اخوك محمد بمصر فحلفت
عايشه يمينًا أنها لا تاكل الشوي قط حتى تلقا الله تعالي
فما اكلته بعد ذلك ابدًا انتهي فلما قتل الأمير محمد أعيد بعده
الأمير عمرو ابن العاصي رضي الله عنه وذلك في خلافة
معاويه بن أبي سفيان سنة ثمان وثلثين واستمر في هذه
الولاية حتي مات ودفن بمصر وفي أيامه توفي عباده
بن الصامت رضي الله عنه وعاش عباده اثنان وسبعون
سنه وكان من مشاهير الصحابه وفي أيامه سنة تسع وثلثين
توفي أبو سلمه الناسك قاضيًا بمصر وكان من المجتهدين وهو
أول من أسجل سجلًا بمصر في مواريث وهو أول من قصّ
بمصر وكان يختم في كل ليلة ثلاث ختمات فاقام قاضيًا
بمصر حتي توفي بدمياط سنة خمس وسبعين من الهجرة وكان
من التابعين وفي أيامه توفي معيقيب رضي الله عنه
وذلك سنة أربعين من الهجرة وهو معيقيب بن ابي
فاطمه الدوسي وكان خازن بيت المال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم شهد فتح مصر وكان من مشاهير الصحابة ثم دخلت
سنة ثلث وأربعين فيها مرض الأمير عمرو ابن العاصي
وسلسل في المرض فلما أشرف علي الموت أحضر ما كان
جمعه من اموال القبط لما فتح مصر وقال لولده عبد الله
وكان يقارنه في السن حتي قيل كان بين مولد عمرو ابن
العاصي وبين مولد ولده عبد الله نحو ثلثة عشرة سنه فقال

له اذا انا مت فارد هذه الأموال التي جمعتها الي
اصحابها فلما مات الأمير عمرو سمع بها معويه فارسل
أخذها وقال نحن احق بهذه الأموال لدفع
العدو فاخذها وادخلها في بيت المال قيل لعبد الله
بن عمرو ما كان قدر ذلك المال قال كان سبعين
جرابًا من جلد ثور كامله وكانت وفاة الأمير عمرو
59 بن العاصي في ليلة عيد الفطر سنة ثلث واربعين فلما
كان يوم العيد أخرج نعشه الي الجامع ووضع في
المحراب حتي تكامل الناس فصلوا صلاة العيد ثم صلوا
عليه وحمل الي مقابر الفسطاط ودفن علي طريق الحاج
وقيل بل دفن في سفح الجبل المقطم رحمة الله عليه وكانت
مدة حياته خمسه وتسعين سنه وكانت مدة ولايته
علي مصر أولًا وثانيًا احدي عشرة سنه واشهرًا انتهي
قيل لما بلغ عبد الله بن الزبير وفاة الأمير عمرو ابن
العاصي أنشأ يقول
الم تر أن الدهر اخنت ريوبه علي عمرو السهمي تجبي
له مصر
فاضحي نبيذًا بالعراء وضلت مكايده عنه واموالة
الدثر
ثم ان معويه أرسل تقليدًا الي عبد الله بن عمرو بولاية
علي مصر عوضًا عن أبيه قال الواقدي أقام عبد الله
علي ولاية مصر بعد أبيه دون السنه وعزل عنها ثم
تولي بعده الأمير عتبه بن أبي سفيان أخو أمير المؤمنين
معويه فلما ولي علي مصر أقام بها دون السنه ومات بها
ثم تولي بعده الأمير عقبه بن عامر الجهني صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورديفه وهو الذي تسند
اليه الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي

علي مصر سنة أربع وأربعين من الهجرة وأقام بها
الي أن أستشهد يوم النهروان رحمة الله عليه
ودفن بالقرافة الكبري فكانت مدة ولايته
علي مصر سنتين وثلاثة أشهر انتهي ذلك ثم تولي
بعده الأمير معوية بن خديج السكوني التجيبي رضي
الله عنه فاقام بها الي سنة خمسين من الهجرة وعزل
عنها وفي ايامه توفي المغيرة بن شعبة بن ابي عامر
دخل مصر في الجاهلية واجتمع بالمقوقس صاحب مصر
ثم رجع فأسلم عام الخندق وعاش نحو سبعين سنة
ثم توفي في ايام معوية هذا في رمضان سنة خمسين من
الهجرة ومعوية هذا ممن شهد فتح مصر وعاش الي سنة
اثنين وخمسين ومات بمصر ثم تولي بعده الأمير
مسلمة بن مخلد الأنصاري رضي الله عنه وهو الذي
جدد بناء جامع عمرو ابن العاصي واوسع فيه وبنا به المنار
وفي ايامه توفي أبو موسي بن عبادة الغافقي خادم
رسول الله صلي الله عليه وسلم شهد فتح مصر ومات سنة
ثمان وخمسين في ايام مسلمة هذا رحمة الله عليه وفي ايامه
قدم أبو هريرة الي مصر وأقام بها وكان أسمه عبد
الرحمن بن صخر وقيل مات بمصر ودفن بالجيزة وفيه
أختلاف توفي في سنة تسع وخمسين من الهجرة وفي ايامه
توفي عايذ بن ثعلبة بن وبرة الكلبي شهد فتح مصر وكان
من مشاهير الصحابة أستشهد بالبرلس سنة ثلث وخمسين
وفي ايامه توفي ثوبان بن بجدد شهد فتح مصر وكان من
مشاهير الصحابة قال أبن كثير توفي بمصر سنة أربع وخمسين
وفي هذه السنة اعني سنة أربع وخمسين توفي خالد بن
ثابت بن طاعن شهد فتح مصر وكان من مشاهير الصحابة
مات بافريقية سنة أربع وخمسين ومن النكت اللطيفة
قال أبن لهيعة خرج وردان بن عبد الأمير مسلمة بن
مخلد

مخلد فمر علي عبد الله بن عمرو ابن العاصي فقال له الي
اين تقصد قال ارسلني الأمير مسلمة الي منف لأفحص له
عن كنوز فرعون فقال له عبد الله بن عمرو ارجع
اليه وقل له ان كنوز فرعون ليست لك ولا لاصحابك
وانما هي تظهر في أخر الزمان للحبشة يأتون في السفن
يريدون مدينة الفسطاط فيسيرون الي منف وينزلون
بها فتظهر لهم كنوز فرعون فياخذون منها ما يقدرون
علي حمله ويسيرون الي بلادهم ثم يرجعون لأخذ ما بقي
من الكنوز فيخرج عليهم المسلمون ويقتتلون معهم فتظهر
عليهم المسلمون ويأسرونهم اعني اخذهم حتي ان الحبشي
منهم ليباع بالكساء الذي عليه ولا يجد من يشتريه من الناس
لكثرتهم انتهي واستمر مسلمة بن مخلد في ولايته علي مصر
الي ان مات في خلافة يزيد بن معوية في ذي القعدة سنة
اثنين وستين فكانت مدة ولايته علي مصر ثمان
سنين واشهر وفي ايامه توفي جزهل بن خويلد شهد
فتح مصر ومات بها سنة احدي وستين وكان من
مشاهير الصحابة روي الطبراني انه اكل بيده الشمال
بحضرة رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له كل باليمين
فقال انها مصابة يا رسول الله فتفل عليها رسول الله
صلي الله عليه وسلم فما شكي بها بعد ذلك حتي مات انتهي
ثم دخلت سنة اثنين وستين فيها تولي علي مصر
الأمير ~~علقمة~~ سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدي فلم تطل
ايامه وكانت مدة ولايته بمصر دون السنتين وعزل
عنها فلما ولي عبد الله بن الزبير الخلافة بعد موت
يزيد بن معوية فاستناب علي مصر عبد الرحمن بن جحدم
القرشي رضي الله عنه فاقام بها مدة سنتين ووثب عليه مروان
بن الحكم الأموي فقاتل عبد الرحمن فانهزم وهرب نحو

الصعيد وملك مروان مصر وولي بها ابنه عبد العزيز

ذكر ولاية عبد العزيز بن مروان بن الحكم علي مصر قال

بن عبد الحكم تولي عبد العزيز بن مروان علي مصر سنة خمس وستين من الهجرة فلما تولي علي مصر جاءت الأخبار من دمشق بوفاة والده مروان وولاية عبد الملك اخو الأمير عبد العزيز وكانت وفاته في شهر رمضان سنة خمس وستين وفي أيام عبد العزيز سنة ثلث وسبعين توفي عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه وكان من مشاهير الصحابة وفي أيامه سنة ثمان وسبعين توفي كثير بن أبي كثير الأزدي كان من مشاهير الصحابة توفي بمصر ودفن بها وفي أيامه سنة ست وسبعين توفي زهير بن قيس البلوي أبو شداد رضي الله عنه شهد فتح مصر ثم قتل في بعض الغزوات في السنة المذكورة وكان من مشاهير الصحابة وفي أيامه سنة ثلث وسبعين أستشهد عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه بمكة وفي أيامه سنة ثمانين توفي جنادة بن أمية شهد فتح مصر وكان من مشاهير الصحابة وفي أيامه سنة أربع وثمانين توفي عتبة بن الندر السلمي رضي الله عنه شهد فتح مصر وكان من مشاهير الصحابة وفي أيامه سنة خمس وثمانين توفي عبد الله بن الحارث الزبيدي رضي الله عنه شهد فتح مصر وكان من مشاهير الصحابة وفيها توفي بشر بن أبي أرطاة رضي الله عنه شهد فتح مصر وكان من مشاهير الصحابة رحمة الله

ثم دخلت سنة ست وثمانين فيها وقع الطاعون بمدينة الفسطاط وهو أول طاعون وقع في الإسلام بمصر في زمن الصحابة فلما تزايد أمر الطاعون خرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط وتوجه الي حلوان وهي من قري مصر فاقام بها مدة وقيل ولد بها ابنه عمر العبد الصالح الذي ولي الخلافة في زمن الأموية فلما أقام بحلوان فكانت الأخبار

تاتي

تاتي اليه في كل يوم من الفسطاط الي حلوان بما يحدث في البلد من أمر الموت وعدة من يموت بها وغير ذلك **قال** ابن عفير لما كان الأمير عبد العزيز بحلوان كان له في كل ليلة ألف جفنة تصف حول داره وهي ملآنة بالطعام تفرق علي الفقراء والمساكين ومعها الخبز وكان له في كل ليلة مائة جفنة كبيرة تحمل علي عجل وفيها الطعام تفرق علي قبايل العرب التي حوله واستمر علي ذلك حتي طعن تحت أبطه فلما كان ليلة الاثنين ثاني عشر جمادي الأولي سنة ست وثمانين توفي الأمير عبد العزيز بن مروان أمير مصر توفي بحلوان فلما أصبح الصباح حمل في نعش من حلوان الي مدينة الفسطاط وقد تغيرت رائحته فكان حول نعشه مجامر النار وهي مطلوقة بالبخور حتي دخل الي الفسطاط ودفن بها رحمة الله عليه **وفيه يقول نصير الشاعر**

أين رب القصر النظير الذي شيد ... وأين العبيد والأجناد
أين تلك الجموع والأمر والنهي ... وأعوانهم وأين السواد

فكانت مدة ولاية الأمير عبد العزيز بن مروان علي مصر عشرين سنة حتي مات انتهي **قال** ابن كثير وفي أيام الأمير عبد العزيز بن مروان توفيت عزة بنت جميل بن عمرو الضمري ماتت في هذا الطاعون سنة ست وثمانين وكانت من أحسن النساء وجها وأفصحهم لسانا وأحفظهم لكلام العرب وهي معشوقة كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر شاعر الإسلام وقد افتتن بحب عزة حتي ضرب به المثل وله فيها القصايد السنية **فمن ذلك قوله فيها**

وسعي الي بصرم عزة نسوة ... جعل الاله وجوههن نعالها

الله يعلم لو جمعن وعزة • لاخترت قبل تاء هلي غثالها
ولو ان عزة حاكمت شمس الضحي • في الحسن عند ماء مر
لقضي لها •
قيل كان لكثير غلام خرج في تجارة له فلما دخل مصر
أتت اليه امراة تطلب منه ثيابا فوقفت عليه وهي لا
تعرف انه غلام كثير فابتاعت منه لعزة ثيابا ولم
تدفع له الثمن وكان الغلام يتردد الي بيت عزة
بسبب المطالبة وقد مطلته فانشد ذات يوم قول
مولاه كثير • فقضي كل ذي دين ووفي غريمه • وعزة
ممطول معني غريمها •
فقالت له المراة التي ابتاعت منه الثياب أتعرف عزه
التي قيل فيها ذلك قال لا قالت هي صاحبة هذه
الدار التي ابتاعت منك الثياب فقال الغلام وانا غلام
كثير وانا اشهد الله ان الثياب التي ابتاعتهم مني لا اخذ
لهم ثمنا فلما مضي الغلام الي كثير واخبره بما جري له
مع عزه فقال له كثير وانا اشهد انك حر لوجه الله
تعالي وما بقي معك من المال فهو لك جزاء لما صنعت
من ذلك قال ابن كثير ان اخت عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه قالت لعزه ما معني قول كثير قبل •
قضي كل ذي دين ووفي غريمه • وعزة ممطول معني
غريمها •
ما كان هذا الدين قالت عزه لقد وعدته بقبلة ولم
انجزها له فقالت اخت عمر بن عبد العزيز وكانت من النسا
العابدات الصالحات انجزيها له وعلي اثمها ثم انها اعتقت
اربعين جارية لاجل قولها وعلي اثمها انتهي فلما بلغ كثير
موت عزه اتي الي مصر وزار قبر عزه وبكا عنده
ورثاها

ورثاها بقصايد سنية قيل لما ماتت عزه تغير شعر
كثير بعدها فقال له قايل ما بال شعرك قد قصرت
فيه فقال ماتت عزه فلا اطرب وذهب الشباب فلا
أعجب ومات عبد العزيز بن مروان فلا ارغب واستمر
كثير بعد عزه في ذهول حتي مات سنة سبع وماية
ودفن بمصر وقيل مات سنة خمس ماية انتهي ذلك
ثم تولي بعد الأمير عبد العزيز الأمير عبد الله بن
عبد الملك بن مروان فاقام علي ولاية مصر شهرا وعزل
عنها قال الليث بن سعد رضي الله عنه كان الأمير
عبد الله حديث السن وكان أهل مصر يسمونه مكنس
وهو اول من نقل الدواوين الي العربية وكانت بالعجمية
وهو اول من نهي الناس عن لباس البرانس السود ثم ان
عبد الله أقام علي ولاية مصر نحو خمس سنين واشهر
وفي ايامه توفي سهل بن سعد بن مالك بن خالد
الانصاري الساعدي رضي الله عنه قدم مصر في ايام
مسلمة بن مخلد وكان من مشاهير الصحابة مات سنة احدي
وتسعين وعاش من العمر نحو ماية سنة • ثم دخلت سنة
احدي وتسعين فيها عزل الأمير عبد الله • وولي
قرة بن شريك العبسي في أيام الوليد بن عبد الملك وقد
عزل الوليد أخوه عبد الله وولي قرة • وكان قرة ظالما
غشوما جهولا قيل كان يصعد بالخمر والالات الي علي سطح
جامع عمرو ابن العاص • وقد قال فيه القايل
عجب ما عجبت كيف ذهانا • وتولي بمصر قرة ابن شريك
وعزلت الفتي المبارك عنا • ثم خيلت فيه راي ابيك
فاقام قرة علي ولايته بمصر نحو ست سنين ومات ودفن
بمصر • ثم تولي بعده عبد الملك بن رفاعة الفهمي

فلما تولى على مصر نظر في مصالح قرى مصر وخرج بنفسه
وطاف البلاد قبلي وبحري فأحصى من القرى نحو
عشرة الاف قرية في كل قرية خمسماية من الرجال
الاقباط الذين تفرض عليهم الجزية وكان مدة
غيبته في هذه السرحة سنة اشهر حتى رجع
الى الفسطاط وفي ايامه توفي سليم بن النجيبي من
التابعين وتوفي عبد الله بن زريد الغافقي المصري
قال العجلي تابعي ثقة وتوفي زياد بن ربيعة بن
نعيم الحضرمي المصري قال العجلي تابعي ثقة مات
سنة ست وتسعين وفيها توفي كثير بن قليب الصدفي
المصري الاعرج تابعي شهد فتح مصر واستمر عبد الملك
بن رفاعة في ولايته على مصر الى سنة تسع وتسعين
ثم عزل فكانت مدة ولايته على مصر نحو اربع
سنين ثم تولى بعده الامير ايوب بن شرحبيل
الاصبحي اقام الى سنة احدى وماية وفي هذه السنة
توفي تميم بن اياس الكلبي الليثي شهد فتح مصر وكان
من مشاهير الصحابة مات بالاسكندرية في تلك السنة ثم
ان الامير ايوب اقام على ولايته بمصر نحو سنه وعزل
عنها وكانت ولايته في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله
عنه ثم تولى بعده الامير بشر بن صفوان الكلبي فاقام
على ولايته بمصر الى سنة ثلث وماية وقيل تولى على مصر
ثلث مرات واخر ولايته سنة ثمان وعشرين وماية في خلافة
مروان الحمار وفي ايامه توفي صالح بن حيوان المصري
تابعي ثقة مات سنة ماية وتوفي العتقي تابعي ثقة
مات بافريقية سنة ماية ايضا وتوفي عبد الرحمن بن
جبير المصري تابعي ثقة وتوفي عبيد بن ثمامة المرادي
المصري

المصري تابعي ثقة شهد فتح مصر ومات سنة خمس وماية
وتوفي عمرو بن مالك الهمداني المصري تابعي شهد فتح
مصر وتوفي قيصر التجيبي المصري تابعي ثقة واستمر
الامير بشر بن صفوان على ولايته بمصر حتى عزل ثم
تولى بعده اخوه حنظلة بن صفوان وفي ايامه
نقلت قبايل بني قيس الى مصر ولم يكن قبل ذلك بمصر
من بني قيس احد واقام حنظلة على ولايته بمصر الى
سنة خمس وماية ثم تولى بعده الامير محمد بن عبد
الملك اخو هشام فاقام على ولايته بمصر نحو سبعة
اشهر وخمسة ايام ثم عزل عنها ثم تولى بعده الحر
بن يوسف فلم تطل ايامه بها وعزل عنها ثم تولى
بعده الامير حفص بن الوليد الحاضري فاقام الى
اخر سنة ثمان وماية وعزل عنها ثم اعيد عبد الملك
بن رفاعة ثانيا ثم صرف في سنته ثم تولى بعده اخوه
الوليد فاقام بها الى ان توفي سنة تسع عشرة وماية
وفي ايامه توفي ثمامة الهمداني تابعي ثقة مات سنة
عشرين وماية وفيها توفي ابو محجن قاضي مصر قد جمع
بين القضاء والقصص ومات علي بن رباح اللخمي المصري كان
من علماء زمانه مات سنة اربع عشرة وماية ومات ابو
عبد الله مكحول احد الايمة ولد بمصر ثم رحل الى الشام
مات سنة اثنتي عشرة وماية وتوفي الحكم بن عبد الله
البلوي المصري تابعي ثقة مات سنة ثمان عشرة وماية
وفيها توفي حليم بن عبد الله بن قيس المصري تابعي
وتوفي دراج بن سمعان ابو السمح المصري مولى عبد الله
بن عمرو بن العاصي تابعي مات سنة ست وعشرين وماية
وتوفي حجاج بن شداد الصنعاني المصري تابعي مات سنة
تسع وعشرين وماية وفيها توفي صالح بن قليب بن حرملة

الحضرمي من الطبقة الثانية مات سنة تسع وعشرين
وعبد الله بن هبيرة السبائي الحضرمي مات سنة ست
وعشرين ومايه **وفيها** توفي عثمان بن نعيم الدعيني
المصري تابعي **ثم تولي بعده** الأمير عبد الرحمن بن
خالد الفهمي فأقام بها نحو سبعة أشهر وصرف عنها
وأعيد حنظلة بن صفوان ثم صرف **وأعيد** حفص بن
الوليد ثم صرف **وتولي** الأمير حسان بن عتاهية التجيبي
ثم صرف عنها وفي أيامه توفي عبد الكريم بن الحارث
الحضرمي المصري كان من التابعين وتوفي عمران بن
أبي أنس العامري المصري تابعي وتوفي هشرح بن
هامان المعافري وتوفي موسي بن وردان المصري
تابعي **ثم تولي بعده** الأمير حوثره بن سهل الباهلي
الباهلي وكان رجلاً حليماً قليل الغضب **قيل** ان
رجلاً من العرب دخل اليه وهو يريد الدخول الي
داره فحدثه في حاجة له فوضع الأعرابي نعل
سيفه علي رجل الأمير حوثره وطال معه الحديث
وجعل يغوص بالسيف في رجله حتي أدماها وهو
صابر حتي فرغ الأعرابي من كلامه وخرج فطلب حوثره
خرقه ومسح بها الدم عن رجله فقيل له لم لا أمرته
أن ينحي سيفه عن رجلك أيها الأمير **قال** خشيت ان
أقطع عليه كلامه وهو في حاجته وأين هذا الحلم من
تكبر أهل زماننا هذا ولا سيما ملوك الجراكسه وأمرايها
فلو وقع لهم مثل ذلك لشنقوا الأعرابي أو ضربوه بالمقارع

وقال القايل

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي ان أعين وأشفعا
فاذا ملكت فجد وان لم تستطع ... فاجهد بوسعك كله ان تنفعا

وفي

وفي أيامه توفي الحرث بن يزيد الحضرمي المصري
تابعي من الطبقة الثانية **قال** الليث بن سعد
كان يصلي كل يوم وليلة ستماية ركعة مات بيرقه
سنة ثلثين ومايه وعاش نحو ماية سنه وتوفي في
تلك السنه كعب بن علقمه بن كعب التنوخي
المصري تابعي واستمر الأمير حوثره علي ولاية
مصر حتي عزل **ثم تولي بعده** الأمير عبد الحميد
بن المغيره بن عبيد الفزاري تولي علي مصر سنة احدي
وثلثين ومايه **قال** ابن وصيف شاه وقع الغلا بمصر
في زمن الأمير عبد الحميد فرهن حلي نسايه عند التجار
واشتري قمحاً وفرقه علي الفقراء بمصر فلما عزل عقيب
ذلك عن مصر جاء اليه التجار بسبب الرهن الذي اشتري
به قمحاً وفرقه فباع تلك الحلي بابخس الأثمان حتي دفع
للتجار ما كان اقترضه منهم وكان القرض نحو عشرة الاف
دينار ثم رحل عن مصر والناس داعية له وخلق له
الثناء الجميل **فكان كما قيل في المعني**

كل الأمور تزول عنك وتنقضي ... الا الثناء فانه لك باقي
ولو انني خيرت كل فضيلة ... ما اخترت غير مكارم الأخلاق

ثم تولي بعده الأمير عبيد الله بن مروان الحمار وهو
آخر من تولي مصر من الأمراء الأموية وبه زالت دولتهم
وكانت ولايته سنة اثنين وثلثين ومايه فأقام بها نحو
سنه فلما قويت شوكة العباسية علي الأموية وانكسر الأمير
مروان الحمار وهرب وتوجه الي مصر وولي الخلافه عبد
الله السفاح وهو أول خلفاء بني العباس فلما تولي عبد الله
السفاح أرسل عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما في طلب مروان الحمار فدخل مصر سنة ثلث وثلثين

توفي سنة اثنين وثلثين ومايه

فأقام بها لضبط أمورها وأنشأ بها جامعًا شمالي مدينة
الفسطاط وسماه جامع العسكر ثم بلغه أن مروان
الحمار توجه إلى نحو الصعيد فتبعه عبد الله بن علي
بمن معه من العساكر حتى ظفر به في قرية من قرى
الصعيد يقال لها بوصير فقطع رأسه هناك وأخذ
ما كان معه من الأموال والتحف ودفن جثته هناك
في بعض الشطوط من البحر بغير غسل ولا تكفين وكانت
قتلة مروان الحمار أواخر سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو
آخر خلفاء بني أمية وبه انقرضت دولتهم قال الصولي
لما قطعت رأس مروان الحمار تركها عبد الله بن علي
صعة وتغافل عنها ساعة فجاءت الهرة أكلت لسانه
وجعلت تمضغه بفيها فقال عبد الله بن علي لو لم يرنا
الدهر من عجائبه إلا لسان مروان الحمار وهو في فم
الهرة تمضغه وكفى بذلك موعظة وقال القائل
وما ابقت لك الايام غدرًا وبالأيام يتعظ اللبيب
قال ابن وصيف شاه لما بلغ الأمير عبيد الله بن
مروان أن أباه مروان قد انكسر وهرب قام إلى خزائن
أبيه وأخذ منها عشرة آلاف دينار وأخذ شيئًا من
التحف والقماش والفرش وحمل ذلك على اثني عشرة
بغلا وأخذ معه جماعة من عبيده وشد على وسطه
خريطة فيها جواهر فاخرة وخرج من مصر هاربًا على
وجهه فتوجه إلى بلاد النوبة فلما وصل إلى هناك وجد
مداين خرابًا وبها قصور محكمة البناء فنزل في بعض تلك
القصور وأمر عبيده بكنسها فكنست وفرشت من تلك
الفرش التي معه ثم قال لبعض عبيده ممن كان
يثق بعقله امض إلى ملك النوبة وخذ لي منه أمانًا
على نفسي من القتل فخرج الغلام وتوجه إلى ملك النوبة
فغاب ساعة ثم عاد ومعه قاصد من عند ملك النوبة فلما
دخل

[illegible]

دخل عليه قال له إن الملك يقرأ عليك السلام ويقول
لك أجئت إليه محاربًا أم مستجيرًا فقال له الأمير عبيد
الله رد عليه مني السلام وقل له قد جاء إليك ليستجير
بك من عدو يريد قتله فمضى ذلك الرسول بالجواب
فغاب ساعة ورجع وقال إن الملك قادم عليك في
هذه الساعة فقال الأمير عبيد الله لغلمانه وعبيده
افرشوا ما معنا من الفرش وجعل في صدر المكان
مرتبة برسم ملك النوبة يجلس عليها ثم صار يترقب
مجيئه فبينما هو على ذلك إذ دخل عليه غلامه وقال
له إن ملك النوبة قد أقبل فقام الأمير عبيد الله وصعد
إلى سطح القصر فنظر إلى ملك النوبة فإذا هو رجل
أسود اللون طويل القامة نحيف الجسد وعليه بردتان
قد اتزر بأحدهما وارتدى بالأخرى ومعه عشرة
من السودان حوله ومعهم حراب بأسنة فلما رآه
الأمير عبيد الله استصغر أمره واستحقره في عينه
فلما قرب من المكان الذي فيه عبيد الله أحاط به
من العساكر نحو عشرة آلاف رجل من السودان
وفي أيديهم الحراب فلما دخل ملك النوبة على الأمير
عبيد الله أحاط ذلك العسكر بالمكان فلما وقعت
عين ملك النوبة على الأمير عبيد الله بادر إليه وقبل
يده فأشار إليه عبيد الله بأن يجلس على تلك المرتبة
التي صنعها له فأبى ملك النوبة أن يجلس عليها فقال عبيد
الله للترجمان لم لا يقعد الملك على تلك المرتبة التي صنعتها
له فقال له الترجمان ذلك فقال ملك النوبة قل له
كل ملك لا يكون متواضعًا لله فهو جبار عنيد ثم إنه

جلس بين يدي الأمير عبيد الله وجعل ينكث بأصبعه
في الأرض طويلاً ثم انه رفع راسه الى الأمير
عبيد الله وقال للترجمان قل له كيف سلبتم من
من مملكتم وأخذ منكم وانتم أقرب الناس الى
نبيكم فقال الأمير عبيد الله للترجمان قل له ان الذي
سلب منا ملكنا أقرب الى نبينا منا ثم سكت ملك النوبه
ساعة وقال للترجمان قل له فكيف انتم تلوذوا الى
نبيكم بقرابة وأنتم تشربون ما حرم عليكم من الخمر
وتلبسون الديباج وهو محرم عليكم وتركبون في
السروج الذهب والفضة وهي محرمة عليكم ولم يفعل
نبيكم شياء من هذا وبلغنا عنك لما وليت مصر كنت تخرج
الى الصيد وتكلف أهل القرى ما لا يطيقون وتفسدون
الزروع على الناس وتروم الهدايا والتقادم من أهل
القرى وكل هذا لأجل كركي تصيده قيمته سبعة انصاف
وهذه بدع اخترعتموها من أنفسكم وصار ملك النوبه
يعدد على الأمير عبيد الله جملة من الذنوب وهو
ساكت لا يتكلم ثم قال ملك النوبه ولما استحللتم ما حرم
الله عليكم سلبتم ملككم واخذ منكم واوقع الله بكم نقمة
لم تبلغ غايتها عنكم وأنا اخاف على نفسي ان أنزلتك عندي
فتحل بي تلك النقمة التي حلت بكم ولكن أرحل عن أرضي
بعد ثلثة ايام والا أخذت ما معك من الاموال وقتلتك
ثم قام ملك النوبه وانصرف من عند الأمير عبيد الله
فلما سمع عبيد الله ما قاله ملك النوبه خرج من أرض النوبه
في يومه ورجع الى الفسطاط فقبض عليه عبد الله بن علي
العباسي وأرسله الى السفاح فكانت مدة ولايته على مصر نحو
سنة

سنة واشهر وبه زالت دولة الأموية **ذكر من تولى**
على مصر من الأمراء العباسيه قال ابن وصيف شاه
أول من تولى مصر من الأمراء العباسية الأمير صالح بن
علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما تولى على مصر
في ذي الحجة سنة اثنين وثلثين ومائة فاقام بها دون
السنة وعزل عنها ثم تولى بها ثانيا كما سياتي ذكر ذلك في موضعه
ثم تولى بعده الأمير ابا عون عبد الملك بن أبي يزيد الأزدي
فاقام بها الى سنة ست وثلثين ومائة وفي أيامه توفي
ابو شرحبيل المصري تابعي من الطبقة الثانية مات في تلك
السنة وتوفي ايضا فيها زهره بن معبد بن عبد الله بن
هشام تابعي مات بالاسكندريه في تلك السنة ثم عزل
ابو عون **واعيد** الأمير صالح ثانيا ثم صرف واعيد ابو عون
وذلك سنة سبع وثلثين ومائة وفي أيامه توفي واهب
بن عبد الله المعافري المصري تابعي مات في تلك السنة
ببرقة واقام ابو عون على ولايته مصر الى سنة احدى
وأربعين ومائة ثم عزل **وتولى بعده** الأمير موسى بن
كعب المعروف بابي عيينه التميمي فاقام على ولايته مصر
سبعة اشهر ومات ودفن بمصر **ثم تولى بعده** الأمير
محمد بن الاشعث الخزاعي فلم تطل ايامه بها وعزل عنها
سنة اثنين واربعين ومائة وفي أيامه توفي في هذه السنة
الحسن بن ثوبان الهوزني المصري تابعي وفيها توفي حميد
بن هاني تابعي **ثم تولى بعده** نوفل بن الفرات فلم تطل
ايامه بها **ثم تولى بعده** حميد بن قحطبة الطاي فلم تطل
ايامه بها وصرف عنها سنة أربع وأربعين ومائة وفي أيامه
انتثرت الكواكب في السماء من أول الليل الى الصباح فخاف
الناس من ذلك **ثم تولى بعده** الأمير يزيد بن حاتم المهلبي
تولى سنة سبع واربعين ومائة وفي أيامه سنة ثمان واربعين

[illegible]

توفي عمرو ابن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الانصاري
كان من المجتهدين مات سنة ثمان واربعين ومايه وتوفي
سعيد بن ابي هلال الليثي ابو العلا المصري تابعي مات
سنة تسع واربعين ومايه وتوفي خالد بن مسافر
الفهمي تابعي وتوفي عبد الجليل بن حميد اليحصبي ابو مالك
المصري تابعي مات سنة ثمان واربعين ومايه ثم ان يزيد
بن حاتم اقام علي ولايته عصر الي سنة اثنين وخمسين
ومايه ثم عزل وتولي بعده الامير عبد الله بن محمد
بن عبد الرحمن بن معوية بن حديج التجيبي فلم تطل
ايامه وعزل وتولي بعده اخوه عبد الرحمن عمر
عبد الله فاقام بها سنة وشهرين وفي ايامه وقع
الغلا بمصر واخذ ماء النيل فجاء الماء القد بمن ذراعا
وعشرين اصبعا ولم يعهد بمثل ذلك في السنين
الماضية وكان منتهي الزيادة في تلك السنة اثني عشرة
ذراعا وستة عشرة اصبعا فشرقت البلاد وفي
تلك السنة وحصل للناس الضرر الشامل بسبب الغلا
وفي ايامه توفي سعيد بن يزيد الحميري القتباني ابو
شجاع الاسكندراني تابعي من الطبقة الثانية مات سنة
اربع وخمسين ومايه وتوفي ريان بن فايد المصري
تابعي مات سنة خمس وخمسين ومايه وتوفي حيوه بن
شريح بن صفوان التجيبي ابو زرعه المصري كان من العلماء
الزهاد مات سنة ثمان وخمسين ومايه ثم تولي بعده
الامير موسي بن علي اللخمي فاقام علي ولايته عصر الي سنة
اثنين وستين ومايه وفي ايامه توفي سعيد بن ابي
ايوب مقلاص الخزاعي مات سنة احدي وستين ومايه
وعاش نحو ستين سنة وفيها توفي بشير بن ابي عمرو
الخولاني المصري تابعي من الطبقة الثانية مات في تلك

في تلك السنة قال الذهبي في العبر غزا الي بلاد
القسطنطينية زمن سليمان بن جعفر بن ربيعة
الكندي ثم تولي بعده الامير موسي بن عيسي [illegible]
سنة اثنين وستين ومايه فلم تطل ايامه وعزل
ثم تولي بعده واضح المنصوري ثم صرف من عامه
وتولي بعده الامير منصور بن يزيد الحميري فلم
تطل ايامه وعزل ثم تولي بعده الامير يحيي بن داود
ابو صالح الحرسي تولي علي مصر ايام الرشيد فلم تطل
ايامه وعزل ثم تولي بعده الامير سالم بن سوادة
التميمي تولي علي مصر سنة اربع وستين ومايه فكانت
مدة ولايته علي مصر نحو سنه ثم تولي بعده الامير
ابراهيم بن عبد الملك بن صالح العباسي تولي علي مصر
سنة خمس وستين ومايه وكان الرشيد ازوجه بابنته
عاليه فلم تطل ايامه بها وعزل ثم تولي بعده الامير
موسي بن مصعب مولي خثعم تولي علي مصر سنة سبع وستين
ومايه فلم تطل ايامه وعزل ثم تولي بعده اسامة
بن عمرو المعافري تولي علي مصر سنة ثمان وستين ومايه
وفي هذه السنه توفي نافع بن يزيد الكلاعي المصري تابعي
ثم تولي بعده الامير فضل بن صالح العباسي تولي علي مصر
سنة تسع وستين ومايه وفي هذه السنة توفي روح بن
صلاح المصري تابعي مات بالاسكندريه ثم تولي بعده
الامير علي بن سليمان العباسي فلم تطل ايامه فكانت مدة
ولايته علي مصر دون السنه ثم تولي بعده الامير موسي
بن عيسي العباسي فكانت ولايته سنة اثنين وسبعين ومايه
وفي هذه السنة توفي الوليد بن المغيره المعافري ثم
المصري كان تابعي توفي في ذي القعده سنة اثنين وسبعين وماية
ثم تولي بعده الامير مسلمة بن يحيي الاخمشي فلم تطل بها

ايامه وعزل ثم تولى بعده الأمير محمد بن زهير الأزدي
فلم تطل أيامه وعزل ثم تولى بعده الأمير داود
بن يزيد المهلبي تولى على مصر سنة أربع وسبعين ومائة فلم
تطل أيامه وصرف هو والأمير محمد بن زهير في سنة واحدة
ثم تولى بعده الأمير إبراهيم بن عبد الملك بن صالح العباسي
وهي الولاية الثانية أقام بها حتى مات سنة خمس وسبعين
ومائة وفي هذه السنة أعني سنة خمس وسبعين ومائة
كانت وفاة الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه
مات يوم الجمعة رابع عشر شعبان من تلك السنة
ودفن بالقرافة الكبرى بالقرب من مسجد الفتح قال
ابن سعد هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو
الحارث المصري ولد بقلقشندة سنة أربع وتسعين
من الهجرة فلما كبر روى عن الزهري وعطاء ونافع وابن
المبارك وغيرهم من التابعين قال الشافعي رضي الله
عنه كان الليث أفقه من الإمام مالك رضي الله عنه
وكان قد استقل بالفتوى في زمانه بمصر وكان في
سعة من المال سخيا به قال يحيى بن بكير ما رأيت
أفقه من الليث بن سعد كان ثقة في الحديث نحوي
اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الأحاديث الكثيرة
حسن المذاكرة رقيق الشعر في المحاضرة إلا أن أصحابه
ضيعوه لم يكتبوا عنه شيئا قال الذهبي في العبر كان
أمراء مصر لم يقضوا أمرا دونه وإذا خالفه أحد في شيء
كاتب فيه الخليفة فيعزله وأراد الخليفة المنصور أن يوليه
إمرة مصر فامتنع من ذلك غاية الامتناع قال ابن
خلكان في تاريخه لما مات الليث سمع قائلا يقول في تلك
الليلة ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم غريبا وقبر
ومن النكت اللطيفة ما حكاه عبد المحسن التنوخي
في

قال يحيى بن بكير إن الإمام الليث بن سعد هو أول من دون
ديوان الأحباس بمصر في أيامه وجعل للرزق الأحباسية ديوانا
دون ديوان الجيش تختص بهم واستمر ذلك من بعده إلى الآن

في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد قال بعث
الخليفة الرشيد إلى الإمام مالك وهو بالمدينة
خمسمائة دينار فلما بلغ الليث بن سعد ذلك بعث
للإمام مالك ألف دينار فلما بلغ الرشيد بأن الليث
بعث للإمام مالك ألف دينار غضب على الليث وأرسل
يقول له بعثت أنا إلى الإمام مالك خمسمائة دينار فتبعث
له أنت ألف دينار وأنت واحد من رعيتي فأرسل الليث
يقول له يا أمير المؤمنين إن لي في كل يوم من متحصل
غلالي ومتجري ألف دينار فاستحييت أن أقابل مثل هذا
الرجل بأقل من متحصل يوم واحد وكان الليث مع
وجود هذه السعة الزائدة ما يحول عليه الحول ومعه
مال يجب عليه زكاته وكان يهبه للفقراء والعلماء وغير
ذلك من الناس فكان سعيد الدنيا والآخرة كما قيل
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس
بالرجل
انتهى ذلك ثم تولى بعده الأمير عبد الله بن المسيب
الضبي فلم تطل أيامه وعزل سنة ست وسبعين ومائة
ثم تولى بعده الأمير إسحق بن سليمان العباسي تولى
سنة سبع وسبعين ومائة فلم تطل أيامه وعزل سنة
ثمان وسبعين ومائة وفي هذه السنة توفي خلاد
ابن سليمان الحضرمي تابعي من الطبقة الثانية ثم تولى
بعده الأمير هرثمة بن أعين بن أغيين فأقام بها نحو
شهر وعزل ثم تولى بعده الأمير عبد الملك بن
صالح العباسي تولى سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فأقام
نحو شهر وعزل وقيل مات ثم تولى بعده الأمير
عبيد الله بن الخليفة المهدي تولى سنة تسع وسبعين ومائة
فأقام نحو سنة وعزل وهذه ثاني ولاية ثم تولى بعده

الأمير موسى بن عيسى الخصيب وهي الولاية الثانية
وكان يعرف بالخصيب لوقاحته وجهه وفي أيامه
دخل أبو النواس مصر وامتدح موسى الخصيب
بقصايد سنية منها هذه الأبيات

تحمكم يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب
أتاكم أمير شدّق الله قدره أكول لحيات البلاد شروب
فإن يك باقٍ سحر فرعون فيكم فإن عصى موسى بكف خصيب

قيل لما دخل أبو النواس مصر توجه إلى نحو الصعيد على
سبيل التنزه فلما جلس على شاطئ النيل حذراً من التمساح
أنشأ يقول أضمرت للنيل هجراناً وتقلية إذ قيل لي
إنما التمساح في النيل

ثم أن أبا نواس رجع إلى بغداد ومات بها سنة خمس
وتسعين ومائة في دولة الأمين محمد بن الرشيد
وكان إماماً عالماً فاضلاً بارعاً في العلم والأدب وإنما
غلب عليه حب الشعر واللهو والخلاعة وشرب الراح
فانحطت رتبته بين العلماء بسبب ذلك واسمه الحسن بن
هاني وإنما سمي بأبي نواس لأن كانت له ذوابتان شعر
تنوس على قفاه فسمي بأبي نواس ولما مات كتب على قبره

يا نواسي توقّر وتعزّ وتصبّر إن يكن ساءك دهر فلما
سرّك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

انتهى ذلك ثم أن
الأمير موسى بن عيسى الخصيب استمر على ولايته بمصر حتى
وشي به عند الرشيد فعزله عن مصر وولى جعفر بن
يحيى البرمكي على مصر فاستناب عليها عمر بن مهران وكان
شنيع الخلقة زري الشكل أحول العينين وسبب ذلك
أن الرشيد بلغه عن موسى الخصيب أنه قال أنا أحسن
من

من هرون الرشيد فقال الرشيد والله لأولين على
مصر أوحش الناس شكلاً فاستدعى عمر بن مهران
وولاه على مصر نيابة عن جعفر فلما سار عمر بن
مهران ودخل مصر وهو في أزري هيئة راكب على
بغل وغلامه على حمار فدخل على الأمير موسى الخصيب
فجلس في آخر الناس فلما انفض المجلس أقبل عليه الأمير
موسى وقال له ألك حاجة أيها الشيخ قال نعم ثم
ناوله كتاب أمير المؤمنين الرشيد فلما قرأه قال أنت
عمر بن مهران قال نعم قال الأمير موسى لعن
الله فرعون حيث قال أليس لي ملك مصر ثم سلم البلد
وارتحل عن مصر فأقام بها عمر بن مهران مدة يسيرة
وعزل وأعيد الأمير موسى بن عيسى الخصيب وهي
ثالث ولاية ثم صرف عنها سنة ثمانين ومائة ثم أعيد
الأمير عبيد الله بن المهدي فأقام بها إلى سنة أحدى
وثمانين ومائة وصرف عنها ثم تولى بعده الأمير
اسمعيل بن صالح العباسي فأقام على ولايته عمر دون
السنة وعزل ثم تولى بعده الأمير اسمعيل بن عيسى
العباسي فأقام بها إلى سنة اثنين وثمانين ومائة وعزل
عنها ثم تولى بعده الليث بن الفضل البيوردي
ثم عزل وتولى بعده الأمير احمد بن اسمعيل العباسي
وذلك سنة خمس وثمانين ومائة وفي أيامه توفي ضمام
بن اسمعيل المصري وكان من مشاهير المحدثين مات
بالاسكندرية سنة خمس وثمانين ومائة فأقام الأمير احمد
إلى سنة سبع وثمانين ومائة ثم عزل وتولى بعده الأمير
عبد الله بن محمد العباسي وفي أيامه توفي رشد بن سعد
وكان تابعي مات سنة ثمان وثمانين ومائة وأقام الأمير عبد الله

[illegible]

علي ولايته عصر حتي عزل ثم تولي بعده الأمير حسين
بن جميل الأزدي فأقام في ولايته علي مصر الي أواخر سنة
وتسعين ومايه ثم صرف وتولي بعده الأمير مالك بن
دلهم الكلبي تولي علي مصر سنة اثنين وتسعين ومايه
فأقام بها ثم صرف عنها وتولي بعده الأمير حسن
بن البحباح فأقام بها الي سنة ثلث وتسعين ومايه ثم صرف
وتولي بعده الأمير حاتم بن هرثمه بن اعين فأقام
الي سنة خمس وتسعين ومايه وصرف عنها ثم تولي
بعده الأمير جابر بن الأشعث الطاي فأقام بها الي
سنة ست وتسعين ومايه وعزل ثم تولي بعده
عباده بن نصر الكندي وفي ايامه في شعبان سنة سبع
وتسعين ومايه توفي عبد الله بن وهب وكان من العلماء
العاملين فأقام عباده بن نصر علي ولايته عصر الي سنة
ثمان وتسعين ومايه ثم صرف عنها وتولي بعده
المطلب بن عبد الله الخزاعي ثم صرف في سنته وتولي
بعده الأمير عباس بن موسي العباسي ثم صرف في سنة
واعيد المطلب ثانيا وذلك سنة تسع وتسعين ومايه وفي
هذه السنة توفي شعيب بن الإمام الليث بن سعد
رضي الله عنه فأقام المطلب علي ولايته عصر الي سنة
مايتين وعزل ثم تولي بعده السري بن الحكم ثم
صرف عنها وتولي بعده سليمان بن غالب وذلك
سنة احدي ومايتين ثم صرف واعيد السري بن
الحكم ثانيا فأقام علي ولايته عصر حتي مات ثم تولي
بعده الأمير ابراهيم بن محمد السري وفي ايامه سنة
اربع ومايتين كانت وفاة الإمام الشافعي رضي
الله عنه وهو ابو عبد الله محمد بن ادريس بن
العباس بن عثمان بن شافع بن السايب بن عبيد بن
عبيد

بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ابن الد
جد رسول الله صلي الله عليه وسلم والسايب جده
صحابي اسلم يوم بدر وللشافع بن شافع وام الإمام
الشافعي فاطمه بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين
بن الإمام علي رضي الله عنهم اجمعين قال الكرماني
الشافعي امام كل ايمه تربي فضايله علي الآلاف
لكنني اوتيت بدعا بارعا في وصفه هو سيد الاوصاف
ختم النبوة والامامة في الهدي محمد بن هاشم لعبد مناف
وكان مولد الإمام الشافعي بغزه وقيل بعسقلان قال
بعض الرواه ان فاطمه ام الإمام الشافعي رأت في
منامها وهي حامله به ان نجما خرج من بطنها وله ضوء
عظيم فسقط بأرض مصر ثم طارت منه شظايا فانتشر
في ساير الآفاق فقصت رويا ها علي بعض العابرين
فقال لها سيخرج من بطنك مولود ويكون من كبار
العلماء ويخص علمه اهل مصر دون غيرها من البلاد
وينتشر علمه في ساير البلاد وكان الأمر كذلك وكان
مولد الإمام الشافعي رضي الله عنه سنة خمسين ومايه
وهي السنة التي توفي فيها الإمام ابو حنيفه النعمان
بن ثابت رضي الله عنه قيل ان الإمام الشافعي حفظ
القرآن وهو ابن سبع سنين وقرا الموطا علي الإمام
مالك بالمدينه وهو ابن عشر سنين وتفقه علي مسلم
بن خالد الزنجي مفتي مكه واذن له في الافتاء وهو ابن
خمس عشر سنه ثم توجه الي بغداد سنة خمس وتسعين
ومايه وصنف بها كتابه القديم ثم عاد الي مكه ثم
خرج الي بغداد ثانيا سنة ثمان وتسعين ومايه فأقام بها
شهرا ثم قصد التوجه الي مصر قال
عند ما عزم

على السعد هذين البيتين من نظمه وهما

وأني أرى نفسي تتوق الى مصر ومن دونها عرض المهامه والقفر

فوالله ما أدري ألعز والغنى أساق اليها أم أساق الى قبر

قال ابن زولاق لما دخل الشافعي مصر صنف بها نحو مائتي جزء في العلم وكان واسع الاطلاع كثير الفقه والاحاديث وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي وكان حسن الخلق سخي النفس قليل الغضب حلو المحاضرة رقيق النظم ومن نظمه قوله

أن كنت منبسطا سميت مسخرة او كنت منقبضا قالوا به ثقل

وأن أخالطهم قالوا به طمع وأن تجنبتهم قالوا به علل

وأن لعمتهم قالوا بها نعتا وأن منعتهم قالوا به بخل

مالي بخلق وخلقي ترتضون به لا بارك الله فيهم أنهم سفل

ومن بركة الامام الشافعي رضي الله عنه أن في مدة حياته لم يقع الطاعون بمصر ولا في غيرها من البلاد قال العلامة شهاب الدين بن حجر رحمة الله عليه وقع الطاعون ببغداد سنة ست وأربعين ومائة ثم وقع سنة احدى وعشرين ومائتين فكان بين وقوع هذين الطاعونين نحو من سبعين سنة ففي هذه المدة كان مولد الامام الشافعي رضي الله عنه واستمر الطاعون مرتفعا عن مصر وبقية البلاد الى حين وفاته رحمة الله عليه واستمر الامام الشافعي بمصر الى أن مرض بعلة البطن وتسلسل في المرض فلما أشرف على

وكانت وفاة الامام رضي الله عنه ... سنة ... وخمسين

٧١

على الموت أوصى ان لا يغسله الا امير البلد فلما مات حضر الامير ابراهيم بن محمد السري امير البلد فقيل له أن الامام أوصى أن لا يغسله الا أنت قال هل توفي الامام وعليه دين قالوا نعم قال احسبوا ما عليه من الدين فحسبوا فاذا هو سبعون الف درهم فقضاها عنه الامير ابراهيم وقال هذا اغسلي اياه وانما عنى عن الدين الذي عليه لاقضيه عنه وكانت وفاة الامام الشافعي رحمة الله عليه ليلة الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين من الهجرة ودفن بالقرافة الكبرى مقابل تربة القاضي بكار رحمة الله عليهما قيل لما مات الامام الشافعي أن السيدة نفيسة تصلي عليه فلما مات أدخل نعشه في دارها وصلت عليه ثم حمل من عندها ودفن وكانت وفاة الامام الشافعي في دولة المامون بن الرشيد انتهى ذلك ولما تولى الامير ابراهيم على مصر تغلب عليه الامير عبد الله السري فاقام الى سنة ست ومائتين وعزل عن ولايته مصر ثم تولى بعده الامير عبد الله بن طاهر ولاه الخليفة المامون فحارب الامير ابراهيم أشد المحاربة وطرده عن مصر وتولى مكانه مصر وفي ايامه توفيت السيدة نفيسة رضي الله عنها وكانت وفاتها في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين وهي نفيسة ابنة الامير حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن الامام علي بن أبي طالب وكان ابوها الامير حسين امير المدينة الشريفة أيام الخليفة المنصور ثم عزله عن المدينة وصادره فأخذ عياله وابنته نفيسة ودخل مصر وكان له رواية في الحديث في سنن النسائي فدخلت نفيسة مصر مع زوجها المؤتمن اسحق بن جعفر الصادق

ثم توفي ... سنة خمس ... وفي ... بن عبد ... الفقي ... أوصى

... الفقيه العالم ... توفي ... من ... بن سعد ... الليث ... من طبقة ...

فاتي ماتت بمصر وكانت عابده زاهده لها كرامات خارقه
وكانت في سعة من الاموال وتحسن للفقراء وتحبت
فعل الخير وتاوي الارامل واليتامي ولما دخل الامام
الشافعي مصر كانت تحسن اليه وربما كان يصلي بها في
رمضان التراويح وكان اهل مصر يعظمونها فلما ماتت
دفنت بدرب السباع فعزم زوجها اسحق على ان ينقل
جثتها الي المدينه الشريفه فاقسم عليه اهل مصر ان
يبقيها عندهم ليلتمسوا بركتها فابقاها بمصر وكان لها
اولاد من زوجها اسحق قد فنوا بمصر ايضا وفي هذه
السنه توفي ~~النضر بن عبد الجبار~~ يحيى بن حسان التنيسي
وكان اماما حجة مات في رجب من تلك السنة انتهى
قال ابن خلكان ان في ايام عبد الله بن طاهر ظهر
البطيخ العبدلاوي بمصر وهو الذي نقل زريعته الي
مصر ولم يكن بها قبل ذلك شيا منه فنسب اليه وقيل
البطيخ العبدلي وكان عبد الله بن طاهر من خلاف
الغمال وهو الذي جدد بناء جامع عمرو ابن العاصي واتسع
فيه وزخرفه وذهب روس العمد وادخل في الجامع
دورا كثيره من الخطط واقام في ولايته بمصر الي سنة
عشره ومايتين وفي ايامه سنة احدي عشره ومايتين
توفي ليث بن عاصم بن كليب كان من اعيان العلماء وكان
اماما بجامع عمرو ثم عزل عبد الله بن طاهر وتولي بعده
الامير عيسي بن يزيد الجلودي فلم تطل ايامه وعزل
واضطربت احوال الديار المصريه في ايامه وثار بمصر
رجلان وهما عبد السلام وبن جليس وخرجا عن طاعة امير
المومنين المامون واستحوذا علي القري وبايعهما طايفه
من القيسيه واليمانيه فلما بلغ المامون ذلك خلع عيسي بن
يزيد وولي اخوه ابا اسحق بن الرشيد علي مصر مضافة
الي

قال ابن خلكان رحمه الله تعالى عند قبرها مجاب

[illegible]

الي الشام فعل مها سنة اربع عشره ومايتين فحارب
اهل مصر وقتل عبد السلام وبن جليس واقام بمصر
مده ثم رحل الي الشام وتولي بعده الامير عمير
بن الوليد التميمي فاقام مده يسيره وعزل ثم اعيد
الامير عيسي بن يزيد الجلودي فاقام مده يسيره
وعزل ثم تولي بعده الامير عبد ويه بن جبلة وذلك
سنة خمس عشره ومايتين فاقام بها مده يسيره وعزل
ثم تولي بعده الامير عيسي بن منصور الرافقي قال
ابن زولاق لما قدم الامير عيسي الي مصر توجه الي
بركة الحبش علي سبيل التنزه فوقف عند الرمل وتلفت
يمينا وشمالا وقال لمن حوله اني اري عجبا قالوا وما هو
قال اري ميدان ازهار وحيطان نخل وبستان شجر
ومنازل سكن وجبانة اموات ونهر جاري وربيع نبات
اخضر ومراعي ماشيه ومرابط خيل وساحل بحر ومقانص
وحش ومصايد سمك وملاح سفينة وحادي ابل ومخابز
رمال وسهل وجبل واهرام وقري فهذه سبعة
عشر متنزها في اقل من ميل في ميل فقال القايل
في المعني

يا نزهة الرصد التي قد نزهت عن كل شي حلا في
جانب الوادي
فلا غدير وذا روض وذا جبل فالضب والنون والملاح
والحادي

ثم ان الامير عيسي اقام بمصر وفي ايامه اضطربت احوال
الديار المصريه وخرج اهلها عن الطاعة وحصل بينهم
وبين عساكر الفسطاط من الحروب العظيمه ما لا يمكن شرحه
فكاتبوا المامون بذلك فجهز العساكر وخرج بنفسه من
بغداد صحبتهم وتوجه الي مصر فدخلها في اوايل سنة
محرم

سبعة عشر ومائتين فدخل في عساكر عظيمة وكان
صحبته أخوه محمد المعتصم وولده العباس واولاد
اخيه وهما الواثق والمتوكل وكان صحبته القاضي يحيى
ابن اكثم والقاضي احمد بن ابي داود وغير ذلك من
اعيان بغداد قال الكندي لما دخل المامون
مصر نزل تحت الجبل الاحمد عند قبة الهواء فنظر
الى ارض مصر وقال لمن حوله ما ادري ماذا
أعجب فرعون في مصر حيث قال أليس لي ملك مصر
وهي ارض غبراء بين جبلين فأي شيء أعجبه فيها
فقال له بعض الحاضرين ان الذي راه امير المومنين
ليست كانت مصر لك وقد قال الله تعالى
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا
يعرشون فسكت المامون فلما حضر عيسى بن منصور
بين يديه وبخه بالكلام وقال له هذا كله بسوء الدافقي
تدبيرك وجورك على اهل القرى وقد حملت الناس
ما لا يطيقون وكتمت الامر عني حتى عظم ثم ان المامون
عين الافشين وكان شجاعا بطلا فاخذ طايفة من
العسكر وتوجه الى اعلاء الصعيد وحارب اهلها
وقتل منهم جماعة كثيرة واسر النساء والصبيان
واحضرهم بين يدي المامون فامر بقتل الرجال
وبيع النساء والصبيان وكان اكثرهم من القبط والحوف
فلما خمدت هذه الفتنة سرح المامون في ضواحي مصر
فكان يقيم في كل قرية يوم وليلة ثم يرحل عنها
وكان اذا نزل بقرية يضرب له سرادق من حرير
ويجلس على دكة من الابنوس مطعمة بفضة وينصب

ينصب له عليها لواء من حرير اسود مرقوم
بالذهب وتحاط به الوزراء والامراء من كل
جانب فلم يزل على ذلك حتى مر بقرية من قرى
مصر يقال لها طاه النمل فمر عليها ولم ينزل بها
فلما جاوزها وحاد عنها خرجت اليه عجوز قبطية
وهي ترعش بين خادمين وكانت تعرف بمارية
القبطية فوقفت بين يديه وبكت وصاحت فظن
المامون انها مظلومة فوقف لها وكان لا يسير الا
والتراجمة بين يديه من كل جنس بلسانه فسالها
بعض التراجمة عن امرها فقالت ان امير المومنين ينزل
بكل قرية من قرى مصر ويقيم بها يوم وليلة وقد
حاد عن قريتي ولم ينزل بها حتى اصير معيرة بين
القبط بذلك فلما ترجم له الترجمان بما قالته العجوز
فقال له المامون ان قريتها صغيرة لا تحمل العسكر
ولا تطيق هذه العجوز كلفتنا فرد عليها الترجمان الخبر
فصاحت وقالت لا سبيل ان يتجاوز امير المومنين قريتي
فعند ذلك ثنى المامون عنان فرسه ونزل بقريتها
وضرب بها خيامه فلما استقر المامون بها ومن معه
من العساكر جاءت تلك العجوز الى صاحب المطبخ
وقال له اذكر لي ما تحتاج اليه من غنم وبقر ودجاج
واوز وسكر وعسل وفستق ولوز وفاكهة وحلوى
ومسك وماورد وشمع ومنقولات وغير ذلك مما جرت
به عادات الخلفا فلما ذكر له صاحب المطبخ ما يحتاج اليه
فغابت ساعة يسيرة واحضرت له جميع ما يحتاج اليه من ذلك
الاصناف التي ذكرها له ثم احضرت لاقارب المامون لكل
واحد منهم ما يختص به على انفراده واقام المامون هناك

[illegible]

يوم وليلة وهو في ارغد عيش فلما اراد الانصراف اقبلت
عليه تلك العجوز ومعها عشره من الوصايف وعلي راس
كل واحدة منهن طبقا فلما عاينها المامون من بعيد
قال لمن حوله قد جاتكم القبطيه بهديه الريف
الكامخ والصحنا فلما وضعت الاطباق بين يديه كشفها
فاذا فيها ذهب دنانير فشكرها علي ذلك وامرها
باعادته اليها وقال فيما صنعته كفايه فقالت له يا
امير المومنين لا تشمت بي اعداي برده الي وبكت فقال
المامون قبلنا منك ذلك ثم تامل ذلك الذهب فاذا
هو ضرب عام واحد جميعه فتعجب من ذلك غاية
العجب وقال ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك ثم
قال لها ايتها العجوز اطلعتي بلدي قالت لا والله
وانما هو من زرع الارض ومن عدلك يا امير المومنين
فقال لها بارك الله في مروتك وفيما صنعتي ثم ان
المامون انعم علي تلك العجوز بقريه تسمي طاه النمل
وجعلها لها ملك ولاولادها من بعدها وهنالك قنطره
تسمي قنطرة العجوز الي الان ثم ان المامون اقام بمصر
اربعين يوما ورحل عنها لثمانية عشر خلون من صفر
من السنة المذكورة فكانت مدة غيبته ذهابا وايابا
نحو اربعة اشهر واياما ودخل عليه من المال في هذه
السرحة نحو اربعة الاف الف الف دينار غير الهدايا
والتحف ففرق علي عسكره لما رجع الي بغداد لكل واحد
منهم ملي كفه دنانير ذهبا وصار في كل وقت يذكر ما جري
له مع مارية القبطيه ويتعجب مما صنعته معه ومن سعة
مالها وكبر مروتها ويقول الحمد لله الذي في رعيتنا من
هو بهذه الصفه وقد قيل في المعني
الظن بان الدهر ما زال هكذا وان حديث الجود ليس
له اصل
وهب قد فني من قد سمعنا بذكرهم اما كان فيهم من
يكون له نسل
قال الكندي لما دخل المامون مصر راي الاهرام
فامر بفتح الهرم الكبير فلما انتهي فيه الي عشرين ذراعا
وجد هنالك مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب زنة
كل دينار اوقيه وكان عددها الف دينار فتعجب المامون
من جودة ذلك الذهب وقال ارفعوا حساب ما قد
صرفناه علي فتح هذه الثلمه فوجد الذهب الذي اصابه
في المطهرة بقدر ما نفقه علي فتح الثلمه لا يزيد ولا ينقص
فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كان هولاء القوم
عندهم علم لا ندركها نحن ولا امثالنا وقيل ان المطهرة
الخضراء التي وجدت في الثلمه كانت من الزبرجد الاخضر
فامر المامون بحملها الي خزاينه وهي احد ما حمل من
عجايب مصر واستمر النقب موجود في الهرم الكبير
يقصده الناس وينزلون به فمنهم من يسلم ومنهم من
يهلك انتهي ذلك فلما رحل المامون عن مصر عزل عيسي
بن منصور الرافقي وولي نصر بن كيدر السعدي
فاقام بها الي سنة تسع عشره ومايتين وفي ايامه توفي
احمد بن اشكاب ابو عبد الله الصفار الكوفي نزيل مصر
مات سنة سبع عشره ومايتين وتوفي عيسي بن معبد
بن شداد العبدي نزيل مصر مات في رمضان سنة ثمان
عشره ومايتين وتوفي فيها ايضا حبيب بن ابي حبيب
ابو محمد المصري تابعي وتوفي سعيد بن عيسي المصري
تابعي مات في ذي الحجه سنة تسع عشره ومايتين وتوفي
فيها ايضا عمرو ابن الربيع بن طارق الهلالي الكوفي نزيل

مصر التي كان بها تلك السنة

مصر وتوفي فيها أيضا النضر بن عبد الجبار بن مضر المعزي
واستمر نصر بن كليب على ولايته بمصر حتى عزل وتولى
بعده المظفر بن أبي العباس فلم تطل أيامه بها وعزل
وتولى بعده مالك بن كليب وذلك سنة أربع وعشرين
ومائتين وفي أيامه توفي أصبغ بن الفرج بن سعيد
بن نافع الأموي المصري من أعيان العلماء مات سنة
خمس وعشرين ومائتين فأقام مالك على ولايته بمصر
حتى عزل ثم أعيد الأمير عيسى بن منصور ثانيا وأقام
في هذه الولاية الى سنة تسع وعشرين ومائتين
وفي أيامه توفي الإمام نعيم بن حماد المروزي نزيل
مصر مات سنة ثمان وعشرين ومائتين مات بسامرا
وكان من حفاظ الحديث واستمر الأمير عيسى على ولايته
بمصر حتى عزل ثم تولى بعده هرثمة بن نصر الجبلي
فأقام الى سنة خمس وثلاثين ومائتين ثم تولى بعده
ابنه حاتم فلم تطل أيامه وعزل وتولى بعده اسحق
بن يحيى فلم تطل أيامه وعزل ثم تولى بعده
عبد الواحد بن عيسى بن حوط مولى خزاعة تولى على
مصر سنة ست وثلاثين ومائتين فأقام على ولايته بمصر
دون السنتين وعزل ثم تولى بعده عنبسه بن اسحق
الضبي تولى سنة ثمان وثلاثين ومائتين وفي أيامه هجموا
بنو الأصفر على ثغر دمياط ونهبوا المدينة وقتلوا جماعة
من أهلها وسبوا النساء فجاء الخبر الى مدينة الفسطاط
يوم عيد النحر فخرج الأمير عنبسه ونادى بالنفير عاما
فخرج عسكر الفسطاط قاطبة وتوجه الى ثغر دمياط
وحاربوا بني الأصفر فانتصروا عليهم وأسروا منهم
جماعة وهرب الباقون الى بلادهم ورجع الأمير عنبسه

الى الفسطاط وهو منصور وقدامه الأسرا
من بني الأصفر وكان يوما مشهودا فأقام الأمير عنبسه
بعد ذلك مدة يسيرة ومات بمصر ثم تولى بعده
الأمير يزيد بن عبد الله التركي وكان من الموالي تولى
على مصر سنة اثنين وأربعين ومائتين في أيام الخليفة
المتوكل على الله جعفر بن المعتصم فلما استقر بمصر
كانت له حرمة وافرة وكلمة نافذة ثم ان المتوكل
أرسل يقول له ان يبني مقياسا لزيادة النيل فشرع
في بناء مقياسا بالجزيرة وهي الروضة فابتداء في بنايه
سنة ست وأربعين ومائتين قال ابن عبد الحكم
كان بمصر عدة مقاييس قبل الإسلام فكان مقياسا
بأنصنا ومقياسا بعنف ومقياسا بقصر الشمع ثم بنى عمرو
ابن العاص مقياسا بأسوان عندما فتح مصر ثم
بنى عبد العزيز بن مروان لما كان على مصر مقياسا
بحلوان ثم بنى أسامه بن زيد مقياسا بالجزيرة في
أيام عبد الملك بن مروان فلما كان أيام الخليفة جعفر
المتوكل على الله أمر بإبطال سائر المقاييس التي
كانت بمصر وجعل العمل على هذا المقياس وسماه المقياس
الجديد وهو عبارة عن فسقية مربعة يدخل اليها الماء
من أسربة بين الحيطان وفي وسطها عمود من
رخام أبيض وهو مثمن طوله نحو عشرين ذراعا وله
قاعدتان سفلى وعلو وفوقه حجارة خشب في وسط
الفسقية وقد نقش هذا العمود على أذرع بها أصابع مخطوطة
كالقراريط ومساحة الذراع الى أن يبلغ اثني عشر
ذراعا ثمانية وعشرون أصبعا ومن اثني عشر ذراعا الى
ما فوق ذلك يصير الذراع أربعا وعشرين أصبعا فاذا

كان أوان زيادة النيل يدخل الماء الجديد على الماء
القديم الذي في الفسقية فتارة تكون القاعدة عالية
من الماء القديم وتارة تكون واطية من قلة الماء وأقل
ما يكون في قاع المقياس من الماء القديم ثلاثة أذرع
وفي تلك السنة يكون النيل شحيحا وقاعدة مصر في أمر
زيادة النيل فإن النيل يتنفس في الزيادة من أول بؤونة
فإذا مضى منها اثني عشر ليلة تنزل النقطة في ليلة الثاني
عشر منها ويسمونه عند القبط عيد ميكائيل فإذا مضى من
بؤونة خمسة وعشرين يوما تطلع البشارة وتظهر أمر
القاعدة بما وجد في قاع المقياس من الماء القديم ثم في
يوم السادس والعشرين من بؤونة ينادي على النيل
بما يزيد في تلك السنة من قليل أو كثير وقيل في المعنى
مناد فيه قاعدة اصطباري وهت لقياسه الهجر
المتتابع
رأى كسر القلبي قلت هل لا تبشر بالوفا ملك الأصابع
وتصير الزيادة مستمرة أبيب ومسرى وتوت واثني عشر
يوما من بابه فيكون مدة الزيادة من ابتدائها إلى
منتهاها ثلاثة أشهر وخمسة وعشرون يوما ثم يأخذ
في النقصان وغالب الوفا يكون في مسرى حتى قيل إذا
لم يوفي النيل في مسرى فانتظره في السنة الأخرى
قال المسعودي إذا انتهت الزيادة إلى ستة
عشر ذراعا فقد حصل للناس الري الشامل فإذا
بلغت الزيادة إلى سبعة عشر ذراع استبحر من أراضي
مصر الربع وحصل لبعض الضياع الضرر بسبب وجوه
الاستبحار

الاستبحار وإذا بلغت الزيادة ثمانية عشرة ذراعا
كانت العاقبة عند انصرافه حدوث وباء بالديار
المصرية وكان القبط يقولون نعوذ بالله من أصبع
من عشرين وكان النيل إذا بلغ أصبع من عشرين غرق
الضياع والبساتين وكسر الجسور وحصل للناس الضرر بسببه
ذلك وكانت قاعدة مصر القديمة محمولة على ستة عشرة
ذراع تروي منه سائر أراضي مصر وقد خربت هذه
القواعد كلها في هذا الزمان لما علا من الأراضي من
قلة الجرف وفساد الأحوال وصارت أراضي مصر الآن لا
تروى إلا من عشرين ذراعا أو اثنين وعشرين ذراعا
انتهى ذلك وكانت هذه المقاييس المقدم ذكرها يتولى
قياس النيل بها جماعة من النصارى الأقباط فلما بنى الأمير
يزيد بن عبد الله التركي هذا المقياس الجديد بالجزيرة
عزل ذلك النصارى عن قياس النيل وجعل عليه شخصا
يسمى عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي الرداد
وكان أصله من البصرة وقدم مصر وأقام بها وكان مؤذنا
76 بجامع عمرو بن العاص وأجرى عليه في كل شهر سبعة دنانير
ولم يزل المقياس بيد أبي الرداد حتى توفي سنة ست
وستين ومائتين واستمر المقياس مع أولاده وأولاد أولاده
إلى يومنا هذا قال المسبحي في تاريخ مصر سأل القاضي
ابن خيران ماذا يستفتحون به القياسون في كلامهم إذا
نادوا على النيل قال أحسن ما يقولون نعم لا تحصى من
خزائن لا تفنى زاد الله في النيل المبارك كذا وكذا قال
القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في منادي البحر لما يزيد
عشرة أصابع وتحلقوا في أيديهم عود وهو مخلوق بالزعفران
نحن قلت لما أتى المحتسب وفي يده عود بما النيل نحن عودي

وقد نودي

أيام سلطاننا سعد السعود وقد صح القياس بجري

الماء في العود

قال المسعودي ومن عادة ماء النيل قبل الزياده
تخضر لونه ويتغير طعمه فيقولون العوام من اهل
مصر البحر بيتوحم وهذا شي ليس له اصل والسبب
في ذلك ان النيل اذا انهبط بعد الزياده يترسب
الماء في تلك البطيحات التي فوق الجنادل فينقطع
مايها ويتغير لونه وطعمه فاذا جاءت السيول
بالماء الجديد يخذ الماء القديم من البطيحات الى
اراضي مصر فيقولون الناس قد توحم البحر وفي ذلك

يقول الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا

عجب لنيل ديار مصر أنه عجب اذا فكرت فيه يخظر
يطاء الاراضي فهي تلقح دايما من مايه وهو الذي
يتوحم

قال المسعودي وكان للمقياس في الدولة الفاطمية
عند مبتدا الزياده مايه دينار تصرف من الذخيرة لابن
ابي الرداد بسبب كنس مجاري ماء النيل حتى يدخل الى
فسقية المقياس وكان ياتي من مدينة قوص مركب
صغيره تسمي المفرد فيبشر بوفاء النيل قبل ان يبشر
به بن ابي الرداد وكان له معلوم على ارباب الدولة
في كل سنة فبطل ذلك من مصر مع جملة ما بطل منها
من العوايد القديمة وقد تغزلت الشعراء في وصف
هذا المفرد تغزلات كثيره **فمن ذلك قول القيسي**

ان كان مد النيل قد سركم وقد بلغتم بالوفاء
المنى

فالنيل

وانهما رجال واحد يقتدى
وعليهم اهل مقطع النيل قطاعه
من حبس المقياس حتى يصل

٧٧

فالنيل من بعد كم أدمعي فجري وما المفرد الا انا

انتهى ذلك واستمر الامير يزيد بن عبد الله التركي
علي ولايته مصر حتى عزل **ثم تولى بعده** الامير
مزاحم بن خاقان التركي وزير المتوكل تولى علي مصر
سنة ثلث وخمسين ومايتين وفي ايامه توفي احمد
بن صالح المصري احد الحفاظ المبرزين والايمة المجتهدين
مات في ذي القعده سنة ثمان واربعين ومايتين
وفي هذه السنة توفي ايضا بن عم الامام الشافعي
محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن
شافع وكان تزوج بزينب ابنة الامام الشافعي رضي الله
عنه فاولدها ابنه احمد وكان له مناظرات كثيره مع
المزني وفي سنة احدى وثلثين ومايتين جاءت
الاخبار من بغداد بوفاة البويطي ابو يعقوب يوسف
بن يحيى البويطي القرشي كان اماما عالما فاضلا كان
يحضر مجلس الامام الشافعي وله مناظرات كثيره
ارسل خلفه الخليفه الواثق من مصر الى بغداد
في ايام المحنه بخلق القران واراد منه القول بخلق
القران فامتنع من ذلك فحبسه الواثق ببغداد حتى
مات في السجن وهو مقيد وكانت وفاته في رجب
من تلك السنه وكان الامام الشافعي بشره انه لا
يموت الا وهو في السجن في الحديد وكذا جرى انتهى
واستمر الامير مزاحم بن خاقان علي ولايته مصر حتى
مات **ثم تولى بعده** ابنه الامير احمد فلم تطل ايامه
وعزل **ثم تولى بعده** ارخوز التركي وكان من
الموالي فلما ولي علي مصر لم تطل بها ايامه وعزل

عنها ثم تولى بعده الأمير محفوظ بن سليمان
وكان هؤلاء الأمراء إذا تولوا على مصر يسموا عمال
الخراج بمصر وكانت الخلفاء يشترطون عليهم في كتب
تقاليدهم المال الذي يلتزمون به وعليهم من الهدايا
الهدايا والتقادم الخيول العربية والبغال الخيسية
والجمال البجاوية والثياب الدبيقية ومقاطع الشرب
الإسكندرانية والطرز البهنساوية والأجلال الخيل
والستور الفيومية والعسل النحل المصري الذي يجني
عسل بنها وغير ذلك من الأصناف التي لا توجد
إلا بمصر قال محفوظ بن سليمان تحمل علي من
خراج مصر في أيام الخليفة الواثق ثلثمائة ألف دينار
فأرسل أحضرني في الحديد فلما وصلت إلى بغداد
دخلت على الواثق وقت صلاة الفجر وأنا آيس
من الفرج فلما فرغ يصلي أخذ بيده درج مكتوب
بماء الذهب فقراء فيه فلما أبصرني قال ويحك يا
محفوظ في أي ساعة دخلت علي فيها فقلت في ساعة
خير يا أمير المؤمنين قال هل تدري ما في هذا
الدرج الذي قلت لا والله يا سيدي قال هذا ما
أنزل على دانيال عليه السلام يقول الله تعالى عند
تناهي شدتي يكون فرجي وعند نزول بلائي يكون
رجائي وفي مثلي فليطمع الطامعون اذهب يا محفوظ
فقد وهبت لك ما عليك من المال ووليتك على مصر
ثانيا فامضي راشدا وأمر بنزع قيودي وخلع علي
خلعة سنية فخرجت من عنده وأنا لم أصدق منه
بالنجاة وكنت قد أيست من الفرج وقد قيل في المعنى

من غريب ما اتفق لي أن قلت ... بيني

لا تجز

لا تجزعن لما وافى الزمان به ولا تكن حرجا من شدة الحرج
لا بد للعسر من يسر يعقبه وللشدائد من حل ومن فرج
واستمر الأمير محفوظ بن سليمان في ولاية مصر حتى
مات سنة أربع وخمسين ومائتين ثم تولى بعده
الأمير أحمد بن محمد بن المدبر وكان من شياطين
العمال أحدث في أيامه أنواعا من وجوه الظلم لم
تكن بمصر منها أنه حجر على الأطرون والملح وكانا
مباحا للناس ومنها أنه قدر على الكلاء التي ترعاه
البهايم مالا وسماه المراعي وقدر على مصايد الأسماك
مالا وسماه المصايد وأحدث من هذه المظالم أشياء كثيرة
وقسم أموال مصر ما بين خراجي وهلالي وهذه أول تلاشي
أحوال الديار المصرية فلما جرى ذلك رحل غالب أهلها
من الظلم وانحط خراجها في أيامه إلى الغاية حتى بقي
ثمانمائة ألف دينار بعد ما كانت تجبا في أيام من تقدمه
من أمراء مصر اثني عشر ألف ألف دينار وقد آل أمرها
إلى الخراب من يعمله كما قيل في معنى ذلك
عليك بالعدل إن أوليت مملكة واحذر من الظلم فيها غاية الحذر
فالملك يبقى مع الكفر البهيم ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر
فلما تلاشت أحوال مصر أرسل الخليفة المستعين بالله
بعزل أحمد بن المدبر وولي الأمير أحمد بن طولون على
مصر تولى سنة خمس وخمسين ومائتين ذكر أخبار دولة
الأمير أحمد بن طولون قال إبراهيم بن وصيف شاه
أن طولون كان أصله تركي الجنس أهداه نوح بن أسد

الشاماني عامل بخاري الي الخليفه المامون سنة مايتين من
الهجرة فاعتقه المامون وسره بجارية اسمها هاشم فولد
له منها ابنه احمد هذا سنة اربع عشرة ومايتين وقيل
سنة عشرين ومايتين واستمر طولون حتي مات سنة
اربعين ومايتين قال بن عساكر فانتشي احمد في
بغداد وكان عالي الهمه شجاعا بطلا سعيد الحركات
اقبلت له الايام قيل ان عسكر بغداد قالوا له اقتل
الخليفه المستعين بالله ونحن نوليك علي واسط فابي
من ذلك وقال مالي وقتل الخلفاء فلما بلغ المستعين
ذلك عظم احمد بن طولون في عينه وولاه علي مصر
واضاف اليه الثغور الشاميه والعواصم وافد بعينه
وسائر الثغور من اعمال الديار المصريه قال بن
وصيف شاه لما دخل الامير احمد بن طولون الي مصر
كان ضيق الحال يحتقره من يراه وكان بمصر شخصا
من اعيان مصر يقال له علي بن معبد البغدادي وكان
في سعة من المال فلما بلغه حضور الامير احمد خرج
الي تلقيه فلما راه في ضيق حال بعث اليه عشرة الاف
دينار فقبلها منه وراي لها موقعا فحظي ذلك الرجل
عنده وصار لا ينصرف في شي من احوال الديار المصريه
الا برايه وصار من اخصايه قال بن وصيف شاه
لما ولي الامير احمد علي مصر تسلمها من احمد بن المدبر
وقد تلاشي امرها وانحط خراجها فاهتم الامير
احمد في عمارة جسورها وبناء قناطرها وحفر خلجانها
وسد ترعها فانتشت احوال الديار المصريه
في ايامه ووقع العدل والرخاء في ايامه حتي قيل
ابيع كل عشرة اراداب بدينار وعلي هذا فقس
في جميع الغلال والبضايع ووصل خراج مصر في ايامه
مع

مع وجود الرخاء اربعة الاف الف دينار وثلثماية الف
دينار غير ما يتحصل من المكوس قال بن وصيف شاه
خرج الامير احمد بن طولون يوما علي سبيل التنزه
فتوجه الي نحو الاهرام فبينما هو راكب اذ غاصت قوايم
فرسه في الارض فامر بكشف ذلك المكان فلما كشف فاذا
هو كنز فيه دنانير ذهبا كل دينار قدر الرغيف ووجد
به انسان ميت وكان طول كل عظمة من اضلاعه اربعة
عشر شبرا وعرضه نحو شبر ثم ان الامير احمد نقل ذلك
المال الي خزاينه قال صاحب مراة الزمان ان احمد
بن طولون ارسل جثة هذا الميت الي بغداد حتي شهدها
الخليفه فلما ظفر بهذا الكنز اتسع حاله وعظم امره فاستكثر
من مشتري المماليك الديالمه حتي بلغت عدتهم اربعه
وعشرون الفا وبالغ في مشتري العبيد الزنج حتي بلغ
عدتهم نحو اربعين الفا واستكثر من شراترت العز
الحوف حتي بلغ عدتهم سبعة الاف شنتيرا فعند ذلك
سطا علي الخلفا وادعي الخلافه لنفسه بمصر وانفرد
بخراجها فحاربه الخليفه المعتضد بالله فلم يقدر عليه
قال عبد الله بن عبد الظاهر لما كثرت عساكر الامير احمد
بن طولون ضاقت بهم مدينة الفسطاط فبنا مدينه شرقي
مدينة الفسطاط وسماها القطايع وكانت مدينه جليله
بنيت قبل القاهره وكانت ميلا في ميل اولها من كوم
الجارح الي الصليبه وعرضها من قناطر السباع الي الجبل
المقطم وكان بها مناظر مطله علي بحر النيل واثار سورها
باق الي الان عند المدرسه الجاوليه وهو الذي يسمونه
الكبش فلما فرغت اسكن بها جنده ولم تزل هذه المدينه
عامره حتي هدمها محمد بن سليمان الكاتب لما ولي علي مصر

ايام الخليفة المكتفي بالله خليفة بغداد وذلك سنة ثمان
وخمسين وثلث مائة قال عبد الله بن عبد الظاهر
لما فرغ الامير احمد بن طولون من بناء مدينة القطايع
ابتدا ببناء جامعه وقد ابتدا في عمارته سنة ثلث وستين
وانتهي العمل منه سنة ست وستين ومايتين
وبلغت النفقة علي بنايه ماية الف دينار وعشرين
الف دينار قال بن عبد الظاهر لم يكن بمصر بقعة
اعظم من البقعة التي بني فيها هذا الجامع وكان هذا
المكان يسمي جبل يشكر قيل ان موسي عليه السلام ناجي
ربه عليه وهو مشهور باجابة الدعاء فيه فلما فرغ
من بنايه لم يصلي فيه احد من الناس وقالوا هذا انبني
من مال حرام لا يجوز فيه الصلاة فلما بلغ الامير احمد
ذلك خطب فيه وحلف بالله العظيم انه ما بني هذا
الجامع من مال حرام وانما بناه من كنز ظفر به عند
الاهرام فعند ذلك صلوا فيه الناس ثم ان بعض
الناس عاب قبلته وقال انها ضيقة فخطب وقال
في خطبته قد رايت النبي صلي الله عليه وسلم في المنام
وهو يقول لي يا احمد ابن قبلة هذا الجامع علي هذا
الوضع وخط لي في الارض صورة ما يعمل فما امكنني ان
ازيد بعد ذلك ولا انقص فلما اصبحت وجدت النمل قد
الحاف علي ذلك الخط فوضعت اساس المحراب عليه والي
الان يسمي محراب النمل قيل لما كمل بناء المحراب جعل
عليه منطقة من العنبر معجون بمسك لتفوح رايحتها علي
المصليين به وعلق بهذا الجامع عشر الاف قنديل من
الزجاج المذهب وكان في صحنه قبة علي عشرة عمد من رخام

من رخام ابيض وهي مفروشه بالرخام الملون وفي
وسطها فوارة يفور منها الماء يطلع من قصعة رخام
ابيض قطعة واحدة دورها اربعة اذرع في مثلها تفور
بالماء ليلا ونهارا برسم الوضوء ثم فرشه بالحصر العبداني
وكان علي صحنه شبك من جميع جوانبه لاجل العصافير
قيل ان بعض الناس كتب له علي باب الجامع هذين البيتين
بني جامعا لله من غير حله فجاء بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها فيا ليتك لا تزني ولا تتصدق
قال صاحب مرآة الزمان كان احمد بن طولون لا يعبث
قط في مجلسه فعبث يوما في درج من الورق وجعل يعبث
به فتعجب منه الحاضرون لذلك فقال لما انكروا عليه احضروا
لي المهندسين فلما حضروا قال لهم ابنوا لي منارة هذا
الجامع علي صفة هذا الدرج ولم يظهر انه عبث به وقال
المقريزي انما بنا منارة هذا الجامع علي صفة منارة جامع
سامري الذي ببغداد فلما كمل هذا الجامع صلي به القاضي
بكار بن قتيبة رضي الله عنه وكان اماما وخطب به ابو
يعقوب البلخي واملي به الحديث الربيع بن سليمان وكان
تلميذ الامام الشافعي رضي الله عنه قال ابن عبد الظاهر
وبني الامير احمد بن طولون بجوار هذا الجامع مارستان
وصرف عليه ستين الف دينار ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان
وجعل به خزانة شراب وادوية وجعل عليها خادم برسم
اسود خصي وكان يجلس علي بابه في كل يوم جمعة طبيبين
الضعفاء وكان له اوقاف كثيرة حتي قيل كان له في كل
يوم من المصروف الف دينار ولم يزل هذا الجامع علي
ما ذكرناه حتي احترق كله في ليلة الجمعة خامس عشرين

جمادي الاولي سنة سبع وسبعين وثلثمائة فلما تولي العزيز بن
المعز الفاطمي علي مصر جدد ما احترق منه ولكن ابطل هذه
الاشيا الكثيرة انتهي ذلك قال ابن عبد الظاهر بلغ الامير
احمد بن طولون ان المقياس قد تهدم فركب بنفسه وكان
صحبته القاضي بكار بن قتيبة قاضي مصر وابو ايوب صاحب
خراجه فلما نظر الي المقياس امر باصلاحه ورسم له بالف
دينار فصرفت عليه ومن الحوادث في ايامه ان النجوم
تطايرت في السماء شرقا وغربا فارتاع الامير احمد من
ذلك واحضر ارباب الفلك وسالهم عن ذلك فما اجابوا
بشي فتطير من ذلك فدخل عليه الشاعر الحسني بالجمل وهو
جالس في موكبه وانشده هذه الابيات

قالوا تساقطت النجوم لحادث ابدا عسير
فاجبت عند مقالهم بجواب محتنك خبير
هذي النجوم الساقطات رجوم اعداء الامير

فتفاءل الامير احمد بذلك وانعم علي الجمل خلعة سنية
وفي ايامه سنة تسع وستين ومائتين توفي ابن المواز
ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الحكم وكان من عظما
ائمة المالكية وله اختيارات في المذهب ولد سنة ثمانين وما
وتوفي في ايامه ايضا المزني ابو ابراهيم اسمعيل بن يحيي
بن اسمعيل بن عمر بن اسحق كان من الائمة المجتهدين
وكان الشافعي يقول لو ناظر المزني الشيطان لغلبه وكان
مولده سنة خمس وسبعين ومائة وتوفي لست بقين
من رمضان سنة اربع وستين ومائتين ودفن قريبا من
تربة الامام الشافعي والدعا عند قبره مجاب انتهي قال
الشيخ ابو الحسن بن حماد وكان من اعيان العلماء كنت
راقدا في منزلي بعض الليالي واذا بالباب يدق علي في
نصف

[illegible]

نصف الليل فنظرت من الطاق واذا برجال ومعهم
مشاعل فوقفوا ببابي فقلت ما تريدون فقالوا ابا
الحسن بن حماد فقلت ها هو انا فقالوا امض فان الامير
احمد يطلبك في هذه الساعة فارتعدت اعضاي ثم قمت
وركبت بغلتي وانا ايس من الحياة فلما وصلت الي دار
الامير احمد دخلت وسلمت علي حاجب الباب فقال لي
ادخل وخذ في مشيك عن يمينك واحترز ان لا تقع
في البحرة وكانت ليلة مظلمة من ليالي الشتاء فمشيت
حتي بلغت ضوء الشمع فوقفت قليلا واذا بالامير احمد
في قبة لطيفة وهو نائم علي ظهره وبين يديه شمعتان
فوقفت طويلا فلما علم بي قال ابو الحسن قلت نعم قال
ادخل فدخلت ووقفت بين يديه فقال اجلس فجلست
فقال لاي شي تصلح هذه القبة وكانت قبة لطيفة تجلس
فيها نحو اربعة انفس فقلت تصلح للفكر وتلاوة القران
ومطالعة العلم ومنادمة المحبين فتبسم ثم قال ماذا
تقول في هذه المسيلة قلت يقول الامير ايده الله
بنصره فقال ما تقول فيمن سلط علي شي ففعله فهل
يعذب عليه قال ابو الحسن فعلمت ان المسيلة هي
ما شبه عنه فقلت علي الفور لو كان كل مسلط معذبا
لكان ملك الموت اشد الناس عذابا يوم القيامة فلما سمع ذلك
مني استوي جالسا وقال كيف قلت فقلت لو كان كل
مسلط معذبا لكان ملك الموت اشد الناس عذابا يوم
القيامة ثم سكت طويلا وقال انصرف الي منزلك فخرجت
من عنده وانا لا اصدق بالنجاة فلما خرجت تبعني الحاجب
بصرة فيها مائتا دينار فاخذت ذلك وانصرفت الي منزلي

وَانا لا أصلح بالسلامة انتهي وكان الامير احمد يقول
اني لاجد في فهم الرجل عني اذا خاطبته من اللذة
ما لا اجده مجامع المرأة الحسناء عند جماعها قال
ابن وصيف شاه لم يلي مصر قبل خلفاء بني عبد الله اعظم من
نظام الامير احمد بن طولون كان راتب مطبخه
في كل يوم الف دينار تصرف في امر المطبخ فيما
يحتاج اليه وكان عسكره يحضر السماط مرتين في كل يوم
وكان منتهي مملكته من مصر الي الفرات والي برقة
قال جامع السيرة الطولونية كان بمدينة عين
شمس وهي المطريه صنما من الكدان الابيض علي
قدر خلقة الرجل المعتدل القامة وكان محكم
الصناعة يكاد ان ينطق فقصد الامير احمد ان
ينظر اليه فنهاه بعض الكهان عن رؤيت هذا الصنم
وقال ايها الامير لا تنظر الي هذا الصنم فما نظر اليه
احد من ولاة مصر الا عزل في عامه فلم يعبا بهذا
الكلام وركب وتوجه الي عند ذلك الصنم وراه ثم
انه امر بقطعه فقطع ولم يبقي له اثر فلما رجع
حم من يومه ولزم الفراش فتسلسل في المرض نحو
عشرة اشهر فخرج الناس قاطبة الي الصحاري وفعلوا
كما يفعلوا في الاستسقاء فخرجوا حفاه وعلي رؤوسهم
المصاحف وخرج اليهود وعلي رؤوسهم التوراة
وخرج النصاري وعلي رؤوسهم الاناجيل وخرج
الاطفال من المكاتب وعلي رؤوسهم الالواح
وخرج العلماء والزهاد ودعوا الي الله تعالي له
بالعافية والشفاء فلم يغن من ذلك شيئا ان اجل الله
اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون فاستمر حتي مات رحمه
الله

الله وكانت وفاته في ليلة الاحد لعشر خلون من ذي
القعدة سنة سبعين ومايتين وكانت مدة ولا
يته علي مصر نحو ستة عشر سنة واشهر ولما مات
خلف من الاولاد ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة عشر
ولدا والباقي ذلك اناثا وكان ملكا عادلا في الرعية كفوا
لملك مصر وكان كريم اليد سخي النفس منقادا الي الشريعه
يحب العلماء والفقراء وكان عنده التواضع يصلي علي من
يموت من اهل مصر من فقير او غني وكان له اشتغال
بالعلم وطلب الحديث وكان يتصدق في كل اسبوع علي فقراء
البلد بثلاثة الاف دينار غير الرواتب الجارية علي اهل
المساجد والزوايا في كل شهر الف دينار وكان يرسل الي
مجاورين الحرمين في كل سنة كسوة الشتاء والصيف وكان
نافذ الكلمة وافر الحرمة استقل في ايامه بملك مصر ولم
يدخل تحت طاعة خلفاء بغداد وكان مملكته من بلاد
الغرب الي الفرات وفتح في ايامه مدينة انطاكيه وغيرها
من البلاد وكان الناس يخيرونه علي خلفاء بغداد في عدله
بين الرعية غير انه كان شديد الغضب سيئ الخلق سفاكا
للدماء اذا غضب لم يعفوا حتي قيل مات في حبسه
ثمانية عشر الف انسان ولما مات دفن خارج باب القرافه
قال بعض الثقات كنت اري شيخا من اهل العلم يقرا
علي قبر الامير احمد بن طولون في كل يوم ثم رايته بعد
ذلك ترك القراءة علي قبره فسالته عن ذلك فقال لي كان
للامير احمد علي من البر والاحسان ما لا اطيق وصفه فاحببت
ان اواسيه بشي من القران بعد موته فرايته في بعض
الليالي في المنام فقال لي يا فلان بالله لا ترجع تقرا

وابطل في ايامه ما كان احدثه [illegible] من [illegible]
من المكوس [illegible] التي [illegible]

على قبري شيئاً نطق تمثّل بي آية من القرآن الأجل إلى أما
سمعت هذه الآية في دار الدنيا فهلا لا كنت تعمل
بها وما رأيت أشد على ملوك الدنيا من الحجاب في
كتبهم لحوائج المظلومين عن الملوك وقد قيل في المعنى
ولو أنا إذا متنا تُركنا لكان الموت راحة كل حي
ولاكنا إذا متنا بُعثنا ونُسأل بعد ذا عن كل شيء
قال بن وصيف شاه خلف الأمير أحمد بن طولون من
الذهب العين عشرة آلاف ألف دينار ومن المماليك
المشتراوات سبعة آلاف مملوك ومن العبيد الزنج
أربعة وعشرين ألف عبد ومن الخيول سبعة آلاف
فرساً ومن البغال ستة آلاف بغلة ومن الجمال عشرة
آلاف جمل ومن المراكب الحربية ألف مركباً هذا خارجاً
عن الضياع والأملاك والبساتين وغير ذلك وبلغ
خراج مصر في أيامه أربعة آلاف ألف دينار وثلثماية
ألف دينار ولم يغنه المال عند انقضاء الأجل كما قيل
خذ القناعة من دنياك وارضَ بها واجعل لنفسك
منها راحة البدن
وانظر لمن حوى مما سعى به هل راح منها بغير بعض
القطن والكفن
ولما مات الأمير أحمد بن طولون تولى بعده ابنه الأمير
خمارويه انتهى ذلك ذكر أخبار الأمير خمارويه
بن أحمد بن طولون قال بن وصيف شاه لما تولى
الأمير خمارويه على مصر مشى على نظام والده أحمد
وأبقى الجند على حالهم وكان يحب الخيل وكان
لها أنساب مثبوتة في الدواوين كأنساب الناس وكان
مولعاً بالعمائر وغرس الأشجار قيل إنه أنشأ له
بالغرب

بالقرب من جامع أبيه ميداناً ونقل إليه الأشجار
من ساير البلاد حتى من خراسان ومكة واليمن
فكان به ساير الفواكه والرياحين حتى الكادي
والقرنفل والسنبل والزعفران وغير ذلك من
الرياحين والزهور والأشياء الغريبة التي لم تُزرع
قط بمصر وجعلها كالسطور تقرأ بألفاظ مثل نصر
من الله وفتح قريب وما أشبه ذلك ووكّل بها جماعة
بأيديهم مقاريض من الذهب والفضة يصلحون ما
يفسد من الأوراق ويخرج عن قالب الاعتدال من
الحروف وكان يسحق المسك والكافور وينثره على
تلك الرياحين والأزهار وقد قيل في المعنى
بستان مجلسك المحيي تمازجه لذ ببنت الأرض وفي أحكام
والزهر مختلف به ألوانه ولقد نجل تراه عن غمام
ثم إنه ألبس قوايم الأشجار الكبار بالنحاس الأصفر
وطلا فوقه بالذهب فكانت الشمس إذا طلعت على
تلك الأشجار لا يقدر أحد أن ينظر إليها من
شدة اتقادها تكاد تخطف بالأبصار ثم صنع في ذلك
البستان بحرة كبيرة وملأها من الزيبق وكان يضع
له على تلك الزيبق فراشاً من جلد الجباة أنعم من الحرير
وله حركات تغني بالزنج ثم يُمسك تجاه بحبل ويطرح له
فراش على ذلك الجلد وينام عليه قال بعض المؤرخين
إن خمارويه كان يعتريه ضربان المفاصل فكان لا ينام الليل
فصنع له ذلك لعله يجد له راحة وينام ساعة قال
بن وصيف شاه خرج خمارويه يوماً إلى الفضاء فلقيه أعرابي
فأخذ بعنان فرسه وأنشد يقول

أنّ اللسان وحدّ السيف لو نطقا لحدّثا عنك في الهيجاء
بالعجب
أفنيت مالك تعطيه وتبذله يا آفة الفضة البيضاء
والذهب
فلما سمع خمارويه ذلك قال لغلامه أدفع إليه ما
معك في الخريطة فوجد فيها خمسمائة درهماً فقال
الأعرابي زدني أيها الأمير فمثلك من يزيد فقال خمارويه
للغلمان ألحقوا عليه منا طعامكم وسيوفكم وكانت مسقطة
بالذهب فقال الأعرابي ومن يحمل لي ذلك فأمر له
ببغل فحمل ذلك عليه ومضى وفي سنة ثمانين ومائتين
توفي القاضي بكار بن قتيبة بن راشد الثقفي الحنفي رضي
الله عنه وكان من ولد أبي بكرة الصحابي تولى القضا
بمصر في أيام الخليفة المتوكل على الله سنة ست وأربعين
وأربعين ومائتين وكان مولده سنة اثنين وثمانين ومائة وكان
حنفي المذهب وهو شيخ الطحاوي مات في الحجة من
تلك السنة ودفن مقابل تربة الإمام الشافعي رحمة
الله وفي هذه السنة أرسل المعتضد بالله خليفة
بغداد يخطب قطر الندى بنت الأمير خمارويه فأمهرها
الخليفة المعتضد مائة ألف دينار ومائة ألف شقة حرير
ملون فخرجت من مصر إلى بغداد وكان معها من
القماش والأواني ما لا يحصر حتى قيل نقل جهازها من
مصر إلى بغداد في ستة أشهر فكان من جملة ما ذكر
من جهازها مائة هاون ذهب وألف سروال حرير
وفي تكة كل سروال جوهرة تعدل بيضة الحمامة فلما
حملت إلى بغداد ودخل عليها المعتضد فأحبها
حباً شديداً قيل أنه وضع يوماً رأسه في حجرها
ونام

[margin note, illegible]

[margin note, illegible]

ونام فلما غرق في النوم تلطفت به حتى أزالت رأسه
عن حجرها ووضعتها على وسادة فلما انتبه من
منامه ناداها فأجابته من مكان قريب فقال لها
قد أسلمت نفسي إليك وغبت على حجرك فتركتني ومضيتي
عني أكليتي مني فقالت والله لم آلف كلية من أمير
المؤمنين أن مما أدبني به والدي أن لا أجلس مع
النيام ولا أنام مع الجلوس فاستحسن منها ذلك
وأقامت معه حتى مات وقيل في المعنى
كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك مضمونه
عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول
كان أبي
واستمر خمارويه على ولاية مصر حتى هجم عليه بعض
خدامه في الليل وذبحه وهو نايم في فراشه وكانت
فقتلته في ذي الحجة سنة اثنين وثمانين ومائتين
وكانت مدة ولايته على مصر نحو اثني عشرة سنة وشهراً
ثم تولى من بعده ابنه أمير جيوش ويعرف أيضاً
بالأفضل وهو صاحب السوق المعروف به قال
القضاعي إن الأفضل هذا هو الذي بنى المشهد المطل
على بركة الحبش المعروف الآن بالرصد وإنما سمي
بالرصد قيل كان فوقه كرة من نحاس أصفر قدرها
قنطار وهي قائمة على عمود من رخام بسبب تحرير
الساعات لأجل دخول أوقات الصلوات ولم ينسب
إلى الحاكم بأمر الله من بنائه شيئاً وإنما هي إشاعة
بين الناس في نسبته إلى الحاكم بأمر الله وهو حفر

خليج أبي المنجا وكان المتولي أمر حفره أبي اعمر جا شمعا اليهودي فعرف به ومن الحوادث في ايامه قد هاجت ريح سودا واشتد هبوبها واظلم الجو حتى ظهرت النجوم بالنهار فارتاع الناس من ذلك ثم توجهوا الى المساجد يبتهلون الى الله بالدعا فلم تزل الدنيا عاصف الى بعد المغرب حتى سكن الحال واستمر الامير خمارويه على ولاية مصر حتى قتل أيضا **فكانت** مدة ولايته على مصر نحو سنة ٢٢ وما مات دفن في سفح بجانب أبيه جوار . **ثم تولى بعده** الأمير هرون بن خمارويه **ومن الحوادث** في ايامه ان شخصا يسمى أبو الحسن الخراساني توجه الى نحو اطفيح هو وجماعة من أصحابه فوجد وا في بعض التل فاين شربه زجاج ازرق بعروة خضراء فاخذها ابو الحسن المذكور وجاء الى شاطي النيل وملا منه تلك الشربة وناولها لبعض أصحابه ليشرب منها فوجده خمرا مسكرا طيب الرايحة أحمر اللون ولم يكونوا يعلمون ما في هذه الشربة من السر فلما علموا شأنها فرام كل احد منهم اخذها فتهاجموا عليها فوقعت من بين أيديهم وانكسرت فوجدوا فيها شخصا لطيفا من نحاس أصفر وتحت رجله عنبة وهو يعصرها فلما شاع أمرهم بين الناس أحضرهم الامير هرون بين يديه فوجد الشربة قد كسرت فاشتق عليها واغتم لذلك ثم قال لو كانت صحيحة لشريتها ببعض ملكي وكانت

هذه

قال ابن الجوزي ان في سنة ثمان وسبعين وما يتين جاءت الأخبار من مصر الى بغداد بان النيل قد غار عن آخره ولم يبق منه شي وهذا من العجايب التي لم يسمع بمثلها من قديم الزمان الى الاسلام

وفي هذه الواقعة يقول القايل

تقاصر النيل عنا تقاصرا متتابع . حتى قنعنا اضطرارا منه بمص الأصابع . وهذه الواقعة من النوادر

هذه الشربة من صنعة الحكماء اليونانية وفي ايامه وقعت زلزلة بمصر حتى وصلت الى الاسكندرية وسقط منها راس المنار وكانت زلزلة عظيمة جدا واستمر الامير هرون على ولاية مصر حتى دخل عليه عماه شيبان وعدي وهما ابناء الامير احمد بن طولون فقتلاه وكان ثملا فقتل في فراشه **وكانت** مدة ولايته على مصر نحو تسع سنين الا أشهرا وفي ايامه توفي المسبحي المورخ سنة اربع وثمانين وماتين **ثم تولى** بعد الامير هرون عمه شيبان الذي قتله وكان يعرف بأبي المقانب **فكانت** مدة ولايته على مصر اثني عشرة يوما **كما قيل**

فلا كعبا بلغت ولا كلابا . فغض الطرف انك من نمير

والامير شيبان هذا هو آخر من تولى على مصر من بني طولون وبه زالت دولتهم كأنها لم تكن ثم أرسل الخليفة المكتفي بالله محمد بن سليمان الرافقي الى مصر فقبض على شيبان واعتقله وتولى مكانه على مصر فأقام بها مدة أربعة أشهر وعزل عنها **ثم تولى بعده** الأمير عيسى النوشري وفي ايامه وقعت صاعقة على مدينة الفسطاط فأحرقت عدة أماكن منها وفي ايامه توفي أبو العباس الناشي الشاعر عبد الله بن محمد كان أصله من الانبار وكان متنزلي أقام ببغداد مدة ثم رحل عنها ودخل مصر وأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين وماتين وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد فمن شعره **قوله**

الكرم من كرم الطباع وفضلها . والراح روح أخي الغرام الجاهد

ولذلك سميت الشمول لجمعها شمل الخليط وضمها للغاد ورد
تدعا لوا باسم المدام لأن في ادمانها اسعاد كل مساعد
وهي العقار لانهم عقروا بها ما جمعوا من طارف او تالد
فاعتض بها عن كل شيء فاتك واغضض بها عين العدو الحاسد

فاقام الامير عيسى ابن نوشري في ولايته علي مصر الي ان مات بها سنة سبع وتسعين ومايتين فكانت مدته خمس سنين وشهرين ثم تولي بعده ابا منصور تكين الخاصه فاقام بها الي سنة ثلث وثلثمايه ثم صرف عنها وفي ايامه توفي احمد ابن شعيب النساي احدي الحفاظ توفي بالرملة سنة ثلث وثلثمايه ثم تولي بعده ذكا ابو الحسين الاعور فاقام مده يسيره وعزل ثم اعيد تكين الخاصه ثانيا ثم صرف وتولي بعده هلال بن بدر فاقام بها الي سنة احدي عشره وثلثمايه وفي ايامه توفي احمد بن محمد بن عثمان بن شبيب شيخ القراء مات سنة اثني عشره وثلثمايه وفي هذه السنه حضر الي مصر من عند صاحب النوبه هدية للخليفه المقتدر بالله من جملتها بغله ومعها فلوها يتبعها ويرضع منها اللبن وهذا من العجايب ومن جملة الهديه غلام زنجي لسانه يصل الي جبهته حكا ذلك صاحب مراة الزمان ولما صرف تولي بعده احمد بن كيغلغ ثم صرف من عامه واعيد تكين وهي ثالث ولايه فاقام في هذه الولايه الي ان مات سنة احدي وعشرين وثلثمايه وكانت مدة ولايته في هذه

[illegible]

في هذه المده نحو عشرة سنين واشهر وفي ايامه توفي ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامه الطحاوي المصري الحنفي بن اخت المزني وولد سنة تسع وثلثين ومايتين ومات في ذي القعده سنة احدي وعشرين وثلثمايه وفي هذه السنه توفي ايضا الحافظ مكحول مات في جمادي الاخره من تلك السنه وفيها توفي محمد بن عبد الله البيروتي ولما مات تكين الخاصه تولي بعده ابنه محمد فلم تطل ايامه وعزل في ايام الخليفة القاهر بالله

ذكر ابتداء دولة الاخشيدية بمصر

قال الكندي ان من تولي مملكة فرغانه يسمي الاخشيدي فكان اول من تولي منهم بمصر محمد بن طغج الاخشيدي فتغلب علي مصر واخذها بالسيف فاقام بها مده يسيره وتغلب عليه احمد بن كيغلغ وصرفه عنها وتولي عليها فاقام بها مده يسيره وتغلب عليه محمد بن طغج فصرفه عنها واعيد اليها محمد بن طغج ثانيا وفي هذه الايام وقع الاضطراب في ساير البلاد لضعف شوكت الخلفاء العباسيه فكانت مصر والشام بايدي الاخشيديه والموصل وديار بكر وديار ربيعه ومضر بايدي بني حمدان وفارس بيد الامير احمد بن بويه وخراسان بايدي نصر بن احمد والبصره والاهواز وواسط بايدي البريدي وكرمان بايدي محمد بن الياس والري واصفهان والجبل بايدي الحسن بن بويه والغرب وافريقيه بايدي ابي عمرو الغساني وطبرستان وجرجان بايدي الديلم والبحرين واليمامه وهجر بايدي ابي طاهر القرمطي

ولم يبق بأيدي خلفاء بغداد سوى مدينة بغداد
وأعمالها ثم ان محمد طغج اقام على ولاية مصر الى
ان مات سنة أربع وثلثين وثلثماية وفي ايامه توفي
النسائي سنة ثلث وثلثين وثلثماية مات بعلة وكان
مولده سنة خمسة عشر ومايتين وتوفي في ايامه
ايضا ابو بكر بن محمد بن عبد الله الصيرفي كان من
العلماء توفي في رجب سنة ثلثين وثلثماية وتوفي في
ايامه الحافظ ابو بكر الطحان مات سنة ثلث وثلثين
وثلثماية وفي ايامه توفي الشيخ العارف بالله ابو
الحسن علي بن محمد بن سهل الدينوري المعروف
بالصايغ توفي في رجب سنة احدى وثلثين وثلثماية
رضي الله عنه ولما مات الامير محمد بن طغج
تولى بعده ابنه الامير ابو بكر بن محمد بن طغج وكان
صغير السن وكان القايم بتدبير امور المملكة خادمهم
كافور فساس الناس في ايامه احسن سياسة ومشى
على نظام والده وفي ايامه توفي النيسابوري
الحافظ ابو زكريا محمد توفي سنة سبع وثلثين وثلثماية
وقيل بل مات سنة سبع وثلثمائة في ايام تكين
الخاصه والله اعلم وتوفي عبد المنعم بن عبد الله
بن غلبون مؤلف كتاب الارشاد في القراات
مات سنة تسع وثلثين وثلثماية وتوفي ابو اسحق
المروزي ابرهيم بن احمد احد الائمة المجتهدين
توفي بمصر سابع رجب سنة اربعين وثلثماية
ودفن عند الامام الشافعي وتوفي ابو بكر
بن الحداد الكناني مات في صفر سنة خمس
واربعين وثلثماية وكان من اعيان العلماء
والحفاظ

والحفاظ ومن الحوادث أن في سنة ست وثلثين
وثلثماية لم يوجد بفسقية المقياس ماء اصلا فلما ارادوا
يأخذوا قاع النيل أخذوه من بر الجيزة فكان النيل في
تلك السنة خسيسا جدا وبلغت الزيادة اربعة عشر
ذراعا وستة عشر اصبعا فوقع الغلا بمصر واستمر في
كل سنة يزيد زيادة خسيسة ولم يبلغ الى ستة عشر
ذراعا واقام على ذلك نحو تسع سنين والغلا مستمرا
بمصر ومن الحوادث ان في سنة تسع واربعين وثلثماية
جاءت الاخبار بان السيل نزل على الحجاج واخذهم عن
آخرهم والقاهم في البحر المالح وفي ايامه توفي السيد
الشريف احمد بن محمد بن اسمعيل بن ابرهيم طبا طبا المصري
وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد مات في شعبان سنة
خمس واربعين وثلثماية ومن نظمه الرقيق وهو قوله

رايت الهلال ووجه الحبيب فلم ادر ايهما انور
على ان ذاك بعيد المنال وهذا قريب لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال لنا ساعة ونفع الحبيب لنا اكثر

واستمر الامير ابو بكر بن محمد بن طغج على ولاية مصر حتى
مات سنة تسع واربعين وثلثماية فكانت مدة ولايته بمصر
نحو خمسة عشر سنة وكان وافر الحرمة نافذ الكلمة بلغ
خراج مصر في ايامه الفي الف دينار وانصلح الحال على ايامه
وبلغت عدة عساكره بمصر والشام نحو اربع ماية
الف فارس وهو اول من رتب الجوامك للجند بقدر
معلوم في كل شهر ولما مات دفن بمصر عند مدينة
الفسطاط وقد رثاه ابو الطيب المتنبي بهذه الابيات

هو الزمان مشت بالذي جمعا في كل يوم ترى من صرفه بدعا

لو كان ممتنع تخشيه منعته • لم يصنع الدهر بالأخشيد
ما صنعا •
ذاق الحمام فلم تدفع عساكره • عنه القضاء ولا أغناه
ما جمعا •
لو يعلم اللحد ما قد ضم من كرم • ومن فخار ومن
نعماء لا تسعا •
يا لحد طل إن فيك البحر محتبسا • والليث مهتصرا
والجود مجتمعا •
يا يومه لم تخص الفجع فيه لقد • كل الورى برزا
الأخشيد قد فجعا •
ولما مات تولى بعده ابنه أبو القاسم محمود المعروف
بأنوجور فأقام مدة يسيرة ومات • وكانت مدته نحو
سنة وأشهر • وفي أيامه توفي أبو الفتح كشاجم الشاعر
الناظم الناثر وكان له شعر جيد • فمن ذلك قوله
في شقائق النعمان
حمراء من صنعة الباري وجودته • مصقولة لم ينلها قط
صقال •
كأنها وجنات أربع جمعت • وكل واحدة في صحنها خال
وكان كشاجم عالما فاضلا وهو صاحب كتاب أدب النديم
مات بمصر سنة احدى وخمسين وثلثماية • وكان رحل
عن مصر إلى بغداد ثم عاد إلى مصر • وانشأ يقول
قد كان شوقي إلى مصر يؤرقني • فالآن عدت وعادت
مصر لي دارا
ولما مات الأنوجور تولى بعده أخوه علي • فأقام
علي ولايته بمصر إلى أن مات سنة خمس وخمسين وثلثماية
وفي أيامه قطعت بنو سالم الطريق علي الحجاج وأخذوا
منهم عشرين ألف بعير بحمالها قماش وبضايع • ومال

وفي أيامه سنة ثلث وأربعين وثلثماية
توفي الشيخ أبو الخير الأقطع وكان أصله من
الغرب وتجلد بمصر ومات بها وكان له كرامات خارقة

وفي سنة ست وخمسين وثلثماية
توفي الإمام الدافعي أبو الفضل أحمد
بن محمد بن نصر السندي الشافعي

ومال وأسروا الرجال والنساء • وفي أيامه توفي
أبو اسحق محمد بن القاسم بن شعبان من أعيان العلماء
المالكية مات سنة خمس وخمسين وثلثماية • وتوفي ابن
السكن أبو علي سعيد بن عثمان البغدادي نزيل مصر
مات سنة ثلاث وخمسين وثلثماية • ولما مات الأمير علي
اجتمع رأي أهل مصر علي تولية كافور الخادم وكان
حسن السياسة عادلا في الرعية فولوه عليهم • ذكر أخبار
أبي المسك كافور الأخشيدي • قال الشيخ شمس الدين
الذهبي أن كافور كان خصيا حبشيا اشتراه الأخشيد من
بعض أهل مصر بثمانية عشر دينار • ولم يلي مصر خصيا غير
كافور • ويونس المظفري الذي ولي سلطنة العراق
وكان خصيا أيضا • فلما ولي كافور خطب له علي منابر
الديار المصرية وأعمالها • وبلاد الشام والحجاز • ودعي
باسمه علي المنابر وكان يكتب علامته علي المراسيم
القلم بعبده • والسيف بجده • والعبد يسعده لا بآباء به
ولا بجده • ومن النكت اللطيفة • قيل دخل علي
كافور في يوم عيد طايفة من الحبش وهم يرقصون
ومعهم طبل وطنبور فلما رقصوا بين يديه طربه
لذلك وحرك لتغه ثم أنه اشتد رد فارطه فصار تحرك
لتغه في كل ساعة من الليل والنهار حتى مات وقال
هذا مرض يعتريني ولم يخرج عن ناموسه • ومن النكت
اللطيفة قيل كان بمصر واعظا يعظ الناس فقال يوما
في مجلس وعظه وكافور حاضر ذلك المجلس أيها الناس
انظروا إلى هوان الدنيا علي الله تعالى فإنه أعطاها
لمقصومين ضعيفين • وهما الحسن بن بويه استولى علي
بغداد وهو أشل بيده • وأعطا كافور ملك مصر وهو
خصي • فرفع كافور طرفه إليه فظنوا الناس أنه يوقع به

فعل فلما فرغ من وعظه دفع اليه مائة دينار واخلع
عليه خلعة سنية فلما كان المجلس الثاني حضر كافور على
عادته فقال الواعظ ومن العجايب ان ما انجب من
بني حام غير ثلثة لقمان الحكيم وبلال مؤذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكافور الخصي فطربوا الناس لذلك
فكان كافور كما قيل في المعنى من هذين البيتين

اصون عرضي بمالي لا ادنسه ۞ لا بارك الله دون العرض في المال
احتال للمال ان اودى فاكسبه ۞ ولست للعرض ان اودى بمحتال

قال محمد بن عبد الملك الهمداني كان كافور وافر
العقل سخي النفس كثير الحلم ومما حكاه ابو جعفر
بن عبد الله بن طاهر العلوي قال كنت اسايرُ
الامير كافور يوما وهو راكب في موكب خفيف من
العسكر فسقطت مقرعته من يده فبادرت بالنزول
واخذتها من الارض ودفعتها له فقال ايها الشريف
اعوذ بالله من بلوغ هذه الغاية وما ظننت ان
الزمان يبلغني حتى يفعل بي مثل هذه الفعلة ثم
بكى فلما وصل الى باب داره ودعته ومضيت الى
منزلي فلم البث الا ساعة يسيرة واذا انا بالبغال وعليها
شكاير محمله قد خلوا بها داري ففتحتها واستعبرتها
فاذا فيها دنانير من الذهب عدتها خمسة عشر الف
دينار وهذه الاخبار تحار فيها العقول كما قيل

اذا قرأت كتابا فاضت دموعي الهوامي
فليست الكتب عندي الا قبور الكرام

ومن

ومن الوقايع المستحسنه ان في زمن كافور وقعت
زلزله عظيمه بمصر فخاف الناس من ذلك وهربوا
الى الصحاري وظنوا انها القيامه فدخل محمد بن
عاصم الشاعر على كافور وانشده قصيدة عظيمه فمن
جملتها هذا البيت

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها ۞ لكنها رقصت من عدله طربا

فتفاءل كافور بذلك واجاز محمد بن عاصم بالف دينار
فلما بلغ ابو الطيب المتنبي افعال كافور وجوايزه
السنيه اتى من بغداد ودخل مصر وامتدح كافور
بقصايد سنيه فمن جملة ذلك هذه الابيات

قواصد كافور توارك غيره ۞ ومن ورد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه ۞ وخلت بياضا خلفها وماقيا
وللنفس اخلاق تدل على الفتى ۞ أكان سخاء ما اتى ام تساخيا

قيل لما دخل المتنبي مصر كان في كبكبة عظيمه من
حاشيته وعاليكه وغلمانه وكان يلبس عمامة خضراء
ويشد في وسطه منطقه وسيف وكان يلبس في رجله
اخفاف حمر من جلد وكان ينسب الى بخل عظيم مع ما
كان بيده من سعة المال قيل لما دخل مصر كان يحضر
سماط كافور ومعه عبد اسود بغلب زنف ياخذ
فيها فضلات الطعام لغلمانه وقد هجاه ابن لنكك بقوله

ما اوقح المتنبي فيما حكى وادعاه
ابيح مالا عظيما لما اباح قفاه
يا سايلي عن غناه من ذاك كان غناه

قيل لما دخل المتنبي الى مصر في هذه الكبكبة تخيل
منه كافور وقصد القبض عليه فلما بلغ المتنبي ذلك
هجا كافور ورحل عن مصر تحت الليل ومما هجاه به

العبد ليس لحر صالح باخ لو انه في ثياب الحر مولود
لا تشتري العبد الا والعصا معه ان العبيد لانجاس مناكيد
من علم الاسود المخصي مكرمة اقومه البيض ام اباوه الصيد
ام اذنه في يد النخاس دامية ام قدره وهو بالفلسين مردود
وذاك ان الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

فلما تطلبه كافور ولم يقدر عليه فقيل لكافور وما قلت
هذا حتى توهمت منه فقال هذا رجل اراد ان يكون
نبيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم فعلا يروم ان يكون
ملكا بمصر وكان مولد المتنبي بالكوفة سنة ست وثلثماية
وكان اسمه محمد بن حسن ابو الطيب اقام بمصر اربع سنين
وقتل في رمضان سنة اربع وخمسماية قيل لما احاطوا به
ليقتلوه فهم بالهروب فقال له عبده اين قولك يا
سيدي

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فلما سمع ذلك قال قتلتني يا فلان وثبت مكانه حتى قتل
صبرا انتهى ذلك ومن الحوادث في ايام كافور ان
النيل بلغ في الزيادة الى اثني عشرة ذراعا وتسعة
عشرا اصبعا ثم انهبط فشرقت البلاد ووقع الغلا بمصر
وذلك

وذلك سنة ست وخمسين وثلثماية قال الكندي
كان من اثار عجايب مصر حوضا من رخام اخضر وهو
منقور وعليه كتابة بالقلم القديم وهذا الحوض كان في
بحر النيل عند طرا وكان اذا جلس فيه واحد من الناس
او اربعة وحركوه فيعدي بهم من جانب الى جانب
فاخذه كافور من البحر والقاه في البر فبطل فعله
من يومئذ وفي ايامه وقع حريق عظيم في سوق البزازين
بمدينة الفسطاط وعلت النار الى قيسارية العسل وحل
الليل والنار على حالها فبات الناس على وجل من ذلك
فركب كافور وامر المنادي ينادي بان من جاء بقربة
فيها ماء فله ماية درهم فجاء الناس بالقرب واطفوا
النار فكان عدة ما احترق من الدور الف وسبعماية دار
غير البضايع والاقمشة وغير ذلك وتوفي في ايامه محمد
بن عبد الله المعافري شيخ القراء مات سنة سبع وخمسين
وثلثماية قال الشيخ شمس الدين الذهبي كان راتب
كافور في مطبخه في كل يوم الفان رطل من اللحم البقري
وسبعماية رطل من اللحم الضان وماية طير اوز وثلثماية
طير دجاج وثلثماية فرخ حمام وعشرين فرخ سمك كبار
وعشرين رميسان ضان وثلثماية صحن حلوى وسبعة
افراد فاكهة والف كوز فقاع وماية قداية شلد والف
نماجة من الخبز وخمسة افراد بقولات وكان يحضر على
سماطه الخاص والعام واستمر كافور على ذلك حتى مات
في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثماية وكانت
مدة ولايته على مصر سنتين واربعة اشهر ودفن في
القرافة الصغرى رحمة الله عليه ولما مات تولى بعده
الامير احمد بن علي بن ابو بكر بن محمد بن طغج الاخشيدي

وكان يحدق بابي الفوارس فلما توفي لم تستقم احواله
واضطرب امر الديار المصريه ووقع بها الغلا
الشديد فاقام مدة يسيرة والاحوال غير صالحه
ثم ان اعيان الديار المصريه كاتبوا المعز الفاطمي
وكان ببلاد الغرب فارسل جوهر الصقلي القايد
الي مصر ومعه مائة الف فارس من عساكر
الغرب فكان دخول جوهر الي مصر في يوم الجمعه
تاسع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمايه
فملك مصر من غير قتال ولا مانع فلما دخل جوهر الي
مصر هرب ابو الفوارس وجماعة الاخشيديه وهو
اخر من ملك مصر من الاخشيديه وبه زالت
دولتهم عن اخرها قال بعض المورخين
تولي علي مصر اثنان وسبعون اميرا اولهم
عمرو بن العاص واخرهم ابو الفوارس احمد
الاخشيدي ولم ينفرد بخراجها غير الامير
احمد بن طولون فلما دخل جوهر القايد الي مصر
في يوم الجمعة امر خطباء جامع عمرو بن العاص
وجامع العسكر وجامع ابن طولون ان يخطبوا
في ذلك اليوم باسم المعز فخطبوا ثم امر المؤذنين
ان يجهروا في الاذان بحي علي خير العمل فشق
ذلك علي الناس ثم انشد محمد بن هاني الاندلسي
شاعر الغرب قصيده مطوله مدح في المعز وحط
فيها علي خلفاء بني العباس فكان مطلعها هذا البيت
تقول بني العباس هل فتحت مصر فقل لبني
العباس قد قضي الامر
ثم ان جوهر لما دخل مصر لم تعجبه مدينة الفسطاط
فشرع في بناء القاهره قال الشيخ شمس الدين

الدين الذهبي لما اراد الامير جوهر القايد ان يبني
سور القاهرة جمع الفلكيه وامرهم بان يختاروا له
طالعا سعيدا حتي يضع فيه اساس المدينة فجعل
علي كل جهة من اساس المدينة قوايم من الخشب
وبين كل قايمة منها حبال وفيه اجراس من نحاس
ثم وقف الفلكيه ينتظرون دخول الساعه الجيده
والطالع السعيد حتي يضعوا فيه الاساس وكان لهم
اشارة مع البنايين انهم اذا حركوا لهم تلك الحبال
التي فيها الاجراس فيلقون ما بايديهم من الحجارة
اذا سمعوا حس الاجراس فبيناهم واقفون لانتظار
الساعة السعيدة فاتفق ان غرابا وقع علي تلك الحبال
فتحركت الاجراس التي بها فظن البنايون ان الفلكيه
حركوا لهم الحبال التي فيها الاجراس فالقوا ما بايديهم
من الحجارة في الاساسات التي حفروها للسور فصاح
عليهم الفلكيه لا لا القاهر في الطالع يعنون المريخ وهو
اسمه عندهم القاهر فقضي الامر وفاتهم ما قصدوا له
من الطالع السعيد كما قيل يريد المرء ان يعطا مناه
ويابي الله الا ما اراد
فقال الفلكية اعلموا ان هذه المدينة اكثر من يملكها الاتراك
وكان الامر كذلك وكان بناء سور القاهره سنة تسع وخمسين
وثلثمائة من الهجرة وكان الذي بناه جوهر القايد من
سور القاهرة بالطوب اللبن واثاره باقية عند الباب الجديد
بالقرب من البرقية واما السور الموجود الان بناه
الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة اثنين
وسبعين وخمسمائة وبناه بالحجر الفص المنحوت وكان القايم
علي بنايه الامير بهاء الدين قراقوش الخصي الحبشي

ذكر ذلك بن الأثير فلما فرغ الأمير جوهر من بناء السور
بنا قصر الزمرد وجعله دار المملكة وكان قصر الزمرد
مكان دار الضرب فلما فرغ الأمير جوهر من بناء السور
أرسل يعرف المعز بذلك ويستحثه في الدخول الى
مصر ثم جاءت الأخبار بان المعز قد وصل الى ثغر
الإسكندرية فخرج الناس قاطبة الى ملتقاه وكان
دخوله الى الإسكندرية في شعبان سنة اثنين وستين
وثلثماية فخرج اليه قاضي مصر أبو الطاهر الذهلي فلما
دخل عليه جلس الى جانبه ثم التفت اليه وقال له هل رأيت خليفة أفضل
مني فقال القاضي أبو الطاهر لم أر أحدا من الخلايق
سوى أمير المؤمنين ثم قال له هل حججت قال نعم
قال وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم قال وزرت قبر أبي بكر وعمر فتحير
القاضي ماذا يقول وكان المعز يميل الى مذهب الرفض
ثم نظر الى الأمير نزار بن المعز وهو قايم على راس
أبيه مع الأمرا فقال القاضي شغلني عنهما زيارة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شغلني أمير المؤمنين
عن السلام على ولي العهد له الأمير نزار ثم قام
وسلم عليه ثم رجع الى جانب المعز فلما كان يوم الجمعة
خطب المعز بجامع الإسكندرية خطبة بليغة وفضل
نفسه على خلفاء بني العباس ثم توجه من الإسكندرية
الى مصر فدخلها في خامس شهر رمضان سنة اثنين
وستين وثلثماية فنزل بقصر الزمرد الذي أنشاه جوهر
القايد

ذكر ابتداء دولة الفاطميين من بني عبيد الله واستيلاهم على مصر

قال الشيخ شمس الدين الذهبي في نسب المعز هو أبو

تميم معد بن المنصور إسمعيل بن القايم بأمر الله محمد
بن المهدي عبيد الله المغربي الفاطمي ولد ببلاد
المغرب بمدينة أفريقية يوم الجمعة تاسع عشرين
شوال سنة احدى وأربعين وثلثماية وهو رابع
خليفة من بني عبيد الله بمدينة أفريقية وفي
سبب شرف هذه الفاطميين **أقوال** كثيرة فمن
الناس من نسبهم الى فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن الناس من نسبهم الى الحسين
بن محمد بن أحمد بن القداح وكان أصل القداح من
أتباع المجوس وهذا أشهر نسبهم عند أرباب التواريخ
قال الشيخ شمس الدين الذهبي لما دخل المعز الى
مصر كان معه ألف وخمسماية جمل موسوقة ذهبا عينا
وكان معه من القماش والتحف ما لا يحصر فمن جملة
ما قيل انه كان معه من التحف قبة من البلور وهي
قطعتان يجلس فيها أربعة أنفس فكانت اذا نصبت
في ليلة مقمرة تخفي ضوء القمر من شعاعها وكان معه
أربعة خوابي من البلور تسع قدر راوية من الماء
كل واحدة منها وكان معه من التحف غير ذلك ما هو
أعجب من ما سمع **قيل** لما دخل المعز مصر حمل معه
أجداده الذين ماتوا بمدينة أفريقية فحملهم في توابيت
من خشب ودفنهم بمصر وأيقن أنه ملك مصر الحصر فيه
وفي أولاده الى آخر الزمان فلما دخل مصر ورأى ما قد
بناه جوهر القايد من القاهرة فلم يعجبه ذلك وقال
له لقد بنيت هذه المدينة في وطية لا هي بحرية
ولا هي جبلية وكان قصد المعز لو بناها جوهر عند الرصد
أو على شاطي النيل وكان المعز سمى القاهرة أولا المنصورية

[illegible]

فلما بلغه ما وقع للفلكية من امر القاهر يعني المريخ فغير
اسمها وقال سموها القاهرة فاستمر اسمها القاهرة من
يومئذ • **وفيها يقول القايل**

لله قاهرة المعز فانها بلد تخصص بالمسرة والهنا
او ما ترى في كل قطر منية من جانبيها فهي مجتمع المنى

وقال اخر

مصر لها الافضال اذ لم تزل على العدا منصورة ظاهرة
ما غودرت كلا ولا قوهرت الا وكانت مصر والقاهرة

قيل ان اول شي حكم به المعز بمصر ان امراة وقفت اليه
بقصة وانشات تقول قول ابي العلا المعري

تحطمنا ريب الزمان كاننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

فقال لها المعز من انت ايتها المراة قالت انا زوجة
الامير ابو بكر بن محمد بن طغج الاخشيدي صاحب مصر فقام
اليها المعز وعظمها وقال ما حاجتك قالت اني قد اودعت
بغلطاقا لي عند شخص يهودي فاقام عنده مدة ثم اني
طلبته منه فانكره فقلت له خذ منه ما تختار من
جواهره واعطني الباقي فابا وامتنع من الاعطاء وانكر
ذلك اصلا فلما سمع المعز ذلك ارسل خلف اليهودي
وسال له عن امر البغلطاق الذي اودعته عنده زوجة
الاخشيدي فانكره ولم يعترف به فامر بشنقه فلما
تحقق ذلك اعترف به فامره المعز باحضاره فلما احضره
بين يديه تحير مما فيه من الجواهر واليواقيت ثم انه
وجد اليهودي قد سرق من صدر البغلطاق درتين
فساله عن ذلك فاعترف انه باع تلك الدرتين بالف
وستماية دينار فاخذ المعز البغلطاق من اليهودي ودفعه

ودفعه الى زوجة الاخشيد ثم انها سالته ان
ان ياخذ منه شيا على سبيل الهدية فابا من
ذلك فاخذت البغلطاق وانصرفت وهي داعية
له ثم امر بشنق اليهودي فشنق وهذا اول شي
حكم به بالقاهرة وكان المعز يحب العدل والانصاف
بين الرعية غير انه كان يميل الى مذهب الرفض
ويسب الصحابة يوم الجمعة على المنابر فلما استقر
المعز بالقاهرة شرع الامير جوهر القايد في بنا الجامع
الازهر وهو من انشائه وكان الامير جوهر وزيرا
للمعز وكان خصيا صقلي الجنس وكانت له حرمة وافره
وكلمة نافذه فبنى هذا الجامع وانتها العمل منه في جمادي
الاولى سنة اثنين وستين وثلثماية وهو اول جامع بني
بالقاهرة وانما سمي بالازهر لزهارته بين الجوامع **قيل**
كان به تنور فضه وسبعة وعشرين قنديلا من الفضة
وكان في محرابه منطقه فضه وكان به طلسم برسم الطيور
فكان لا يقربه عصفور ولا حمام ولا يمام ولا شي من
انواع الطيور فلما بني جامع الحاكم تلاشى امر جامع الازهر
وخرب واقام مدة طويلة وهو خراب الى ايام الملك
الظاهر بيبرس البندقداري فامر باصلاحه واعاد فيه
الخطبة بعد تعطيله هذه المدة الطويلة انتهى ذلك
قال الذهبي ان المعز لما استقر بالقاهرة خرج عليه
خارجي يقال له الحسن بن احمد القرمطي اتى من الشام
في جيش كثيف من العساكر وكان معه الامير حسان
بن الجراح الطائي امير العرب ومعه الجم الغفير من عربان
الشام حتى سد بهم الفضا فكان **ينشد ويقول**

زعمت رجال الغرب أني هبتهم فدمي أذاً ما بينهم مطلول
يا مصر إن لم أسق أرضك من دمٍ يروي ثراك فلا سقاني النيل

فلما رأى المعز أنه لا يقوى على محاربة حسان بن الجراح
أرسل يقول له في الدس ارحل عن مصر وأنا أرسل
إليك مائة ألف دينار فأرسل حسان يقول له إن
بعثت إلي ما تقول رحلت عن مصر فأرسل إليه المعز
مائة ألف دينار في أكياس مختومة قال بعض
المؤرخين أن ذلك الذهب الذي أرسله المعز إلى
حسان كان زغل نحاس ملبس بالذهب فجعل
الذهب الخالص فوق الأكياس والذهب النحاس
أسفله فلما التقت الجيوش للحرب فأظهر حسان أنه
قد انكسر وانهزم عن معه من العربان فعند ذلك
ضعفت شوكة عسكر أبو الحسن القرمطي وانهزم من
ساعته وقويت عليه عساكر المعز فانكسروا هم وولوا
مدبرين ومن الحوادث في أيامه أن في سنة ثلث
وستين وثلثمائة خرج بنو هلال على الحجاج فقتلوا
منهم خلقاً كثيرة ولم يحج في تلك السنة سوى أهل
العراق فقط ولما تولى المعز على مصر منع القبط مما
كان يعمل في يوم النوروز من صب المياه على الناس
في الطرقات ووقود النار في تلك الليلة وكانوا يخرجون
في ذلك الحد ومنعهم أيضاً مما كان يعمل في ليلة الغطاس
من نزول المراكب وضرب الخيام على شاطئ النيل قبالة
المقياس فأشهر النداء بإبطال ذلك وهدد من يفعل
ذلك بالشنق فرجع الناس عن ذلك وكان يحصل منه

منه غاية الفساد قال بعض المؤرخين أن المعز
كان يميل إلى علم الفلك فأخبروه جماعة من الفلكية أن
عليه قطعاً شديداً في شهر كذا وكذا في يوم كذا وكذا
وأشاروا عليه بأن يختفي في سرب تحت الأرض حتى
يمضي عنه ذلك القطع فاختفى في سرب نحواً أربعة أشهر
فلما طالت غيبته على عسكره ظنوا أنه رفع إلى السماء
فكان الفارس من عسكره إذا نظر إلى الغمام في السماء
ينزل عن فرسه ويقول السلام عليك يا أمير المؤمنين
فلا زالوا على ذلك حتى ظهر من السرب وجلس على سرير
مملكته وهم يحسبون أنه كان في السماء وأتى إليهم واستمر
المعز في خلافته بالقاهرة حتى توفي وكانت وفاته في ربيع
الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة وكانت مدة خلافته
بمصر نحو ثلث سنين ونصف ومات وله من العمر نحو من
أربعة وعشرين سنة ودفن عند سيدي زين العابدين
الذي تربته بين الكيمان عند حدرة بن قميحة والمعز هو
أول خلفاء بني عبيد الله بمصر وكانوا يقولون نحن
أفضل من خلفاء بني العباس لأننا من ولد فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الخلفاء الفاطمية
يحكمون من مصر إلى الفراة وإلى مكة والمدينة وكانت
مصر وبلاد المغرب مملكة واحدة وكانت خلفاء بني
العباس يحكمون من الفراة إلى بغداد وأعمالها وساير
بلاد الشرق وكان يخطب لكل خليفة منهما في الجهة
التي تحت حكمه باسمه فقط ولما تولى المعز على مصر قام
لها حرمة واستكثر فيها من العساكر ما بين كنانة وروم
وصقالبة ومغاربة وعبيد سود وطائفة يقال لهم زويلة

حتي قيل لم يطأ الأرض بعد جيوش الاسكندر بن
فيلبس الرومي اكثر من عساكر المعز الفاطمي وبلغ
خراج مصر في ايامه الف الف دينار وماتتي الف دينار
وكان خراجها قد انحط قبل ذلك الي الغاية فجدد
بها الامير جوهر القايد ما فسد من جسور وقناطر
وغير ذلك حتي استقامت احوال الديار المصرية في
ايامه ولما مات المعز تولى بعده ابنه العزيز نزار
انتهى ما اوردناه من اخبار المعز الفاطمي علي سبيل
الاختصار ذكر خلافة العزيز بالله ابو منصور
نزار بن المعز بالله معد الفاطمي العبيدي وهو
الثاني من خلفاء بني عبيد الله بمصر تولى الخلافة
بمصر بعد موت ابيه المعز سنة خمس وستين وثلثماية
وكان مولده بمدينة القيروان سنة اربع وخمسين
وثلثمايه فلما تم امره في الخلافة ابقى الامير جوهر
القايد في الوزارة علي حاله قيل لما تولى العزيز
الخلافة دخل عليه عبد الله بن حسن الجعفري
الشاعر يهنيه بالخلافة فانشده هذه القصيدة
منها عمت خلافته مصرا فصار بها كانه الشمس
فيها حلت الحمل
ان المعز الذي لا خلق يشبهه الا العزيز ابنه ان
قال او فعلا
فان مضى كافل الدنيا فصار لنا من بعده كافل يغني
بما كفلا
اضحت ملوك بني الدنيا له خدما وما حوت كفه
دار منهم نفلا
قال بعض المورخين لما تولى العزيز الخلافة
بعد

بعد ابيه استكثر في عسكره من المماليك الديالمة
والمصامدة والمغل واستقامت احواله بالديار
المصرية واظهر العدل بين الرعية ثم اقام الامير
جوهر في الوزارة مدة ومات فلما مات استقر بعده
في الوزارة ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس
وكان اصله يهوديا واسلم ومما وجد للامير جوهر
القايد بعد موته من الذهب العين ستماية الف الف
دينار ومن الدراهم اربعة الاف الف درهما ومن
اللولو الكبار واليواقيت اربع صناديق مجلدة
ومن القصب الزمرد الف قصبة ومن الثياب الديباج
خمسة وسبعين الف قطعة ووجد عنده دواة
من الذهب طولها ذراع وهي مرصعة بالدر والياقوت
فقوم ما عليها من الجواهر باثني عشر الف دينارا ووجد
عنده لعبة من المسك والعنبر الخام وكان اذا نزع اثوابه
البسها عليها ووجد في داره ثمانية مسمار من الذهب
علي كل مسمار منها عمامه لون ووجد عنده من المخالق
الذهب والفضة الف مخلقة ووجد عنده عشرة الاف
زبدية صيني ومن الاواني البلور مثلها ووجد عنده
اربع دسوت من الذهب وزن كل دست ماية رطل
بالمصري ووجد عنده سبعماية خاتم بفصوص ياقوت
وبلخش والماس وزمرد وفيروزج ووجد عنده ثلثة ماية
ثم حسكة ما بين ذهب وفضة وبلور وصيني هذا كله
خارجا عن البغال والخيول والجمال والاملاك والضياع
وغير ذلك وفي ايامه توفي اخوه الامير تميم بن
المعز وكانت وفاته سنة ثمان وستين وثلثماية وكان

شاعرًا اما هذا وله شعر جيد **فمن نظمه قوله**

اذا وجدت زمانًا لم تسر به ... فكم أنا خلك سهلًا بعد أصعبه

فاقبل من الدهر ما أعطاك ممتزجًا ... لعل مدرك تحلوا من تقلبه

خذها اليك ودع لومي مشعشعة ... من كف أغيد أسيل الخد منتهبه

لا تترك القدح المملو في يده ... إني أخاف عليه من تلهبه

ننزهه عن سقينا إني أغازله ... وسقني واسقني من فضل مشربه

وما وقع للامير تميم هذا انه سمع بجارية مغنية في بغداد فأرسل أخذها من سيدها فلما حضرت الي مصر وغنت بين يديه استطرب غناها وافتتن بها فقال لها في بعض الايام هلا تسألين في حاجة فقالت أريد أحج فأرسلها مع بعض أصحابه فلما وصلت الي مكة تسحبت تحت الليل فلم يعلم أين ذهبت فلما بلغ الامير تميم ذلك حمل عنده قهرًا شديدًا ومات عقيب ذلك وفي سنة تسع وستين وثلثمائة توفي الامام الحافظ ابو بكر النقاش نزيل تنيس ومولده سنة اثنين وثمانين ومائتين ومات رابع شعبان سنة تسع وستين وفي سنة سبعين وثلثمائة توفي الحسن بن رشيق صاحب العمدة مولده في صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ومات في جمادي الاخرة سنة سبعين وكان له شعر جيد **فمن ذلك قوله في النمام والتطير منه**

لم اكره النمام اهل الهوي ... اساء احواني وما احسنوا

ان كان نمامًا فمعلوله ... من غير ذنب لهم ما منوا

وفي

[illegible]

وفي سنة ست وسبعين وثلثمائة توفي ابن النحاس المصري وكان من أعيان العلماء وفي سنة سبع وسبعين وثلثمائة ولدت امرأة بمدينة تنيس جارية لها رأسين ووجهين في عنق واحد وكان احد الوجهين ابيض اللون مشربًا والاخر اسمر اللون وفيه سهولة وكل وجه منهما كامل الخلقة وذلك الوجهين في جسد واحد وكانت ام ذلك المولوده ترضع كل وجه منهما علي انفراده فحملت هذه المولوده من تنيس الي مصر حتي شاهدها العزيز وامر لامها بصلة وعادت الي تنيس وقيل ان هذه المولوده عاشت مدة يسيرة وماتت وفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة حدث بمدينة تنيس في ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الاول ان رعدت السماء وابرقت واظلم الجو وظهر في السماء اعمدة من نار تلتهب فاضاءت منها الدنيا ثم اشتدت تلك الحمره وجاء عقب ذلك ريح سوداء فيها غبار حار يأخذ بالانفاس من شدة حره فارتاع الناس من ذلك وايقنوا بالهلاك وصار يودع بعضهم بعضًا وابتهلوا الي الله بالدعاء ولم يزل الامر متماديًا علي ذلك من المغرب الي طلوع الفجر حتي سكن الريح وخمدت تلك الاعمدة النار وزالت الحمره من الجو فلما لاح الصباح طلعت الشمس وهي محمرة فاقامت علي ذلك خمسة ايام حتي اعتدلت **وقد قيل في المعني لبعضهم**

ما خاب عبد علي الله الكريم له ... توكل صادق في السر والعلن

حاشاه ان يحرم الراجي اجابته ... اذا دعاه لكشف الهم والحزن

وقال الشيخ ابو القاسم عبد المجيد القرشي ان في سنة اربع وثمانين وثلثمائة اصيبت سمكة من بحيرة تنيس وكان طولها من راسها الي ذنبها ثمانية وعشرين ذراعا

وكان عرضها خمسة عشر ذراعا وكان فتح فمها تسعة
وعشرين شبرا وكان لها يدان طول كل واحدة ثلثة
اذرع ولها عينان كعيني البقر ولسان كلسان الثور
وكانت ملساء وفي جلدها غلظ فلما صيدت امر
والي تنيس بان يشق بطنها ويحشي ملحا فوضع
في جوفها مائة اردب ملحا فكان الرجل يدخل الي
جوفها وهو حامل قفاف الملح قايما غير منحني ثم ان
نايب تنيس ارسلها الي مصر حتي شاهدها العزيز
وتعجب من خلقتها وفي ايام العزيز ظهر السمك
اللبس ببحر النيل ولم يكن منه قبل ذلك شيء
وهو من اسماك البحر المالح هرب ودخل الي البحر
الحلو فسمي لبيسا وفي ايامه توفيت سيدة الملك
اخت المعز والد العزيز فوجد لها من الذهب
العين ثلثمائة صندوق ومن الجواهر واليواقيت
خمسة ويبات ووجد عندها مكهنا من الياقوت
الاحمر وزنه سبعة وعشرين مثقالا ووجد لها
ثلثون الف شقة حرير ملون ومع وجود هذه
النعمة كانت ازهد الناس في الدنيا لا تاكل الا من
ثمن غزل يديها دايما حتي ماتت وفي سنة ثمانين
وثلثماية توفي الوزير يعقوب بن كلس فلما مات
اخلع العزيز علي شخص من النصاري يقال له نسطورس
واستقربه وزيرا فحدثت هذه الفعلة من مساويه
واخلع شخص من اليهود يقال له منشاه واستقر
به وزيرا بالشام فوقع منهما الاذي البالغ في حق
المسلمين بمصر والشام فاتفق ان العزيز ركب

علي

يوما

يوما وشق من القاهرة فزينت له فعمد بعض
الناس الي مسخرة من الجريد والبسها ثياب النساء
وزينوها بازار وشعرية وجعل في يدها قصة علي
جريدة وكتب فيها بالذي اعز النصاري بنسطورس
واعز اليهود بمنشاه واذل المسلمين بك الا ما رحمتهم
وازلت عنهم هذه المظالم فلما مر العزيز علي تلك
الصورة فظن انها امراه لها حاجة فوقف وطلب
قصتها فلما قراها اشتد به الغضب وامر بشنق الوزير
نسطورس فشنق علي باب قصر الزمرد في ذلك اليوم
ثم ارسل الي الشام بشنق اليهودي منشاه فشنق علي
باب قلعة الشام وكان العزيز يحب العدل بين الرعية
فلما شنق الوزير نسطورس اخلع علي شخص يقال له ابو
نصر صدقه الفلاحي واستقربه وزيرا عوضا عن نسطورس
وكان الفلاحي اصله يهوديا واسلم ومن الحوادث في
ايامه ان في سنة اربع وثمانين وثلثماية لم يحج سوي اهل مصر
فقط وتعطل الركب العراقي والشامي لفساد الطريق
من العربان ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلثماية
فيها في شهر رمضان توفي العزيز بالله نزار بن المعز
الفاطمي خليفة القاهرة وكانت مدة خلافته بمصر
والقاهرة احدي وعشرين سنة وخمسة اشهر واياما
وعاش من العمر نحو ثلثة وثلثين سنة وكان خيار بني
عبيد الله ولما مات تولي بعده ابنه الحاكم بامر الله
انتهي ما اوردناه من اخبار العزيز بالله بن المعز وذلك
علي سبيل الاختصار ذكر خلافة الحاكم بامر الله ابو
علي منصور بن نزار بن المعز معد الفاطمي العبيدي
وهو الثالث من خلفاء بني عبيد الله بمصر تولي

الخلافه بعد موت ابيه العزيز بالله يوم الثلاثا سلخ
رمضان سنة ست وثمانين وثلثمايه وكان مولده
بالقاهره في يوم الجمعه سادس عشرين جمادي الاولي
سنة خمس وسبعين وثلثمايه فلما تولي الخلافه اظهر
العدل بين الرعيه وسار في الناس سيره حسنه علي
طريقة ابيه العزيز واخذ في اسباب بناء الجامع المعروف
به وكان والده العزيز بنا اساس هذا الجامع ولم يتمه
فاكمله ابنه الحاكم فعرف به وكان انتهاء العمل منه في
سنة ثلث وتسعين وثلثمايه ثم بني بعده جامع راشده
الذي تحت الرصد وراشده كانت قبيله من قبايل
العرب من بني لخم نزلوا هناك فسمي الجامع براشده
مضافا للقبيله التي نزلت هناك ومن بناء الحاكم ايضا
جامع المقسي الذي عند باب البحر وكان مطلا علي بحر
النيل ثم خرب واقام هذه وهو خراب حتي جدده
الصاحب شمس الدين المقسي في سنة سبعين وسبعمايه
فعرف به من يومئذ واصله من بناء الحاكم قديما
ثم ان الحاكم افرد لليهود حارة زويله واسكنهم بها
وامرهم ان لا يخالطوا المسلمين في حاراتهم وكان في
وقت امرهم ان يدخلوا كلهم قاطبه في الاسلام فخافوا
منه واسلموا كلهم ثم اذن لهم بالعود الي دينهم فارتد
منهم في يوم واحد نحوا من سبعة الاف يهودي ثم
امر بهدم كنايسهم فهدمت ثم امر باعادتها الي
ما كانت عليه اولا وفي ايامه توفي ابو محمد الحسن بن
ابراهيم بن زولاق المصري المورخ مات في ذي القعده
سنة تسع وثمانين وثلثمايه وفي هذه السنه اصاب
الحاج عطشه شديده في الطريق فهلك منهم نحو الثلث
من

من العطش حتي قيل ان شربة ماء ابيعت بالف دينار
الذي شربها مات والذي اباعها مات وكان القايم
بتدبير امور القاهره في ايام الحاكم الامير برجوان وهو
صاحب الحاره المعروفه به وكان الحاكم بالله لا يتصرف
في شي من امور المملكه الا براي الامير برجوان وكان معه
كالمحجور عليه فما اطاق الحاكم ذلك فتنبه الي برجوان من
قتله وهو في الحمام فلما مات احتاط علي موجوده فوجد
له اضعاف ما وجد للامير جوهر القايد فمن جملة ذلك
من الذهب العين مايتي الف الف دينار ومن الفضه الدراهم
خمسين اردبا ووجد له من القماش مايتي وستين بقجه
ووجد له الف قميص حرير سكندري ووجد له اثني عشر
صندوقا فيها جواهر وفصوص ووجد من الفرش
والاواني ما لا يحصي حتي قيل كانه ينقل من حارة برجوان
الي قصر الزمرد في كل يوم دفعتين علي مايتي جمل نحو
اربعين يوما في موجود برجوان وهو لا يفرغ هذا خارجا
عن الضياع والاملاك والدواب والبهايم والعبيد والجوار
وغير ذلك قال الذهبي فلما قتل برجوان صفا للحاكم
الوقت وصار يفعل اشياء لا تقع الا من المجانين الذي
في عقلهم خلل فمن ذلك انه منع النساء من الخروج
الي الطرقات ومن التطلع من الطاقات والطلوع الي
الاسطحه ومنع الخفافين من عمل الاخفاف لهن ومنع
ساير النساء من الدخول الي الحمامات فمر يوما بحمام
الذهب التي كانت بمصر فسمع فيها ضجيج النساء فامر بان
يسد عليهن باب الحمام فسدوه عليهن من الوقت
والساعه وهو واقف عليه فاقمن داخل الحمام حتي متن
بها ثم انه منع الناس من بيع الزبيب وامر بحذف الكروم

وقطع منها نحو مائة الف كرمة ثم انه منع الناس من
بيع العسل الاسود وكسر منه نحو اثني عشرة الف
مطر ثم انه منع الناس من زرع الملوخية والقرع
وكتب على الفلاحين قسايم ان لا يزرعوا شياء
منهما وعلل بتحريم القرع لان ابا بكر رضي عنه كان
يميل اليه وعلل بتحريم الملوخية لكون ان عايشه
بنت ابي بكر كانت تميل اليها ثم انه اطلع يوما على
جماعة ياكلون ملوخية فضربهم بالسياط وطاف
بهم في القاهرة ثم ضرب اعناقهم عند باب زويله
ثم انه منع الناس من بيع السمك الذي لا قشر له
ثم نهى عن اكل الرطب وعن زرع الترمس ثم انه
امر بقتل الكلاب فقتل منهم نحو ثلاثين الف كلبا
ثم انه صار يوقد الشمع في مجلسه ليلا ونهارا ثم انه
صار يجلس في الظلام مدة طويلة ثم انه امر
الناس بان يغلقوا الاسواق بالنهار ويفتحوها بالليل
وجعل الليل مقام النهار في جميع احوال الناس كلها
فامتثلوا ذلك واستمروا عليه دهرا طويلا ثم انه مر
في السوق يوما بالنهار فراى الى شيخ يعمل في النجارة
من بعد العصر فوقف عليه وقال الم نهيتكم عن
العمل بالنهار فقال له الشيخ يا امير المومنين اما كان
الناس يسهرون بالليل وهذا من جملة السهر
فتبسم وتركه ثم اعاد الناس الى ما كانوا عليه في الاول
يتقاضون اشغالهم بالنهار ومن افعاله الشنيعة انه
كان يسب الصحابة وامر بكتابة سبهم على ابواب كل
مسجد فاقام على ذلك مدة ثم رجع عن ذلك وامر

وامر بمحو ما كتبه على ابواب المساجد ثم انه هدم
كنيسة وبنى مكانها مسجدا فاقامت مدة ثم اعادها
على ما كانت عليه كنيسة وكان يبني عدة مدارس
ويقرر بها العلماء ثم يقتلهم ويهدم تلك المدارس
التي بناها ثم انه كان يعاقب جماعة من خواصه
بسلب الالقاب فاذا غضب على احد سلب لقبه
مدة طويلة لا يدعوه بذلك اللقب فيصير ذلك
الرجل في حزن وبكا حتى يرد عليه لقبه فيكون
عنده ذلك اليوم عيد ثم انه امر طايفة اليهود
بان يحملوا في اعناقهم اذا خرجوا الى الاسواق
قرامي خشب وزن كل قرمة خمسة ارطال وامر
النصارى بان يضعوا في اعناقهم صلبانا من الحديد
فكل صليب ذراع وامرهم بان يلبسوا الميازر
العسلية عوضا عن الشاشات وان لا يركبوا بحيله في
الاسواق فاقاموا على ذلك مدة ثم اعادهم الى
ما كانوا عليه ثم انه امر الناس اذا ذكر الخطيب
اسمه في يوم الجمعة وهو على المنبر تقوم الناس
صفوفا اعظاما لاسمه فكان يفعل ذلك في ساير اعمال
مملكته حتى في الحرمين الشريفين وبيت المقدس ثم انه
كان يتعاطى حسبة القاهرة بنفسه فيلبس جبة صوف
ابيض ويركب على حمار اشهب قدر بغل يسمى القمر ويطوف
اسواق مصر والقاهرة ومعه عبد اسود طويل عريض
يمشي في ركابه يقال له مسعود فان وجد احدا من
السوقة غش في بضاعته امر ذلك العبد مسعود بان

بان يفعل به الفاحشة العظمى وهو اللواط فيفعل
به على دكانه والناس ينظرون اليه حتى يفرغ من ذلك
والحاكم واقف على راسه وقد صار مسعود هذا مثلا
عند اهل مصر اذا امزح بعضهم مع بعض يقولوا احضر
له مسعود

وفيه يقول القايل

ان لمسعود آلة عظمت كانها في صفات طومار
تشق ادبار من لهم جرم اصعب من دق مسمار

ثم انه امر بابطال صلاة التراويح مده طويله
ثم اعادها على ما كانت عليه اولا ثم انه لبس الصوف
نحو سبع سنين ثم تركه ولبس الحرير ثم انه كان
يركب حماره وينزل عند باب جامعه الذي عند باب
النصر ويأخذ بيده من يختار من غلمانه فيرقده
على باب الجامع ويشق بطنه بيده ثم يخرج مصارينه
بيده ويرميهم الى الكلاب ويترك المقتول مكانه
حتى ياخذوه اهله وكان يعذب جماعه من غلمانه
بالنار وقتل جماعه كثيره من العلماء منهم جباره اللغوي
قيل كان يعرف للكلب في اللغة ثلثمائة اسما وقتل
ابو اسامه وغير ذلك من العلماء وكان عنده شجاعه
واقدام مع جبان وادبار وكان يحب الكرم ويكثر من
البخل ويحب فعل الخير ويتبعه بشيء من الشر ويحب
العدل في الرعية ويتبعه بشيء من الظلم كما قيل في المعنى

اراك فيك اخلاقا حسانا قبيحة وانت لعمري كالذي انا
واصف
قريب بعيد باذل متمنع كريم بخيل مستقيم مخالف
كذوب صدوق ليس يدري صديقه اتحفوه من
من تخليطه امرك طف
فلا انت ذو غش ولا انت ناصح واني لفي شك لامرك
واقف
كذاك لساني هاجي لك مادح كان قلبي جاهل بك عارف

قال القاضي شمس الدين بن خلكان في تاريخه ان الحاكم
بامر الله كان يرصد الكواكب كما كان جده المعز وكان له
اشتغال بامر المطالب وله في ذلك اخبار كثيره فمن ذلك
انه ظفر في بعض المطالب بصنم من كذان وهو مجوف
وفي جوفه روحاني موكل به فكان ينطق كما ينطق بني
ادم فكان من شان هذا الصنم انه يظهر الضايع ويخبر
عن المكان الذي فيه الضايع فلما ظفر الحاكم بهذا الصنم
اشهر النداء في مصر والقاهره بان احدا من الناس لا
يغلق له باب ولا دكان وان ضاع لاحد من الناس شيئا
فهو في درك الحاكم فامتثل الناس ذلك فلما باتوا تلك
الليله سرق من مصر والقاهره اربع مائة عمله فلما
اصبح النهار توجهوا تحت قصر الزمرد يستغيثون
للحاكم فقال ما الخبر فقيل له ان اللصوص قد سرقوا
في هذه الليلة اربع مائة عمله لما تركوا دكاكينهم مفتحه
فقال الحاكم لا باس عليهم ثم اشهر النداء بان كل من ضاع
له شي يحضر بين يدي الحاكم فحضر اصحاب الضوايع فلما طلبهم
احضر ذلك الصنم بين يديه وصار اصحاب
الضوايع يقف الواحد منهم بين يدي الصنم ويقول
له يا ابا الهول قد ضاع لي ما هو كيت وكيت فيقول
الروحاني الذي في جوف الصنم ان ما يخصك اخذه
فلان بن فلان وهو في المكان الفلاني في الحارة الفلانيه

ثم يرسل الحاكم بعض غلمانه الى ذلك المكان فيحضر الغايب
بعينه فيسلمه الى صاحبه فلا زال يحضر لكل شخص من الناس
ما ضاع له حتى رد على الناس ما كان ضاع لهم في تلك الليلة
بتمامه وكماله ثم احضر اللصوص الذي سرقوا فامر
بشنقهم فشنقوا اجمعين ثم نادي في مصر والقاهرة
رحم الله من راى العبرة في غيره واعتبر فصار الناس
من بعد ذلك يتركون دكاكينهم وابوابهم مفتحة ليلا
ونهارا ولم يفقد لاحد من الناس شيا حتى كان يقع
من الرجل الدرهم الفلوس فلا يجسر احد من الناس
ان ياخذه من الارض حتى يمر به صاحبه فياخذه
ولو بعد حين وحكى بعض المورخين ان رجلا
وقع منه كيس فيه الف دينار عند جامع احمد بن
طولون فصار مرمي على الارض وكل من راه
يتباعد عنه فاقام مرمي على الارض اسبوعا حتى
مر صاحبه به واخذه وامر هذا الصنم هو الذي
حسن الحاكم على ان يجعل الليل مقام النهار في احوال
الناس وقيل ان هذا الصنم لم يزل عند الحاكم حتى
قتل فعمد اليه بعض اللصوص وكسره تحت الليل
فبطل من يوميذ فعله وذهب عنه الروحاني
الذي كان في جوفه وقيل ان رجلا اودع عند رجل
جرابا فيه الف دينار وسافر الى الحجاز فلما عاد طلب منه
الجراب فانكره ولم يعترف به فشكاه الى الحاكم فقال له
الحاكم اقعد لي على الشارع فاذا مررت بك فقم الي
وتحدث معي حديثا طويلا فلما مر الحاكم بالرجل قام
اليه وتحدث معه واطال معه الحديث بحضرة الرجل
الذي

الذي عنده الجراب فراى صاحب الجراب يتحدث
مع الحاكم حديثا طويلا فلما مر الحاكم ومضى احضر
ذلك الرجل الجراب الى صاحبه وقال لقد تذكرت
وديعتك فوجدتها في البطاربة وها هي بختمها لم
تفتح فاخذ منه الرجل الجراب ومضى به الى الحاكم وعرفه
ما جرى له مع الرجل فقال له الحاكم خذ جرابك وامضي
الى حال سبيلك فلما اصبح الصباح فراى الرجل الذي
كان عنده الجراب مشنوقا على باب داره والناس
يتحدثون في امره بسبب الجراب انتهى وفي ايامه
في سنة اربع وسبعين وثلثماية توفي الشيخ نور الدين
علي بن عثمان القيرواني قاضي قضاة مصر وكان شيعيا
وكان له شعر جيد وهو معدود من شعراء مصر في
النظم الدقيق فمن ذلك قوله

صنم من الكافوريات معانقي ... في حلتين تحققي وتكلم
فكرت ليلة وصله في هجره ... فجرت بقايا ادمعي كالعندم
فطفقت امسح مقلتي في جيده ... اذ شيمة الكافور امساك الدم

ومن الحوادث في ايامه ان في سنة سبع وثمانين وثلثماية
بلغ النيل ستة عشر ذراعا وثلثة اصابع وانهبط
فشرقت البلاد ووقع الغلا بمصر فاجتمع الناس تحت
قصر الزمرذ يستغيثون بالحاكم ان ينظر في احوال الناس
فقال لهم اذا كان الغد اتوجه الى جامع راشده واعود

فإن وجدت في طريقي مكانا خاليا من الغلة ضربت
عنق صاحب ذلك المكان على بابه فلما توجه
الى جامع راشده وعاد بعد العصر لم يبقى
احد من أهل مصر والقاهرة الا وحمل ما عنده
من الغلال ووضعها في الطريق الذي يمر
من عليها الحاكم فلما رجع من جامع راشده وجد
الغلال قد امتلأت بها الطرقات وشبعت
أعين الناس ثم انه قدر مع أصحاب الغلال
ان احد الا يدخر في بيته شيئا من الغلال ثم
قدر معهم سعر كل صنف من الغلال بثمن
معلوم لا يزد ولا ينقص ففعل ذلك سكن
الرهج الذي كانت فيه الناس ووقع الرخا بمصر وسائر
أعمالها وكان الحاكم شديد الباس اذا امر بشي لا
يرجع عنه ولا يراد فيه وقد قيل في المعنى
صاحب اخا الشر لتسطو به يوما على بعض صروف
الزمان
فالرمح لا يرهب انبوبه الا اذا ركب فيه السنان
ومن الحوادث في ايامه ان جماعة من العربان
وثبوا على كسوة الكعبة وانتهبوها جميعها فلبست
الكعبة في تلك السنة الشقاص الأبيض وهذا من
الغرايب فان الكعبة ما كسيت شقاص قط الا في
زمن الحاكم ثم ان الحاكم عزل الوزير ابو نصر العلاجي
واستقر بعلي بن أحمد الجرجاوي في الوزارة عوضا عن
ابي نصر العلاجي وكان من ذوي العقول فساس الناس
احسن

احسن سياسه ومن النكت المضحكة قيل كان
في زمن الحاكم قاضيا بمصر يقال له النطاح وسبب
ذلك ان كان له طرطور من جلد وفيه قرنان من
قرون البقر فيضع هذا الطرطور الى جانبه فاذا
جاءه خصمان يتحاكمان عنده وجار أحدهما على الاخر
فيلبس القاضي ذلك الطرطور الذي فيه القرنان
وينطح الخصم الذي يجور على صاحبه فعرف
بالنطاح واشتهر بين الناس بذلك فلما بلغ الحاكم امره
ارسل خلفه وقال له ما هذا الأمر الذي قد اخترعته
بين القضاة حتى قبحت سيرتك بين الناس فقال له
القاضي يا أمير المؤمنين اشتهي ان تحضر مجلسي يوما وانت
خلف ستارة انتظر ماذا اقاسي من العوام فان كنت
معذور فيهم والا عاقبني بما تختار فقال له الحاكم
انا غدا عندك واحضر مجلسك حتى ارى ما تقول فلما
اصبح الحاكم اتى الى مجلس ذلك القاضي وقعد من خلف
ستارة فاتى في ذلك اليوم الى القاضي خصمان فادعى
احدهما على الاخر بمائة دينار فاعترف له بها المدعى عليه
فامره القاضي بدفع ذلك الى صاحبه فقال المدعى عليه
اني معسر في هذا الوقت فقسطوا علي ذلك على قدر
حالي فقال القاضي للمدعي ما تقول فقال اقسطها عليه
في كل شهر عشرة دنانير فقال المديون انا لا اقدر
على ذلك فقال القاضي تكون خمسة دنانير فقال المديون
لا اقدر على ذلك فقال القاضي تكون دينارين فقال
المديون لا اقدر على ذلك فقال القاضي يكون دينارا
فقال المديون لا اقدر على ذلك فلا زال القاضي يحطط

هذا القدر حتى قال له تكون عشرة دراهم في كل
شهر وهو يقول لا أقدر على ذلك فقال له القاضي
وما القدر الذي تقدر عليه في كل شهر فلعله ان يرضى به
خصمك فقال المديون انا ما اقدر على اكثر من ثلاثة
دراهم في كل سنة بشرط ان يكون خصمي في السجن
لئلا يحمل معي هذا القدر ولم اجد خصمي فيذهب
مني فلما سمع الحاكم ذلك لم يتمالك عقله وخرج من
خلف الستارة وقال للقاضي انطح هذا النحس والا
انا انطحه وكان الحاكم احمق من القاضي انتهى ذلك

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلثماية فيها توفي
ابو الشمقمق الشاعر وكان ابو الشمقمق هذا شاعرا ماهرا
صاحب نكت ونوادر دخل مصر وامتدح المعز الفاطمي
واقام بها مدة وكان ابو الشمقمق صعلوكا فقيرا وكان
يلزم بيته دايما فاذا دق عليه احد بابه نظر من
شق الباب فان اعجبه الطارق خرج له وان لم يعجبه
لم يخرج اليه ابدا **قيل** ان بعض اصدقايه دخل
عليه فلما راى سوء حاله فقال له ابشر يا ابا الشمقمق فان
جاء في الحديث ان العارين في الدنيا هم الكاسون
في الاخرة فقال ان كان ذلك حقا لاكونن انا يوم
القيامة تاجرا في القماش والفرش **وانشا يقول**

انا في حال تعالى الله ما اعجب حالي
ليس لي شي اذا ما قيل ذا لي قلت ذا لي
فاذا اضحى الله فرشي والسموات ظلالي
ولقد اهزلت حتى محت الشمس خيالي

ولقد

ولقد افلست حتى حلت الكلى لعيالي
من راى شيا محالا فانا كلت المحالي

قال الشيخ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام
ان في سنة اربع ماية تزايد طغيان الحاكم بامر الله
حتى انه ادعى الربوبية من دون الله تعالى كما
فعل فرعون فكان يحسن لجماعة من اعوام مصر
الجهلة فكان اذا مر في الطرقات يسجدون له
ويقولون يا محيي يا مميت ومن لم يفعل ذلك ضرب
عنقه وكان يدعي انه يعلم علم الغيب فكان يقول
لاحد من اخصايه ووزرايه يا فلان انت فعلت في بيتك الليلة
ما هو كيت وكيت وكان ذلك باتفاق يعتمده مع
العجايز التي يدخلن الى بيوت الامراء والوزراء
وغير ذلك من اعيان الناس فلما تزايد هذا الامر منه
كتب له بعض الناس رقعة ولصقها بالمنبر في مكان
يقعد فيه وكتب فيها هذين البيتين **وهما**

بالجور والظلم قد رضينا وليس بالكفر والحماقه
ان كنت اوتيت علم غيب بين لنا كاتب البطاقه

فلما قرا تلك الرقعة سكت عن الكلام في امر ما كان
يدعيه في علم المغيبات **قيل** ان بعض العلماء اثبت
لهذه الفاطميين نسبا فاسدا بانهم من ولد فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النسب
ليس بصحيح وانما هم من ولد ديصان بن سعيد وكان
اصله مجوسي وقد وافق على ذلك جماعة من العلماء
منهم الشيخ ابي حامد الاسفراييني والشيخ ابي الحسن القدوري

وغير ذلك من العلماء فكان الحاكم يأمر بنسبته في كل جمعة
على المنبر ويقول نحن أفضل من خلفاء بني العباس لأننا
من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت الناس ترفع إليه الرقاع في أشغالهم وهو على
المنبر يخطب فرفعت إليه رقعة فيها هذه الأبيات

إنا سمعنا نسبًا منكرًا يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما قلته صادقًا فانسب لنا نفسك كالطائع
وإن ترد تحقيق ما قلته فاذكر لنا بعد الأب السابع
أو لا دع الأنساب مستورة وادخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع

فلما قرأ تلك الرقعة غضب على أهل مصر وأمر العبيد
بأن يحرقوا المدينة جميعها فأطلقوا فيها النار ونهبوا
بيوت الناس وأخذوا أموالهم وسبوا النساء واستمر
هذا الأمر الشنيع بمصر والقاهرة ثلاثة أيام فضج الناس
إليه واستغاثوا ثوابه وطلع إليه العلماء والصلحاء يشفعون
في الناس فعفى عنهم بعدما احترق من المدينة نحو
ثلثها ونهبت أموال الناس وسبيت النساء وقتل
من الناس ما لا يحصى وكانت هذه الواقعة من أعظم
المصايب بمصر واستمر الحاكم على ما ذكرناه من هذه
الأفعال الشنيعة ومخالفته للشريعة حتى قتل وكان
سبب قتله أن أخته ست النصر لما أراد أخوها من
هذه الأفعال الشنيعة أراد قتلها لأمر بلغه عنها
وكانت من النساء المدبرات فخرجت تحت الليل في
الخفية وأتت إلى دار الأمير سيف الدين بن دواس

دواس وكان أكبر أمراء الحاكم فلما دخلت عليه اختلت
به وعرفته أنها أخت الحاكم فبالغ في تعظيمها فقالت
له أنت تعلم ما قد فعله أخي بالرعية من هذه
الأفعال الشنيعة وقد عزم على قتلي وقتلك وإذا
عزم على شيء فعله فقال لها وما الرأي في ذلك فقالت
تقتله قال وكيف أقتله قالت أندب إليه جماعة من
العبيد يقتلونه إذا خرج إلى حلوان فإنه ينفرد في
ذلك المكان بنفسه فيخرجوا عليه ويقتلوه هناك
وتكون أنت المدبر للمملكة بعده وتولي ابنه الأمير
علي فاتفقا على ذلك ثم مضت إلى قصرها فلما أصبح الصباح
خرج الحاكم على عادته إلى حلوان وكان مشغوفًا بحب
المطالب مثل جده المعز فلما خرج أرسل الأمير سيف
الدين بن دواس خلفه عشرة من العبيد السود
الغلاظ الشداد وأعطى لكل عبد منهم خمسمائة دينار
وعرفهم كيف يقتلونه فسبقوه إلى حلوان فلما نزل
بالمغصبة التي هناك خرجت عليه العبيد فقتلوه هناك
فلما أبطا خبره عن العادة خرجت جماعة من الحجاب ومعهم
الجنايب بسبب الموكب فصاروا يخرجون في كل يوم
ينتظرون رجوعه منذ سبعة أيام فلما أبطا عليهم
فوق السبعة أيام خرج الأمير مظفر الحاجب ومعه
العسكر وكان عسكر الحاكم ما بين ديلم ومصامدة
ومغاربة وروم وعبيد زنج فلما وصلوا إلى آخر المغصبة
التي بحلوان وجدوا حمارة الأشهب المدعو بالقمر
وقد قطعت يداه ورجلاه وعليه السرج واللجام
فتتبعوا أثر الحمار فوجدوا ثياب الحاكم وكان يلبس
عليه سبع جبات صوف أبيض فلما وجدوا فيها آثار ضرب

السكاكين فلم يشكوا بعد ذلك في قتله فلما رجعوا الي
القاهرة اشيع بين الناس قتله فماجت القاهرة في
ذلك اليوم فما سكنت حتي ولوا ابنه الامير علي وكان
دون البلوغ وكانت قتلة الحاكم في نصف شوال
سنة احدي عشرة واربع مائة وكانت مدة خلافته
بالديار المصرية والبلاد الشامية خمسة وعشرين سنة
فكانت علي الناس اشد الايام وقتل في هذه المدة
جماعة من العلماء والفقهاء واعيان الناس ما لا يحصي
عددهم وقد صبروا علي اذاه هذه المدة حتي
فرج الله عنهم كما قيل في المعني

وردٍ قطعناه بضيق وشدة ونحن علي نار
قيام علي الجمر
صبرنا له حتي انجلي وانما تفرج ايام الكريهة بالصبر

قال الذهبي لما قتل الحاكم صاروا جماعة من الجهال
المغفلين من وادي التيم من نواحي الشام يعتقدون
حياة الحاكم الي الان ويقولون انه سيعود في اخر
الزمان وهو المهدي ويحلفون وغيبة الحاكم وهذا
من جهلهم انتهي ذلك

ذكر خلافة الظاهر لدين الله علي بن منصور بن نزار بن المعز معد وهو السابع من خلفاء بني عبيد الله الفاطمي عمر

تولي الخلافة بعد قتل ابيه الحاكم في شوال سنة احدي
عشرة واربع مائة وتلقب بالظاهر لدين الله
تولي الخلافة وله من العمر نحو ستة عشر سنة الا
اياما وكانت عمته ست النصر هي القايمة بامور
دولته والامير سيف الدين بن دواس فلما تولي
الامير

اورد ما ذكرناه ابن ابي حجلة في السكردان

الامير علي بن الحاكم اضطربت الاحوال في ايامه
الي الغاية واستولي علي البلاد الشامية حسان بن شيخ
عربان جبل نابلس وصار يستخرج خراج البلاد
الشامية لنفسه ونزع ايدي العمال عنها وفي ايامه
سنة اثني عشرة واربع مائة توفي هاشم بن العباس
العمري الشاعر وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد
ومن تشابيهه الغريبة قوله في الليل من ابيات

كان بياض البدر من خلف نخلة بياض بنان في
اخضرار نقوش

وتوفي ايضا محمد بن القاسم بن عاصم الشاعر وكان
شاعرا ماهرا وهو الذي امتدح كافور الاخشيدي بقصيدة
منها

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت
من عدله طربا

وفي سنة خمسة عشر واربع مائة توفيت ست النصر
اخت الحاكم وهي عمة الظاهر لدين الله فظهر لها
موجود عظيم من المال والجواهر والتحف والقماش
ما لا يحصي لكثرته ووجد عندها اربعة الاف جارية
ما بين بيض وسود ومولدات ووجد عندها
ثلثون زيرا من اللازورد الصيني مملوءة من المسك
السحيق واما بقية الموجود فلم يحصر لكثرته ومن
الحوادث في ايامه جاءت الاخبار من مكة بان رجلا
اعجميا حضر الي مكة في غير اوان الحج ومعه جماعة
من الاعاجم فاقاموا بمكة مدة ثم انهم غافلوا الناس
ودخلوا الحرم وقت القايلة وجاءوا الي الحجر الاسود
وكسروه بالاطبار ثلاث قطع فادركوهم الناس في

الحال في مسلوبهم وقطعوا أيديهم وصلبوهم على أبواب
الجامع ثم أعادوا الحجر إلى مكانه كما كان ولصقوا
ما تكسر منه وعملوا عليه طوق فضة وبقي أثار
التكسير فيه إلى الآن. انتهى ذلك. وكان الظاهر
لدين الله مخلصا نزها ففي أيامه أذن للنصارى
في أعادت ما كان يعمل في ليلة الغطاس وكان
جده المعز أبطل ذلك في أيامه وكان من أجل
المواسم بمصر وكان يعمل في ليلة الحادي عشر من
طوبه وكان في تلك الليلة تجتمع المسلمين والنصارى
عند شاطي النيل تجاه المقياس فتنصب هناك
الخيام من جانبي النيل وتوضع فيها الأسره
لأعيان القبط وكان البحر يمتلي بالمراكب من ساير
المسلمين والنصارى فلما يدخل الليل تزين المراكب
بالقناديل وتشعل فيها الشموع وتشعل المشاعل
على الشطوط فكان يوقد في الليلة أكثر من ألف
مشعلا وألف فانوسا وكان ينفق في تلك الليلة
ما لا يحصى من الأموال في مأكل ومشرب وتنزل
أعيان الأقباط في المراكب وتتجاهر الناس بشرب الخمور
وتجتمع أرباب المغاني والآلات وأرباب الملاعب
من كل فن ويخرجون الناس في تلك الليلة عن الحد
في اللهو والقصف ولا يغلق فيها دكان ولا درب ولا
أسواق وكانوا يبيتها دون رؤساء الأقباط في تلك الليلة
بأطنان القصب والبوري والحلوى القاهرية والكمثرى
والتفاح الفتحي والسفرجل والأترج والنارنج والليمون

وبا

وباقات النرجس وغير ذلك من الأنواع اللطيفة
وكانوا يغطسون بعد العشاء قبالة المقياس ويزعمون
أن من يغطس في تلك الليلة لا يضعف في تلك السنة
فلما كان وقت الغطاس نادى الخليفة الظاهر بأن
لا يختلطون النصارى مع المسلمين عند الغطاس وكان
الخليفة الظاهر تلك الليلة في قصر جده المعز الذي
يشرف على البحر يتفرج على المهرجان الذي يحصل
في تلك الليلة وكان المعز أبطل ذلك من سنة اثنين
وستين وثلثمائه وكانت الوزراء في يوم خميس العدس
يضربون خراريب من ذهب ويفرقونها على أرباب
الدولة برسم التبرك بها وكان يضرب منها نحو خمسمائة مثقال
فبطل ذلك في دولة صلاح الدين يوسف بن أيوب
وفي سنة عشرين وأربع مائة توفي الشيخ عبد الجبار
بن أحمد الطرسوسي شيخ القراء مات في غزه وفي سنة
اثنين وعشرين وأربع مائة كانت وفاة الإمام العالم
العلامة عبد الوهاب بن علي بن نصر أبو محمد البغدادي
أحد أئمة المالكية المجتهدين ولي القضاء بمصر في الدولة
الفاطمية ومات في تلك السنة ودفن بالقرافة بالقرب
من النفيسة والدعا عند قبره مجاب ويزار في كل جمعة
وكان له نظم جيد من ذلك فمن قوله [illegible]

يزرع وردا ناضرا ناظري ... في وجنة كالقمر الطالع
فلم منعتم شفتي قطفها ... والحكم أن الزرع للزارع

وقوله أيضا

ونائمة قبلتها فتنبهت ... وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها إني فديتك غاصب ... وما حكموا في غاصب بسوى الرد

ومن الغرائب العجيبة أن في سنة اثنين وعشرين وأربع مائة نقص النيل قبل أوانه
وانهبط ثم زاد ثم بعد أوانه ثم ردبعه وهلك من الغرائب التي لم يسمع بمثلها

وقوله في الغزل

وتفاحة من كف ظبي اخذتها جناها من الغصن الذي مثل قده
لها لمس خديه وطيب نسيمه وطعم ثناياه وحمرة خده

ومما وقع للخليفة الظاهر هذا من المساوي الشنيعة قال ابن المتوج ان في سنة ثلث وعشرين واربعمائة نادى الخليفة الظاهر في القاهره بان الجوار التي في مصر والقاهره يجمعن عن آخرهن وأن تزين باحسن الملابس فصار كل من كان عنده جارية يلبسها من احسن الاثواب الفاخره ويحضرها الى قصر الخليفة فلما تكامل جمعهن ولم يبقى بمصر والقاهره جارية فامر بان يجعلن في مجلس ويسد عليهن باب المجلس فبني عليهن ابواب المجلس وتركهن ستة اشهر ثم بعد ذلك اضرم عليهن النار حتى احرقهن عن اخرهن وكان عدتهن الفان وستماية وستون جارية ولم يقع لابيه الحاكم مثل هذه الواقعة مع وجود ظلمه وجوره في الناس انتهى ذلك قال ابن المتوج فلما فعل الظاهر هذه الفعلة لم يعمر بعدها سوى ثلث سنين ونصف ومات وكانت وفاته في يوم الاحد خامس عشر شعبان سنة سبع وعشرين واربعمائة وكانت مدة خلافته بمصر عشرين سنة وسبعة اشهر وكانت مساويه اخس من مساوي ابيه الحاكم ولما مات تولى بعده ابنه المستنصر بالله ابي تميم انتهى ما اوردناه من اخبار الظاهر لدين الله

ذكر خلافة المستنصر بالله ابو تميم معد

معد بن الظاهر لدين الله علي بن منصور الحاكم بامر الله وهو الخامس من خلفاء بني عبيد الله الفاطمي بمصر بويع بالخلافة بعد موت ابيه الظاهر في يوم الاحد خامس عشر شعبان سنة سبع وعشرين واربع مايه فلما تولى الخلافه كان له من العمر سبع سنين وعشرين يوما وكان مولده بالقاهره سنة ثمان عشرة واربع مايه ولما تولى المستنصر هذا تعصب له البساسيري وخطب له على منابر بغداد مع وجود خلفاء بني العباس وهذا لم يقع لاحد من خلفاء بني عبيد الله فلما تم امر المستنصر في الخلافة اخلع على القاضي ابو محمد الحسن بن علي البازوري واستقر به وزيرا وقاضي القضاة الشافعية وهو اول من جمع بين الوزاره وقضاء الشافعيه ولما تولى الوزاره تلقب بالناصر لدين الله وكانت الوزراء يومئذ تتلقب بالقاب الخلفاء وامر له المستنصر بان ينقش اسمه مع اسمه على الدنانير والدراهم فنقش اسمه عليها وفي ذلك يقول الشاعر عن لسان الدينار والدرهم وهو قوله

ضربت في دولة آل الهدى من آل طه وآل ياسين
مستنصر بالله عز اسمه وعبده الناصر للدين

ثم ان المستنصر قبض على ابي نصر العلاجي الوزير واعتقله بخزانة البنود واحاط على موجوده ثم قطع راسه ودفنه بخزانة البنود وكان الذي رافع في ابي نصر العلاجي شخصا يسمى بن الانباري فلما مضى امر العلاجي اقام

بن الانباري بعد قتل العلاجي مدة يسيرة وقبض عليه المستنصر
واعتقله بخزانة البنود ثم ان المستنصر امر بقطع راس
بن الانباري فلما ارادوا ان يحفروا له حفرة
ليواروه فيها ظهر لهم في الحفرة راسا فسال لو ابن
الانباري عن هذه الراس لمن هي قال هذه راس
ابو نصر العلاجي وانا قتلته ودفنت راسه هنا فلما ارادوا
قطع راس بن الانباري انشد يقول
رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحكا من تزاحم
الاضداد
ثم قطعوا راس بن الانباري ودفنوها على راس ابي
نصر العلاجي والمجازاه من جنس العمل انتهى ذلك
وفي ايامه سنة سبع وثلثين واربع ماية توفي
الشيخ ابو القاسم الصامت وكان من الاولياء الزهاد
وفي سنة ٣ اربعين واربع ماية توفي الحافظ ابو
الحسن بن عبد الله بن محمود بن صهيب المصري
المعروف بالزجاج صاحب النساي وكان من الثقات
في الحديث ومن الحوادث في ايام المستنصر ان
في سنة احدي وخمسين واربع ماية اخذ قاع النيل
فجاءت القاعده ثلثة اذرع واحدي عشر اصبعا
وبلغت الزياده في تلك السنة اثنتي عشرة ذراعا
ثم انهبط فشرقت البلاد وحصل على الناس ما لا خير
فيه ووقع الغلاء العظيم فكان يعادل الغلاء الذي
وقع في زمن يوسف عليه السلام واستمر هذا الغلاء
سبع سنين متواليه فاكلت الناس بعضها بعضا حتى
قيل ابيع القمح بثمانين دينارا كل اردب ثم اشتد
الامر حتى ابيع كل اردب بماية وعشرين دينارا

دينارا ثم اشتد الامر حتى ابيع كل رغيف في زقاق
القناديل بخمسة عشر دينارا واكلت الناس الميتة
والكلاب والقطط حتى قيل ابيع كل كلب بخمسة
دنانير وابيع كل قط بثلاثة دنانير وقيل ان
الكلب كان يدخل الدار فياكل الطفل وهو في
المهد وامه وابوه ينظران اليه ولا يستطيعان ان
يمنعاه لدفع الكلب عن ولدهما من شدة الجوع
ثم اشتد الامر حتى صار الرجل ياخذ ابن جارة ويذبحه
وياكله ولا ينكر عليه ذلك بين الناس ثم اشتد الامر
حتى صار الناس اذا مروا في الطرقات قوي القوي
على الضعيف فيذبحه وياكله جهارا وصارت طايفه
من العوام يجلسون على السقايف وبايديهم حبال فيها
كلاليب فاذا مر بهم احد من الناس القوا عليه تلك
الحبال ونشلوه بالكلاليب في اسرع وقت فاذا صار
عندهم ذبحوه في الحال واكلوه بعظامه وقيل ان
الوزير ركب يوما على بغلة وتوجه الى دار الخلافه
فلما نزل عن البغلة اخذت من غلمانه واكلت في الحال
فامسكوا الذين فعلوا ذلك وشنقوهم وعلقوهم على الخشب
فلما باتوا اصبحوا فلم يجدوا احدا من المشانيق وقد اكلوا
من على الخشب قال بعض المورخين كان بمدينة
الفسطاط حاره تسمى حارة الطبق وكان فيها نحو عشرين
دارا كل دار تساوي في الثمن الف دينار فابيعت هذه
الحاره كلها بطبق خبز كل دار برغيف فسميت من يومئذ
حارة الطبق وقال بن الجوزي بلغني ان امراة خرجت
من مدينة الفسطاط ومعها ربع من اللولو وقالت

من يأخذ مني هذا الربع اللؤلؤ ويعطيني عوضه قمحا
فلم تجد من يأخذه منها ويعطيها عوضه قمحا فلما أعيت
من الطلب ألقته على الأرض وقالت إن لم تنفعني
وقت الحاجة فلا حاجة لي بك وتركته ومضت فأقام
مرمي على الأرض ثلاثة أيام ولم تجد من يلتقطه من
الناس قال الشيخ تاج الدين بن المتوج أن امرأة
من ذوي البيوت أخذت عقدا من الجوهر قيمته
ألف دينار فعرضته على جماعة من الناس بأن يعطوها
عوضه دقيقا فلم تجد من يعطيها به دقيقا ثم إن بعض
الناس عطف عليها وأعطاها بذلك العقد دقيقا في
جراب ومشت به من مدينة الفسطاط إلى بابي زويلة
فلما علم الناس أن معها دقيقا فتكاثروا عليها وانتهبوه
منها فأخذت منه بجملة الناس ملء يديها فلما وصلت
به إلى بيتها عجنته رغيفا وخبزته ثم أخذته على جريدة
وتوجهت به إلى تحت قصر الزمرد ورفعته ونادت
بأعلا صوتها وقالت يا أهل القاهرة ادعوا للخليفة المستنصر
المستنصر بالله بالنصر الذي أكلنا الرغيف في أيامه بألف دينار
فلما سمع المستنصر ذلك تأثر منه وأحضر الوزير والحاجب
وهددهما بالشنق وقال إن لم يظهر الخبز في الأسواق
وإلا شنقتكما فنزلا من عنده وما زالا يكبسان البيوت
والحارات بسبب القمح حتى ظهر الخبز في الأسواق
الدكاكين ثم أعقب هذا الغلاء فناء عظيم حتى فني من
أهل مصر نحو الثلث فكان الجندي يتوجه بنفسه هو ومن
بقي من حشمه أشياعه ويبذر بلده ويحرث هو وحشمه أشياعه ومن
ويزرعون وذلك لعدم الفلاحين واستمر هذا الفناء
يعمل في الناس نحو عشرة أشهر حتى قيل كان الرجل يمشي من
جامع ابن طولون إلى بابي زويلة فلم ير في وجهه إنسانا

[illegible]

[illegible]

إنسانا يمشي في الطرقات حتى قيل فني من الناس نحو
النصف فلما تعطلت البلاد من عدم الفلاحين تعذر
صرف جوامك الجند فكان المستنصر بالله يخرج من
الخزاين السلاح والقماش والتحف ويقيمها على الجند من
جوامكهم بقدر معلومهم قيل أنه باع ثمانين ألف قطعة
من الجوهر والياقوت وباع خمسة وسبعين ألف شقة
حرير مرقومة بالذهب وباع عشرين ألف سيفا مسقطة
بالذهب وباع الحلي وعشرين دارا وضيعة حتى باع
رخام قبور أجداده ولم يبق عنده من آثار النعمة سوى
سجادة رومي يجلس عليها وقبقاب في رجله فكان إذا
نزل من قصره يستعير من الوزير بغلته حتى يركبها
ويقضي أشغاله ثم يعيدها إلى الوزير وكانت أخت له
ترسل إليه كل يوم زبدية فيها طعاما حتى يتقات به
في اليوم مرة واحدة ولم يبق عنده عيال ولا خدم
وجرى عليه ما لا جرى على أحد من أقاربه لكن أقام
في الخلافة مدة طويلة لم تقع لأحد من الخلفاء قبله
وقاسى محن عظيمة كما قيل في الأمثال من أراد البقاء
في الدنيا فليوطن نفسه على المصايب ثم بعد ذلك
تراجع الأمر قليلا قليلا وانصلحت الأحوال ووقع الرخا
وانحط سعر القمح وزادت الأموال من البلاد ورجع
الماء إلى مجاريه وحسنت الأوقات كما قيل في المعنى
الدهر لا يبقى على حالة لا بد أن يقبل أو يدبرا
فإن تلقاك بمكروهة فاصبر فإن الدهر لن يصبرا
ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربع مائة فيها في ليلة
الخميس سابع عشر ذي القعدة توفي القاضي أبو عبد الله
محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي تولى القضاء بمصر في

[illegible]

دولة الفاطميين وفي سنة سبع وثمانين واربع مائة
فيها في جمادي الآخرة توفي الشيخ ابو القسم علي بن
محمد المصيصي وكان مولده بمصر في رجب سنه اربعمائة
ووفاته بدمشق في تلك السنة وكان من اعيان فقها
الشافعية انتهى ذلك ثم ان المستنصر بالله اقام
في الخلافة حتى توفي وكانت وفاته ليلة يوم
الخميس ثاني عشر ذي حجة سنة سبع وثمانين واربع مائة
ووفاته وله من العمر نحو ثمان وستين سنة وتولى
الخلافة وهو ابن سبع سنين وكانت مدة خلافته
بمصر ستين سنة واربعة اشهر ولم تقع هذه المده
لاحد قبله ولا بعده من الخلفاء الفاطمية ولا العباسية
ولا الملوك الترك انتهى ما اوردناه من اخبار المستنصر
المستنصر بالله وذلك على سبيل الاختصار ولما
مات المستنصر بالله تولى بعده ابنه احمد المستعلي

ذكر خلافة المستعلي بالله احمد بن المستنصر
بالله بن الظاهر بن الحاكم وهو السادس من
خلفاء بني عبيد الله بويع بالخلافة بعد موت

ابيه المستنصر في ثاني عشر ذي حجة سنة سبع
وثمانين واربع مائة وفي ايامه سنة احدى وتسعين
واربع مائة جاءت الاخبار بان الفرنج استولوا على
بيت المقدس وملكوه وقتلوا جماعة كثيرة من اهل
المقدس ونهبوا فيه الغداء واخذوا منها نحو
اربعين قنديلا من الذهب والفضة وزن كل
قنديل الف درهما واخذوا التنور النحاس الكبير
واقاموا ها لكين بيت المقدس نحو ثلاث سنين ومن
الحوادث في ايامه ان الشمس كسفت وقت الظهر حتى

حتى اظلمت الدنيا وظهرت النجوم واقامت في الكسوف
اربعين درجه وفي سنة اثنين وتسعين واربع مايه
توفي الشيخ ابو الحسن الموصلي المعروف بالخلعي وكان
من اعيان الفقهاء الشافعية وكان يبيع الخلع للخلفاء في
الاعياد فعرف بذلك واستمر الخليفه المستعلي في
الخلافة حتى مات وكانت وفاته يوم الثلاثا تاسع
صفر سنة خمس وتسعين واربع مائه وكانت مدة
خلافته بمصر سبع سنين وشهرين ولما مات تولى بعده
ابنه منصور انتهى ما اوردناه من اخبار المستعلي بالله على
سبيل الاختصار

ذكر خلافة الامر باحكام الله
ابو علي منصور بن المستعلي بالله وهو السابع من
خلفاء بني عبيد الله بمصر بويع بالخلافة بعد موت

ابيه المستعلي في يوم الاثنين تاسع صفر سنة خمس
وتسعين واربع مائه وكان صغير السن طايش العقل
ذاهد بالملذات واشتغل بسماع الزمور وشرب الخمور
وانشاء له قصر بالروضه على شاطي النيل وسماه الهودج
وانشاء حوله بستان وسماه المختار وصار ينزل الى
ذلك القصر ويشتغل به عن احوال المملكه وصار الناس
مثل الغنم بلا راعي فعند ذلك اضطربت احوال مصر
وجاءت الاخبار بان الفرنج استولوا على مدينة عكا
وطرابلس ونابلس وانقطع الدرب الشامي من
السلوك واشرف ملك الفرنج على اخذ مصر ووصل
الى العريش وكان ملك الفرنج يسمي بردويل فلما وصل
الى العريش مرض هناك مرضا شديدا ومات بالعريش
وكتم اصحابه موته خوفا من المسلمين وشقوا بطنه
وارموا مصارينه ودفنوها بالعريش وقد صار من

يومئذ لا يعد أحد من المسافرين بالعريش الآن يرجم
ذلك المكان الذي دفنت فيه مصارين بردويل وتسمى
إلى الآن سبخة بردويل وأما جثته فحملت إلى بيت
المقدس ودفنت بالقمامة التي هناك وفي سنة
خمسة عشرة وخمسمائة في رمضان قتل الوزير الأفضل أبو
القاسم شاهنشاه قتله بعض الفداوية وهو راكب في
بعض أشغاله والأفضل هذا هو الذي بنى الجامع بثغر
الإسكندرية عند سوق العطارين **قال** ابن خلكان
لما قتل الأفضل وجد له من الأموال ستمائة ألف ألف
دينار ذهب عين ومن الفضة مائتين وخمسين أردبا
ومن القماش سبعين ألف ثوب حرير ملون وحواصل
مرصعة بفصوص قومت بأكثر من عشرة آلاف دينار ووجد
عنده خمسمائة صندوق فيها ما يحتاج إليه ولما قتل الأفضل
تولى عوضه في الوزارة أبو عبد الله الأحمد وهو الذي
بنى جامع الأحمد الذي في الأمشاطيين عند وفي هذه السنة
توفي الشيخ شمس الدين محمد بن إسحق بن أسباط الكندي
النحوي وكان إماما في النحو **قال** الشيخ شمس الذهبي
في العبر في سنة ثمان عشرة وخمسمائة توقف النيل
في الزيادة إلى بعد مضي النوروز بتسعة أيام وبلغت
الزيادة في تلك السنة ثلاثة عشر ذراعا إلا ثلاثة أصابع
فشرقت البلاد ووقع الغلاء بمصر وعدمت الأقوات
وتناها سعر القمح إلى ثلاثين دينارا كل أردب وأكلت الناس
بعضها بعضا واستمر الحال على ذلك نحو سنة **قيل** هجم رجل
على بعض المغاربة وهو يأكل في رغيف فلما رآه أقبل يستنشق
الرغيف منه فقال له الرجل أما سمعت في الحديث طعام
واحد يكفي اثنين فقال له المغربي يا أخي ذلك في ضوء
السراج إذا كان لواحد يكفي جماعة وأما في هذا الرغيف فلا

فلا أطعمك منه لقمة ولما توقف النيل في الزيادة
نسبوا ذلك من فعل الحبشة أنهم غيروا مجرى النيل
فرسم الخليفة الآمر بأحكام الله لبطرك النصارى
أن يتوجه إلى بلاد الحبشة بسبب مجرى النيل فتوجه
البطرك إلى بلاد الحبشة ولم يفد من ذلك شيئا
وفي هذه السنة شرع الآمر بأحكام الله في بناء جامع
الذي في الحسينية يعرف بالجامع الأنور وفي سنة
تسع عشرة وخمسمائة قبض الآمر على الوزير أبو عبد
الله الأحمد ومصادرة وأخذ جميع أمواله فظهر له من
الأموال ما لا يحصى فمن ذلك مائة صندوق ما بين
ذهب عين ودراهم فضة وجواهر فاخرة ووجد عنده
مائتين برنية مملوءة من الكافور القنصوري الذي لا يوجد
وجد عنده ثلثمائة صندوق فيها قماش جميعه ما بين
إسكندري ودق تنيسي وحرير ملون وغير ذلك من سائر
الأنواع الغريبة ثم قتل أبو عبد الله الأحمد واستقر في
الوزارة بعده المأمون البطائحي فأقام في الوزارة نحو
سنة وقبض عليه الآمر وصلبه واحتاط على موجوده
من غير ذنب يصل منه فلما قتل المأمون البطائحي
لم يلبث الآمر بعده إلا مدة يسيرة وقتل وهو راجع
من الروضة على الجسر الذي كان ينصب برسم الخلفاء
عشيون عليه من فوثب عليه هناك جماعة من العبيد الزنج
فقتلوه بالخناجر تحت الليل وهو سكران فحملوه إلى عند
قصره فمات في تلك الليلة **وكانت** قتلته في ليلة
الثلاثاء في العشرين من ذي القعدة سنة أربع وعشرين
وخمسمائة **وكانت** مدة خلافته بمصر تسع وعشرين سنة

وشهرين، ولما قتل مات عن غير ولد فلما أصبح يوم الثلاثا وأشيع بين الناس قتل الآمر فاضطربت أحوال القاهرة وماجت بأهلها فوثب على الناس غلام أرمني من مماليك الآمر واستحوذ على خزاين الأموال وقصد أن يأخذ الخلافة لنفسه بالسيف ونهب بيوت أعيان الناس فحضر الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل شاهنشاه وأخرج عبد المجيد بن المستنصر بالله من دور الحرم وولاه الخلافة انتهى ما أوردناه من أخبار الآمر بأحكام الله وذلك على سبيل الاختصار

ذكر خلافة أبو الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله بن المستنصر بالله وهو الثامن من خلفاء بني عبيد الله الفاطمي

بويع بالخلافة بعد قتل ابن عمه الآمر بأحكام الله وكان الحافظ هذا رجلاً حليماً لين الجانب قليل الأذى فطمعت فيه الرعية واضطربت الأحوال في أيامه واستولت الفرنج على غالب البلاد وطمع الفلاحون في أهل مصر وامتنعوا عن وزن الخراج وتعطل جوامك الجند فكان كما قيل الحلم مطية الجاهل وفي أيامه سنة تسع وعشرين وخمسمائة كانت وفاة ظافر الحداد الاسكندراني وكان من أعيان الشعراء وله شعر جيد فمن ذلك قوله

وتغدر صبح الشيب ليل شبيبتي كذا عادتي في الصبح
مع من أحبه

وقد عقد هذا البيت من المرقص وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة توفي أبو الغمر محمد بن علي الهاشمي الأسناري وكان من أعيان الشعراء وله شعر جيد فمن ذلك قوله

ان

ان قل مالي فلا خل يصاحبني وأن زاد مالي فكل
الناس خلاني
كم من عدو لأجل المال صاحبني وصاحبي حين زال
المال خلاني

وفي هذه السنة أهدى ملك الفرنج هدية إلى الحافظ من جملتها دب أبيض وشعره مثل شعر السبع وكان ينزل البحر ويصيد السمك ويأكله وفي أيام الحافظ دخل مصر شخص يقال له أبو عبد الله الأندلسي وكان له يد طايلة في علم السيمياء فأحضره الحافظ بين يديه وقال له أرنا شيئاً من علم السيمياء فامتنع من ذلك فألح عليه في ذلك فقال له غمض عينك وافتحها فغمض عينه وفتحها فرأى ساحة القصر كأنها لجة ماء وفيها سفينة كبيرة وحولها شواني حربية فوقع بينها الحرب والقتال وكانت السيوف تلمع والقسي ترمي بالسهام والبنود تخفق والروس تعدر والدماء تسيل فلا يشك الناظر في حقيقة ذلك ثم أن أصحاب السفينة سلموا إلى أصحاب الشواني فساروا بها والطبول تضرب والبوقات تزعق حتى غابوا عن الأبصار ثم ذهبت تلك اللجة الماء التي كانت في القصر وعاد كما كان فلما رأى الحافظ ذلك تعجب منه وكان حوله جماعة من خواصه فأشاروا بقتل الشيخ أبي عبد الله وقالوا هذا يفسد على الناس عقولها فلم يوافقهم الحافظ على قتله ثم قال للشيخ أبي عبد الله أرني شيئاً في هؤلاء الذين أشاروا بقتلك فقال الشيخ أمرهم يمضوا إلى منازلهم فلما انصرفوا صار كل من أراد أن يركب دابته يراها مثل الثور العظيم ولها في رأسها قرون طوال فتحيروا من ذلك ورجعوا إلى الحافظ

وذكروا له ما جري لهم في ذوابهم فضحك وقال أخذوا
ذوابكم منه بشي فما منهم الا من اعطاه شيا حتي اطلق لهم
ذوابهم. **قال** الذهبي ان الحافظ كان يشتكي بالقولنج فصنع له الحكيم شيرماه الديلمي طبل باز مركب من
المعادن السبعة وهو مرصود في اوقات معلومة
وكان من خاصيته هذا الطبل اذا ضرب عليه احد
خرج من جوفه ريح فيذهب عنه القولنج فلما تولي
صلاح الدين يوسف بن ايوب علي الديار المصريه
استعرض حواصل الخلفاء الفاطميه فوجد فيها هذا
الطبل في علبة فاخذه بعض الاكراد وضرب عليه
فخرج منه ريح فخنق من ذلك وارمي الطبل من يده
علي الارض فانكسر وبطل فعله فتندم علي كسره صلاح
الدين بن ايوب غاية الندم انتهي واستمر الحافظ لدين
الله في الخلافة يعمر حتي مات **فكانت** وفاته في
جمادي الاخره سنة اربع واربعين وخمسمايه **وكانت**
مدة خلافته تسع عشرة سنه وسبعة اشهر ولما مات
تولي بعده ابنه الظافر بالله انتهي ما اوردناه من
اخبار الحافظ لدين الله وذلك علي سبيل الاختصار

ذكر خلافة الظافر بالله ابو المنصور اسمعيل بن الحافظ بن المستنصر بالله وهو التاسع من خلفاء بني عبيد الله الفاطمي بويع بالخلافة بعد موت ابيه
الحافظ وكان له من العمر لما تولي الخلافة سبع عشرة
سنه وكان شابا جميل الصورة حسن الهيئة وكان
يميل الي اللهو والطرب وكان يهوي بن وزيره عباس
وافتتن به وكان ينزل الي بيت الوزير ويبات عنده
في

في غالب الاوقات **قيل** انه اهدي الي بن الوزير
في بعض الايام عشرة الاف دينار وصحفه بلور فيها
الف حبه من اللولو الكبار والف نافجة من المسك فلم
يجد شيا من ذلك مع الوزير ولا ابنه ولا زالوا علي الظافر
حتي قتلوه اشر قتله كما سياتي ذكر ذلك في موضعه **ومن
الحوادث** في ايامه ان في سنة تسع واربعين وخمسمايه
نقلت راس الحسين بن الامام علي رضي الله عنهما الي
مصر وبني لها الظافر المشهد الموجود الان وكانت راس
الحسين اولا بكربلا مكان قتل فيه ثم نقلت من كربلا الي
دمشق ثم نقلت من دمشق الي عسقلان فلما استولوا
الفرنج علي عسقلان خاف المسلمون علي راس الحسين من
الفرنج فرسم الظافر بنقلها الي مصر فنقلت في تلك السنة
ومن الحوادث في هذه السنة جاءت الاخبار من
بلبيس برويت هلال الفطر وثبت ذلك بعد مضي
العصر فصلت الناس صلاة عيد الفطر بعد العصر وخطب
خطبة العيد وفطر الناس بعد العصر وهذا من غريب
الاتفاق ذكر ذلك ابن المتوج وفي هذه السنة انتهي
العمل من الجامع الذي انشاه الظافر بالقرب من حارة
الروم المعروف الان بجامع الفاكهانيين واستمر الظافر
في الخلافة حتي قتل وكان سبب قتله ان الوزير عباس
لما كثر الكلام في حقه بسبب ابنه نصر فاضمر الغدر للظافر
فلما نزل الظافر الي بيت الوزير علي جاري العادة
وبات عنده نذب اليه من قتله تحت الليل وارماه في
بير فلما اصبح الوزير طلع الي دار الخلافة ودخل القصر
فقال لبعض الخدام اين امير المومنين فقالوا له ابنك
نصر يعرف اين هو ثم ان الوزير عباس دخل دور

الحرم وأخرج الأمير عيسى بن الظافر وأحضر القضاة وأرباب
الدولة وقال لهم إن أمير المؤمنين الظافر نزل
البارحة في مركب فانقلبت به وغرق فولوا ولده عيسى
عوضه فأحضروا له خلعة الخلافة وولوه وكانت
قتلة الظافر في ليلة الأحد ثاني محرم سنة خمسين وخمسماية
وكانت مدة خلافته بمصر أربع سنين وسبعة أشهر
انتهى ما أوردناه من أخبار الظافر بالله وذلك على
سبيل الاختصار ذكر خلافة الفايز بنصر الله
أبو القاسم عيسى بن الظافر بن الحافظ وهو
العاشر من خلفاء بني عبيد الله الفاطمي بويع
بالخلافة بعد قتل أبيه الظافر وكان سبب بيعته
أن الوزير عباس لما قتل الظافر طلع إلى القصر
وأحضر القاضي والشهود وقال أن الظافر قد
غرق البارحة ثم هجم دور الحرم وأخذ الأمير عيسى
من عند أمه وحمله على كتفه ففزع منه واضطرب
وكان له من العمر نحو ست سنين فأحضره بين يدي
القاضي وولاه الخلافة واستمرت الطربة عمالة
معه حتى كبر ومات بها وهو يضطرب في كل وقت
فلما تمت أمره في الخلافة فتغير خواطر الجند على
الوزير عباس بسبب قتل الخليفة الظافر وصار الوزير
عباس على رأسه طيره بسبب ذلك ثم أن الفايز
استعان على قتل الوزير عباس بشخص يسمى طلايع
بن رزيك وكان متولي على منية بن خصيب فجمع
طلايع العساكر من العربان وقصد التوجه إلى مصر
فلما بلغ الوزير عباس أخبار طلايع بن رزيك بما قد
جمع

جمعه من العساكر وهو قاصد مصر فأخذ ما قدر عليه
من الأموال والتحف وهرب هو وولده نصر وتوجها
إلى نحو البلاد الشامية وكان قصده التوجه إلى بغداد
فكان كما قيل
يحكي غراب البين في شومه لكن اذا جينا إلى الحق زاغ
فبينما هو في أثناء الطريق خرجت عليهم طايفة من الفرنج
فأسروه وأخذوا ما معه من الأموال والتحف فلما جاءت
الأخبار إلى القاهرة بما جرى لعباس نهض طلايع بن
رزيك واستقر في الوزارة عوضا عن عباس وتلقب
بالصالح بالله فأطاعه الجند وأحبوه وكان له في مصر
والقاهرة خدمه وافره وهو الذي انشأ الجامع الذي
عند باب زويلة المعروف به إلى الآن فلما تم أمر طلايع
في الوزارة أرسل كاتب ملك الفرنج في أمر الوزير
عباس وأرسل إلى ملك الفرنج هدية بنحو عشرة آلاف
دينار فقبض ملك الفرنج على عباس وولده نصر وبعث
بهما في الحديد إلى القاهرة فكان يوم دخولهما
يوما مشهودا وزينت لهما القاهرة فأمر الفايز بأن
يشنق عباسا وولده نصر على باب القصر وأخذ
ثار أبيه كما قيل في الأمثال الموت في طلب الثار
خير من الحياة في العار
وأما عباس الوزير فانه خسر الدنيا والأخرة كما قيل
فغض الطرف أنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
ومن الحوادث في أيامه جاءت الأخبار بوقوع
وباء عظيم بين أرض الحجاز واليمن وذلك سنة اثنتين
وخمسين وخمسماية وكانوا نحو من عشرين قرية قد خلت

الوباء في ثمان عشرة قرية فافناهم عن آخرهم حتى
لم يبقى منهم انسان يلوح فكانت مواشيهم سايبة
لا تأتي لها ولا يستطيع احد من الناس ان يدخل الى
تلك القرى وكل من يدخلها هلك من وقته بالطعن
واما القريتان اللتان حول تلك القرى لم يدخل
اليهما طعن ولا عندهما شعور بما جرى على من حولهما
من القرى مما اصابهم من امد الفناء بالطاعون ولم
يمت منهم طفل واحد فسبحان القادر على كل شي انتهى
ذلك واستمر الفايز في الخلافة حتى مات بالطعن
وكانت وفاته في يوم الجمعة سابع رجب سنة خمس
وخمسين وخمسماية وكانت مدة خلافته نحو خمس
سنين واربعة اشهر ومات وله من العمر نحو من
اثنتى عشر سنة ولما مات تولى بعده ابن عمه عبد الله
العاضد انتهى ما اوردناه من اخبار الفايز بنصر الله
وذلك على سبيل الاختصار ذكر خلافة العاضد

العاضد بالله ابو محمد عبد الله بن الحافظ
بن المستنصر بالله وهو الحادي عشر من خلفاء
بني عبيد الله الفاطمي بويع بالخلافة بعد موت
عمه الفايز بنصر الله في رجب سنة خمس وخمسين
وخمسماية وتولى الخلافة وله من العمر نحو اربع
وعشرين سنة ومن غريب الاتفاق ان الخليفة
المعز لما دخل مصر قال لبعض العلماء اكتب لنا
القابا تصلح للخلافة فاذا اتى لي احد منا تلقب بها
فكتب لهم القابا كثيرة اخرها العاضد بالله فاتفق ان
اخر من تولى منهم تلقب بالعاضد بالله وبه انقرضت
دولتهم

انقرضت دولتهم وكان القايم بتدبير مملكته
الوزير الصالح طلايع بن رزيك فاقام في الوزارة
الى ان قتله جماعة من العبيد الزنج وكانت قتلته في
رمضان سنة ست وخمسين وخمسماية فلما قتل طلايع
بن رزيك تولى عوضه في الوزارة شاور بن مجير
ابو شجاع السعدي وهو اخر من تولى من الوزراء
الرافضة وقتل ايضا فلما اخلع عليه قال فيه بعض
الشعراء

اذا ابصرت في خلع وزيرا فقل له ابشر بقاصمة الظهور
بايام طوال في عناء وايام قصار في سرور

وفي سنة ست وخمسين وخمسماية ايضا توفي الشيخ
محمود بن اسمعيل بن قادوس كاتب الانشاء بالديار
المصرية وهو شيخ القاضي الفاضل عبد الرحيم وكان
يسميه ذا البلاغتين وكان له شعر جيد فمن
ذلك قوله

زارني في الدجا فنم عليه طيب اردانه لذا الرقباء
والثريا كانها كف خود برزت من غلالة زرقاء

ومن الحوادث العظيمة التي لم يقع قط مثلها
بالديار المصرية ان في سنة اربع وستين وخمسماية
جاءت الاخبار بان الفرنج جاءت الى ثغر دمياط
في سبعين مركبا وكان ملك الفرنج يسمى مري فملكوا
ثغر دمياط ونهبوا اسواقها وقتلوا اهلها ثم زحفوا
على الضياع واكثروا فيها القتل والسبي ثم وصلوا الى
بلبيس وكسروا عساكر الفسطاط ودخلوا القاهرة الى
من خلف السور من عند البرقية ثم توجهوا الى

بركة الحبش وصاروا يقتلوا من وجدوه من المسلمين
وقدروا علي اهل مصر والقاهره اموالاً جزيلة واخذوا
في اسباب جبايتها فعند ذلك اشار الوزير شاور
علي الخليفة بحرق مدينة الفسطاط خوفاً من الفرنج
ان لا يملكوها فاذن لهم في حرقها فجمع الوزير
طايفة من العبيد واحرقوها فاقامت النار عمالة
فيها نحو شهرين فكان يري دخانها من مسيرة
ثلثة ايام وكانت مدينة الفسطاط من اجل المداين
انشاها عمرو ابن العاص رضي الله عنه بعد فتح
مصر سنة اثنين وعشرين من الهجرة وكان اولها
من عند الرصد واخرها عند حدرة بن قميحة وهي
اقدم من القاهره وكان بها عدة مساجد محكمة
البنا وعدة حوانيت وحمامات ومعاصر والمساكن
الجليلة والي الان يوجد في كيمانها الحجر الرخام
فلما احرقت مدينة الفسطاط تحول الناس الي القاهره
فبلغ كري الجمل من الفسطاط الي القاهرة عشرة
دنانير في كل نقلة فجري ذلك ارسل الخليفة فعند
العاضد يستجير بنور الدين الشهيد صاحب دمشق
وبعث اليه بشعور نسايه وهو يقول له ادركني وبناته
واستنقذ نسايي من ايدي الفرنج والتزم له ثلث
خراج مصر وان يكون اسد الدين شيركوه مقيماً
عنده بمصر فارسل نور الدين الشهيد اسد الدين
عمه صلاح الدين ومعه العساكر فلما دخلوا مصر
خاف منهم الفرنج ورحلوا الي بلادهم فلما دخل اسد
الدين الي مصر شنق الوزير شاور فانه كان
سبباً

سبباً لدخول الفرنج الي مصر وكان يكاتبهم في
الباطن علي الدخول كما فعل ابن العلقمي مع هلاكوا
ايام المستعصم بالله وكانت قتلة شاور في ربيع
الاخر سنة اربع وستين وخمسماية وفيه يقول عرقلة

هنياً لمصر حوز يوسف ملكها بامر من الرحمن قد كان موقوتا
وما كان فيها قتل يوسف شاوراً يماثل الا قتل داود جالوتا

فلما قتل شاور اخلع العاضد علي اسد الدين شيركوه
واستقر به وزيراً عوضاً عن شاور ولقبه بالملك المنصور
بالمنصور فلم يقم في الوزارة سوي شهرين وخمسة
ايام ومات فجاة في ثالث جمادي الاخره من تلك
السنة فلما مات اسد الدين اخلع العاضد علي صلاح
الدين يوسف بن ايوب واستقر به في الوزارة
عوضاً عن عمه ولقبه بالناصر لدين الله وكانت الوزراء
تتلقب بالقاب الخلفاء واخلع عليه خلعة الوزارة
قال الامام ابو شامة وكانت خلعة الوزارة يومئذ
عمامة بيضا شرب بطراز ذهب وثوب دبيقي بطراز
ذهب وجبة بطراز ذهب وطيلسان مرقوم بذهب
وعقد جوهر بعشرة الاف دينار وسيف مسقطه
بذهب وحجره يركبها بخمسماية دينار وفي قوايمها
اربعة جواهر وفي عنقها جوهرة كبيرة وعلي
راسه اعلام بيض ومنشور الوزاره مكتوب في
ثوب حرير ابيض وكان له يوم مشهوداً وذلك
يوم الاثنين سادس عشرين جمادي الاخره
من تلك السنة فارتفعت الاصوات له بالدعاء

وفيه يقول عرقلة

أقعلوا والا تداركوا فقد أزمعت مصر الي حرب الأعاريب
رب كما ملكتها يوسف الصديق من اولاد يعقوب
يملكها في عصرنا يوسف الصادق من اولاد أيوب

وقوله فيه ايضا

قد مال غصن الرياض من طرب وافتر ثغر البلاد وابتسما
واستبشرت أوجه الهدي فرحا فليقرع الكفر سنه ندما
وصار شمل الصلاح ملتئما بها وعقد السداد منتظما
فلما تم امر صلاح الدين في الوزارة أبطل ما كان يقال في الاذان حي علي خير العمل ففرح الناس بذلك
ثم عزل قضاة مصر كلها لأنهم كانوا شيعة ثم ولي القاضي صدر الدين بن درباس الشافعي واستناب في سائر اعمال مصر الشوافعة واقام مجد الشافعية دون غيرهم من المذاهب انتهي ذلك

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة فيها

توفي الشيخ نصر الملك بن عبد الله بن مخلوف بن قلاقس الاسكندري ولد بالاسكندرية في ربيع الاخر سنة اثنين وثلاثين وخمسمايه ومات ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمايه توفي بصحراء عيذاب ودفن بها وكان من فحول الشعراء وله شعر جيد ومعاني رقيقه

فمن شعره قوله

عقدوا الشعور معاقد التيجان وتقلدوا بصوارم الاجفان
ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم هز الكماة عوالي

وفي سنة سبع وأربعين وخمسمائة توفي الشيخ ناصر الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد ... الأرجاني الأشعري صاحب الديوان ... اللطيفة

المران
وقد رعوا زرود فخلت أرآقها خلعت ملابسها على الغزلان
أن الذي رحلوا غداة المحا ملؤا القلوب لواعج الأشجان
فلا بعثت مع النسيم اليهم شكوي تميل لها غصون البان

فلما تولي صلاح الدين امر الديار المصرية أطاعته الرعية واجتمعت فيه الكلمة فضعفت شوكة العاضد وصار مع صلاح الدين كالمحجور عليه لا يتصرف في شيء من امور المملكة حتي يعرض عليه فالذي يحسن ببالة يمضيه والذي لا يستحسن بباله يوقفه ثم ان نور الدين الشهيد أرسل يقول لصلاح الدين اقطع الخطبة عن العاضد من مصر واعمالها واخطب باسم المستضي بالله العباسي خليفة بغداد فارسل صلاح الدين يقول لنور الدين الشهيد ان عساكر القاهره لا تطاوعني في ذلك وكانت عساكر القاهره يوميذ نحو خمسين الف مقاتل علي أجناس مختلفه وكان بها خمسماية مركب حربيه مشحونه بالرجال والسلاح برسم الجهاد هذا مع تلاشي امر الخلفاء الفاطميه وضعف شوكتهم فارسل نور الدين الشهيد يقول لصلاح الدين لابد من ذلك فلما راه مصمم علي ذلك جمع اعيان القاهره وذكر لهم ذلك فقالوا وكيف يكون هذا الامر فقال شخص من ابناء العجم يسمي محمد بن المحسن بن الضيا انا افتح لكم هذا الباب فلما كان يوم الجمعه ثاني المحرم سنة ثمان وستين وخمسمايه صعد المنبر قبل صلاة الجمعه ودعا للخليفة المستضي بالله العباسي فلم ينكر احد من الناس

ولا انكر عليه في ذلك فلما كان الجمعة الثانية قطع اسم
الخليفة العاضد من الخطبة من مصر واعمالها وخطب
باسم المستضي بالله العباسي ومن العجايب ان اول
من خطب للمعز الفاطمي لما قدم مصر خطيبا من بني العباس
ولما قطعت عنهم خطب باسم العباسية خطيبا
من الاشراف العلوية **قيل** لما وصل الخبر الى
بغداد بان عادت الخطبة لبني العباس بمصر فرح
اهل بغداد بذلك وزينت مدينة بغداد ايام
وكان سبب عود الخطبة لهم نور الدين
الشهيد بعد ما قطعت عن بني العباس بمصر
نحو مايتي سنة وكسور لم تخطب باسمهم في مصر
ولا اعمالها **قال** ابن الجوزي لما اعيدت الخطبة
لبني العباس صنفت في هذه الواقعة كتابا وسميته
النصر على مصر انتهى ذلك **وقد قال بعض الشعرا**
أليستم مزيلي دولة الكفر من بني عبيد بمصر ان
هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية مجوس وما في الصالحين
لهم اصل
يسرون كفرا يظهرون تشيعا ليستتروا شيا وعمهم
الجهل
وقال العماد الكاتب من ابيات في هذه الواقعة
ولا غرو ان ذلت ليوسف مصره وكانت الى عليايه
تتشوف
فملكها من قبضة الكفر يوسف وخلصها من عصبة الرفض
كشفت بها عن آل هاشم كربة وما مثلها الا بسيفك
يوسف
يكشف

اخذت

أخذت به مصرا وقد حال دونها من الشرك ناس في
نيا الحق نقف فه
فعادت بحمد الله باسم امامنا تتيه على كل البلاد
وتشرف
قيل لما قطعت الخطبة عن العاضد حصل له غاية
القهر فلما زاد الامر عليه عمد الى فص من الماس
فابتلعه فمات من ليلته **وكانت** وفاته في عاشر
المحرم سنة ثمان وستين وخمسمايه **وكانت** مدة خلافته
عشرا اثنتي عشرة سنة وبه انقرضت دولة بني عبيد
الله كانها لم تكن وقد اقامت دولتهم بمصر نحو
مايتي وست سنين ولما مات العاضد رثاه عمارة
اليمني بهذين البيتين **وهما**
يا عاذلي في هوى ابناء فاطمة لك الملامة ان قصرت
في عذلي
بالله جز ساحة القصرين وابك معي عليهما لا على صفين
والجمل
ولما مات العاضد تولى بعده صلاح الدين يوسف بن
ايوب انتهى ما اوردناه من اخبار الدولة الفاطميين
وذلك على سبيل الاختصار **ذكر ابتداء دولة الاكراد
من بني ايوب فكان اولهم الملك الناصر ابو المظفر
صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي بن
مروان الكردي وكان** اصلهم من اذربيجان من
بلاد الكرج ولكن اصلهم من الاكراد **وكان** مولد
صلاح الدين يوسف بقلعة تكريت سنة اثنين وثلثين
وخمسمايه وكان اباه ايوب في خدمة زنكي ابو
نور الدين الشهيد فلما توفي زنكي صار ايوب
واولاده في خدمة نور الدين الشهيد فلما عظم

أمر نور الدين الشهيد وصار مستوليا علي البلاد الشامية
فلما أرسل الخليفة العاضد يستنجد به علي الفرنج أرسل
إليه أسد الدين شيركوه أخا أيوب عم صلاح الدين
يوسف فلما مات أسد الدين تولي بعده ابن أخيه
صلاح الدين يوسف بن أيوب واستمر صلاح الدين
في الوزارة حتي مات العاضد أرسل نور الدين
الشهيد تقليدا لصلاح الدين واستقر مستوليا علي مصر
نيابة عن نور الدين الشهيد قيل لما استعرض
صلاح الدين حواصل الخلفاء الفاطميين وجد بها من
السلاح والتحف والأموال ما لا يحصي فمن ذلك سبعمائة
درة يتيمة لا تقوم ومصحفه ياقوت أحمر وأربعين
قصبة من الزمرد طول كل قصبة شبر وسمكها نحو
الإبهام وغير ذلك من التحف ووجد خزانة كتب فيها
الفي مجلد في علوم شتي فأرسل لنور الدين ما حسن
من ذلك واصطفي لنفسه ما اختاره حتي قيل أقام نحو عشر
سنين يبيع ما فضل من الخزاين وهو لا يفرغ ثم
ان صلاح الدين أخذ في أسباب إصلاح أمر الديار
المصرية وأبطل من المكوس والمظالم ما كان أحدث
في الدولة الفاطمية وكتب بذلك مسامح وقرأت
علي المنابر بعد صلاة الجمعة ففرح الناس له بالدعا
واشتمالت اليه قلوب الرعية وأظهر العدل بالديار
المصرية وفيه يقول عرقلة الشاعر

أصبح الملك بعد آل عبيد مشرقا بالملوك من آل شاذي
وغدا الشرق يحسد الغرب للقوم ومصر تزهو علي بغداذ

كما

ما حوها الا بعزمه وجزمه وقليل الفؤاد في الفولاذ
لا كفرعون والعزيز ومن كان بها كالخصيب والأستاذ

الأستاذ يعني كافور الإخشيدي ثم ان صلاح الدين
أخلع علي القاضي محيي الدين عبد الرحيم بن علي بن حسن
القاضي الفاضل البيساني ثم المصري واستقر به وزيرا وصاحب
ديوان الإنشاء بالديار المصرية وأقامه في الوزارة
مقام نفسه لما كان وزيرا قلت وكان القاضي الفاضل
عالما فاضلا قد برع في الشعر وصنعة الإنشاء حتي
قيل ان مسودات رسايله لو جمعت بلغت مائة
مجلد وهو الذي أظهر التورية في الشعر وكشف
عنها الغطاء وكان وقوعها في الشعر عزيزا جدا
ومن لطايف شعره وهو قوله

لي عندكم دين ولكن هل له من طالب وفؤادي المرهون
فكأنني ألف ولام في الهوي وكأن موعدكم لي التنوين

قال الإمام أبو شامة كان القاضي الفاضل
دميم الخلقة وكان له حدبة ظاهرة خلف ظهره
وكان يسترها بالطيلسان حتي لا تري وقد قيل

سلطاننا أعرج وكاتبه ذو عمش والوزير منحدب

وكان صلاح الدين يوسف به بعض عرج والقاضي صدر
الدين بن درباس به بعض عمش والوزير الفاضل
منحدب وقال فيه ابن عنين مداعبة لطيفة

حاشي لعبد الرحيم سيدنا الفاضل ما ذا تقوله السفل
يكذب من قال ان حدبته في ظهره ومن عنده حبل

هذا قياس في غير سيدنا يصح أن كان مخبل الرجل
ومن النكت الظريفة قال الأسعد بن مماتي
دخلت يوما على القاضي الفاضل فرأيت الى جانبه
أترجة بديعة الخلقة فجعلت أنظر اليها وأتعجب من
خلقتها فقال لي القاضي الفاضل أراك تطيل النظر
الى هذه الأترجة فقلت أتعجب من شكلها وبديع
خلقتها فقال الفاضل ولها نسبة ايضا فيما بها من
الاجتذاب فقلت الله الله يا مولانا القاضي ثم اني
سكت ساعة وارتجلت بيتا من الشعر في المعنى وهما
للحسن بك لله أترجة قد اذكرتنا بجنان النعيم
كأنها قد جمعت نفسها من هيبة الفاضل عبد الرحيم
ثم انشدتهما بين يديه فلما سمع ذلك أعجبه وزال
من قلبه ما كان توهمه مني فلما خرجت من عنده
ذكرت ذلك لبعض أصحابي فقال لي أحمد الله تعالى
فربما تصحفت عليه في اللفظ فيقرأها من هيئة
الفاضل عبد الرحيم فيزداد حنقا من ذلك انتهى
ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسماية فيها بلغ
الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أن جماعة من
أعيان القاهرة ومن جملتهم عمارة اليمني الشاعر اتفقوا
على اعادة دولة الفاطميين فلما تحقق صلاح الدين
ذلك أمر بشنقهم ومن جملتهم عمارة اليمني فشنقوا في
عاشر رمضان سنة تسع وستين وخمسماية وكان عمارة
فقيها فرضيا شاعرا ماهرا وولد سنة خمس عشرة وخمسماية
أتى من اليمن ودخل مصر سنة خمسين وخمسماية وامتدح
الخلفاء الفاطمية بقصايد سنية لكنه كان يميل الى مذهب

[illegible]

من حب الرافضة ومن شعره الرقيق قوله
ولا تحتقر كيد الصغير فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز عليه من التضييع في غير واجب
وفي هذه السنة أعني سنة تسع وستين وخمسماية
فيها جاءت الأخبار من دمشق بوفاة الملك السعيد
نور الدين الشهيد صاحب دمشق المجاهد المرابط
العولي وقد عده اليافعي في كتاب روض الرياحين
انه من الأولياء الأربعين ودفن بالشام
قيل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو
يقول له أدركني يا نور الدين فان شخصا من الرافضة
جاء ليسرق جثتي وأراه شكله في المنام فلما أصبح نور
الدين توجه الى المدينة الشريفة في غير أوان
الحاج فلما دخل المدينة استعرض أهلها وأوهمهم
انه يفرق عليهم مال فلما حضروا بين يديه قال
هل بقي منكم أحد قالوا بقي شخص من الصالحين
منقطع الى الله تعالى لا يجتمع بأحد من الناس
قال ائتوني به فلما حضر بين يديه فاذا هو الشخص
الذي أراه له النبي صلى الله عليه وسلم في المنام بعينه
فلما رآه أمر بطلبه فصلب ثم كبس داره وكانت
داره بالقرب من الحجرة الشريفة فوجده قد
حفر سربا تحت الارض وقد قرب من لحد النبي
صلى الله عليه وسلم فحفر نور الدين الشهيد حول
الحجرة الشريفة خندقا وردمه بالحجارة الكبار ثم

بجامع الكلاسة وقبره يزار الى الآن

وهو أول من عمل على رأسه المنديل من الملوك

سبك عليهم بالرصاص وهذه الحكاية مشهورة عن
نور الدين الشهيد رحمة الله عليه وهو أول من
اتخذ حمايم الرسايل الى الآفاق وهو أول من أطلق
عليه السلطان بعد ملك شاه السلجوقي **قال** ابن
فضل الله في المسالك ان الاصطلاح ان لا يطلق
التسمية بالسلطان الا على من يكون يملك عدة بلاد
مثل مصر والشام وافريقية والاندلس وفي ولايته
عدة ملوك ويكون عسكره عشرة آلاف فارس أو
نحو ذلك وان تخطب باسمه في عدة اماكن شتى فجاز له
ان يطلق عليه بالسلطان الأعظم فكان نور الدين
الشهيد يطلق عليه السلطان الأعظم فانه قد اجتمع
فيه هذه الشروط كلها فلما توفي السلطان نور الدين
الشهيد انفرد صلاح الدين يوسف بن أيوب بما كان فيه نور
الدين الشهيد واطلق عليه التسمية بالسلطان فصفا
له الوقت وساعدته المقادير بما يختار من الامور

كما قيل في المعنى

لو نطقت مصر قالت يا ملك العصر والأقاليم
قد أصبح السعد عبد رق والنصر أمسى لديك خادم
له بتغلب الملوك رعب أغني عن السيف والصوارم

فلما انفرد صلاح الدين يوسف بملك مصر والشام أزال
ما كان بمصر من العساكر الملفقة وكانوا ما بين مغاربة
ومصامدة وأرمن وشناترة العرب وطايفة من العبيد
الزنج فمحا هذه الطوايف كلها واستجد بمصر عساكر من
الاكراد خاصة فكان عدتهم اثني عشر الف من شجعان
الكرد **قال** ابن الأثير لما دخلت سنة اثنين
وسبعين وخمسماية شرع الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب في بناء سور القاهرة بالحجر الفص
نجد

[illegible]

الفص النحيت وابطل السور الذي كان بناه جوهر القايد
بالطوب اللبن في دولة الفاطميين ثم جعل دوره
ثلث وثلثين الف ذراعا بالعمل وجعل في هذا السور
الجديد عشر بابا غير الابواب الصغار **قال** ابن
الأثير وان باني زويلة العتيق كان في الغرابليين
عند مسجد سام بن نوح وآثاره باقية الى الآن واما
باب زويلة الموجود الآن يسمى باب الفاضل ثم ان
الملك صلاح الدين شرع في بناء قلعة الجبل واتخذها دار
المملكة **قال** ابن الأثير ومات صلاح الدين ولم يتم
بنى قلعة الجبل وانما اكمل بنايها الملك الكامل محمد بن
اخي صلاح الدين يوسف وهو اول من سكن بها من
بني أيوب وبطل امر قصر الزمرد الذي أنشاه المعز
الفاطمي وكان مكان دار الضرب **قال** القاضي شمس
الدين بن خلكان ان في سنة ثلث وسبعين وخمسماية
شرع الملك الناصر صلاح الدين يوسف في بناء خانقاة
سعيد السعدا وهي أول خانقاة عمرت بالقاهرة وكانت
دار الشخص من خدام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي
يقال له قنبر سعيد السعدا فاشتراها السلطان صلاح
الدين وبناها خانقاه فسميت خانقاة سعيد السعدا
مضافا لاسم قنبر سعيد السعدا ثم بنى المدرسة
المعروفة بالسيوفية وجعلها للحنفية ثم بنى
المدرسة المعروفة بالقمحية وجعلها للمالكية ثم بنى
المدرسة العظيمة التي بجوار الامام الشافعي رضي
الله عنه وجعلها للشافعية ثم بنى مدرسة عند
دار الضرب وجعلها للحنابلة وانشأ بجوارها
مارستان ولم يكن بالقاهرة مارستان قبله غير

كان ابتداء بناء السور على يد بهاء الدين قراقوش الأسدي الخصي [illegible]

[illegible]

الذي أنشاءه أحمد بن طولون في القطايع وتطل
امره وانشاء مدرسه بالقدس الشريف وسماها
الصلاحية ومن محاسن الناصر صلاح الدين يوسف
انه اقام مجد السادة الشافعية وقدمهم على غيرهم
من المذاهب الثلاثة قال ابن الاثير ان اول
من قدر الخدام الخصيان بالمدينة الشريفة الناصر
صلاح الدين يوسف بن ايوب وكان سبب ذلك ان
بني حسن لما تغلبوا على الخلفاء الفاطميين واستولوا
على المدينة الشريفة فلما آل الامر الى الناصر صلاح
الدين استمال بني حسن واغدق عليهم بالمال الجزيل
والهدايا حتى ملكوه من المدينة الشريفة فلما ملك امرها
جعل فيها اربع وعشرين خادما خصيا وجعل عليهم
شيخا من الخدام يقال له بدر الدين الاسدي واوقف
على مجاوري المدينة بلدين من اعمال الصعيد وهما
نقادة وقماله وهما الى الآن جارية في اوقاف الحرمين
واستمر من يومئذ شيخ الحرم النبوي من الخدام الخصي وكان
اذا قدم على الملوك يقومون له ويجلسونه الى جانبهم
ويتبركون به لقرب عهده من تلك الاماكن الشريفة
واستمر ذلك الى ايام الاشرف برسباي ومن الحوادث
في ايامه ان الفرنج اتوا الى ثغر دمياط وحاصروا اهلها
فتوجه اليهم الناصر صلاح الدين وقاتل معهم وكسرهم
وكانوا نحو ما تين مركب فاقام يحاصرهم نحو شهرين حتى
كسرهم وانهزموا الى بلادهم وفي سنة ثمان وسبعين
وخمسماية فيها جاءت الاخبار من مدينة الخليل عليه السلام
بان المغارة التي فيها الخليل مدفون قد انخسفت من

اعلاها

اعلاها فنزل بها جماعة فوجدوا بها ثلث جثث
وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام وقد بليت
اكفانهم وهم مستندون الى حايط المغار واجسادهم
طرية لم تبلى وهيئتهم على حالها كانهم ينطقوا وعلى روسهم
قناديل من ذهب وفضة فلما بلغ الملك الناصر صلاح الدين
ذلك توجه الى مدينة الخليل عليه السلام ونزل المغارة
وامر بان تجدد لهم اكفان بيض وسد ما كان قد انخسف
من المغارة بالحجارة الكبار ثم رجع الى القاهرة وهذه
الواقعة نقلها على الهروي السواح في كتاب الاشارات
في معرفة الزيارات انتهى ذلك وفي هذه السنة توفي
القاضي موفق الدين بن محمد المصري صاحب ديوان
الانشاء بالديار المصرية قال العماد الكاتب لم يكن في
عصره اشعر منه توفي في جمادي الاخره من تلك السنة
ومن شعره قوله

ان شهر الصيام ضيفا اتانا ... وقرى الضيف لازم للكرام
وهو راض بصومه هل سمعتم ... قبله الضيف راضيا بالصيام

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسماية فيها توجه
الملك الناصر صلاح الدين يوسف الى دمشق فلما دخلها
نزل بالميدان الكبير وجلس في القصر الذي به فجاءت اليه
ارباب الملاعب من المصارعين والمثاقفين وغير ذلك
ثم جاء اليه رجل اعجمي فتكلم مع الملك الناصر بان يريه
اعجوبة في صنعة الشعبذة فاذن له في ذلك فنصبت
خيمة لطيفة في الميدان واخرج من كمه كبة خيط وربط
ذلك الخيط في يده ثم حذف تلك الكبة الخيط في الهوا

ثم تعلق بها وصعد حتي غاب عن الأبصار ثم بعد ساعة
سقطت بين الناس احدي رجليه وصارت تزحف
علي الأرض حتي دخلت الخيمة ثم سقطت رجله الاخري
وصارت تزحف حتي دخلت الخيمة ثم سقطت احدي
يديه ودخلت الخيمة ثم سقطت اليد الاخري ودخلت
الخيمة ولم تزل أعضاؤه تتساقط عضوا عضوا حتي
سقطت الرأس وصارت تزحف علي الأرض حتي
دخلت الخيمة ثم بعد ساعة خرج الرجل وهو سوي
كما كان يمشي علي اقدامه فقبل الارض بين يدي الملك
الناصر ثم ان الرجل دخل الي الخيمة وقد امر الناس
فقال رفيقه للحاضرين ادخلوا الي الخيمة وفتشوها
فدخلوا الخيمة وفتشوها فلم يجدوا فيها احدا ثم
فكوها ونصبوها في مكان آخر فخرج منها الرجل وهو
يمشي علي اقدامه فتعجب منه الناس وكان حاضرا
عند الملك الناصر شخصا من الأمراء يقال له سنقر
الأخلاطي فلما راي ذلك حنق وجرد سيفه وضرب
عنق ذلك الرجل المشعبذ وقال مثل هذا لا يأمن
ان يكون جاسوسا من عند احد من الفرنج ثم ان
الأمير سنقر اراد ان يضرب عنق رفيقه فاستجار
بالملك الناصر وزعم انه لا يعرف شيئا مما كان يعمله
رفيقه فمنع الملك الناصر الأمير سنقر من قتله وقال
للرجل اخرج من الشام ولا تعد بها يقتلوك فخرج من
وقته انتهي ذلك

ومن النكت اللطيفة قيل

كان بدمشق جامع يعرف بجامع ابن الزنجاري وكان
يعمل فيه من انواع الفسوق ما لا يوصف شرحه فلما
بلغ

بلغ الملك الناصر خبره وهو بالشام فاشتراه وهدمه
وبناه جامعا وسماه جامع التوبة وولي خطابته الي
لشخص يسمي العماد الواسطي وكان يتهم بشرب الراح
وحب الملاح فكتب بعض الظرفاء قصة عن لسان هذا
الجامع ورفعها الي الملك الناصر وهو في موكبه بالشام
وكان شرح القصة

هذه الأبيات وهي

يا مليكا اوضح الحق لدينا وابانه
جامع التوبة قد قلدني منه امانه
قال قل للملك الناصر ابقي الله شانه
يا صلاح الدين يا من حمد الناس زمانه
لي خطيب واسطي يعشق السلاد ياته
ويحب المرد طبعا ويغني بالحانه
فانا في كل حال لم ازل بالفسق حانه
فاستمع قصة حالي زادك الله صيانه

فلما وقف الملك الناصر علي هذه القصة امر بعزل العماد
الواسطي عن خطابة الجامع وولي عليه شخصا من اهل
العلم والصلاح انتهي ذلك واستمر الملك الناصر بالشام
حتي مرض وتسلسل في المرض حتي مات رحمة الله عليه

وكانت وفاته في صفر سنة تسع وثمانين وخمسماية وكانت
مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية نحو من
اربع وعشرين سنة بما فيها من ايام الملك العادل نور الدين
الشهيد ومات الناصر صلاح الدين وله من العمر نحو احدي
وسبعين سنة ودفن بدمشق في مدرسة مجاهد الدين
وخلف من الأولاد سبعة عشر ولدا ذكرا ولم يخلف في بيت
المال لا ذهبا ولا فضة ولا قماشا ولا سلاحا وانفق جميع ما

في الخزاين في الغزوات والجهاد وفتح البلاد التي كانت
بيت الفرنج وكان له اشتغال بالعلم والحديث وكان
لا يلبس الا الثياب القطن والجبب الصوف وقد عده
اليافعي في كتاب روض الرياحين انه من جملة الاولياء
الثلاث مائة ولما مات رثاه العماد الكاتب بقصيدة
منها شمل الهدي والملك عم شتاته والدهر ساء
واقلعت حسناته
بالله اين الناصر الملك الذي لله خالصة صفت نياته
اين الذي ما زال سلطانا لنا يرجي نداه وتتقي سطواته
اين الذي شرف الزمان بفضله وسمت علي الفضلاء
تشريفاته
اين الذي عنت الفرنج لبأسه ذلا ومنها ادركت ثاراته
اغلال اعناق العدي اسيافه اطواق اجياد الوري
مناته
واما ما افتتح من البلاد في ايامه قال ابن السبكي في
الطبقات ومن فتوحاته قلعة ايلة وطبريه
وعكا والقدس وكان بيت الفرنج اثنين وسبعين سنة وفتح مدينة
والكرك والشوبك ونابلس وعسقلان وبيروت
وصيدا وبيسان وغزه وصفوريه والعوله وهونين
والطور والاسكندريه وقبرس ويافا وارسوف
وقيساريه واللجون ومشحل ناقول وريحا وحمص
والديلم وانطرطوس واللاذقيه ومهران
وجبله وقلعة الجاهريه ودرمسايل وبقراس
وصفد وافتتح الشد بلاد النوبه وكانت بيت النصاري
طا ما افتتح من بلاد المسلمين حران وسروج
وشهر

ومن فتوحاته مصر من يدي
بني عبيد الفاطمية الرافضة وفتح
غالب بلاد اليمن وفتح دمشق
وحمص وحماه والمعره ولفرطاب
وبارين ومنبج وعزاز وحلب
والموصل وسنجار والرقه
وجعبر والرحبه والخابور وامد
ونصيبين والرها ومنافارقين
وسروج والكرك والشوبك وبيت
المقدس وكان بيد الفرنج نحو من
اثنين وسبعين سنة
غزه وعسقلان والرمله وطبريه
وكوكب وصفد والطور وبيت
جبريل وعكا وصيدا وبيروت
والبطرون ونابلس والداروم
وحيفا والساريه وشقيف وصفوريه
والناصره وتبنين وهو نين وجبيل
وحصن الاكراد وانطرسوس
واللاذقيه وصهيون وبكاس

وشهرزور والرها والرقة والبيرة وسنجار
ونصيبين وآمد وحلبا وأخذ الموصل بالأمان
وفتح مدينة طرابلس الغرب وبرقة من بلاد المغرب
وكان حكم الملك الناصر صلاح الدين من مصر الى
الفراة ومن مصر الى بلاد المغرب والحجاز واليمن
فلما عظم أمره بلا شي أمد خليفة ببغداد الناصر لدين
الله أحمد فأرسل يقول لصلاح الدين أنت تلقبت
بالناصر وأنا ملقب بالناصر فما يعرف لقبي من لقبك
فتلقب أنت بغير هذا اللقب فأرسل الناصر صلاح
الدين يقول له أنا ما تلقبت بهذا اللقب وإنما لقبني
الخليفة العاضد بالله لما ولاني الوزارة واستمر
صلاح الدين على لقبه حتى مات ثم تولى من بعده
ابنه العزيز بالله عثمان انتهى ما أوردناه من أخبار
الملك الناصر صلاح الدين يوسف وذلك على سبيل
الاختصار

ذكر سلطنة الملك العزيز بالله عماد الدين عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو الثاني من ملوك بني أيوب

تبويع بالسلطنة بعد موت أبيه وكان مولده بمصر
في جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسماية وولي
الملك وله من العمر نحو سبع وعشرين سنة وكان أصغر
أخوته وكان أخاه الأفضل البرهنة فلما توفي الملك
الناصر الدين صلاح الدين يوسف بدمشق ولي ابنه
الأفضل على البلاد الشامية وولي ابنه المظفر غازي
على البلاد الحلبية وعهد لابنه عثمان بولاية مصر

وفتح مدينة الخليل عليه السلام

فلما استقر عثمان بمصر وقع الخلف بين الإخوة ووثب
بعضهم على بعض وجرى بينهم من الحروب ما
يطول شرحه وكان عثمان طايش العقل مخلوع
الخطاءات فيه فراسة والده الناصر عما كان يرجوه
منه **فكان كما قيل في المعنى**
أملتهم ثم تأملتهم فلاح لي أن ليس فيهم فلاح
طال وقوفي بغنا ربعهم من غير نفع فالرواح الرواح
فلما تولى أمر مصر أعاد المكوس التي كان أبطلها
والده وزاد في شناعتها وتجاهر بالمعاصي حتى غلا
سعر العنب في أيامه لكثرة من يعصره وحميت بيوت
المزره والخانات وأماكن الحشيش وأباحوا ذلك
أرباب الأمر والنهي وأقيمت على هذه الأماكن
الضرايب الثقيلة وقرر عليها في كل يوم ست عشرة
دينارًا حمايه للسلطان وصار طاحون الحشيش عماله
كل يوم في حارة المحاميدة وكذلك بيوت المزر التي
في الكبش عند الغور وكان القاضي عبد الرحيم الفاضل
وزير أبيه ينهاه عن ذلك فلم ينتهي ووقع في أيامه الغلا
بمصر والقحط في الجرون واضطربت أحوال الديار المصرية
في أيامه **ومن الحوادث** ان دارًا كانت عند فم السد
تعرف بدار ابن مقشر وكان يحصل من أجرتها يوم فتح
السد ما لا يحصل من أجرة غيرها في مدة سنة كاملة
بسبب فتح السد والفرجة عليه يوم وفاء النيل فلما كان
يوم الأحد سابع صفر سنة احدى وتسعين وخمسماية
أوفا النيل على مجاري العادة فكلت الناس البيوت التي
في دار ابن مقشر بسبب الفرجة حتى ما بقي فيها ما يسع
قدم انسان فبينما الناس محتبكه بها فسقطت عليهم تلك
الدار

الدار على من بها من الناس فماتوا أجمعين وكان بها
من الناس نحو خمسماية انسان من رجال ونساء وصغار
فاقاموا يستخرجون منها الأموات ثلثة أيام فبينما هم
على ذلك فوجدوا تحت الردم شخصًا يسمى بأبي البقاء
وفيه بعض نفس فطلع من تحت الردم وأقام مدة
وهو ضعيف ثم عوفي وعاش بعد ذلك مدة طويلة
ثم في بعض الأيام طلع الى سطح داره فزلقت رجله
من ثلث درج فمات من وقته انتهى ذلك وفي هذه
السنة توفي الامام شجاع بن محمد بن سيد هم شيخ
القراءات السبع **قال** ابن المتوج جاء رجل اعجمي
من نور بند العجم فاوحى الى الملك العزيز ان الهرم
الصغير الملسوق بالجد الصوان تحته مطلبًا وكان الملك
العزيز عنده خفة فوجه اليه القطاعين فاقاموا نحو
شهر ولم يحصل منه الا اليسير فانفق على هدمه
مال جزيل ولم يغن من ذلك شيًا فهرب العجمي وترك
الملك العزيز هدمه عن عجز **ثم دخلت سنة خمس
وتسعين وخمسمايه فيها** خرج الملك العزيز الى نحو
الفيوم يتصيد فبينما هو في الفضاء اذ لاح له ظبي
فساق خلفه فكبى به الفرس فدخل قربوس السرج
في مدره فمات من وقته فحمل الى القاهرة ودفن
عند الامام الشافعي رضي الله عنه **وكانت** وفاته
في يوم الخميس حادي عشرين المحرم سنة خمس وتسعين
وخمسمايه **وكانت** مدة سلطنته بمصر نحو ست سنين
واشهر ولما مات تولى بعده ابنه محمد المنصور انتهى
ما اوردناه من اخبار الملك العزيز عثمان وذلك على

وفي سنة [illegible] وتسعين وخمسمائة [illegible] شيخ الطب [illegible]
[illegible] وتسعين وخمسمائة [illegible] وكان من [illegible]

سبيل الاختصار تمت • ذكر سلطنة الملك المنصور
محمد بن الملك العزيز عثمان بن الناصر صلاح
الدين يوسف بن أيوب وهو الثالث من
ملوك بني أيوب بويع بالسلطنة بعد موت أبيه
العزيز في العشرين من المحرم سنة خمس وتسعين
وخمسماية وكان القايم بأمور دولته الأمير بهاء
الدين قراقوش الخصي الحبشي فساس الناس في
أيامه أحسن سياسة وكان الملك المنصور صغير السن
فأقام في السلطنة مدة يسيرة وأتت أعمامه من
البلاد الشامية وتحاربوا معه فانكسر وسجن بقلعة
الجبل واستمر مسجونا إلى أن مات في السجن وكانت
مدة سلطنته بمصر نحو عشرة أشهر ولما خلع من
السلطنة تولى بعده عم أبيه الأمير أبو بكر بن
أيوب انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المنصور محمد
ذكر سلطنة الملك العادل سيف الدين أبو
بكر بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي وهو
الرابع من ملوك بني أيوب بويع بالسلطنة
بعد خلع ابن ابن أخيه المنصور محمد في شوال سنة خمس
وتسعين وخمسماية وكان العادل هذا في أيام أخيه
الناصر صلاح الدين يوسف قد استولى على عدة
بلاد من بلاد الشرق • وكان مولده
ببعلبك سنة أربع وستين وخمسماية وكان أصغر من أخيه
صلاح الدين يوسف فلما تولى السلطنة مشى على نظام
أخيه الناصر وكان وافر الحرمة نافذ الكلمة
قيل انه كان يشتي بمصر ويصيف بالشام وكان خفيف الركا

وفي سنة ست وتسعين وخمسماية توفي [illegible] الأمير مجد الدين [illegible] من أعيان الفقهاء الشافعية

وفي سنة ست وتسعين أيضا توفي الشيخ أبو الفتح محمد بن [illegible]

الركايب مسعود الحركات كثير الغزوات وافر العقل
وفي أيامه توفي القاضي عبد الرحيم الفاضل وزير الديار
المصرية وصاحب ديوان الإنشاء وهو أول من كشف
الغطاء عن التورية في الشعر وكان فريد عصره في الإنشاء
والبديع وغير ذلك من العلوم ولد سنة تسع وعشرين
وخمسماية ومات في سابع ربيع الآخر سنة ست وتسعين
وخمسماية ودفن بالقرافة بجوار تربة الشاطبي رحمة الله
عليه ومن قوله في باب التورية في معذر

وكنت وكنا والزمان مساعد فصرت وصرنا وهو غير مساعد
وزاحمني في ورد ريقك شارب ونفسي تأبى شركها في الموارد

ومن الحوادث العظيمة في أيام العادل هذا أن في
سنة سبع وتسعين وخمسماية توقف النيل عن الزيادة
وانتهى في الزيادة إلى اثني عشر ذراعا وأصابعا
ثم انهبط ولم يزد بعد ذلك شيئا فاضطربت
أحوال الديار المصرية وحصل الضرر الشامل للبرية
وأكلت الناس بعضها بعضا واستمر النيل على ذلك ثلث
سنين متواليه لم يزد غير اثني عشر ذراعا ثم يهبط
فوقع القحط وعدمت الأقوات فصار الناس من
شدة الجوع يأكلون الكلاب والقطط والحمير والبغال
والخيل والجمال حتى لم يبق بمصر دابة تنفخ ثم تزايد
الأمر حتى صار الرجل يذبح ابن جاره أو عبده أو جاريته
ويأكلهم ولا ينكر عليه ذلك وقد تناهى سعر القمح في
أواخر هذه السنين المجدبة إلى ماية دينار كل اردب

ولا يوجد هكذا يجي نقل الامام ابو شامه ثم قال وقد
عقب هذه الغلوة فناء عظيم حتى ان الملك العادل
كفن من ماله في مدة يسيرة من مات من
الغرباء نحو مايتي وعشرين الف انسان واما الذي
مات من اهل مصر فلا يحصي عددهم حتى قيل
كان النيل اذا طلع لم يجد من يزرع عليه الارض
وكانت الاتراك تخرج بنفسها ويحرثون ويزرعون
ويحصدون وذلك لعدم وجود الفلاحين قال
الامام ابو شامه كانت الاطباء يدعونهم الى
المرضاء فاذا دخلوا عندهم في الدار يغلقوا عليهم
الابواب ويذبحوهم وياكلوهم ولذلك كانوا
يفعلون بالغواسل يدعونهم الى الاموات فاذا
دخلوا عندهم في الدار ذبحوهن واكلوهن
وما زال يتزايد ذلك بين الناس قيل ان رجلا من
اهل مصر استدعى بطبيب فاتى معه فجعل الرجل
يكثر من ذكر الله تعالى بطول الطريق فسكن روع
الطبيب بعد ما كان في وجل فاستمر يمشي معه حتى
وصلا الى دار خربة فخرج منها رجل وقال للرجل
الذي جاء بالطبيب وهل مع هذا البطء العظيم
جيت لنا بصيد فلما سمع الطبيب ذلك ولى هاربا
وما خلص الا بعد جهد كبير واستمر الامر
على ما ذكرناه مدة طويلة ثم تسلسل الحال وتراجع
الامر قليلا قليلا وانحط سعر القمح وظهر في العرصات
وامتلاء اعين الناس منه وزالت تلك الشدة عن
الناس

الناس وانتسى امد الغلاء كانه لم يكن كما قيل في المعنى
اذا ما رماك الدهر يوما بنكبة فهيئ لها صبرا واوسع
لها صدرا
فان تصاريف الزمان كثيرة فيوما ترى عسرا ويوما
ترى يسرا
انتهى ذلك وفي هذه السنة توفي الامام الحسن بن
الخطيب النعماني الفارسي وكان من اعيان العلماء الحنفيه وكان
له تفسير القران في عدة مجلدات مات في اوايل سنة ثمان
وتسعين وخمسماية ولما توفي الفاضل تولى عوضه في
الوزارة الصاحب بهاء الدين زهير محمد بن محمد بن
علي بن يحيى بن الحسن الازدي ثم المصري وكان عالما
فاضلا بارعا في البديع والانشاء وله شعر جيد ومعاني غريبه
اقام في الوزارة الى اخر دولة بني ايوب ووزر للملك
الكامل والعادل والصالح والمعظم ومن شعره قوله
عتبتكم عتب المحب حبيبه وقلت باذلال فقولوا بانصاف
لعلكم قد صدكم عن زيارتي مخافة امواه لدمعي وانواء
فلو صدق الحب الذي تدعونه واخلصتم فيه مشيتم على
الماء
وفي ايام العادل هذا جاءت الاخبار بوفاة الشيخ مؤيد
الدين الطغرائي صاحب لامية العجم وكان الطغرائي كاتب
الانشاء للملك مسعود صاحب حماه فلما كانت الوقعة بين
الملك مسعود وبين اخيه الملك محمود شاه فانتصر محمود
شاه على اخيه الملك مسعود فلما ولى هاربا فكان اول
من اسر من جماعة الملك مسعود مؤيد الدين الطغرائي
وكان الملك محمود شاه يكره الطغرائي وكان الطغرائي له
شغف بمملوك الملك محمود شاه وله فيه اشعار كثيره

فلما أسر الطغرائي أمر الملك محمود شاه بأن يصلب على
شجرة وأمر ذلك المملوك الذي كان يهواه الطغرائي
أن يرمي عليه بالنشاب حتى يموت ثم أن الملك محمود
شاه اختفى في مكان حتى يرى ما يكون بينهما فلما أوتر
المملوك قوسه وفوّق السهام به فأنشد الطغرائي
ارتجالا
ولقد أقول لمن يفوّق سهمه نحوي وأطراف المنية تشرع
والموت في لحظات أحور طرفه دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى فيه لغير هواك أضحى موضع
أهون به لو لم يكن في طيه عهد الحبيب وسره المستودع
فلما سمع الملك محمود شاه شعره رق له وعفا عنه من
القتل فأقام بعد ذلك مدة يسيرة ومات ثم دخلت
سنة تسع وتسعين وخمسمائة فيها توفي في شهور رمضان
العماد الكاتب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حامد
الأصفهاني ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصفهان ثم
تفقه ببغداد ودخل مصر في دولة الفاطميين وكان
عالما فاضلا شاعرا ناظما ناثرا وله شعر جيد فمن ذلك
قوله
وما هذه الأيام إلا صحائف نؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق
ولو أن شيئا مثل دائرة المنى توسعها الآمال والعمر ضيق
قيل مرّ عليه القاضي الفاضل فقال له دام علا العماد
فأجابه العماد على الفور سر فلا كبا بك الفرس وهذا

وهو [illegible]

128

[illegible]

وهذا النوع يقرأ طردا وعكسا وهو عزيز الوقوع
وفي سنة ثمان وستمائة توفي القاضي السعيد هبة
الله أبو القاسم عبد الله بن جعفر بن سناء الملك
المصري عين أعيان الشعراء بالديار المصرية ولد سنة
خمسين وخمسمائة وهو مؤلف كتاب دار الطراز في
الموشحات وله ديوان في فن البديع ومن شعره
الرقيق هذه الأبيات من قصيدة وهي من المخترعات
منها قوله
سعدت ببدر خده برج عقرب فكذبت عندي قول كل منجم
وأقسم ما وجه الصباح إذا بدا بأوضح مني حجة عند لومه
ولا سيما لما مررت بعذل كغفلة صبر في فؤاد متيم
وما بان لي إلا بعود أراكة تعلق في أطرافه ضوء مبسم
وهذا البيت من المخترعات التي لم يسبق إليها وكان القاضي
الفاضل يقول ابن سناء الملك وهذا الشبل من ذاك الأسد
انتهى ذلك واستمر الملك العادل في السلطنة بمصر
حتى خرج إلى الشام لتفقد الأحوال فمرض هناك ومات
ودفن بدمشق وكانت وفاته في جمادى الآخرة
سنة خمس عشرة وستمائة وكانت مدة سلطنته بمصر
ثمان عشرة سنة وتسع أشهر وكان العادل رجلا طويلا
جسيما مليح الوجه شرها في الأكل يأكل الخروف وحده
وكان يحب من يأكل معه مثله وكان كثير الجماع لا يعادله
ولما مات خلف من الأولاد ثلاثة وهم الكامل محمد والمعظم
عيسى والأشرف موسى شاه أرمن فاستقر الملك الكامل
محمد بعده بمصر واستقر الملك المعظم عيسى بحماه واستقر

الملك الأشرف موسى شاه أرمن نجلت وكان موسى
شاه أرمن بديع الجمال وهو ممدوح القاضي كمال الدين
بن النبيه حيث يقول من قصيدة تائية
يا طالب الرزق إن ضاقت مذاهبه قل يا أبا الفتح
يا موسى وقد فتحت
انتهى ما أوردناه من أخبار الملك العادل وذلك على
سبيل الاختصار ذكر سلطنة الملك الكامل
ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن
أيوب وهو الخامس من ملوك بني أيوب بمصر
بويع بالسلطنة بعد موت أبيه العادل يوم الجمعة
سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وكان
الملك الكامل أكبر إخوته قال الشيخ شمس الدين
الذهبي إن الملك الكامل استولى على الديار المصرية
نحو أربعين سنة نصفها في حياة أبيه ونصفها مستقلاً بها
بمفرده وكان كثير الأسفار إلى البلاد الشامية وكان
يكثر من الإقامة بوادي العباسة ويقول هذه
أحسن عندي من الإقامة بالقلعة أصيد بها الطير
من السماء والسمك من الماء والوحش من الفضاء ويصل
إلى خبر القاهرة في كل يوم مرتين وأنشأ بالعباسة
القصور والبساتين وكانت من أجل متنزهاته وهو الذي
أكمل بناء قلعة الجبل وسكن بها وكان الملك الناصر صلاح
الدين يوسف هو الذي شرع في بنائها أولاً ومن
الحوادث في أيامه أن في سنة ثمان عشرة وستمائة جاءت
الأخبار من ثغر دمياط بأن الفرنج أتوا من البحر في مراكب
مركب واستولوا على مدينة دمياط وملكوها فلما تحقق
الملك

وفي سنة خمس وستمائة توفي القاضي بن درباس
الكردي الموصلي قاضي القضاة بالديار المصرية وولد سنة
عشرة وخمسمائة ومات بمصر في رجب من تلك السنة

الشيخ سديد الدين بن
سماقة توفي سنة اثنتي عشرة
وستمائة مات بثغر دمياط

الملك الكامل صحة الأخبار نادى في القاهرة بالنفير
عاماً واضطربت الأحوال وتزايدت الأهوال وعرض
العساكر وجمع سائر العربان من الشرقية والغربية
فاجتمع من العساكر نحو عشرين ألف مقاتل فلما تكامل
العساكر خرج الملك الكامل بطلب حربي وخرج صحبته
السواد الأعظم من أهل مصر والقاهرة فتوجه إلى
طلخا ونزل على بحر أشموم وصار يحاصر الفرنج بدمياط
فلما دام بينهما الحصار ووقع الغلاء في العساكر حتى أبيع
الرغيف الخبز بثقله فضة وأبيعت بيضة الدجاجة بدينار
وصار السكر في مقام الياقوت الأحمر وصار العسكر يطعمون
الخيول من أوراق الأشجار وقلقت الرعية من عظم
هذه البلية وأمر الفرنج كل يوم يتزايد وقد حصنوا أمر
مدينة دمياط ونهبوا ما فيها وسبوا أهلها وجعلوا الجامع
الكبير الذي بها كنيسة وصاروا لا يملوا من الحرب ليلاً
ولا نهاراً وقتل من المسلمين ما لا يحصى عددهم من
العساكر وغيره وكانت مدة هذه المحاصرة بين
الفريقين ستة عشر شهراً واثنين وعشرون يوماً
وقد أشرف الملك الكامل على الغلب وصار يبعث السعاة
إلى البلاد الشامية يستحث إخوته على الحضور وصحبتهم
العساكر الشامية وفي هذه المدة توفي في القاهرة جماعة
من الأعيان الشيخ شرف الدين يحيى بن معط النحوي
كان من أئمة النحويين مات بمصر سنة عشرين وستمائة
وتوفي الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن النبيه الناظم
الناثر صاحب الأشعار الرائقة والمعاني الفائقة مات
سنة إحدى وعشرين وستمائة وكان له شعر جيد لم
يسبق إليه وكان غالب شعره مدائح في الملك الأشرف موسى

الشامل

اخرى [illegible]

به الي منزله قال لزوجته ربيبه لعل الله تعالى أن
يجعل لنا فيه خيره فلما كبر الشيخ فتح عليه وقرأ القرآن
واشتغل بالعلوم الشرعية الي أن برع فيها ثم تصوف
وظهر له كرامات خارقه ومات في أثناء تلك السنة رحمة
الله عليه ودفن بالقرافة الصغري انتهى ذلك ومن
هنا نرجع الي أخبار الملك الكامل محمد فانه لما أرسل
يستنجد أخوته الي قتال الفرنج فحضر اليه أخوه الملك
المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الأشرف موسى
شاه أرمن صاحب حلب وماردين فلما جاءت
العساكر الشامية تكامل عند الملك الكامل نحو أربعين
الفا مقاتل فتحارب الملك الكامل مع الفرنج أشد المحاربة
وحاصرهم برا وبحرا قيل كان في مدة هذه
المحاصرة يمشي في ركاب الملك الكامل شخص يسمي شمايل
وكان من جملة جندارية الوالي فكان يسبح في البحر
تحت الليل ويأتي الملك الكامل باخبار الفرنج فلما
انتصر الملك الكامل علي الفرنج وحضر الي القاهرة
أنعم علي شمايل المذكور واستقر به والي القاهرة
واليه تنسب خزانة شمايل التي كانت سجنا لأصحاب
الجرايم فلما طال الأمر علي الفرنج وراؤا أعين الغلب
أرسلوا يطلبوا الأمان من الملك الكامل وعلي أنهم
يتركوا دمياط ويرحلوا عنها الي بلادهم فاتفق
الحال علي ذلك ثم ان كلا من الفريقين يعطي رهاين
من أقاربه ويطلق من عنده من الأسرا من أيام
الملك الناصر صلاح الدين يوسف فلما تقرر الحال علي ذلك
ووقع الصلح أرسل ملك الفرنج عشرين ملكا من أقاربه

شاه أرمن فمن ذلك قوله فيه
تعالى الله ما أحسن شقيقا حف بالسوسن
على خد لثمها يبري من الأسقام لو أمكن
فما تجني وحارسها بقفل الصدغ قد زرفن
غزال ضيق العينين يسبي الرشأ الأعين
له قلب وأعطاف فما أقسى وما ألين
فتنت بحسن صورته ومن يهوي الدمى يفتن
وكم أسكنته قلبي فسار وأحرق المسكن
فما نسي بعد وحشته ينظم مدح شاه أرمن
وفي سنة اثنين وعشرين وستماية توفي جعفر
بن شمس الخلافة بن محمد المصري الأفضلي كان من
أعيان الشعراء عمر مات سادس المحرم من تلك
السنة وكان له شعر جيد فمن ذلك قوله
اذا شئت أن تلقي دليلا الي الهدي لتقفو الاثار
الهداية من كاف
فخل بلاد الشرق عنك فانها بلاد بلا دال وشرق
بلا قاف
وفي هذه السنة توفي الريس فخر الدين الفارسي رئيس
الطب وكان بارعا في الطب وله فيه مصنفات كثيرة
وفي سنة ثلاث وعشرين وستماية فيها توفي
الشيخ العارف بالله الورع الناسك الزاهد المسلك
أبو العباس أحمد البصير الخزرجي الأنصاري الأندلسي
كان أبوه من ملوك المغرب فولد الشيخ وهو أطمس
العينين فخافت أمه من سطوة أبيه فألقته في البرية
فأتت اليه الغزلان وأرضعته ثم ان والده خرج الي
الصيد فلقيه فأخذه وهو لا يشعر أنه ابنه فلما أتي

الى عند الملك الكامل ثم ان الملك الكامل ارسل الى
عند الفرنج ابنه الامير نجم الدين ومعه جماعة من
الامراء فعند ذلك سلم ملك الفرنج مدينة
دمياط واطلق من عنده من الاسراء وكذلك
الملك الكامل اطلق من عنده من الاسراء وانعقد
بينهما الصلح ومن جملة الطاف الله تعالى لما وقع الصلح
جاءت الى ملك الفرنج نجده من البحر نحو ماية
مركب فلو جاءت هذه النجده قبل ان يسلموا مدينة
دمياط كانوا تقووا بها على المسلمين وكسروهم قيل
لما رحلوا الفرنج عن دمياط ودخلها الملك الكامل
كان يوم دخوله اليها يوما مشهودا ثم ان الملك
الكامل ارسل بهذه البشارة الى القاهرة وكانت
بها الى ساير الافاق وكانت الفرنج اشرفوا على اخذ
الديار المصريه وكانت مدة استيلا الفرنج على
ثغر دمياط الى حين رحلوا عنها ثلث سنين واربعة
اشهر وتسع عشرة يوما وكانت مدة محاصرة
الملك الكامل للفرنج سنه وعشرة اشهر واربعة وعشرون
يوما وهو معهم في جهاد ليلا ونهارا لا يبطل من
الحروب الى ان دخلت سنة تسع وعشرين وستمايه
قال الشيخ شمس الدين الذهبي لما حصلت هذه النصرة
للملك الكامل توجه من دمياط الى المنصوره ونزل
في القصر الذي انشاه بها سنة ست عشرة وستمايه
هناك هو واخوه الملك المعظم عيسى واخوه الملك
الاشرف موسى فمد هناك سماط عظيم ثم احضر بعد
ذلك سفرة الشراب ونسي ما قاساه من حصار الفرنج

الفرنج في هذه المدة فكان كما قيل في المعنى

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

فلما دارت الكاسات بينهم احضر الملك الاشرف موسى
جارية تضرب بالعود فاخذت العود وحركته ثم
انشات تقول

وكما طغى فرعون عكا بسحره وجاء ليسعى بالفساد الى الارض
اتى نحوه موسى وفي يده العصا فاغرقهم في اليم بعضا على بعض

فطرب الملك الاشرف موسى لذلك فشق على اخيه
الملك الكامل محمد هذا المعنى وارسل خلف الراجح الحلي
وقال له اجب عن هذين البيتين فاجاب عنهما
بهذين البيتين ثم ان الملك الكامل احضر جارية تضرب
بالعود فاخذت العود وحركته وغنت في المجلس الثاني
ببيتين الراجح الحلي وهما

ايا اهل دين الكفر بالله فاعجبوا لما قد جرى في عصرنا وتجددا
الآن موسى قد اتانا وقومه وعيسى جميعا ينصرون محمدا

اقول والراجح الحلي توفي في دولة الملك الظاهر بيبرس
البندقداري وجاء من بعده الصفي الحلي قال
الشيخ جمال الدين بن نباته في الفرق بينهما

يا سايلي عن رتبة الحلي في نظم القريض وراضيا بي الحكما
للشعر حليان ذلك راجح ذهب الزمان به وهذا قيم

انتهى ذلك ثم ان الملك الكامل امر لكل جارية منهما

بخمسماية دينار واجاز الراجح الحلي ايضا ثم ان الملك
الكامل امر اخويه ان يتوجها الي بلادهما فلما توجها
دخل الملك الكامل الي القاهرة في موكب عظيم
وكان يوما مشهودا ثم دخلت سنة ثلاثين
وستماية فيها اكمل الملك الكامل بناء مدرسته
التي بين القصرين المعروفة بالكاملية وسماها
دار الحديث وهي اول دار بنيت للحديث في
القاهرة قيل لما حفر اساس هذه المدرسة
وجد فيه صنم كبير من الذهب فامر الملك الكامل
ان يسبك دنانيرا ويصرف على بناء هذه المدرسة
فبنيت من وجه حل ثم ان والدة الملك الكامل توفيت
الي رحمة الله تعالي فدفنها ابنها عند الامام الشافعي
رضي الله عنه ثم شرع في بناء القبة التي علي الامام
ولم يعمل في الدنيا مثلها وانشا بها خلاوي برسم الصوفية
وانشا بها حماما واجري مجراه تنقل الماء من بركة الحبش
ايام النيل بسواقي الي صهريج عند تربة الامام الشافعي
وهي باقية الي الآن وانشا هناك الحوض الذي علي
الطريق السالكة ومن الحوادث في ايامه ان
شخصا مغربيا دخل القاهرة وكان له يد طايلة
في علم السيمياء فاظهر لشخص من اعيان الناس بستانا
خارج القاهرة وهو من احسن ما يكون كثير الاشجار
من ساير اصناف الفواكه وبه خمس سواقي دايره وحوله
نحو عشرين ثورا وخوله واقفة حول ذلك البستان
فلما راه الرجل اعجبه واشتراه من المغربي بالف دينار
وقبض الثمن واشهد عليه المغربي بتسليم ذلك البستان
بقاضي وشهود ثم مضي المغربي الي حال سبيله وبات

وبات ذلك الرجل في البستان الذي اشتراه فلما اصبح
وجد نفسه بين الكيمان ولم يجد شيئا من ذلك
البستان الذي راه فصار يسال من الناس هل كان
في هذا الموضع بستانا فيقولون له ما سمعنا بهذا قط
الامنك فحصل للرجل ما خوليه وتجنن وشاع امره
بين الناس وصار متعجبا مما وقع له فبلغ الملك الكامل
ذلك فطلب المغربي فلم يجده واخذ الالف دينار ومضي
وهذه الواقعة من الغرايب انتهي ذلك اعجوبة قال
بعض المؤرخين ان ملوك اليمن اهدت الي الملك
الكامل شمعدان من نحاس اصفر وفيه حركه يخرج
منه عند طلوع الفجر شخص من نحاس لطيف الخلقه
يخاطب الملك قايلا صبحك الله بالخير قد طلع الفجر او
صغير هذا معناه وكان هذا الشمعدان من صنعة الميقاتية
واقام في حواصل الملوك الي ايام الملك الناصر محمد بن
قلاوون انتهي ذلك وفي ايامه جاءت الاخبار من
حماه بوفاة الشيخ زكي الدين القوصي وكان فاضلا شاعرا
ماهرا وله شعر جيد وكان سبب موته انه كان في خدمة
الملك المظفر محمود صاحب حماه من قبل ان يلي حماه
وكان الملك المظفر يعد الشيخ زكي الدين القوصي
انه اذا ولي مملكة حماه ينعم عليه بالف دينار فلما
ولي مملكة حماه كتب اليه الشيخ زكي الدين هذين
البيتين وهما

مولاي هذا الملك قد نلته برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شيته فذا اوان الموعد الصادق

فعند ذلك انعم عليه بالف دينار التي كان يعده بها

ثم ان الملك المظفر صار يرسل الشيخ زكي الدين في الأسفار
الي بعض اشغاله حتي نفدت منه الالف دينار علي ما
كان يصرفه في الأسفار ولم يبق معه منها شيا فبلغ الملك
المظفر عن الشيخ زكي الدين أنه قال

ان الذي أعطوه لي جملة قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا وحسبنا الله ونعم الوكيل

فلما بلغ الملك المظفر ذلك أمر بحبس الشيخ زكي الدين
فحبس فبلغه عن الشيخ زكي الدين انه قال وهو في السجن

أعطيتني الالف تعظيما ومكرمة يا ليت شعري أم
أعطيتني ديتي

ولم يبرح عما هو فيه بسبب الالف دينار فعند ذلك أمر
بخنقه فخنق وهو في السجن ودفن تحت الليل ولم
يشعر به أحد من الناس انتهي ذلك ثم دخلت سنة
اثنين وثلثين وستماية فيها في ثالث جمادي الأولي توفي
الشيخ العارف بالله سلطان العشاق الشيخ شرف الدين أبو
القاسم عمر بن علي بن مرشد الحموي المعروف بابن
الفارض رضي الله عنه قيل ان والده كان قد برع
في علوم الفرايض حتي انفرد به في عصره فسمي الفارض
وكان مولد الشيخ شرف الدين بالقاهرة في رابع ذي
القعدة سنة سبع وسبعين وخمسماية فكانت مدة
حياته أربع وخمسين سنة وستة اشهر ودفن تحت
القرافة بجوار الجبل المقطم عند مجرا السيل وفيه
يقول أبو الحسين الجزار الشاعر

لم يبق صيب مزنة الا وقد وجبت عليه زيارة ابن
الفارض

لا

لا غرو أن يسقي ثراه وقبره باق ليوم العرض تحت
العارض

وكان الشيخ شرف الدين رحمة الله عليه فريد عصره
في علم التصوف وكان له نظم جيد في معاني الغرا هيات
ومن رقايق شعره ما قاله في نوع الجناس التام

وهو قوله

خليلي ان زرتما منزلي ولم تجداه فسيحا فسيحا
وان رمتما منطقا من فمي ولم ترياه فصيحا فصيحا

وقد عاصر الشيخ شرف الدين جماعة من اكابر العلماء
منهم الشيخ زكي الدين المنذري الشافعي والشيخ جلال
الدين القزويني والشيخ أمين الدين بن الدقاقي والشيخ
جمال الدين الأسيوطي الامام والشيخ شمس الدين بن
خلكان والشيخ شمس الدين الايكي والشيخ سعد الدين بن
الحارثي الحنبلي المحدث والشيخ برهان الدين الجعبري
والشيخ أبو القاسم المنفلوطي والشيخ شهاب الدين السهر
وردي والشيخ شهاب الدين بن الخيمي وغير ذلك من
العلماء ولم يعترض عليه أحد منهم فيما يقوله من نظمه
وكانوا معه في غاية الأدب ولما توفي الشيخ شرف الدين
دفن تحت رجلين شيخه محمد البقال رحمة الله عليهما
قيل ان الملك الكامل أرسل الي الشيخ شرف الدين
الف دينار فردها عليه ولم يقبلها منه وكان الملك
الكامل يميل الي فن الأدب ويطارح الشعراء وما
وقع له قيل دخل عليه مظفر الدين الأعمي الشاعر
فقال له الكامل اجز علي نصف هذا البيت
قد بلغ العشق منتهاه فقال مظفر وما درا العاشقون
ما هو

قال الكامل وانما غرهم دخولي فقال مظفر
فيه فهاموا به وتاهوا قال الكامل ولي حبيب تري هواني
فقال مظفر وبما تغيرت عن هواه قال الكامل
رياضة الخلق في احتمالي فقال مظفر وروضة الحسن في جمالي
قال الكامل اسمر لدن القوام المي فقال مظفر
يعشقه كل من يراه قال الكامل ريقته كلها مدام
فقال مظفر ختامها المسك من لماه قال الكامل
ليلته كلها رقاد فقال مظفر وليلتي كلها انتباه
ثم ان مظفر اكمل هذه القصيدة في مدح الملك الكامل
انتهي ذلك واستمر الملك الكامل في السلطنة بمصر وهو
وافر الحرمة نافذ الكلمة محبب للرعية وفيه يقول
الشيخ كمال الدين بن النبيه

دمتم بني ايوب في نعمة تجوز في التخليد حد الزمان
والله لا زلتم ملوك الوري شرقا وغربا وعلي الضمان

ثم ان الملك الكامل توجه الي نحو دمشق
تتفقد احوال البلاد الشامية فاقام في دمشق
مدة يسيرة ومرض هناك وتسلسل في المرض الي
ان مات وكانت وفاته في العشرين من رجب
سنة خمس وثلاثين وستمائة وكانت مدة سلطنته
بمصر نحو عشرين سنة ولما مات تولي بعده ابنه
ابي بكر انتهي ما اوردناه من اخبار الملك الكامل محمد
وذلك سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن نجم الدين ايوب

أيوب وهو السادس من ملوك بني أيوب بمصر

بويع بالسلطنة بعد موت ابيه الملك الكامل
محمد وكان سبب سلطنته انه لما توفي ابوه الملك
الكامل بدمشق كان العادل هذا نائبا عن ابيه بمصر
فلما جاءت الاخبار بموت الكامل في دمشق اتفق راي
الامراء الذي كانوا بمصر علي سلطنة العادل ابي بكر
عوضا عن ابيه فسلطنوه ولقبوه بالملك العادل
علي اسم جده فلما بلغ اخوه الامير نجم الدين وكان
بحلب وكان اكبر من اخيه العادل فشق ذلك عليه
وحضر الي مصر علي جرايد الخيل فلما دخل القاهرة
تعصب للعادل جماعة من الامراء وحاربوا الامير
نجم الدين وجري بينهما من الحروب ثم قويت شوكة
الامير نجم الدين علي اخيه العادل فخلعه من السلطنة
وسجنه بقلعة الجبل الي ان مات كما سياتي ذكر ذلك
في موضعه وكانت مدة سلطنته بمصر سنة وشهرين
واياما ولما خلع من السلطنة تولي من بعده اخوه
نجم الدين انتهي ما اوردناه من اخبار العادل ابي
بكر بن الملك الكامل وذلك علي سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر بن نجم الدين ايوب وهو السابع من ملوك بني ايوب بمصر

بويع بالسلطنة بعد خلع اخيه
العادل ابي بكر في يوم الاثنين خامس عشرين
ذي القعدة سنة ست وثلاثين وستمائة وكان له

من العجم لما تولي السلطنة نحو أربع وثلثين سنة وكان
مولده عصر سنة ثلث وستماية وكان بقلعة الجبل
فلما تم أمره في السلطنة أخذ في أسباب تدبير
ملكه واستكثر من مشتري المماليك الاتراك وهو أول
من جلب المماليك الاتراك الي مصر حتي ضاقت
بهم القاهره وصاروا يشوشوا علي الناس وينهبوا
البضايع من علي الدكاكين فضج الناس منهم وكثر
الدعا علي الملك الصالح بسببهم وقد قال القايل

الصالح المرتضي أيوب أكثر من ترك بدولته يا شر مجلوب
لا واخذ الله أيوب بفعلته فالناس قد أصبحوا في ضر أيوب

فلما زاد أمرهم في أذي الناس شرع الملك الصالح
في بناء قلعة بالروضة بالقرب من المقياس وأسكنهم
بها وسماهم المماليك البحريه وكان عدتهم الف مملوك
قاطنين بهذه القلعة لا يختلطون الناس بالمدينة
وأجري عليهم ما يكفيهم من اللحوم والجراية والجوامك
وجعل حول هذه القلعة مراكب حربية مشحونه
بالسلاح واقفه عند القاعة مطله من جميع الآلات
لا تبرح عن ذلك المكان برسم ما يطرق من الاخبار
عن الفرنج اذا طرقوا ثغر من البلاد فتخرج اليهم هذه
المماليك في المراكب المذكوره ويتوجهون الي قتالهم
وكان هذا سببا لبناء قلعة الروضة انتهي ذلك وذكر
طرف يسيره من أخبار الروضة قال ابن المتوج
كان اسم الروضة قديما جزيرة مصر فلما كان زمن

وفيها يقول بعضهم [illegible]

الافضل

الافضل بن أمير الجيوش فسميت الروضة ولم يكن
في الديار المصرية بقعه تشاكلها لما كان فيها من
البساتين والمناظر وكانت هذه الجزيرة قبل ظهور الاسلام
متنزهاً لملوك القبط فلما كان دولة الملك الصالح نجم
الدين بن أيوب قوي عزمه علي أن يجعل هناك
قلعة ويسكن فيها مماليك ويسميهم البحرية فشرع في
بنائها سنة ثمان وثلثين وستماية وكان بها أشجار
نخل وجميز فقطع منها الف نخلة واربع ماية جميزة كان
يتفرجون الناس تحت ظلها وكان بها المناظر الحسنه
وكان بها عدة مساجد وكان بها كنيسة لليعاقبة بجانب
المقياس فهدم الملك الصالح ذلك جميعه وادخله في
ميدان هذه القلعة وعمل لهذه القلعة ستين برجا
محيطة بها وعمل بها جامعاً بخطبته ونقل الي هذه القلعة
العمد الصوان من بربا أخميم ولما كمل بناء هذه القلعة
أشحنها بالأسلحة والآلات الحربية وادخر فيها الغلال
خشية من محاصرة الفرنج فانهم كانوا عزموا علي أخذ
الديار المصرية قال الأمير موسي بن يغمور والي
القاهره أمرني الملك الصالح بهدم مسجد كان بالروضة
وبني مكانه قاعة مطله علي البحر برسمه فلما انتهي العمل
منها جاءت الاخبار بان الفرنج طرقوا ثغر دمياط فخرج
اليهم وهو عليل فمات هناك وجاءوا به في مركب تحت
الليل ودفنوه في تلك القاعة التي هدم المسجد بسببها
ولم يزل في تلك القاعة وهو في قيد الحياة قد فتن بها
مدة ثم نقل الي مدرسته التي تجاه القاعة فلما فتن
بها وكان بالروضة فيما بين الروضة و الجيزه جسر من

خشب يمر عليه الناس والدواب وكان من بر مصر الي
الروضة جسر اخر من خشب وكان هذان الجسران من
مراكب مقطوعة بعضها ببعض وهي موثقة بالتراب
وكان عرض هذا الجسر ثلث قصبات وكان الامراء
اذا اقبل احد منهم يجي الي قلعة الروضة ينزلون
عن خيولهم ويمشون علي هذا الجسر الي ان يطلعوا
الي القلعة ولا يمكن احد من العبور علي هذا الجسر
وهو راكب سوي السلطان فقط وكان مبدا هذا
الجسر من عند المدرسة الخروبية وكان بالروضة
قصرا يسمي الهودج بناه الخليفة الامر باحكام الله وكان
من غرايب الوجود فهدمه الملك الصالح لما بني هذه
القلعة وكانت هذه القلعة من محاسن الزمان
وفيها يقول ابن قادوس

انظر لحسن القلعة الغراء اذ محاسنها مثل النجوم تلالا
وعاد اليها الماء من بعد بعده كما زار مشغوفا بزورهم وصالا
فعانقها من بعد فرط شوق لحسنها ومد يمينا نحوها وشمالا

وكان النيل قد احترق في تلك السنة وانطرد عن بر مصر
وصار رملا ممتدا الي اخر بر الجيزة حتي زادها النيل في
اوانه فتراجع الماء قليلا قليلا ولم تزل قلعة الروضة
عامرة علي ما ذكرناه حتي كانت دولة الملك المعز
ايبك التركماني فهدم منها جانب وعمر به مدرسته
التي في رحبة الحنا فاخذ منها اعمدة رخام وشبابيك
حديد واخشاب وغير ذلك فلما كانت دولة الملك

الظاهر

[illegible]

الظاهر بيبرس البندقداري امر باصلاح ما فسد منها
وعمرها كما كانت وفرق ابراجها علي الامراء فلما
كانت دولة الملك المنصور قلاوون وشرع في بناء
البيمارستان نقل من قلعة الروضة ما يحتاج اليه
من اعمدة واعتاب وغير ذلك فلما كانت دولة ابنه
الملك الناصر محمد اخذ ما بقي منها من اعمدة ورخام
وغير ذلك وبنا به الجامع الجديد المطل علي البحر
فجميع الاعمده الذي في الايوان الذي بالقلعة والاعمده
الذي في الجامع الجديد من قلعة الروضة فمن يومئذ
دثرت معالم قلعة الروضة وخربت وكان بقي من
معالمها عقد مبني علي شاطي النيل تسميه العامة القوس
وكان من مايلي الجانب الغربي تتنزه فيه الناس وكان
باقي الي دولة الملك الظاهر جقمق ثم هدم وفيه
يقول النواجي

مصر قالت دمشق لا تفتخر قط باسمها
لو رات قوس روضتي منه راحت بسهمها

وبقي من اثار هذه القلعة ابراجا كثيرة فبني عليها الناس
الدور الجليلة المطلة علي البحر وهي باقية الي الان
انتهي ذلك ومن هنا نرجع الي اخبار الملك الصالح نجم
الدين فلما دخلت سنة تسع وثلثين وستماية
فيها شرع الملك الصالح نجم الدين في بناء المدرستين
اللتين تجاه الصاغة وهما من اجل المدارس بجمع
فيهما الاربع مذاهب وتسمي الصالحيتين النجميتين
وهما قلعتي العلماء وباب مقفل الشرع الشريف

قال السراج الوراق

فشيك ها للعلم مدرسة غدي عراق البها شيق
وشام
ولا تك كرن يوما نظامية لها فليس تضاهي ذا النظام
ذا النظام نظام
وفي هذه السنة اعني سنة تسع وثلثين وستماية
فيها اخلع الملك الصالح علي الشيخ عز الدين عبد
العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء
رضي الله عنه واستقر به قاضي القضاة الشافعيه
بالديار المصريه وكان قاضيا بالوجه القبلي فنقله
الملك الصالح الي قضاء مصر فتولي علي كره منه
قيل لما تولي الشيخ عز الدين قاضي القضاة بمصر
بلغه ان بعض الامراء عمد الي مسجد بجوار بيته
وعمل علي ظهره طبلخاناه فارسل هدم تلك
الطبلخاناه وحكم بابطالها وكان الذي عمل تلك
الطبلخاناه الامير فخر الدين استادار الملك الصالح فحكم
القاضي بابطال الطبلخاناه وحكم بعزل الامير فخر
الدين من الاستادارية فاتفق ان الملك الصالح
ارسل رسولا الي الخليفة المستعصم بالله ببغداد
فلما وصل اليه الرسول ووقف بين يديه فقال له
الخليفة هل سمعت هذه الرسالة من لسان الملك
الصالح فقال الرسول لا ولكن حملها عن لسان السلطان
الامير فخر الدين الاستادار فقال الخليفة ان فخر
الدين المذكور بلغنا ان قاضي القضاة عز الدين بن
عبد السلام حكم بعزله ونحن لا نقبل هذه الرسالة
عن لسان شخص حكم بعزله بن عبد السلام فرجع
الرسول

وفي سنة اربعين وستماية كانت وفاة القاضي رحمة الله عليه

الرسول الي الملك الصالح وذكر له ما قاله الخليفة فاخذ
الرسالة ثانيا عن لسان الملك الصالح ورجع الي بغداد
حتي قضا الخليفة حاجته ومما وقع له انه بلغه ان
الملك الصالح استعان ببعض ملوك الفرنج واعطاهم
مدينة صيدا وقلعة الشقيف فانكر عليه ذلك وامر بان
يترك الدعاء له في الخطبة وساعده علي ذلك الشيخ
جمال الدين بن الحاجب المالكي فلما بلغ الملك الصالح ذلك
غضب عليهما وامر باخراجهما الي دمشق فخرجا فلما كانا في
اثناء الطريق ارسل الملك الصالح من تلطف بهما في العود
فلما عادا خرج اليهما السلطان الي بلبيس وتلقاهما وقبل
يد الشيخ عز الدين بن عبد السلام واعاده الي القضاء
كما كان ومما وقع له انه تصدي لبيع امراء الدولة
وذكر انه لم يثبت عنده انهم احرار وانهم تحت
الرق ولا يجوز لهم تصرف في المملكة فلما بلغ الامراء ذلك
حنقوا علي القاضي فركب نايب السلطنة وبيده سيف
مسلول وجاء الي بيت القاضي فلما دق عليه الباب خرج
اليه ولد القاضي فراي نايب السلطنة واقفا علي الباب
وبيده سيف مسلول رجع الي والده واعلمه بذلك فقال
الشيخ يا ولدي انا اقل من ان اقتل في سبيل الله ثم انه
خرج اليه فلما وقع بصره علي نايب السلطنة سقط السيف
من يده وارعدت مفاصله فنزل عن فرسه وقبل يد
الشيخ وقال له ادعوا الي فقال الشيخ ما ارجع حتي ابيعكم
في السوق فقال له نايب السلطنة ومن يقبض ثمننا اذا
بعتنا قال انا قال وما تصنع به قال اصرفه في مصالح
المسلمين فما رجع حتي جمع الامراء كلها ونادي عليهم

في السوق فوكلوا جماعة في مشتراهم وباعهم القاضي بأغلا الأثمان وقبض ثمنهم وصرفه في مصالح المسلمين ثم ان القاضي عزل نفسه عقيب ذلك فتلطف به السلطان في عوده الي القضاء فلم يوافق علي ذلك ومما وقع له انه أفتي بشيء ثم ظهر له انه أخطا في الذي افتا به فنادي في القاهرة من افتي له بن عبد السلام بكذا فلا يعمل به فانه قد اخطا في ذلك

وفيه يقول بن الجزار

سار عبد العزيز في الناس سيرا لم يسره سوي
ابن عبد العزيز
عمنا حكمه بعدل بسيط شامل للورى ولفظ وجيز

قال الشيخ قطب الدين اليونيني وكان بن عبد السلام مع شدته وصلابته حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار ويحضر السماع ويرقص فيه وربما تواجد في السماع ولبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي وكان يحضر عند الشيخ ابو الحسن الشاذلي ويسمع كلامه في علم الحقيقة انتهي ذلك وما ان عزل الشيخ عز الدين نفسه من القضاء وامتنع من العود اليه فعند ذلك اخلع الملك الصالح علي الشيخ أفضل الدين محمد الخونجي صاحب المنطق في المعقولات وكان رئيس الأطباء ولكنه كان من اهل العلم بارعا في علوم الشافعية فاستقر قاضي القضاة بالديار المصرية عوضا عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولكن فرق عظيم بينهما واين الثريا من يدي المتناول

ويستشهد بالأشعار من كلام القوم

ثم

١٧٧ 138

ثم دخلت سنة اربعين وستمائة فيها أبتدأ الملك الصالح بعمارة مدينة علي أطراف الرمل وسماها الصالحية وانشاء بها المساجد والفنادق والأسواق والطواحين واستمرت من يومئذ تتزايد في العمارة حتي صارت مدينة علي انفرادها **ومن الوقايع الغريبة** ما وقع للأمير شهاب الدين بن موسي بن يغمور والي القاهرة أنه أمر بشنق عشرين رجلا كانوا قطاع طريق قتالين قتلاء فلما شنقهم أمر الخفراء بحفظهم فلما جاء الليل غفل وهم فاذا هم تسع عشرة انسان فخافوا الخفراء من الأمير شهاب الدين ان يسأل لهم عن الواحد المفقود فجعلوا علي الطريق ينتظرون من يمر بهم فيشنقوه عوضا عن ذلك الرجل المفقود من المشانيق فبينما هم علي ذلك واذا بشخص قد مر بهم فقاموا اليه ومسكوه وشنقوه مع جملة المشانيق فلما لاح الصباح اتي الأمير شهاب الدين وعد المشانيق فاذا هم احد وعشرين رجلا فقال للخفراء ومن هذا الرجل الزايد الذي معهم فبهتوا الخفراء فقال لهم ما شانكم فقالوا يا أمير قد عدينا هم في الليل فراينا هم ناقصين واحد فمر بنا هذا الرجل فمسكناه وشنقناه معهم فقال الأمير شهاب الدين اروني هذا الرجل المسكين الذي وقع لكم فلما راه وجده شخصا قاطع طريق وله مده يتطلبه فلم يقع له ولا قدر علي تحصيله فلما راه سر به وتعجب من هذه الواقعة

الغريبة انتهى ذلك **وفي ايامه** توفي الشيخ العارف
بالله ابو الحجاج الأقصري واسمه يوسف بن عبد الرحيم
تلميذ الشيخ ابي مدين توفي في رجب سنة اثنين واربعين
واربعين وستمائة **وفي ايامه ايضا** توفي الشيخ العارف
بالله قطب الوجود الشيخ ابو السعود واسمه محمد بن
ابي العشائر القرشي الباذبيني الواسطي ولد في
باذبين في شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة ثم قدم
مصر واقام بها في زاويته التي عند باب القنطرة حتى
مات في يوم الأحد تاسع شوال سنة اربع واربعين
وستمائة وخرج مشهده من زاويته التي عند باب
القنطرة ودفن بالقرافة الصغرى رضي الله عنه
وكان له كرامات خارقة ومناقب حسنة ومن تلامذ
ميذه الشيخ داود العزب وغيره من الاولياء انتهى
ذلك **ثم دخلت سنة ست واربعين وستمائة**
فيها في رمضان توفي قاضي القضاة الشافعية افضل
الدين الخونجي الفيلسوف تولى القضا بعد الشيخ
عز الدين بن عبد السلام فلما توفي الخونجي اخلع
الملك الصالح على الشيخ تاج الدين بن بنت الأعز
واستقر به قاضي قضاة الشافعية ووزير الديار المصرية
وقد جمع بين القضاء والوزارة وتلك رئيس الشافعي
قال بن عبد الظاهر اجتمع مع الشيخ تاج الدين
بن بنت الأعز خمس عشرة وظيفة من الوظايف
السنية وكان يولي عن الاربع مذاهب ويعزل
من يختار ويولي من يختار من غير مراجعة
السلطان في ذلك قال الامام ابو شامة كان

كان القاضي تاج الدين بن بنت الأعز آخر قضاة
العدل بمصر **قلت** والأعز كان وزيرا بمصر
ايام الملك الكامل محمد بن ايوب انتهى ذلك
ثم دخلت سنة سبع واربعين وستمائة فيها تزايدت
عظمة الملك الصالح وقويت شوكته بمماليكه الذي
انشاءها وصار العسكر في قبضة يده فعند ذلك
عن له ان يقتل اخاه الملك العادل الذي كان
في السجن بقلعة الجبل فقتله صبرا وهو في السجن
ودفن عند الامام الشافعي فلم يعتم بعد قتله الا
اياما يسيرة وابتلاه الله بآكلة طلعت له في
وجهه فرعت فيه الى اخره واستمر عليلا وثقل
في المرض ثم جاءت الاخبار بان الفرنج جاؤوا الى
ثغر دمياط في مائتي مركب وكان ملك الفرنج يسمى
ريدا افرنسيس فنهب مدينة دمياط وقتل من
المسلمين ما لا يحصى عددهم وكان ريدا فرنسيس ملك
الفرنج قد استولى على غالب بلاد الاندلس وسبى
اهلها فلما جاءت الاخبار بذلك امر الملك الصالح
بانشهار النداء في مصر والقاهرة بالنفير عاما ولا
يتاخر كبيرا ولا صغيرا فان الفرنج قد وصل بوادرهم
الى المنصورة فعند ذلك اضطربت احوال الديار
المصرية لعظم هذه البلية ثم جاءت الاخبار بان
الفرنج ملكوا ثغر دمياط وسبب ذلك ان نايب دمياط
خاف على اهل المدينة فهرب هو واياهم تحت
الليل وترك ابواب المدينة مفتحة فلما اصبحوا
الفرنج وجدوا ابواب المدينة مفتحة ولا فيها احد

من الناس فظنوا الفرنج ان ذلك مكيدة من المسلمين
فتمهلوا حتى ظهر لهم ان ما في المدينة احد من
من المسلمين فدخلوا اليها من غير مانع وملكوها
ثم ان الملك الصالح خرج وهو عليل في محفة
وخرج معه السواد الاعظم من اهل مصر وحضر
عربان الوجه القبلي وعربان البحيره وعربان
الشرقية فاجتمع معه نحو عشرين الف مقاتل خارجا
عن المشاة فلما وصل الملك الصالح الى المنصوره
امر بشنق نايب دمياط ومعه جماعة من الامرا
الذي كانوا بدمياط فشنق في يوم واحد نحو
خمسين اميرا بسبب خروجهم من مدينة دمياط
بغير اذن من السلطان فلما فعل ذلك نفر عنه
قلوب العسكر وقصدوا الوثوب عليه هناك وهو
في الخيمة فاشار بعض الامرا بترك ذلك وقال
ما هذا صواب في هذا الوقت ثم صار القتال
عمال بين المسلمين والفرنج وقتل من الفريقين
ما لا يحصى عددهم هذا والسلطان الملك الصالح
كل يوم يتزايد في المرض وامتنع عن اجتماع الامرا
به فلما كانت ليلة الاحد رابع عشر شعبان سنة
سبع واربعين وستماية توفي الملك الصالح نجم الدين
ايوب بن الملك الكامل محمد فلما مات بالمنصوره
كتموا موته خوفا من الفرنج ان لا يطمعوا في اخذ
الديار المصرية فحمل الملك الصالح في زورق تحت
الليل وجي به الى قلعة الروضه فدفن في تلك
القلعة المقدم ذكرها فدفن بها مدة ثم نقل
من

من بعد ذلك الى القبة التي بجوار المدرسة
الصالحية فدفن بها فكانت مدة سلطنته
بالديار المصرية والبلاد الشامية تسع سنين وسبعة
اشهر واحدى عشر يوما فلما مات الملك الصالح
كتموا موته عن العسكر فكانت المراسيم تخرج كل
يوم بعلامة السلطان فلا يشك من يراها انها
خط الملك الصالح وكانت الامرا تجتمع في المواكب
ويظهرون ان السلطان مريضا وكانت الاطباء
تدخل على مجاري العادة في كل يوم وكذلك طبق
المزاورد يدخل في كل يوم على العادة والقصاد رايحة
جيا من المنصوره الى القاهره ولا يعلم احد بموت
الملك الصالح وكان القايم بتدبير هذه الامور كلها
الامير حسام الدين لاجين والامير فارس الدين
اقطاي وقد ضبطت هذه الامور خوفا من الفرنج
الى ان يحضر الامير مغيث الدين توران شاه
بن الملك الصالح وكان في حصن كيفا فابطا عليهم حتى
مات ابوه فلما حضر الى المنصوره جا ومعه عسكر
من الاكراد فعند ذلك اشيع موت الملك الصالح
وتسلطن ابنه توران شاه عوضه انتهى ما اورد
ناه من اخبار الملك الصالح نجم الدين ايوب وذلك على
سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المعظم مغيث
الدين توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين
ايوب بن الملك الكامل محمد وهو الثامن من
ملوك بني ايوب بمصر بويع بالسلطنة بعد موت
ابيه في مستهل محرم افتتاح عام ثمان واربعين وستماية

وكانت ولايته بعد موت أبيه بأربعة أشهر فلما
تسلطن نودي باسمه في العسكر بالدعاء للملك المعظم
توران شاه والترحم علي الملك الصالح نجم الدين فلبس
شعار الملك بالمنصورة وتلقب بالملك المعظم فلما جاءت
الأخبار الي القاهره بولايته دقت له البشاير وزينت
له القاهره ونودي فيها باسمه وخطب له علي المنابر
فلما تحقق ريدا فرنسيس ملك الفرنج موت الملك
الصالح طمع في أخذ مصر وزحف بمن معه من
العساكر الي فارسكوره فلما راوا الأمراء ذلك
ضربوا مشوره وتحالفوا علي أن يكونوا كلمة واحده
علي الجهاد في سبيل الله فلما كان يوم الجمعه ثاني
عشر المحرم سنة ثمان وأربعين وستماية ركب الأمير
بيبرس البندقداري والأمير لاجين والأمير فارس
الدين أقطاي وبقية الأمراء والعسكر قاطبة
وخرج معهم السواد الأعظم من العربان والعوام
والفلاحين وحمل عليهم العسكر بالسيوف والأطبار
والنشاب وحمل عليهم العربان بالرماح والعوام
بالمقاليع والحجارة وهجموا عليهم هجمة واحده فلم
تكن الا ساعه يسيره وقد انكسر الفرنج أخس كسره
وكانت النصرة للمسلمين كما قيل في المعني

لله در فوارس يوم الوغي تهوي الخلائط
لا اليهم تنتمي
ذرعوا الفوارس بالرماح وفلقوا بالمرهفات
وخيطوا بالأسهم

فبلغ عدة من استشهد في هذه الوقعة من
الأمراء نحو ستين أميرا غير المماليك السلطانية وغير

وغير العربان والعوام وقتل علي فارسكور من
الفرنج نحو اثني عشرة ألف انسان وأسر من أعيان
ملوك الفرنج سبعة نقل بعض المورخين ان الملك
الصالح لما توجه الي قتال الفرنج أخذ معه الشيخ عز
الدين بن عبد السلام رضي الله عنه فلما كانت هذه
الوقعة واستظهر الفرنج علي المسلمين فلما عاين الشيخ
عز الدين ذلك نادي بأعلا صوته الي الريح يا ريح خذيهم
ثلث مرات فجاء ريح أسود علي مراكب الفرنج فكسرها
وغرق أكثر الفرنج في البحر والذي في البر هلك بالسيف
فسمع في الجو قايلا يقول الحمد لله الذي أرانا في أمة
محمد صلي الله عليه وسلم رجلا سخر له الريح انتهي ذلك
قيل لما حصلت هذه النصرة للمسلمين غنموا من الفرنج
أشيا كثيره من القماش والسلاح وغير ذلك حتي قيل
أنه بيع في العسكر كل سيف بنصفين فضه وكل درع
بثمانية أنصاف وكل فرس بعشرة أنصاف وأما ريدا
فرنسيس ملك الفرنج فانه لما حصلت له هذه
الكسرة وقف علي تل عالي هو وأقاربه وأرسل يطلب
من السلطان الأمان فأرسل اليه بعض الأمراء قبض
عليه وعلي أقاربه وقيدهم وسجنهم في دار القاضي
فخر الدين بن لقمان ووكل به طواشي يسمي صبيح المعظمي فكان
يضرب فرنسيس كل يوم خمسماية عصاه وقرر
عليه السلطان توران شاه ماية ألف دينار عوضا عن ما
صرف علي التجاريد فأقام في السجن هو وأقاربه وأرسل

الى بلاده ليحضر المال الذي قدر عليه ثم ان الملك
المعظم توران شاه ارسل ببشارة هذه النصرة الى
القاهرة على يد الامير شهاب الدين بن موسى بن
يغمور والى القاهرة فدخل القاهرة وهو لابس
ثياب فرنسيس ملك الفرنج اشكرلاط فحمل احمر بفرو
سنجاب وقلنسوه ذهب فكان يوم دخوله يوما
مشهودا وزينت له القاهرة زينة حفلة ودقت له
البشاير سبعة ايام وكانت هذه النصرة على غير القياس
وقد همت اهل مصر بالهروب الى نحو الصعيد خوفا
من الفرنج ان لا يملكوا مصر ثم كتبت المراسيم السلطانية
الى ساير الافاق ببشارة هذه النصرة قيل لما
ملكوا المسلمون مدينة دمياط اشار الامرا على
السلطان بهدم مدينة دمياط فارسل اليها جماعة
من الهدادين فوقع فيها الهدم يوم الاثنين
ثامن عشره شعبان سنة ثمان واربعين وستماية فهدمت
عن اخرها واستمرت خرابا وسكنها جماعة من
الصيادين في اخصاص من قش على شاطئ البحر من
الجانبين وسموها المنشية واستمرت على ذلك
الى ايام الملك الظاهر بيبرس الركني فامر بتجديدها
سنة احدى وخمسين وستماية وامر بردم فم البحر
عند البرزخ بالغرابيص التي هدمت من مدينة
دمياط حتى لا تدخل اليها مراكب الفرنج الكبار ثم
جدد سورها وبنى به الابراج واعاد السلسلة
التي كانت على فم بحر دمياط من ايام المقوقس
وكانت من البر الى البر تمنع المراكب من الدخول

الدخول الى ثغر دمياط انتهى ذلك ومن هنا
نرجع الى اخبار فرنسيس ملك الفرنج فانه
اقام في السجن الى ايام الملك المعز ايبك التركماني
فلما احضر المال الذي قدر عليه بما تقدم فافرج
عنه الملك المعز وعن اقاربه ورسم له بالتوجه
الى بلاده وحلفه ايمان عظيمه على قدر دينه انه
لا يقصد المسلمين ولا يتحدث على بلادهم ولا يفسد
في البحر ولا في البر بوجه من الوجوه فلما حلف مضى
الى بلاده فاقام بها مده يسيره وجاءت الاخبار
بانه قد اتى الى ثغر دمياط في عدة مراكب فلما بلغ
الملك المعز ذلك ارسل اليه الترجمان وعلى يده
مرسوم من عند السلطان يهدده فيه بما وقع له
من الايمان التي حلفها وغدر فيها ثم ان الصاحب جمال
الدين بن مطروح عمل هذه القصيدة وارسلها
الى الفرنسيس ملك الفرنج وهي هذه

قل للفرنسيس اذا جيته مقال نصح من قوول فصيح
آجرك الله على ما جرى من قتل عباد لدين المسيح
اتيت مصرا تبتغي ملكها تحسب ان الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين الى عسكر ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفا لا يرى منهم الا قتيلا او اسيرا جريح
ان كان باباكم بذا راضيا فرب غش قد اتى من نصيح
وفقك الله لامثالها لعل عيسى منكم يستريح
ان كنت عولت على عودة لاخذ ثار او لنقل صحيح

دار ابن لقمان علي حالها والقيد باقٍ والطواشي صبيح

وقال آخر في المعني

يا فرنسيس هذه أخت مصر فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكير
فلما وصلت هذه القصيده الي الفرنسيس وقراها
تنكد مما جري عليه من ضرب الطواشي صبيح وما
قاساه منه فرجع الي بلاده ولم يشوش علي احد
من اهل دمياط انتهي ذلك ومن هنا نرجع الي
اخبار الملك المعظم توران شاه **قال** ابو شامه
لما حصلت هذه النصرة لتوران شاه بحيث ان الوقت
تم صفا له فتحول من المنصورة الي فارسكوره
فنصب له هناك برجا من الخشب علي شاطئ البحر
واحضر الاساري من الفرنج وضرب اعناقهم بين
يديه ثم شرع يقرب جماعه ممن حضر معه من
حصن كيفا وينعم عليهم بالوظايف السنية واخذ
في ابعاد مماليك ابيه الملك الصالح وارسل الي شجر
الدر زوجة ابيه يتهددها بكل سوء فارسلت
تقول للامراء والمماليك البحريه ان تقتلوا توران
شاه فعلي رضاكم بالمال واوعدت المماليك البحريه
كل واحد بمائتي دينار والامراء كل واحد بالف
دينار وكان توران شاه اهوج ذهاج عنده خفه
زايده فكان اذا سكر يصف الشموع الكبار بالليل
وياخذ السيف بيده ويضرب به تلك الشموع
ويقول هكذا افعل بالمماليك البحريه اذا دخلت
القاهره وهذه افعال المجانين الذي سلبوا من

من عقولهم **فكان كما قيل في المعني لبعضهم**
يا جامعا لخصال قبيحة ليس تحصي
نقصت من كل فضل فقد تكاملت نقصا
لو ان للجهل شخصا لكنت للجهل شخصا
فلما بلغ مماليك ابيه ذلك اضمروا له السوء وتغيرت
خواطرهم عليه فلما كان يوم الاثنين تاسع محرم
سنة ثمان واربعين وستمائة جلس الملك المعظم توران
شاه في موكبه والامراء بين يديه وكان امر رؤس
النوب بان يقفوا قدامه بالعصي وهي ملبسة بالذهب
في اوقات المواكب فلما انفض امر الموكب حضر السماط
وجلس السلطان علي عادته بصدر السماط فلما جلس تقدم
اليه جماعه من المماليك البحرية وبايديهم السيوف
فضربوه علي يديه قطعوها فقام وهرب ودخل
الي ذلك البرج الخشب الذي علي شاطئ البحر واغلق
عليه الباب فاطلقوا فيه النار فخرج من البرج والقا
نفسه في البحر وصار يسبح فيه والنشاب ياخذه
من كل ناحية وهو يقول خذوا ملككم ودعوني
ارجع الي حصن كيفا فلم يغثه احد من العسكر الذي
حضر معه فلا زال علي ذلك حتي قتل وهو في البحر
فمات حريقا غريقا قتيلا ثم دفن في بعض شطوط البحر
ولا يعلم له قبر **قال** ابو شامه لما قتل توران شاه
رؤي ابوه الملك الصالح في المنام وهو يقول
قتلوه شر قتلة صار للعالم مثله لم يراعوا فيه الا
لا ولا من كان قبله

[illegible]

ستراهم عن قريب لأقل الناس أكله. فلما قتل
توران شاه اضطربت الأحوال ونهبت الوطاق جميعه
وبقي السماط ممدودًا تتخطفه الكلاب من كل جانب
فكانت مدة سلطنته بالمنصوره نحو أربعين يومًا
ولم يدخل الى القاهرة ولا جلس على سرير الملك
ولا لبس له تقليد كعادت السلاطين وكانت قتلته
على فارسكوره يوم الاثنين تاسع المحرم من تلك
السنة. وهو آخر من تولى السلطنة من بني أيوب
وكانت مدة دولتهم بمصر من حين تولى الملك
الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة سبع وستين
وخمسمائة الى حين قتل الملك المعظم توران شاه سنة
ثمان وأربعين وستمائة وذلك نحو من ست وثمانين
سنة الا أشهر وزالت دولتهم كأنها لم تكن وكانت
دولتهم أصلح من أيام الخلفاء الفاطميين انتهى ذلك
ولما قتل توران شاه رجع الأمراء والعسكر الى القاهرة
وطلعوا قلعة الجبل وضربوا مشوره فيمن يولوه
السلطنة من الأمراء والعسكر على توليه شجر الدر
زوجت الملك الصالح نجم الدين أيوب وأن يكون
الأمير أيبك التركماني مدبر المملكة معها فتخ لفوا
الامراء على ذلك وسلطنوا شجر الدر وهذا أمر
غريب لم يقع قط بالديار المصريه انتهى ما أوردناه
أوردناه من أخبار الملك المعظم مغيث الدين توران
شاه وذلك على سبيل الاختصار. ذكر سلطنة
شجر الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين
أيوب فكانت تاسعة من تولى السلطنة بمصر
من

من جماعة بني أيوب فلما وقع الاتفاق على
سلطنتها خطب القاضي تاج الدين بن بنت الأعز
وبايعها بالسلطنة على كره منه. قال الشيخ
عز الدين بن عبد السلام لما تولت شجر الدر على
الديار المصرية عملت في ذلك مقامة وذكرت فيها
ما ذا ابتلى الله به المسلمون بولاية امرأة عليهم وكانت
سلطنتها يوم الخميس ثاني صفر سنة ثمان وأربعين
وستمائة فباس لها الأمراء الأرض من وراء حجاب
فلما تم أمرها في السلطنة أنعمت بالوظايف السنيه
على الأمراء وفرقت الأقاطيع الثقال على المماليك
البحرية واغدقت على الجند بالأموال والخيول حتى
أرضت الكبير والصغير منهم بكل ما يمكن وساست
الرعيه أحسن سياسه وكان الأمير أيبك التركماني
مدبر المملكة لكن كان لا يتصرف في شيء من أمور
المملكة الا بعد مشورتها وكانت علامتها على المراسيم
بخطها والدة خليل وكانت الخطباء تخطب باسمها
على منابر مصر وأعمالها وتقول بعد الدعاء للخليفه
واحفظ اللهم الجهة الصالحيه ملكة المسلمين عصمة
الدنيا والدين ذات الحجاب الجليل والستر الجميل
والدة المرحوم خليل وكان خليل بن الملك الصالح
وتوفي في حياة والده. قلت والى شجر الدر تنسب
مرتبة خاتون التي في قاعة الأعمدة وكذلك ينسب
اليها نوبة خاتون التي تدق في القلعة بعد العشا
بالطبل والخليليه. قال الشيخ شمس الدين الجزري
لما بلغ الخليفه المستعصم بالله وهو ببغداد انه أهل

والنسوه هما خلعتا السلطنة مرددة بالذهب
وهي قتل ورده

مصر تحت سلطنتها أمراؤها أرسل يقول لهم أعلمونا إن كان
ما بقي عندكم في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة فنحن
نرسل إليكم من يصلح لها أما سمعتم في الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يفلح قوم
ولوا أمرهم امرأة وأنكر عليهم بسبب ذلك غاية
الإنكار **وقد قال القايل في المعنى**
النساء ناقصات عقل ودين ما رأينا لهن رأيا سنيا
ولأجل الكمال لم يجعل الله تعالى من النساء نبيا
فلما بلغ شجر الدر ذلك جمعت الأمراء والقضاة وخلعت
نفسها من السلطنة برضاها **فكانت** مدة سلطنتها
بمصر ثلاثة أشهر إلا أياما فلما خلعت نفسها من
السلطنة أشار القاضي تاج الدين بن بنت الأعز أن
تتزوج شجر الدر بالأمير أيبك التركماني فلا زال يتلطف
بها حتى أذعنت بذلك فما قام من المجلس حتى عقد
العقد بينهما ثم إن القاضي بايع أيبك التركماني بالسلطنة
بعد خلع شجر الدر فهو أول ملوك الترك بمصر

ثم ابتداء دولة الأتراك بمصر فكان أولهم عز الدين أيبك التركماني الصالحي النجمي بويع

بالسلطنة بعد خلع شجر الدر يوم السبت تاسع
عشرين ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة وتلقب
بالملك المعز وركب بشعار السلطنة وحملت على رأسه
القبة والطير ولعبت قدامه بالغواشي الذهب
وجلس على سرير الملك وباس له الأمراء الأرض
وكان أصله من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب
اشتراه وأعتقه وصار أميرا في حياة أستاذه الملك
الصالح ثم بقي أتابك العساكر بعد قتل الملك المعظم

المعظم توران شاه ثم بقي سلطانا بعد خلع شجر الدر
من السلطنة **ذكر طرف يسيرة في أخبار أهل الترك**
قال الحسن البصري رضي الله عنه
أصل الترك من ولد يافث بن نوح عليه السلام
فيافث هو أبو الترك ويأجوج ومأجوج بنو عم
الترك وإنما سميت الترك تركا قيل إن الإسكندر
ذو القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان
منهم طايفة غايبة وقت بناء السد فما علموا ببنائه
السد فتركوا خارجا عنه فسميت هذه الطايفة
تركا لكونهم تركوا خارجا عن السد فالترك طايفة من
نسل تلك الشرذمة التي تركت عن دخول السد
فسميت تركا والله أعلم بحقيقة ذلك **قال** صاحب
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة أن طايفة هذه الترك
كانوا عدة قبايل يسكنون بالبلاد الشمالية لا يتخذون
جدارا ولا يستوطنون وطنا بل ينتقلون من الأرض
في أماكن شتى عند مصايفهم ومشاتيهم وقد تناسلوا
وكثروا وتفرقوا في البلاد فلما كان سنة ست وعشرين
وستماية قويت عليهم شوكة التتار وجاروهم فكسروهم
وأسروهم ونهبوا أولادهم ونساءهم وباعوهم للتجار
فجلبوهم إلى الأمصار فاشترى منهم الملك الصالح نجم الدين
أيوب واستكثر من مشتراهم وبنى لهم قلعة بالروضة
كما تقدم فهذا كان مبتدأ إحضارهم إلى الديار المصرية
فمكن الله لهم الأسباب وفتح أمامهم الأبواب وعوضهم
بعد المذلة والهوان وفراق الأقارب والأخوان دخولهم
في الإيمان وتخولهم في جزيل الإحسان فمنهم من يصير

أميراً ومنهم من يصير سلطاناً فسبحان المعطي لهم بلا أثمان

فكان أول من تسلطن منهم الملك المعز أيبك التركماني

وهو أول من جرى عليه الرق. قال الإمام أبو شامة

لما تسلطن أيبك التركماني فلم ترض أهل مصر به فكان

إذا ركب يسمعونه العوام ما يكره ويقولون له نحن

ما نريد إلا سلطاناً مولى على فطرة الإسلام فكان أيبك

ينفق على الأعوام بالعطايا الجزيلة حتى يسكتون عنه

ثم إن جماعة من المماليك الصالحية تغلبوا على الملك المعز

وقالوا لا بد لنا من واحد نسلطنه من أولاد بني

أيوب فوقع الاتفاق بينهم على أن يحضروا بشخص

من أولاد الملك مسعود صاحب حماه وهو من ذرية

بني أيوب وكان عند عماته ببلاد الشرق فأرسلوا

خلفه فلما حضر سلطنوه ولقبوه بالملك الأشرف وكان

اسمه الأمير عيسى وقيل يوسف وكان له من العمر نحو

عشرين سنة فلما تسلطن لم يعزل أيبك من السلطنة

بل صار معه مثل الشريك فكان يخطب باسمهما يوم

الجمعة على المنابر وضربت السكة على الدنانير والدراهم

والدراهم باسمهما واستمر شريك الملك المعز في السلطنة

حتى قويت شوكة الملك المعز وأنشأ له مماليك

واتخذ له عصبة فعند ذلك خلع الأشرف المذكور من

من السلطنة وانفرد بها وحده من غير شريك كما سيأتي

ذكر ذلك في موضعه. **ثم دخلت سنة تسع وأربعين**

وستمائة فيها في جمادى الآخرة توفي ابن نباتة الشاعر

وكان من أعيان الشعراء توفي بدمشق **ومن شعره**

في روضة علم أغصانها أهل الهوى العذري كيف العناق

هبت بها ريح الصبا سحرة فالتفت الأشجار ساقاً بساق

وفيها

(ابو شامة)

[illegible]

وفيها توفي ابن وشق شيخ القراء وقيل توفي سنة

إحدى وخمسين مات بالإسكندرية. **ثم دخلت**

سنة خمسين وستمائة فيها في شعبان توفي الصاحب

جمال الدين بن مطروح وهو أبو الحسن يحيى بن عيسى

بن إبراهيم بن مطروح صاحب الأشعار الرائقة والمعاني

الفائقة ولد سنة اثنين وتسعين وخمسمائة ومات

في هذه السنة في عاشر شعبان ومن شعره **قوله**

وشرب أراقوا بينهم دم كرمة فباتت عليها عين

راووقهم تبكي

وباتت أباريق المدام لديهم تقهقه من فرط

المسرة بالضحك

وقد جعلوا قول العراقي حجة ولم يرجعوا فيها

إلى مذهب المالكي

وغنى بها ساق أغن فزادهم سروراً بشعر

لابن حسن السبك

يلعب فيهم بالكلام تلعباً كما تفعل الأمواج في

البحر بالفلك

ومن الحوادث في أيام الملك المعز أن في أوائل

دولته جاءت الأخبار من مكة أن في يوم

الثلاثاء ثاني عشر من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة

هاجت بمكة أرياح عاصفة عظيمة فتمزقت أستار الكعبة

الشريفة فما سكن الريح إلا والكعبة عريانة وزال

عنها الكسوة السوداء ومكثت إحدى وعشرين

يوماً لم يلبس عليها كسوة وكان هذا فألاً لزوال دولة

بني العباس فما عن قريب حتى جاء هلاكو وأخرب

بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله وزالت دولة

بني العباس من بغداد ذكر ذلك ابو شامه انتهي
ثم دخلت سنة احدي وخمسين وستماية فيها
جاءت الأخبار من حلب بان وقع بها حريق عظيم
فاحترق بسببه ستماية دار **وفيها** جاءت الاخبار من
المدينة الشريفة ان في ليلة الجمعة مستهل رمضان
احترق المسجد الشريف النبوي وعملت النار في سقوفه
واحترق سقوف الحجرة الشريفة والمنبر الذي كان
النبي صلي الله عليه وسلم يخطب عليه وقد اعيت الناس
عن طفيها وكانت هذه من جملة الايات المنذره
ثم دخلت سنة اثنين وخمسين فيها عزم الملك
المعز علي ان يقبض علي الامير فارس الدين اقطاي
وكان راس المماليك الصالحية فطلبه وقت الظهر فلما
طلع الي القلعة اكمن له كمينا عند قاعة الاعمده وقرر
معهم اذا مر بهم الامير فارس يقتلوه سرعة من غير
مشاوره فلما طلع الامير فارس ووصل الي باب قاعة
الاعمده وثب عليه المماليك المعزية واذاقوه كاس
المنيه فلما شاع امره بين الناس وثب خشداشينه علي
الملك المعز وذلك يوم الاثنين حادي عشرين
شعبان من تلك السنة وكانوا نحو سبع ماية انسان
فطلعوا الي الرملة علي حمية واحاطوا بالقلعة من
كل جانب تلك المماليك البحرية فلما عاين الملك المعز
ذلك ارمي اليهم راس الامير فارس الدين اقطاي من
اعلي السور فلما تحقق خشداشينه قتله انفضوا
هاربين وخرجوا علي حمية نحو البلاد الشامية وهم
الامير بيبرس البندقداري والامير قلاون الالفي
والامير سنقر الاشقر والامير بيسري والامير سكز

سكز والامير برمق وغير ذلك من الامرا الصالحية
فلما هربوا تحت الليل وجدوا ابواب القاهره
مقفوله فتوجهوا الي باب القراطين فاحرقوه
وخرجوا منه هاربين فسمي من يوميذ الباب المحروق
فلما بلغ الملك المعز هروبهم احتاط علي موجودهم
وخمدت هذه الفتنة ثم ان الملك المعز قبض علي
شريكه في السلطنة الذي كان بقي من اولاد بني ايوب
وقد تقدم ذكر ذلك فلما قبض عليه سجنه بقلعة
الجبل ثم انفرد ايبك بالسلطنة وحده انتهي ذلك
قال الشيخ شمس الذهبي ان طايفة من المماليك
البحرية لما هربوا من الملك المعز توجهوا الي نحو
العقبه فبينما هم في التيه فتاهوا به خمسة ايام فلاح
لهم في اليوم السادس سواد مبني فقصدوه فاذا
هو سور من رخام اخضر وفيه ابواب فدخلوا منها
فاذا هي مدينة عظيمه مبنيه بالرخام الاخضر وبها
اسواق ودكاكين ودور وقد وجدوا بها صهاريج فيها
ما احلي من العسل وابرد من الثلج فشربوا منه حتي
ارتووا ووجدوا في بعض الدكاكين دنانير ذهب
وعليها كتابة بالقلم القديم فاخذوا تلك الدنانير
وخرجوا من المدينة فبينما هم يسيرون في الرمل فراوا
طايفة من العربان فاتوا بهم الي مدينة الكرك فلما
اقاموا بها اخرجوا تلك الدنانير التي معهم واتوا بها الي
بعض الصيارف فاذا عليها مكتوب اسم موسي عليه السلام
وقيل ان هذه المدينة بنيت في زمن موسي عليه السلام
وكان يقال لها المدينة الخضراء وهي من مداين بني

أسرائيل وقد طمت بالرمال فتارة تنقص عنها
الرمال فتظهر وتارة تطمها الرمال فلا تظهر وقد
لاحت لهؤلاء أعاليك وقت تناقص الرمال عنها انتهى
ذلك

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين فيها

توفي الشيخ زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد
بن ظافر المعروف بابن أبي الإصبع وكان من أعيان
علماء البديع وهو صاحب كتاب تحرير التحبير في علم
البديع وكان امام هذا الفن ومن رقيق شعره في
معنى النحو وهو قوله

أيا قمرا من حسن صورته لنا ... وظل عذاريه الضحى والأصائل
جعلتك للتمييز نصبا لناظري ... فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

ثم دخلت سنة أربع وخمسين فيها دبت عقارب
الفتن بين الملك المعز وبين زوجته شجر الدر
فتغيرت عليه وتغير عليها لأنها كانت تمن عليه
في كل وقت وتقول له لولا أنا ما وصلت أنت
للسلطنة وكانت الزمته بطلاق زوجته أم ولده
الأمير علي فطلقها وكانت شجر الدر تركية الجنس
شديدة الغيرة وبلغها ان الملك المعز ارسل يخطب
بنت بدر الدين لولو صاحب الموصل فصار بينهما وحشة
من كل وجه وكانت شجر الدر تظن ان هذا الأمر الذي
هي فيه يتم لها ولو راح ايبك وهذا عين الغلط ولكن
النساء ناقصات عقول وقد طاشت بما وقع لها كما قيل
كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

[illegible]

فلما

فلما تزايد الأمر غضب منها الملك المعز ونزل الى مناظر
اللوق وكانت مناظر اللوق تشرف على البحر عند
المقس فأقام بها الملك المعز أياما وهو غضبان من
شجر الدر وكان معها في غاية الضنك فلما أقام بمناظر اللوق
ارسلت اليه قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز
فتلطف به حتى طلع الى القلعة وكانت شجر الدر قد
أضمرت له السوء فلما طلع لاقته وقبلت يده من
غير عادة فظن ايبك ان ذلك على وجه الرضا منها

فكان كما قيل في المعنى

ألقى العدو بوجه لا قطوب به ... يكاد يقطر من ماء البشاشات
فأحزم الناس من يلقي أعاديه ... في جسم حقد وثوب من مودات

فلما كان ليلة الأربعاء خامس عشرين ربيع الأول سنة
خمس وخمسين وستمائة ندبت له شجر الدر خمسة من
الخدام الروم وقالت لهم اذا دخل الحمام اقتلوه بها
فلما نام معها ودخل الحمام وقد تواصيا فيما بينهما في الحمام
دخل عليه اولئك الخدام وفي ايديهم سيوف مسلولة
فلما عاينهم الملك المعز استجار بشجر الدر وقبل يدها
فقالت للخدام اتركوه فأغلظ عليها بعض الخدام
وقال لها متى تركناه لا يبقي عليك ولا علينا فقتلوه
في الحمام خنقا وقيل شدوا محاشمه بوتر حتى مات
فلما مات حملوه وأخرجوه من الحمام واشاعوا انه
أغمي عليه من الحمام فأرقدوه على فراش في الحمام
وكانت قتلته ليلة الأربعاء خامس عشرين ربيع

الأول من تلك السنة فلما أصبح الصباح أشيع بين الناس
موته فركب ابنه الأمير علي والمماليك المعزية
وطلعوا الي القلعة فغسلوا الملك المعز وكفنوه
وصلوا عليه ودفنوه بالقرافة الصغري ثم ان الأمير
علي قبض علي شجر الدر وسلمها الي امه فأمرت
جواريها ان يقتلوها بالقباقيب والنعال فقتلوها
حتي ماتت فلما ماتت سحبوها من رجليها وارموها في
الخندق الذي وراء القلعة وهي عريانة ليس في
وسطها غير اللباس فقط فاستمرت مرمية في الخندق
ثلاثة ايام لم تدفن وقيل ان بعض الحرافيش
نزل تحت الليل الي الخندق وقطع تكة لباسها وكان
فيها الدرة لولو ونافجة مسك فسبحان من يعز ويذل

وقد قيل في المعني

لقد هزلت حتي بدا من هزالها كلاها وحتي سامها
كل مفلس

ثم بعد ثلاثة ايام حملت الي المدرسة التي بجوار
بيت الخليفة فدفنت بها وكان اصلها من جوار الملك
الصالح نجم الدين ايوب اشتراها ايام ابيه الملك الكامل
فحظيت عنده واستولدها ابنه خليل ثم اعتقها
وتزوج بها وكانت معه في البلاد الشامية مدة
طويلة فلما قدم الي مصر وتسلطن وكان كثير الغزوات
فكانت شجر الدر تتولي امور المملكة عند غياب الملك
الصالح وكانت ذات عقل وحزم كاتبة قارية عارفة
بامور المملكة فسلطنوها لحسن معرفتها وسداد رأيها
وكان لها بر ومعروف وايثار واوقاف علي جهات بر

بر وصدقة وقد نالت من الدنيا ما لم تناله امراة
قبلها ولا بعدها وخطب باسمها علي منابر مصر واعمالها
وكانت مدة سلطنتها بالديار المصرية نحو ثلاث شهور
الا اياما وكانت قتلتها يوم الثلاثا خامس عشرين
ربيع الاخر من تلك السنة واما الخدام الذي قتلوا
الملك المعز فهرب بعضهم الي بلاد الشرق وصلب
بعضهم علي باب القلعة وكانت مدة الملك المعز
في السلطنة بالديار المصرية والبلاد الشامية سبع
سنين وثلاثة اشهر منها مدة انفراده بالسلطنة
خمس سنين وثلاثة اشهر وكان مدة الملك الاشرف
عيسي الذي شاركه في السلطنة سنة وثلاثة اشهر وكان
الملك المعز ايبك التركماني اول ملوك الترك بمصر
وكان كفوا للسلطنة عارفا باحوال المملكة ومن انشائه
المدرسة التي في رحبة الحنا المعروفة بالمعزية ولما
قتل الملك المعز وقع الاتفاق من الامراء علي ان
سلطنوا ابنه علي فسلطنوه انتهي ما اوردناه من
اخبار الملك المعز ايبك وذلك علي سبيل الاختصار
ومن الابيات اللطيفة هذه الابيات التي تتضمن
اسماء ملوك الترك والجراكسة دون اسماء اولادهم
وهم علي الترتيب من المبتداء الي يومنا هذا

ايبك قطز يعقبوا ... بيبرس ذو الاجلال
بعد قلاوون ... بعده كتبغا المفضال
لاجين بيبرس ... برقوق شيخ ذو الافضال
ططر بعد شعبانه ... جقمق ذو العلا اينال
وخشقدم عنه تلاه ... يلبيه ذو الاحوال
تمربغا فيتبايه ... الغلقه ذو الاقبال

وقانصوه جنبلاط خل عنهما الأقوال
وبعده جاء طومان باي بالإقبال
وبعد قانصوه الغوري أبو الأهوال
وبعده صار طومان باي في جلب جال
وأما سليم شاه خادم سجده عمال
وابنه بعده في غاية الأكمال
وبعده أحمد الباشاه بسيفوا جال

ذكر سلطنة الملك المنصور نور الدين علي ابن الملك المعز ايبك التركماني الصالحي وهو الثاني من ملوك الترك واولادهم بالديار المصريه بويع بالسلطنة بعد قتل أبيه الملك المعز يوم الخميس سادس عشرين ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة وكان له من العمر لما ولي السلطنة أحدى وعشرين سنه وكان القايم بتدبير مملكته الأمير علم الدين سنجر الحلبي فساس الناس في أيامه أحسن سياسه

سياسه ونفق علي الجند وفرق الأقطاعات علي من يستحق من الجند وأمر من يستحق من الأمرا وقبض علي من أختار وأبقي من أختار فتم أمره في السلطنة وطاعه الجند وتلقب بالملك المنصور ونودي باسمه في القاهره وضج الناس له بالدعاء ثم جلس علي سرير الملك وعمل الموكب وأخلع علي من يليه من الأمراء وهم الأمير سيف الدين قطز المعزي وأستقر به نايب السلطنة وأتابك العساكر بمصر وأستمر الحال مبني علي السكون **ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة قلت** وفي هذه السنة وقع فيها حوادث عظيمه وأمور شتي وتوفي فيها جماعه كثيره من الأعيان وأنا أذكر بعض شي من ذلك علي سبيل الأختصار **فمنها** أن في صفر جاءت الأخبار من بغداد أن خارجيا يقال له هلاكو زحف علي بغداد وملكها وقتل الخليفه المستعصم بالله وأخرب بغداد وقتل أهلها ونهب ما فيها من الأموال فلما بلغ الناس ذلك أضطربت الأحوال وتزايدت الأهوال **قال** أبو شامه أن شيخا من الزهاد يقال له عفيف الدين بن البقال وكان بمصر قال لما بلغني ما وقع ببغداد فانكرت ذلك بقلبي وقلت يا رب كيف هذا الأمر وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له فرأيت في المنام رجلا وفي يده ورقه فأخذتها منه وقراتها فاذا فيها مكتوب دع الأعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في حركات الفلك ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك

قال الشيخ فلما انتبهت من منامي استغفرت
الله تعالى مما هتف بي الي انتهي ذلك ومنها
جاءت الاخبار بان الدجلة طفت منها الماء حتي
دخل البلد وغرقت الاسواق وتعطلت اقامة
الخطبة بسبب ذلك اربعين يوما وفي خامس
جمادي الاخره جاءت الاخبار من المدينة الشريفة
ان في التاريخ المذكور ظهر نارا بوادي شطا
شرقي المدينة وانه يخرج منها شرارا ياكل
الحجاره وذكروا ان قبل ظهور هذه النار بخمسة
ايام وقع بالمدينة زلزله عظيمه وسمع من السماء
اصواتا مزعجة ولم تزل هذه النار عماله ليلا
ونهارا نحو شهر فكان طول هذه النار اربع
فراسخ في عرض اربعة اميال فصارت تاكل في
الحجاره حتي تصير مثل الفحم الاسود قال الشيخ
صفي الدين التميمي الحنفي مدرس مدرسة بصري
انه راي وهو ببصري من نواحي الشام صفحات
اعناق الابل في الليل المظلم من ضوء تلك النار
التي ظهرت بالمدينة الشريفة قال ابو شامه
ان اهل المدينة لما طال عليهم امر هذه النار
صار يودع بعضهم بعضا وتابوا من ذنوب
كانوا يعملونها وتصدقوا باموالهم ولزموا الصوم
والصلاة حتي كشف الله تعالي عنهم هذه النار
وانجلت تلك الظلمة وفي ذلك يقول القائل

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا لقد احاطت بنا
يا رب باساء

نشكوا

نشكوا اليك خطوبا لا نطيق لها حملا ونحن بها
حقا احقاء
زلازلا تخشع الصم الصلاب لها وكيف يقوي علي
الزلزال شماء
اقام سبعا يرج الارض فانصدعت عن منظر
منه عين الشمس عوراء
بحر من النار تجري فوقه سفن من الهضاب
لها في الارض ارساء
يرمي لها شررا كالقصر طايشة كانها ديمة تنصب
هطلاء
يشق منها قلوب الصخر ان زفرت رعبا وترعد
مثل السعف اضواء
منها تكاثف في الجو الدخان الي ان عادت الشمس
منه وهي دهماء
قد اثرت شنعة في البدر لفحتها فنوره التم بعد
الضوء ليلاء
فيا لها معجزات عن رسول الله قد ظهرت
والناس احياء

يشير الناظم الي ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة
حتي تخرج نار من ارض الحجاز تضيء منها اعناق الابل
ببصري رواه في اواخر كتاب الفتن في باب خروج
النار انتهي ذلك وقال الامام ابو شامه

سبحان من أصبحت مشيئته جارية في الورى بمقدار
في سنة أغرق العراق وقد أحرق أرض الحجاز بالنار

وقوله في المعنى

بعد ست من المئين وخمسين لدى أربع جرى في العام
نار أرض الحجاز مع حرق المسجد معه تغريق دار السلام
ثم أخذ التتار بغداد في أول عام من بعد ذاك وعام
لم يعن أهلها وللكفر أعوان عليهم يا ضيعة الإسلام
وانقضت دولة الخلافة منها صار مستعصم بغير اعتصام

ومن الحوادث في هذه السنة أن في رابع شهر
رمضان وقعت أحدى المسلتان التي بأرض
المطرية التي يزعمون الناس أنها مسلتا فرعون
فلما وقعت أحدهما فوجد في قلنسوتها مايتي
قنطار نحاس أصفر ووجد في داخل تلك القلنسوه
عشرة آلاف دينار كل دينار زنة أوقية من الذهب
الإكسير نقل ذلك ابن الجزري في تاريخه انتهى
وأما من توفي في هذه السنة من الأعيان
منهم الشيخ رشيد الدين بن العطار المالكي مات
في جمادى الأولى من تلك السنة وفيها توفي
الإمام الحافظ العلامة زكي الدين أبو محمد عبد
العظيم المنذري المصري ولد في شعبان سنة إحدى
وثمانين وخمسماية وكان شيخ المدرسة الكاملية وأقام
بها نحو عشرين سنة ومات يوم السبت رابع ذي

القعدة من سنة ست وخمسين وستماية وفيها
توفي الشيخ القطب العارف بالله الشريف الحسيب
النسيب تقي الدين علي بن عبد الله أبو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه مات في ذي القعده من هذه
السنة وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة ابرهيم بن
أبي الدنيا الأندلسي مات يوم مستهل صفر من
تلك السنة وكان من الأولياء المشهوره وفيها توفي
الأديب الفاضل سيف الدين علي بن يحيى بن قزل
المعروف بالمشد كان من أعيان شعراء مصر ولد في
شوال سنة اثنين وستماية ومات في تلك السنة
وكان له شعر جيد فمن ذلك قوله

أذن القمري فيها عند تهويم النجوم
فانثنى الغصن يصلي بتحيات النسيم

وفيها في ذي القعده توفي الصاحب بهاء الدين
زهير محمد بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن الأزدي
كان وزيرا بالديار المصريه وكان من أعيان شعراء مصر
ومن شعره قوله

ومدام من رضاب بحباب من ثنايا
كان ما كان ومنه بعد في النفس بقايا

وقد أقام البهاء زهير في الوزارة مدة طويلة فلما مات
تولى الوزارة الأسعد هبة الله الفايزي وكان نصرانيا
وأسلم فلما تولى الوزاره أحدث مكوسا كثيره عمر
وفتح أبواب مظالم فغضب عليه قطز وهو نايب السلطنه
أيام الملك المنصور علي بن أيبك فصلبه على باب
القلعة وأخذ جميع أمواله ثم أخلع على القاضي بدر الدين

السخاوي واستقر به عوضًا عن الفائزي وقد جمع بين
الوزارة وقضاء الشافعية ثم دخلت سنة سبع
وخمسين وستماية فيها جاءت الأخبار بأن هلاكو
لما أخذ بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله وجرى
منه ما جرى طمع في أخذ مصر أيضًا فعدّى الفراة
وتوجه إلى حلب فملكها وكذلك حماه وقد زحف
على البلاد الشامية فلما جاءت الأخبار بذلك
جمع الأتابكي قطز الأمراء وضرب مشوره واتخذ
رأي الأمراء فأشاروا بعقد مجلس بجمع القضاة
ومشايخ العلم وكان المشار إليه في المجلس شيخ
الإسلام الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضي الله
عنه فلما تكامل المجلس قام شخص بين يدي الشيخ
عز الدين بن عبد السلام وذكر هيئة سؤال في
أمر هلاكو وقد استولى على البلاد ووصل إلى
حلب وقد تقدم فعله ببغداد وأن بيت المال
خاليًا من الأموال وقد ضاق الوقت عن استخراج
الأموال من البلاد وقد اضطربت الأحوال وأن
الوقت محتاجًا لإقامة سلطانًا كبيرًا تركي تخشاه
الرعية وأن السلطان الآن صغير السن وضاعت مصالح
المسلمين والعدو زاحف على البلاد فما الجواب عن
ذلك فأجاب الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضي
الله عنه إذا طرق العدو البلاد وجب على الناس
قتاله وجاز للسلطان أن يأخذ من أموال التجار
وأغنياء الناس ما يستعان به على تجهيز العسكر لدفع

قتل: لما ظفر هلاكو بالخليفة المستعصم بالله [illegible] في [illegible] حتى مات [illegible]

لدفع العدو لكن بشرط أن لا يبقى في بيت المال
شيًا من السلاح والسروج الذهب والفضة والكنابيش
الزركش والسيوف المسقطة بالذهب وأن وقت
القتال يقتصر الجندي على فرسه ورمحه وسيفه
ويتساوي في ذلك العامة وأما أخذ أموال التجار
والأغنياء مع وجود أبقاء ما في بيت المال مما ذكر
فلا يجوز أخذ أموال الرعية بغير حق ثم أن الأمرا
تكلموا مع القضاة في إقامة سلطانًا تركي تهابه الرعية
فوقع الاتفاق على سلطنة الأتابكي قطز فخلع الملك
المنصور علي من السلطنة وولي قطز وكان المنصور
علي طايش العقل يلعب بالحمام مع أولاد الغلمان
وكانت أمه تدبر أحوال المملكة فلما خلع من السلطنة
فيدوه وأرسلوه مع إخوته وأمه إلى ثغر دمياط
فاعتقلوه ببرج السلسلة فأقام به مدة طويلة حتى
مات هناك ودفن بثغر دمياط وكانت مدة
سلطنته نحو ثلث سنين إلا أربعة أشهر وكانت أيامه
أشرًا مع قصرها وتوفي في أيامه أيضًا الشيخ
سعد الدين بن عربي صاحب النظم الرقيق وتوفي
الصرصري وله ديوان لطيف النظم وتوفي الشيخ
شعلة شيخ القراءات وتوفي ابن الأبار المؤرخ
وتوفي الفاسي المغربي المالكي وغير ذلك من الأعيان
انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المنصور علي بن
أيبك التركماني وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المظفر سيف الدين قطز المعزي وهو الثالث من الترك وأولادهم

بالديار المصرية وكان أصله من مماليك المعز
أيبك التركماني قيل أن قطز لم يكن مرقوق
وانما أخذ من سبايا التتر وحمل الى الملك
المعز هدية حتى صار اتابك العساكر بمصر ثم بقي
سلطان مصر قال ابن الجوزي كان قطز
في رق ابن الزعيم فلطمه يوما على وجهه فبكي
بكاء شديد فقيل له من لطمة واحدة تبكي هذا
البكا فقال انما ابكي من لعنته لابي وجدي وهما
أفضل منه فقيل له ومن ابوك وجدك وهما من
النصاري قال بلا انما انا مسلم بن مسلم انا كان
اسمي محمود بن ممدود بن اخت خوارزم شاه
من اولاد ملوك الشرع انما اخذوني من جملة
سبايا التتر لما وقعت الكسره عليهم فعلي هذا الحكم
لم يكن قطز مرقوق فلما خلع الملك المنصور من
السلطنة بويع قطز يوم السبت سابع عشرة
ذي قعده سنة سبع وخمسين وستماية فلما تم
أمره في السلطنة عمل الموكب في القلعة فلما
طلع الامرا الى القلعة قبض على جماعة من أعيان
خشداشينه المعزية وقيدهم وأرسلهم الى السجن
بثغر دمياط والاسكندرية فلما فعل ذلك استقامت
أحواله في السلطنة وانشا له عصبة من الامراء
وخلع على الامير ركن الدين بيبرس البندقداري
واستقر به اتابك العساكر عوضا عن نفسه وفوض
اليه أمور المملكة جميعها وأخلع على جماعة من الامرا
ممن يثق بهم ثم عزل الصاحب بدر الدين محمد

محمد السنجاوي من الوزارة واستقر بالقاضي تاج
الدين بن بنت الاعز وزيرا عوضا عن السنجاوي
فجمع ابن بنت الاعز بين القضاء والوزاره في هذه
السنة وهي سنة سبع وخمسين وستماية فبينما المظفر
قطز في أحوال مملكته اذ جاءت الاخبار على جرايد
الخيل ان جاليش عسكر هلاكو قد وصل الى دمشق
ونهب البلاد وقتل العباد وأطلق فيهم الزناد فلما
وصل هذا الخبر الى الديار المصرية اضطربت منه
القاهره وعظمت البليه فلما كان يوم السبت خامس
صفر سنة ثمان وخمسين وستماية حضر الى الابواب
الشريفة قاصد هلاكو وهو شخص من التتار يقال
له كتبغا نوين بك وصحبته اربعة من التتار وعلى
يده كتاب من عند هلاكو فكان مضمون كتاب
هلاكو هذه الالفاظ الفاحشة
من ملك الملوك شرقا وغربا القان الاعظم باسمك
اللهم باسط الارض ورافع السماء نعلم امير مصر
قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا
من سيوفنا الى هذه الارض بعد ان ابتاعوا الى
التجار بابخس الاثمان اما بعد فانا نحن جند الله في
أرضه خلقنا من سخطه يسلطنا على من يشاء من
خلقه فسلموا الينا الامر تسليما قبل أن ينكشف الغطا
فتندموا وقد سمعتم انا اخربنا البلاد وقتلنا
العباد فلكم منا الهرب ولنا خلفكم الطلب فما لكم من
سيوفنا خلاص وانتم معنا في الاقفاص خيولنا سوابق
وسيوفنا صواعق فقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال
فمن طلب حربنا ندم ومن نادى خيرنا سلم فان انتم
لشرطنا المحتم وما قلناه سمعتم فلكم ما لنا وعليكم

ما علينا وأن أنتم خالفتمونا هلكتم فلا تهلكوا
انفسكم بأيديكم فعل حذر من أنذر وقد
ثبت عندكم أننا الكفرة وثبت عندنا أنكم فجرة والله
يلقي الكفرة على الفجرة فاسرعوا الينا بالجواب قبل
ان تضرم الحرب نارها وترميكم بشرارها فلا
يبقى لكم جاه ولا عز ولا يعصمكم منا حصن ولا حرز
ونترك الأرض منكم خالية والمنازل خاوية فقد
اذ حذرناكم فما بقي لنا مقصد سواكم وقد حذرنا أيغظناكم
قبلكم أهل بغداد بمثل ذلك فما سمعوا فجرى عليهم
ما سمعتم به وقتلنا خطيبهم الذي يزعموا أنه الخليفة
وخربنا بلادهم ونهبنا عبادهم وهذا آخر كلامنا
لكم والسلام علينا وعليكم وعلى من اتبع الهدى
وخشي عواقب الردى فلما سمع الملك المظفر هذه
العبارة خرج من الطارة وجمع الأمراء واستشارهم
فيما يكون من أمر هلاكو وقال أن تأخرنا عن
قتالهم ملكوا الديار المصرية وفعلوا بنا كما فعلوا
في بغداد ثم ان الملك المظفر حبس قاصد هلاكو
وأخذ في أسباب خروجه الى هلاكو ونادى بالنفير
عاما الى الغزاة في سبيل الله ثم عرض العسكر
وأرسل خلف عربان الشرقية والغربية فاجتمع
عنده من عساكر مصر نحو أربعين ألف ثم أخذ في
أسباب جمع الأموال فقرر على كل رأس من أهل
مصر والقاهرة من كبير وصغير دينارا واحدا وأخذ
من أجرة الأملاك شهرا واحدا وأخذ من أغنيا
الناس والتجار زكاة أموالهم معجلا وأخذ من

من التركة الأهلية ثلث المال وأخذ على الغيطان
والسواقي أجرة شهرا واحدا وأحدث من أبواب
هذه المظالم أشياء كثيرة فبلغ جملة ما جمعه من
الأموال في هذه الحركة ستمائة ألف دينار وكسور
فانفق ذلك على العسكر والعربان وجهز حاله وبرز
خامه الى الريدانية وفيه يقول ابن عنين
ان سلطاننا الذي نرتجيه واسع المال ضيق الانفاق
هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسوم والأرزاق
ثم جاءت الأخبار بان أوائل جاليش هلاكو قد وصل
الى العريش فخرج الملك المظفر من القاهرة في الثاني
والعشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة
فنزل من قلعة الجبل في موكب حفل وكان يوما
مشهودا فلما نزل بالريدانية أخذ قاصد هلاكو
المسمى كتبغا نوين فوسطه هناك ومن معه من
التتار ثم رحل من الريدانية وجد السير حتى وصل
الى عين جالوت من أرض كنعان فتلاقى هناك
عسكر هلاكو وعسكر مصر فكان بينهما ساعة تشيب
منها النواصي وقتل من الفريقين ما لا يحصى فكانت
النصرة لعسكر مصر وانكسر عسكر التتار كسرة
قوية وتبعته العسكر المصري الى بيسان وكان
ذلك يوم الجمعة خامس عشرين رمضان من
سنة ثمان وخمسين فكان بينهما على بيسان وقعة
أعظم من الأولى وقتل من عسكر التتار نحو النصف
وغنم منهم عسكر مصر غنيمة عظيمة من خيول وسلاح
وبرك وغير ذلك ثم ان الملك المظفر دخل الشام
في موكب عظيم وجلس للحكم في الميدان وأرسل

بعث البشارة إلى القاهرة. **وفي ذلك يقول أبو شامة**

غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شملهم ولكل شيء آفة من جنسه

ثم أن الملك المظفر أخلع وهو بالشام على الأمير علم الدين سنجر الحلبي واستقر به نايب الشام وأخلع على الأمير علاء الدين صاحب الموصل واستقر به نايب حلب ثم استخلص البلاد الشامية من أيدي أولاد بني أيوب وكان غالبها في أيديهم فمهد البلاد الشامية والبلاد الحلبية وولى بها من يختار ثم قصد العود إلى الديار المصرية وظن أن الوقت قد صفا له وأن الدهر ساعده **فكان كما قيل في المعنى**

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف غب ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فلما خرج من دمشق ووصل إلى قريب الصالحية اتفق جماعة من الأمراء على قتله وكان المشار إليه في ذلك الوقت الأمير بيبرس البندقداري فلما وصل الملك المظفر إلى القرين قصد يتصيد في الفضاء فرأى أرنبا فساق خلفه فلما ساق ساق معه الأمراء فدنا منه الأمير بيبرس

البندقداري ليقبل يده وكان الملك المظفر أنعم عليه بجارية مليحة من سبايا التتار فظن أنه جاء يقبل يده بسبب ذلك فلما مد يده إليه قبض عليه وضربه بالسيف ثم حملوا عليه بقية الأمراء بالسيوف فقتلوه وتركوه ميتا ملقى على الأرض ثم ساقوا وهم شاهرون سيوفهم إلى الوطاق فجلس الأمير بيبرس على مرتبة السلطان قطز وأخذ المملكة باليد فلما شاع قتل الملك المظفر فعز ذلك على بقية الأمراء لأنه قتل من غير ذنب وكان خيار ملوك الترك وله اليد البيضا في قيامه لدفع التتار عن البلاد الشامية وقد أشرفوا على أخذ الديار المصرية **وكانت** قتلة الملك المظفر قطز يوم السبت خامس عشرة ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستماية ودفن بالقرين وقيل نقل بعد ذلك إلى مدرسته التي بالقرب من حدرة البقر فدفن بها **وكانت** مدة سلطنته عصر سنة الا أياما **قال** الإمام أبو شامة ما جلس سلطانا على كرسي مملكة مصر وكان متقلدا بغير مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه إلا عزل سريعا أو قتل وقد جرب ذلك في الملك المظفر قطز فإنه كان حنفيا فلم يمكث الا يسيرا وقتل وهذا سر في الإمام الشافعي رضي الله عنه لأنه صاحب مصر انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المظفر قطز وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي وهو الرابع من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية

تسلطن بعد قتل الملك المظفر قطز بالقرين كما تقدم وقد أخذ المملكة باليد من غير حرب ولا قتال تسلطن يوم السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة وكان تلقب أولاً بالملك القاهر أبي الفتوحات فنهاه بعض العلماء عن هذا اللقب وقال له ما تلقب أحد من الملوك بهذا اللقب وأفلح وقد تلقب به جماعة من الخلفاء العباسية فلم تطل أيامهم وفيهم من قتل فلما سمع ذلك ترك هذا اللقب وتلقب بالملك الظاهر أبي الفتوحات قلت وكان أصله تركي الجنس أخذ من بلاده وهو صغير فابتاع لشخص يسمى العماد الصايغ ثم بعد مده اشتراه منه الأمير علاي الدين أيدكين المعروف بالبندقداري فلما قبض عليه الملك الصالح نجم الدين أيوب احتاط على موجوده فأخذ بيبرس من جملة الموجود فأقام مده ثم أعتقه وأخرج له خيلاً وقماشاً وجعله من جملة المماليك البحريه وكان شجاعاً بطلاً فأظهر يوم وقعة الفرنج التي كانت على المنصوره أيام الملك المعظم توران شاه الشجاعة التي لم يسمع بمثلها ولا زالت الأقدار تساعده حتى بقي أتابك العساكر بمصر في دولة الملك المظفر قطز

قطز فلما قتل الملك المظفر أخذ المملكة باليد وجلس على مرتبة السلطنة وباس له الأمراء الأرض وذلك بمنزلة القرين ثم حلف ساير الأمراء لنفسه فحلفوا له على مصحف شريف فلما جرى ذلك قصد الدخول إلى القاهره فدخلها تحت الليل وطلع إلى القلعة وكانت القاهره قد زينت للملك المظفر بسبب هذه النصره فلما طلع النهار نادى المنادي في القاهره ترحموا على الملك المظفر قطز وادعوا بالنصر للملك الظاهر بيبرس فمن الناس من فرح بسلطنة الملك الظاهر بيبرس ومن الناس من تاسف على قتل الملك المظفر قطز فانه قتل من غير ذنب وله الراية البيضاء في دفع التتار وقتالهم ومنعهم عن دخول مصر كما قيل

ومن سوء حظ المرء في الدهر أنه
يلام على أفعاله وهو محسن

ثم أن الملك الظاهر عمل الموكب بالقلعة وأخلع على من يذكر من الأمراء وهم الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب واستقر به أتابك العساكر عوضاً عن نفسه ~~ونايب السلطنه~~ وأخلع على الأمير لاجين الدرقيلي واستقر به دوادار كبير وأخلع على الأمير بلبان الرشيدي واستقر به دوادار ثانيا وأخلع على الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزوري واستقر به أمير اخور كبير وأخلع على الأمير أيبك الأفرم واستقر به أمير جاندار وأنعم على الأمير بدر الدين بيسري الشمسي بتقدمة ألف وأنعم على الأمير سيف الدين قلاوون الألفي بتقدمة ألف وأنعم على الأمير بكتوت الجوكندار بتقدمة ألف وأنعم على الأمير بيدغان المعروف بسم الموت بتقدمة

البنو

الفي وأنعم علي الأمير أنص الأصفهاني بتقدمة
وأخلع علي الأمير ركن الدين أباجي والأمير سيف
الدين بلجري واستقر بهما حاجبا حاجب كبير وحاجب
ثاني ثم انفصل القاضي تاج الدين بن بنت الأعز من
الوزارة وأبقاه في قضاء الشافعية ثم أخلع علي القاضي
زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير
واستقر به وزيرا عوضا عن ابن بنت الأعز وأخلع
علي القاضي فخر الدين بن لقمان واستقر به كاتب
الإنشاء الشريف ولما تم أمره في السلطنة وقوي
شوكته أخلع علي مملوكه الأمير بيليك واستقر
به نايب السلطنة فعظم أمره واجتمعت فيه الكلمة
وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وصار
ينفذ الأمور من غير مشورة السلطان وكان نايب
السلطنة يفرق الأقطاعات الخفيفة ويعين الوظايف
الوظايف ويتصرف في أمور المملكة التصرف المطلق
ثم أخلع السلطان علي الأمير أقوش النجيبي واستقر به
أستادارا **قيل** أن هذه الوظيفة حادثة من
أيام بني أيوب وهي فرع من الوزارة تولي بها
شخص يسمي المظفر بن جهير وهو أول من أطلق
عليه الأستادار وأفرد إليه جوامك الجند والعليق
ومصالح أمر بيوتات السلطان كلها كما سميت من
يومئذ **قال** الصلاح الصفدي في تذكرته أن
التاجر الذي أباع الأمير بيليك إلي الملك الظاهر
بيبرس كان من أغنياء التجار في سعة من المال
فدارت عليه الدوائر حتي افتقر وصار من جملة

هذه الوظيفة [illegible] الى الآن

١٥٧

158

جملة الحرافيش فلما ضاق الأمر عليه دخل القاهرة
فقال له بعض التجار أن مملوكك بيليك الذي
بعته للملك الظاهر قد صار صاحب الحل والعقد
والعقد بمصر فلو أنك تدخل إليه وتشكو إليه
حالك فعسي ينعم عليك بشي تستعين به علي ما
أصابك فكتب قصة ومن مضمونها هذين البيتين

كنا جميعين في بوس نكابده والقلب والطرف
منا في أذي وقذي
والآن أقبلت الدنيا عليك كما ترضي فلا تنسني
أن الكرام إذا

فلما قرا هذه الأبيات وتحقق أنه التاجر الذي
أباعه للملك الظاهر وقد افتقر وصار في هذه
الحالة أنعم عليه بعشرة الألف دينار انتهي ذلك
ثم أن الملك الظاهر أفصل الصاحب زين الدين
ابن الزبير واستقر بالصاحب بهاي الدين بن
حنا في الوزارة عوضا عن ابن الزبير ثم أن
الملك الظاهر أراد استجلاب خواطر الرعية
بالأفعال المرضية فأبطل ما كان أحدثه الملك
المظفر قطز من أبواب المظالم عند توجهه إلي
التجريدة فأبطل ذلك جميعه وكتب بذلك
مسامح وقريت علي المنابر بعد صلاة الجمعة
فضج الناس له بالدعاء ومالت إليه قلوب
الرعية **وفي ذلك يقول القايل**

لم تبق للجور في أيامكم أثر الا الذي في عيون
الغيد من [illegible]

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستماية فيها جاءت
الأخبار بأن سنجر الحلبي نايب الشام قد خرج
عن الطاعة وأظهر العصيان وتسلطن
بدمشق وتلقب بالملك الأمجد وخطب باسمه علي
منابر دمشق وباس له الأمراء الأرض وصار
يركب بشعاير الملك وكان قد تولي نيابة دمشق
من أيام الملك المنصور علي بن أيبك فلما بلغ
الملك الظاهر ذلك أرسل اليه بعض الخاصكية
وعلي يده مثال شريف وهو يوبخه فيه بقبيح
فعله وأمره بالرجوع عن ذلك فعادت
الأجوبة بالمخالفة وعدم الطاعة وقد وافقه
علي العصيان جماعة من النواب واضطربت
أحوال البلاد الشامية وحصل للملك الظاهر في
أوايل دولته غاية الاضطراب منها عصيان
النواب وتوثب المماليك المعزية عليه وخراب
البلاد الشامية مما فعله هلاكو ثم ان الملك الظاهر
قبض علي جماعة من المماليك المعزية وأرسلهم الي
السجن بثغر الأسكندرية فصفا له من بعد ذلك
الوقت ومن الوقايع قال الإمام أبو شامة
رفعت قصة الي القاضي تاج الدين بن بنت الأعز
في الملك الظاهر بيبرس أن لشخص من الأمراء
عليه دعوة بسبب بئر فطلبه القاضي برسول
الي المدرسة الصالحية فنزل الملك الظاهر الي
الصالحية ووقف هو وغريمه بين يدي القاضي

القاضي وادعي عليه ذلك الأمير وكان الحق بيد
الملك الظاهر وله بينة عادلة فحكم القاضي بالبئر
للملك الظاهر وانتزع البئر من يدي غريمه وأسلمها
له وفي هذه السنة أمر الملك الظاهر بتجديد
الخطبة في جامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن
طولون وكانوا مهجورين من أيام الخلفاء الفا طميين
وفي هذه السنة ابتدأ السلطان الملك الظاهر بعمارة
مدرسته التي بجوار المدرسة الصالحية انتهي ذلك
ثم دخلت سنة ستين وستماية فيها في تاسع صفر
جاءت الأخبار بأن شخصا من بني العباس يسمي الإمام
أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله وهو عم
الخليفة المستعصم بالله وأخو الخليفة المستنصر
بالله وكان معتقلا ببغداد فخلص جماعة من عربان
العراق من حين قتل الخليفة المستعصم بالله سنة
ست وخمسين وستماية ثم حضر الي مصر مع جماعة من
العربان فلما بلغ الملك الظاهر وصوله الي العكرشا
خرج الي تلقيه فلما وقعت عين الملك الظاهر علي
الإمام أحمد نزل عن فرسه ونزل الإمام أحمد
عن فرسه وتعانقا وكان الإمام أحمد أسمر اللون
أمه حبشية فحضر معه جماعة من عربان العراق
وفيهم الأمير ناصر الدين بن مهنا شيخ العرب
وحضر صحبتهم طواشي بغدادي ثم ان الملك الظاهر
ركب وصحبته الإمام أحمد فدخل من باب النصر
وشق القاهرة وكان ذلك اليوم يوما مشهودا
وجاءت الناس قاطبة ينظرون الي خلفاء بني العباس

وكان الناس يظنون ان الخلافة قد انقطعت من
الوجود فان الخلافة اقامت شاغرة نحو ثلث سنين
ونصف والدنيا بلا خليفة من بني العباس فلما
حضر الامام احمد فرح الناس به وحمدوا الله الذي
بقي من نسل العباس بقية فان هلاكو قصد ان
يقطع بجادرة بني العباس عن اخرها وقد ورد
في بعض الاخبار أن الخلافة العباسية تستمر في
الدنيا حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام ثم
تنقطع من بعد ذلك فلما شرع الامام احمد للقاهره
طلع مع السلطان الي القلعه فانزله بقاعة الاعمدة
فاقام بها اياما ثم ان الملك الظاهر قصد ان يثبت
نسب الامام احمد فامر بعقد مجلس وجمع القضاة
ومشايخ العلم ومشايخ الصوفية واعيان الصلحاء
والزهاد وساير الامراء وارباب الوظايف وكان
هذا الموكب في قاعة الاعمده فلما تكامل المجلس
جلس الملك الظاهر بين يدي الامام احمد على ركبته
من غير مرتبه وكان المشار اليه في ذلك المجلس شيخ
الاسلام عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه
وحضر قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الاعز
الشافعي والشيخ جمال الدين بن الحداني والشيخ صدر
الدين الجزري والشيخ سديد الدين التزمنتي
وغير ذلك من اعيان العلماء والمشايخ ثم حضر الامام
احمد والعربان الذي حضروا معه والطواشي وبن
مهنا امير العرب وشهدوا بين يدي القضاة ومشايخ
العلم ان هذا الامام احمد هو بن امير المومنين

المومنين الظاهر بامر الله وعم امير المومنين المستعصم
بالله فلما قامت البينة بذلك ثبت على قاضي القضاة
تاج الدين بن بنت الاعز وسجله على نفسه وحكم
بصحته فلما ثبت نسب الامام احمد بويع بالخلافة
وتلقب بالمستنصر بالله على لقب اخيه خليفة بغداد
فلما بويع بالخلافة فوض للناس على قدر طبقاتهم
فاول من فوض اليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام
ثم بايع الملك الظاهر بالسلطنة وفوض اليه امر
البلاد الشامية والمصرية وما سيفتح على يديه من
البلاد الكفرية ثم بايع قاضي القضاة بن بنت الاعز
بالتصرف في الاحكام الشرعية وانه يولي من القضاة
من يختار ويعزل من يختار ثم بايع الوزراء والامرا
وارباب الوظايف على قدر طبقاتهم فلما انتهى المجلس
احضر السلطان القاضي محي الدين بن لقمان كاتب
السر وامره بكتابة مراسيم الي ساير اعمال المملكة
باخذ البيعة الصحيحة من الخليفة المستنصر بالله وهو
اول من تلقب بقسيم امير المومنين وكان من تقدمه
من ملوك بني ايوب يلقب بولي امير المومنين او نايب
امير المومنين

وقد قال القايل

يا اسد الترك ويا ركنهم ويا اخذ الثار بعد المخافه
كسرت الطغاة جبرت العفاة قطعت الفرات وصلت الخلافه

فلما كان يوم الجمعه رسم السلطان للخليفه ان يخطب
بنفسه على المنبر بجامع القلعه فاجتمع القضاه والعلماء
وركب الخليفه من قاعة الاعمدة وهو في ابهة السواد
حتى جاء الي الجامع وصعد المنبر وخطب خطبة بليغة

فكان معناها. الحمد لله الذي أقام لآل العباس ركنا
وظهيرا، وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا، أحمده
على السراء والضراء، وأستعينه على شكر ما أسبغ من
النعماء، وأستنصره على الأعداء، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الاهتدا
والأئمة الأربعة الخلفا، وارض عن العباس
عمه وكاشف غمه، وارض عن السادة الخلفاء الراشدين
والأئمة المهديين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم
الدين. أيها الناس اعلموا أن الإمامة فرض من
فروض الإسلام، والجهاد محتوم على جميع الأنام
ولا يقوم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد، فما سبيت
الحرم إلا بانتهاك المحارم، ولا سفكت الدماء إلا
بارتكاب المآثم، فلو شاهدتم أهل بغداد
حين دخلوا التتار دار السلام، واستباحوا
الدماء والأموال، وقتلوا النساء والأطفال
والرجال، وهتكوا حرم الخلافة والحريم
وأذاقوهم العذاب الأليم، فارتفعت الأصوات
بالبكاء والعويل، وعلت الضجات من هول ذلك
اليوم الطويل، فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه
وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه، فشمروا عن
ساعد الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد، ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، فلم يبق
معذرة في القعود عن أعداء الدين والمحاماة
عن المسلمين. وأما السلطان الملك الظاهر بيبرس

بيبرس ركن الدنيا والدين، فقد قام بنصرة الإمامة
عند قلة الأنصار، وشرد جيوش الكفر بعد أن
جاسوا خلال الديار، فأصبحت البيعة باهتمامه
منتظمة العقود، والدولة العباسية متكاثرة من
الجنود، فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة، وأخلصوا
نياتكم تنصروا، وقاتلوا أولياء الشيطان تظفروا، ولا
يروعنكم ما جرى لنا فالحرب سجال، والعاقبة للمتقين.
جمع الله على التقوى أمركم، وأعز بالإيمان نصركم، وأنا
أستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، إنه هو
الغفور الرحيم. ثم نزل عن المنبر وصلى بالناس صلاة
الجمعة، وانفض ذلك الجمع. فلما كان يوم الاثنين رابع
ربيع الأول من تلك السنة خرج السلطان إلى نحو
المطرية، وضرب هناك خيمة كبيرة، وجلس على كرسي
وحوله الأمراء، ثم إن القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب
السر نصب هناك منبرا وصعد عليه وقرأ على الأمراء
تقليد الخليفة [illegible] بالسلطنة، فلما فرغ من ذلك
لبس خلعة السلطنة وهي جبة سودا وعمامة سودا
وطوق ذهب في عنقه وقيد ذهب في رجليه
وسيف بداوي متقلد به، وهذه كانت صفة هيئة
السلطنة قديما لما يتولى السلطان، ذكر ذلك الحافظ
أبو شامة. ثم ركب على فرس بور أبيض قرطاسي
ودخل القاهرة من باب النصر وشق المدينة
وهو لابس شعار السلطنة، فزينت له المدينة
زينة حفلة، ومشت قدامه الأمراء من باب النصر
إلى القلعة، والصاحب بهاء الدين بن حنا شايل التقليد

السلطان وهو أول من [illegible] بايعه الخليفة من
[illegible] وهي البيعة

علي راسه حتي طلع الي القلعة وكان يوماً مشهوداً
ثم ان السلطان اخذ في اسباب تجهيز الامام احمد
وعوده الي بغداد فاقام له برك وعين معه
عسكرا وكان هلاكو لما استولي علي بغداد وجري
منه ماجري رحل عنها واستناب علي مدينة بغداد
شخصاً من امرايه يقال له قرابغا ومعه جماعه
من التتار فظن الامام احمد انه اذا امده سلطان
مصر بعسكر ورجع الي بغداد يطرد عنها قرابغا
وعسكرهما كما كانوا يقيم بها فجاء الامر بخلاف ذلك
فلما اقام له السلطان برك جعل له طشت خاناه
وشربخاناه وعمد شخاناه وركب خاناه ومطبخا
وجعل له اماماً ومؤذناً وقاضياً وجعل له
وزيراً واستاداراً فاما القاضي فالشيخ نجم الدين
الطرابلسي واما الوزير فالصاحب كمال الدين
السنجاوي واما الاستادار فالشريف شهاب الدين
الدمشقي وجعل له دواداراً وحاجباً فاما الحاجب
الدوادار فالامير بلبان الرشيدي واما الحاجب
فالامير سنقر الرومي ثم عين معه خمسمايه مملوك
وعشرة طواشيه وافرد له خيم وقماش بدن
وآلة مطبخ وآلة طشت خاناه واعطاه من ذهب
عين مايه الف دينار فكان جملة ما انفقه الملك
الظاهر علي تجهيز الخليفة المستنصر بالله مايه الف
دينار وستين الف دينار ثم ان الامام احمد قصد
التوجه الي بغداد فنزل من القلعة في موكب
عظيم

عظيم ومعه السلطان وساير الامراء الي المطريه
فودعه ورجعوا وتوجه الامام احمد الي
بغداد انتهي ذلك وفي هذه السنة اعني سنة
ستين وستمايه فيها في عاشر جمادي الاولي توفي
شيخ الاسلام سلطان العلماء الشيخ عز الدين عبد
العزيز ابو محمد بن عبد السلام بن ابي القاسم بن
حسن بن محمد بن مهذب السلمي رضي الله عنه
ولد سنة سبع او ثمان وسبعين وخمسمايه بدمشق
واقام بها عشرين سنه وهو ناشر للعلم امراً بالمعروف
ناهياً عن المنكر تغلظ علي الملوك والامراء وتفقه
علي الشيخ فخر الدين بن عساكر واخذ الاصول عن
السيد الشريف الاموي وسمع الحديث من الشيخ
سراج الدين عمر بن طبرزد وبرع في الفقه والاصول
والعربيه قال الذهبي في العبر انتهت اليه
معرفة المذهب مع الزهد والورع وبلغ رتبة
الاجتهاد ولما دخل مصر بالغ الشيخ زكي الدين المنذري
في الادب معه وامتنع من الفتيا لاجله وقال كنا نفتي
قبل حضور الشيخ عز الدين واما مع وجوده فلا نفتي
وهو اول من القي التفسير بمصر دروساً وله من
المصنفات تفسير القران ومجاز القران والفتاوي
الموصليه ومختصر النهايه وشجرة المعارف والقواعد
الكبرا والصغرى وبيان احوال يوم القيامه وكان
له كرامات خارقه ولبس خرقة التصوف من
الشهاب السهروردي وكان يحضر عند الشيخ ابو
الحسن الشاذلي ويسمع كلامه في علم الحقيقه ويحضر

وقيل ان الظاهر كان يقصد التوجه الى دمشق
فلما خرج السلطان من مصر [illegible] الى ان [illegible] واستقر معه
الى دمشق فاقام بها ومضى الامام احمد الى [illegible]

السماع وربما تواجد وكان ينظم الشعر ومن شعره
قوله في امام

ويارد النية عنيتها تكدر الرعدة والهزة
مكبر سبحين في وقفة كأنما ملي على حمزة

قال ... كثير كان الشيخ عز الدين في اخر امره
لا يتقيد بالمذهب ويفتي بما أدى اليه اجتهاده
وقال الشيخ جمال الدين بن الحاجب المالكي بن عبد
السلام افقه من الامام ابي حامد الغزالي قيل
فلما بلغ الملك الظاهر بيبرس وفات الشيخ عز الدين
قال ما استقر ملكي الا الآن وكان الشيخ عز الدين
ينهره عن المظالم وينهاه عن ذلك انتهى

ثم دخلت سنة احدى وستين وستمائة فيها
جاءت الاخبار بان الامام احمد المستنصر بالله
لما وصل الى الفراة بلغ ذلك قرابغا امير التتار
الذي استنابه هلاكو على بغداد بان الامام احمد
اتى ومعه عساكر من مصر فخرج اليه قرابغا في عسكر
كثيف فالتقت العساكر المصرية والبغدادية على
مكان يسمى الانبار فحملوا عساكر مصر على عساكر التتار
فكسروهم كسرة قوية فلما دخل الليل هجم التتار
على عساكر مصر واختلطوا بهم فلم ينجي منهم احد
ونهبوا ما معهم من قماش وسلاح وغير ذلك واما
الامام احمد فلم يعلم له خبر ولا وقف له على
اثر فمن الناس من يقول انه نجا بنفسه وهو مجروح
مع طايفة من العرب فاقام عندهم اياما ومات ومن

ومن الناس من يقول انه قتل تحت الليل في المعركة
والله اعلم فلما تحقق الملك الظاهر ذلك تأسف
على قتل الامام احمد وتأسف على ما انفقه عليه
من المال ولم يغن من ذلك شيئا فكان كما قيل
في المعنى

انفقت كنز مدايحي في ثغره وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة فابى وراح تغزلي في البارد

وفي هذه السنة رتب السلطان لعب القبق وفيها
وقع الغلاء بالديار المصرية وشح النيل وعلت
الاقوات فامر السلطان بجمع الحرافيش كلهم فكانوا
نحو الفين وخمسماية انسان ففرقهم على الامراء واخذ
لنفسه منهم جانب واضاف لولده الملك السعيد
جانب واضاف للامير بيليك نايب السلطنة جانب
ورسم لهم برطل خبز ورطل لحم في كل يوم ورسم
لهم ان لا يسألوا بعد ذلك احد من الناس وفيها
توفي الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري
الحموي شيخ الشيوخ بحماه وكان مولده سنة ست
وثمانين وخمسماية وتوفي سنة احدى وستين وستماية
وعاش خمس وسبعين سنة وكان من اعيان
الشعراء وله شعر جيد فمن ذلك قوله

هزم الهم عن بنات اماني راح خطبت من سماعهم بالحجون
لم تكن في الكؤوس تظهر لطفا فبدت من خدودهم

في الصحون

وفيها توفي الشيخ كمال الدين الضرير شيخ القراء صاحب
الشاطبي رضي الله عنه وفيها جاءت الاخبار بوصول
شخص من بني العباس يقال له الامام احمد ايضا غير
الذي قتل وكان مستخفيا عند جماعة من العرب في
بعض اعمال بغداد فسبقه الامام احمد المتقدم ذكره
وكان الامام احمد الذي تقدم اولا من اولاد الخليفة
الظاهر بامر الله وهذا من اولاد الخليفة المسترشد
بالله بن المستظهر بن المقتدي بن محمد الذخيرة
فلما وصل الي المطرية خرج السلطان والامراء الي تلقيه
وطلع مع السلطان الي القلعة وانزله بالبرج الكبير الذي
بالقلعة وحضر معه جماعة من العربان فاقام اياما
ثم عقد السلطان مجلسا ثانيا واثبت نسبه كما فعل
بالامام احمد الاول بجمع القضاه ومشايخ العلم واثبت
نسبه بشهادة ذلك العربان الذي حضروا معه
فلما ثبت نسبه ولوه الخلافه ولقبوه بالحاكم بامر
الله وكان اسمر اللون بين مولده فلما تولي الخلافة
بايع السلطان والقضاه وارباب الدوله كما فعل
الامام احمد المستنصر بالله ثم رسم له السلطان ان
يسكن في مناظر الكبش التي انشاها احمد بن طولون
وكانت مطله علي بحر النيل ورتب له ما يكفيه في
كل شهر ورسم بان ينقش اسمه مع اسم السلطان
علي الدنانير والدراهم وان يخطب باسمه مع
اسم السلطان في كل جمعة ويدعا لهما علي المنابر
وان

وان يتقدم اسم الخليفة علي اسم السلطان في الدعاء
ورسم السلطان للخليفة ان يطلع الي القلعة
عند مستهل كل شهر ويهني السلطان بالشهر والامام
احمد هذا هو اول خلفاء بني العباس بمصر واليه
تنسب الخلفاء الي يومنا هذا فهو جدهم كلهم علي
الاطلاق وهذا سبب نقل الخلافه من بغداد
الي مصر علي يد الملك الظاهر بيبرس البندقداري
رحمة الله عليه قال الحافظ ابو شامه لما نقلت
الخلافه من بغداد الي مصر فعظم امر مصر علي
ساير البلاد وتشرف سلطانها علي سواه من
العباد وصارت مصر مسكن العلماء والفضلاء والزهاد
وعلا فيها قدر السنة وعفت منها البدعه وهذا
سر في بني العباس اذا حلوا بارض تشرفت بهم
علي غيرها من البقاع الم تري الي الشرف الذي كان في
بغداد كيف انتقل الي مصر وصارت كدار السلام
وهذا من اسرار الله تعالي في الخلافة النبوية حيث
ما كانت يكون فيها انتهي ذلك فلما صار الخليفه
يطلع ويهني السلطان في مستهل كل شهر فعن
للسلطان ان يجعل من كل مذهب قاضي كبير ويولي
من تحت يده نوابا وكان بمصر لا يتحكم بها غير قاضي
شافعي فقط وهو الذي يولي من تحت يده عن
الثلاث مذاهب واخر من كان يفعل ذلك القاضي
تاج الدين بن بنت الاعز وكان اول قضاة الحنفيه
بمصر القاضي صدر الدين بن سليمان بن ابي العز
واول قضاة المالكيه القاضي شرف الدين عمر بن
السبكي وكان اول قضاة الحنابله القاضي شمس الدين

ورسم للأمراء والجند والرعية ان كل
من كان له ولد ايطلع به الى القلعة يختنه
مع ابن السلطان فطلع الناس باولادهم الى القلعة
فبلغ عدتهم الف وستمائة وخمسة واربعين ولدا
خارجا عن اولاد الامراء واعيان الناس فرسم لكل
واحد منهم بكسوة على قدر مقام ابيه واما اولاد
العوام فرسم لكل واحد منهم بكسوة وخروف
ومائة درهما واستمر المهم عمال بالقلعة سبعة ايام
وفيها حضر الى الابواب الشريفة غالب ملوك
الشرق لينظرون وجه السلطان ويهنونه بالسلطنة
فحضر منهم الملك الصالح اسمعيل بن بدر الدين لولو
صاحب الموصل واخوه الملك المجاهد سيف الدين
اسحق صاحب الجزيرة واخوه الملك المظفر صاحب
ماردين فلما حضروا اكرمهم السلطان واقرهم
على ما بايديهم من الممالك التي بالشرق واتوا وصحبتهم
تقادمهم حفلة للسلطان فاقاموا بمصر مدة ثم توجهوا
الى بلادهم انتهى ذلك **ثم دخلت سنة ثلث
وستين وستمائة فيها** اراد الملك الظاهر ان يسلك
في مملكته طريقة ملوك التتار في شعائر المملكة من
ارباب الوظايف ففعل ما امكنه من ذلك ورتب
اشيا كثيرة لم تكن قبل ذلك بمصر منها انه احدث
امرية السلاح ولم تكن تعرف قبل ذلك بمصر وموضوع
امير سلاح انه يتحدث على السلاح ويناول السلطان
آلة السلاح في الحرب ويوم عيد الاضحى واحدث امير
مجلس وموضوع امير مجلس انه يحرس مجلس قعود

محمد بن العماد الجمنيلي وكان ذلك في اوائل سنة
ثلاث وستين وستمائة **قيل** لما فعل الملك
الظاهر ذلك راى الامام الشافعي رضي الله عنه
في المنام وهو يقول له بهدلت مذهبي
وفرقت كلمة المسلمين والله لاعزلنك انت
واولادك الى يوم القيامة فلما توفي ابنه الملك
السعيد فلم يقم الا مدة يسيرة وعزل وكذلك
ابنه سلامش عزل ونفي الى بلاد الفرنج واقام
بها الى ان مات **وقيل** متى تولى سلطانا على
غير مذهب الشافعي زالت دولته سريعا
وقد جرب ذلك وصح **قال** ابن المتوج ان
القاضي سراج الدين الحنفي لما ولي قاضي قضاة
الحنفية اراد ان يساوي القاضي الشافعي في موضع
الايتام وغير ذلك من امور الشافعية
فاجابه السلطان الى ذلك فاتفق انه توعك
عقيب ذلك وطال مرضه الى ان مات ولم
يتم له ما اراد من ذلك وكذلك الاتابكي
يلبغا العمري تعصب للحنفية على الشافعية
فقتل في سنته وذلك ببركة الامام الشافعي
رضي الله عنه وقد خص الله تعالى الامام
الشافعي بمصر كما جعل لابي حنيفة من العراق الى ما وراء
النهر وجعل لمالك بلاد الغرب وجعل لاحمد
بن حنبل بغداد وما شاكلها انتهى ذلك **ثم
دخلت سنة اثنتين وستين وستمائة فيها**
ختن السلطان ولده الملك السعيد محمد و[illegible]

السلطان وفرشه ويتحدث علي الاطباء والكحالين
ونحو ذلك وكانت وظيفه جليله القدر اقل قدرا من امير
سلاح واحدث راس نوبة النوب وهي وظيفه
عظيمه القدر من امير سلاح وامير مجلس وكان يسمي
راس نوبة الامراء وكان يجلس عن ميسره السلطان
فوق امير مجلس واحدث امير اخور وموضوع امير
اخور النظر في الاسطبل السلطاني ومعالف الخيول
واخور بالعجمي هو مذود الفرس الذي ياكل فيه
واحدث وظيفة امير جاندار وكان موضوع
هذه الوظيفه اذا اراد السلطان ان يقتل احدا
من الامراء فيتولي ذلك امير جاندار واحدث
وظيفة نقابة الجيوش وموضوع هذه الوظيفه
اذا اراد السلطان بالقبض علي احد من الامراء
يتقدم عليه ويدور علي الامراء والجند في عرضهم
للمهمات الشريفه واحدث وظيفة امير علم وموضوع
هذه الوظيفه ان يحكم امير علم علي الطبال والزمار
قيل والملك الظاهر هو اول من احدث النوبات
والطبول واما وظيفة الولايه فهي وظيفه قديمه
وهو صاحب الشرطه ويطوف في الليل ويقبض
علي اصحاب الجرايم ولكن عظم امر هذه الوظيفه
في ايام الظاهر بيبرس حتي صار الوالي يقتل
من يستحق القتل من غير مشورة السلطان وكذلك
الحسبه عظم امرها في ايامه ايضا ومن الحوادث
في هذه السنة كثر الحريق بالقاهرة واشيع بين
الناس ان هذا من فعل بعض النصاري فرسم

فرسم السلطان ~~السلطان~~ بجمع ساير النصاري من
مصر والقاهره فلما جمعوا امر بحرقهم فجمعت
لهم الاحطاب والحلفاء فعند ذلك طلع الاتابكي فارس
اقطاي المستعرب الي القلعة واجتمع بالسلطان
وشفع في النصاري فرسم السلطان بان
يوردوا الي الخزاين الشريفه خمسين الف دينار
وان يصلحوا ما قد فسد من الدور التي
احترقت فتخلصوا من الحرق علي ذلك
الشرط الذي قرر عليهم انتهي ذلك ثم دخلت
سنة اربع وستين وستماية فيها خرج السلطان
الي نحو البلاد الشاميه ووصل الي صفد وحاصر
اهلها حتي افتتحها وعمر بها عدة ابراج ثم رجع الي
الديار المصريه فاقام بها مده يسيره ثم عين
تجريده الي نحو سيس وكان باش العسكر الامير
عز الدين بيك تمان المعروف بسم الموت والامير
قلاوون الالفي وجماعه من الامراء والمماليك فخرجوا
من القاهرة في موكب عظيم فلما وصلوا الي مدينة
سيس حاصروا اهلها فلما راوا عين الغلب سلموا
المدينه بالامان ثم توجهوا الي قلعة اياس
ففتحوها ايضا بالامان وفتحوا في هذه السنه
عدة قلاع كانوا بيد الارمن ثم رجعوا الي
مصر وهم في غاية النصر وقد هني الامير
بيك غان بعض الشعراء بهذين البيتين
بقيت مدي الدنيا جمالا لدولة لها منك

سهم في اللقاء رسيس

تسوق لها عز الفتوح جنايبا وأول ها تيك الجنايب سيس

ثم دخلت سنة خمس وستين وثمانمائة فيها

في رجب توفي قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز الشافعي وكان من أعيان الرؤساء عصره جمع بين القضاء والوزارة وتولى من الوظائف السنية أربعة عشر وظيفة وكان من القضاة العدول فلما مات أخلع السلطان على القاضي محيي الدين عبد الله بن عز الدولة واستقر به قاضي القضاة الشافعية عوضا عن بن بنت الأعز وفي هذه السنة في النصف من شعبان أمر السلطان بابطال ضمان الحشيش وأحراقها وأخرب بيوت المسكرات وكسر ما فيها من الخمور وأراقها ومنع الحانات من الخواطي واستتوب العلوق واللواطي وعم هذا الأمر ساير جهات الديار المصرية وبرزت المراسيم الشريفة بمنع ذلك من ساير الجهات بالبلاد الشامية فطهرت في ايامه ساير البقاع وامتنع الناس من ذلك غاية الامتناع ثم في أثناء ذلك ظفر والي الشرطة بشخص يسمى بن الكازروني وهو سكران فأشهره في القاهرة وعلق الجرة والقدح في عنقه فلما عاينوا أرباب الخلاعة ما جرى على بن الكازروني

الكازروني أذعنوا بالسمع والطاعة **وفي ذلك يقول بن دانيال**

لقد كان حد السكر من قبل صلبه خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جلدا

فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي ألا تب فان الحد قد جاوز الحدا

ثم أن الشيخ شمس الدين بن دانيال عمل في هذه الواقعة مقامة لطيفة **فقال** لما قدمت من الموصل الى الديار المصرية في الدولة الظاهرية سقى الله من سحب الأنعام عهدها وأعذب مشارب وردها فوجدت تلك الرسوم دارسة ومواطن الأنس بها غير آنسة وأرباب المجون والخلاعة عابسة وقد هزم أمر السلطان جيش الشيطان وتولى الحداني والي القاهرة أهراق الخمور وحرق الحشيش ونبذ المزور واستتوب العلوق واللواطي وحجر على البغايا والخواطي وثاء ذي الخلاع غاية الأذى وصلب بن الكازروني وفي عنقه نباذيته ثم شاعت الأخبار ووقع الانكار وانحلق المسطول في الدار وأقيمت الحدود وعطلت البنود فعند ذلك دعاني بعض أهل فاي الى محله وأنزلني بين عياله وأهله واعتذر الي تقصيره في أكرامي وأحضاره أذلم ياتني عدامي وقال قد غلب على ظني أن أبا مرة قد مات وعد من الأموات فقم بنا نبكيه ونصف الحالة ونرثيه

فأنتدا أت **وقلت في المعنى**

مات يا قوم شيخنا أبليس وخلا منه ربعه المأنوس

ونعاني حد سي به أذ توفي ولعمري ما انه محدوس

هو لو لم يكن كما قلت ميتا لم يغير لامره ناموس

أين عيناه تنظر الخمرة اذ عطل منها الراووق والمخريس

ومواعينها تكسر والخمار من بعد كسرها محبوس

وذوو القصف داهلون وقد كادت على سبلها تسيل النفوس

كم خليع يقول ذا اليوم يوم مثل ما قيل قمطريرا عبوس

وفتى قايلا لقد هان عندي بعدك هل في شربها التجريس

أين عيناه تنظر المزر قد أوحش منه الماجور والقادوس

وعجين البقول قد بك دوه وهو بالترب خلطه مبسوس

والقناني مكسرات كما قد كسرت في دجا الليالي الكوؤس

أين عيناه والحشايش تحرقن بنار شراع منها المجوس

قلعوها من البساتين اذ ذاك صغارا خضراء وهي عروس

والحرافيش حولها يتباكون وهذا يطفي لهذا الوطيس

أين عيناه تنظر القاصف والخانة قد هتك منه

[illegible]

دراها الفلوس

وتدي زنكلون يزعق زيتون وناتو ابصبح يا جاموس

أين شكشاكتي وطاجنة الفار واين المزراق والدبوس

نهبوا الحصن والطراطير والطار وضاعت خريطتي والفلوس

ارحلوا هذه بلاد عفاف وسعود الخلاع فيها نحوس

وقضيب ونرجس وسعاد ياكات وزينب وعروس

ذي تنادي حريفها لوداع لا اعتناق لا ضم لا تبويس

وتنادي فؤاد هم شه علينا نجم سني قد عكسته العكوس

عكس الله نجم سني ففي سابع ضربه تحت رملها انكليس

أين تمشي حرفا بجور زمان لا قحاب فيه ولا خندريس

من لنا بعد ذلك الشيخ ألف وسمير ومونس وانيس

لم ترى بعده فتى ماحل السن وكل يبدو اله تعبيس

فسابليه ارمد العين حتى لشقاي يعيش جالينوس

قال ابرهيم المعمار لما وقفت على قصيدة الشيخ شمس الدين بن دانيال فقلت لو اني ادركت ذلك الزمان لرثيت الخلاعة والمجون بهذا الزجل المصون

منعونا ما العنب يا انسين رب سلم لا يمنعونا التين

[illegible]

هاكد قل لي اذا منعنا الراح وحرمنا من الوجوه الصباح
بيش نبقا نستجلب الأفراح والخليع كيف نراه يعيش مسكين
علي موت العنب بكا الداووق والشمع صار يبعو نوح
والوتربات مختنوق من الغروب للشروق من أبنوا الشمع لو في الليل حنين
ولقد هان خضرة المخضر وتلون ذا الزهر واتغير
ويغيطو ريحانا اتنصر وعلي وجهو صلب الياسمين
والندا ما جيعهم في شتات حيز لو كن مات لهم اموات
هذ انا عد يبكي علي ما فات وذا يندب وذاك الآخر حزين
ولي صاحب زمان معو كان نطيب جاني قال لي مشتاق انا يا أديب
لجريره لو أنها من زبيب اري قلبي ينتاح لها ذا الحين
فقعدنا المنيه الي شبرا ما لقينا رجنا طلان الاخرا
وفي قليوب قالو ولا قطرا دورنا من مرصفا الي شبين
وقعدنا نبلي ذا البلدان ونبشنا طموه لك ميت شعران
ما امد الطريق الي حلوان اخرب الله طرا علي التبين
قد تعبنا ما نجد السبيل ولا صبنا في ذا السفر من خير
جينا عند المسا الواحد دير صرنا نزعق للشيخ ابو هرشين
ونقول لو يا ابونا قد جيناك عسي جره بحيات رهبانك
وعتيك ربي علي دنياك وانا نذري يا ابو اخشن الدين
لانا نضحك عليه ونتهزو حتي لا يبكي ويتحنن

ووهبناه

وو هبناه من بيتنا ميزر ووقفنا نجا لطبو باللين
قد خلق غاب زمان ونحن وقوف وانتو تدرو ايش وفقنوا الملهوف
وانا نذعو ذا الدعا الموصوف انتو يفتحوا واجي يقولو امين
بعد ساعه الا وهو اقبل رد جا يقول يا الله راكم حل
ونصيب من وراه شوخ يرعد ومعو جره وهو يصيح يا السين
كم نذوق زعما لقيت عندي الأهذي أظنها دردي
ثمت نملة من الفرح يدي ونصيح لو من الظما أروين
خذت نشكلب منها قنينه صبيتها مثل زيت مسلينه
سودا دردي للطينه قلت معمار ذي نحسه للطين
فرجعنا ايش رجعة المكسور قلت كيف العمل في المقلاث فقال لي نذور
ونختتع بالمزور ولا نرجع من ذا السفر خا بين
حين قطعنا الا ياس من الخمار جينا نسعي لواشن الاهذار
قال لي نشرب ما العجين فقلتو فشار خذا الكعك اصل من ذا العجين
وانا مالي غيه سوي بن الكروم والشراب المعتق المعلوم
نتبعو لو نصير باقصي الروم ولو اني ندخل القسطنطين
ولا نهوي الا الشراب القديم ومعيشوق جديد يكون لي نديم

تنفق الأموال على أيش نسمي عليه ونا ممكن في
غاية التمكين
وترخوا بالله توبة المعمار والبسوها بالنبر طول
أعمار
تحولوا من هجرة النبي المختار سبع مائة سنة خمس
وأربعين
انتهى ذلك ثم دخلت سنة ست وستين
وستمائة فيها توفي الحافظ العلامة الإمام المحدث
زين الدين أبو الفتح محمد بن محمد الأبيوردي
مات في جمادى الأولى من تلك السنة وتوفي
الشيخ أبو الحسن بن علي لأن وتوفي الشيخ ناصر
الدين الطوسي واللور في وفيها توجه السلطان
إلى نحو البلاد الشامية وحاصر مدينة يافا
والشقيف ففتحها ثم توجه إلى أنطاكية ففتحها
في يوم الجمعة ثالث رمضان ثم توجه إلى
بغراص ففتحها ثم رجع إلى الديار المصرية فزينت
له القاهرة وكان يوم دخوله يوما مشهودا
ثم دخلت سنة سبع وستين فيها حج السلطان
إلى بيت الله الحرام فخرج من القاهرة في ثالث
شوال وتوجه إلى غزة أخذ الإقامات التي
عملها له نائب غزة ثم توجه من غزة إلى الكرك
وتوجه من الكرك إلى المدينة الشريفة فزار
النبي صلى الله عليه وسلم ثم توجه إلى مكة فدخلها
خامس ذي الحجة ثم وقف بالجبل وكانت تلك السنة
الوقفة الجمعة وكان ولد السلطان الملك السعيد
أمير

أمير المحمل فلما انقضى الحج توجه السلطان من هناك
إلى الشام ورجع ابنه الملك السعيد صحبة المحمل مع
الركب المصري ثم دخلت سنة ثمان وستين
فيها رجع السلطان إلى القاهرة وكان يوم دخوله
يوما مشهودا فأقام بالقلعة إلى شعبان ثم توجه
لزيارة بيت المقدس والخليل عليه السلام فزار
القدس والخليل ثم رجع إلى القاهرة وفيها توفي
الشيخ مجد الدين والد الشيخ تقي الدين بن دقيق
العيد ثم دخلت سنة تسع وستين فيها أرسل
صاحب طرابلس تقدمة حفلة للسلطان ودخل تحت
الطاعة فأرسل له السلطان خلعة وأقره على ما بيده
من البلاد وفيها رتب السلطان خيل البريد
بسبب سرعة أخبار البلاد الشامية فكانت الأخبار
ترد عليه في الجمعة مرتين وقيل أنه أصرف على
ذلك جملة مال حتى تم له ترتيب ذلك وكانت خيل
البريد عبارة عن مراكز بين القاهرة ودمشق
وفيها عدة خيول جيدة وعندها رجال يعرفون
بالسواقين ولا تقدر أحد يركب من خيل البريد إلا
بمرسوم سلطاني وكان عند كل مركز ما يحتاج إليه
المسافر من زاد وعلف وغير ذلك وهذا كله كان لأجل
سرعة مجيء أخبار البلاد الشامية وقيل كان الملك الظاهر
يعمل مركبا بمصر ومركبا بالشام فرتب خيل البريد بسبب
ذلك وقد قال القايل في المعنى
يوما بمصر ويوما بالشام ويوما بالفرات ويوما في
قرى حلب

واستمر هذا الامر باقيا بعد الملك الظاهر مدة طويلة
ثم تلاشى امره قليلا قليلا حتى بطل في دولة الناصر
فرج بن برقوق عند ما قدم تمرلنك الى الشام
واخرب البلاد الشامية وذلك سنة ثلث وثمانمائة
فعند ذلك بطل امر خيل البريد مع جملة ما بطل
من شعاير المملكة القديمة انتهى ذلك ثم دخلت
سنة سبعين وستمائة فيها جاءت الاخبار بان التتار
قد تحركوا على البلاد السلطانية ووصلوا الى الفراة
وملكوا البيرة فخرج اليهم السلطان ومعه ساير
الامراء وكان جاليش الامير قلاوون الالفي والامير
بيسري فتلاقا العسكر المصري مع عسكر التتار على
الفراة فكان بينهما وقعة عظيمة وقتل من الفريقين
ما لا يحصى عددهم فلما دخل السلطان الى البيرة
اخلع على نايبها واقره على حاله وفرق على من
بها من العسكر لكل مقاتل ماية دينار لانهم قاتلوا
مع التتار قتال الموت حتى كسروهم فاقام السلطان
في البيرة اياما ثم رحل الى حلب ثم توجه الى الشام
ثم دخل القاهرة فكان له يوما مشهودا وحملت
على راسه القبة والطير وزينت له القاهرة انتهى ذلك
ثم دخلت سنة احدى وسبعين فيها وقع
الطاعون بالديار المصرية ومات من الناس ما
لا يحصى من نساء ورجال واطفال وعبيد وجوار
واقام نحو ستة اشهر وفيها توفي الشيخ عبد
الهادي بن عبد الكريم القيسي امام جامع المقياس
شيخ القراء وفيها كان النيل شحيحا وابطأ عن مجال

ميعاد الوفا الى سادس ايام النسي وبلغ منتهى الزيادة
في تلك السنة ستة عشر ذراعا وسبعة عشر اصبعا
ثم انهبط فوقع الغلا وحصل للناس الضرر الشامل بسبب
ذلك ثم دخلت سنة اثنين وسبعين فيها توفي
الامام ابو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبي المعافري
صاحب نظم الشاطبية رضي الله عنه وعاش من
العمر نحو ثمانين سنة ودفن بالقرافة الصغرى بجوار
تربة الفاضل وفيها في شوال توفي الاديب البارع
العلامة جمال الدين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن
محمد المصري ابو الحسين المعروف بالجزار وكان من
فحول الشعراء مولده سنة احدى وستمائة وعاش
من العمر نحو احدى وسبعين سنة قال الشيخ اثير
الدين ابو حيان رايت ابا الحسين بمجلس الشيخ قطب الدين
بن القسطلاني فقال لي الشيخ قطب الدين هذا الاديب
ابو الحسين الجزار فانشدني من لفظه لنفسه فقوله

من منصفي من معشر كثروا علي واكثروا
صادقتهم وارى الخروج من الصداقة يعسر
كالخط يسهل في الطروس ومحوه يتعسر
واذا اردت كشطته لكن ذاك يوثر

ومن تغزلاته

أمولاي ما من طباعي الخروج ولكن تعلمته من خمولي
اتيت لبابك ارجو الغنا فاخرجني الضرب عند الدخول

ومن مجونه

سقى الله اكناف الكنافة بالقطر وجاد عليها سكر دايم الدر
واشتاق ان هبت نسيم قطايف الى السحور سحيرا وهي عاطرة النشر

وَلِي زُوجة أَنْ تَشْتَهِي قَاهِرِيَّة • أَقُولُ لَهَا مَا القَاهِرِيَّة فِي مِصْر
وَلَمَّا مَاتَ رَثَاهُ السِّرَاجُ الوَرَّاقُ بِهَذِين البَيْتَيْن وَهُمَا
يَا عَيْدُ نَا الأَضْحَى سَقَى صَوْبُ الغَمَامِ أَبَا الحُسَيْن
لَوْ عَاشَ فِيكَ لَقَالَ غَدًا يَشْكُوا بُوَارَ الصَّنْعَتَيْن
أَنْتَهَى ذَلِكَ **ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَة ثَلَثٍ وَسَبْعِين فِيهَا**
تُوفِّيَ الإِمَامُ الحَافِظُ وَجِيهُ الدِّين أَبُو المُظَفَّر
مَنْصُور بن العَادِيَّة تُوفِّيَ فِي شَوَّال مِنْ تِلْكَ
السَّنَة **وَفِيهَا** كَانَ دُخُولُ المَلِكِ السَّعِيد بن
السُّلْطَان عَلَى بِنْت الأَمِير قَلَاوُون الأَلْفِي وَكَان
المَهْمُ بِالقَلْعَة فَأَقَامَ سَبْعَة أَيَّام وَكَانَ السُّلْطَان
يَظُنُّ أَنَّهُ إِذَا أَزْوَجَ ابْنَهُ بِبِنْت الأَمِير قَلَاوُون
يَكُونُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ عَوْنًا عَلَى تَقَلُّب الزَّمَان
فَجَاءَ الأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ **ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَة أَرْبَع
وَسَبْعِين فِيهَا** أَرْسَلَ السُّلْطَان تَجْرِيدَه إِلَى نَحْوِ
بِلَادِ النُّوبَه وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ النُّوبَه
دَخَلَ إِلَى أَسْوَان وَنَهَبَ مَا فِيهَا وَأَحْرَقَهَا فَلَمَّا
بَلَغَ السُّلْطَان ذَلِكَ أَرْسَلَ الأَمِير شَمْس الدِّين سُنْقُر
الفَارِقَانِي الأُسْتَادَار وَالأَمِير عِزّ الدِّين أَيْبَك
الأَفْرَم أَمِير جَانْدَار وَجَمَاعَة مِنَ الأُمَرَاءِ العَشَرَاوَات
وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ خَمْسَمِايَة مَمْلُوكًا فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى النُّوبَة
تَقَاتَلُوا مَعَ مَلِكِهَا عَلَى أَسْوَان فَانْكَسَرَ مَلِكُ النُّوبَة أَشْنَع
كَسْرَة وَهَرَبَ وَقُتِلَ مِنْ عَسْكَرِهِ مَا لَا يُحْصَى وَأَسَرُوا
أَخُوهُ وَأَوْلَادَهُ وَأَقَارِبَهُ وَغَنِمُوا مِنْهُمْ عَسْكَر السُّلْطَان
غَنَايِم كَثِيرَه مِنْ عَبِيدٍ وَجَوَارٍ وَخُيُولٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ
ثُمَّ

ذَلِكَ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مِصْر وَهُمْ فِي غَايَة النَّصْر أَنْتَهَى
ذَلِكَ **ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَة خَمْسٍ وَسَبْعِين وَسِتَّمَايَة
فِيهَا** فِي ثَانِي عِشْرِين رَبِيع الأَوَّل تُوفِّيَ سَيِّدِي
أَحْمَد البَدَوِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَبُو العَبَّاس أَحْمَد بن
عَلِيّ بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر القُرَشِي أَبُو الفِتْيَان
مَوْلِدُه سَنَة سِتٍّ وَتِسْعِين وَخَمْسِمَايَة وَأُمُّهُ تُسَمَّى
فَاطِمَة بِنْت مُحَمَّد بن أَحْمَد وَتُوفِّيَ أَبُوه بِمَكَّة سَنَة سَبْعٍ وَعِشْرِين
وَخَمْسِمَايَة وَإِنَّمَا عُرِفَ بِالبَدَوِي لِمُلَازَمَتِه اللِّثَام وَكَانَ
لَهُ لِثَامَان لَا يُفَارِقُهُمَا وَعُرِضَ عَلَيْهِ التَّزْوِيج فَامْتَنَعَ مِنْ
ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَى العِبَادَة وَكَانَ يَحْفَظُ القُرْآن وَشَيْئًا مِنَ
الفِقْه عَلَى مَذْهَب الشَّافِعِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَانَ يَعْطِيهِ
مَنْ يُؤْذِيهِ مِنَ الأَوْبَاش ثُمَّ إِنَّهُ لَازَمَ الصَّمْت حَتَّى إِنَّهُ
صَارَ لَا يَتَكَلَّم إِلَّا بِالإِشَارَة وَاعْتَزَلَ عَنِ النَّاس فَلَمَّا
كَانَ المُحَرَّم سَنَة ثَلَثٍ وَثَلَثِين وَسِتَّمَايَة رَأَى فِي النَّوْم
مَنْ بَشَّرَهُ أَنْ سَيَكُونُ لَهُ حَالَة حَسَنَة عَصْرَ وَكَانَ
لَهُ أَخًا يُسَمَّى حَسَن سَافَرَ إِلَى العِرَاق فَلَمَّا دَخَلَ سَيِّدِي
أَحْمَد إِلَى مِصْر لَازَمَ الصِّيَام فَكَانَ يَطْوِي أَرْبَعِين يَوْمًا
لَا يَتَنَاوَلُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا وَلَا يَنَام وَهُوَ رَافِعٌ بَصَرَهُ
إِلَى السَّمَاء وَعَيْنَاهُ كَالجَمْرَتَيْن ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى طَنْتَدَا سَنَة
أَرْبَعٍ وَثَلَثِين وَسِتَّمَايَة فَأَقَامَ بِهَا عَلَى سَطْحِ دَارٍ يَصِيح
لَيْلًا وَنَهَارًا وَكَانَ طَوِيلَ القَامَة كَبِيرَ الوَجْه وَلَوْنُه
بَيْنَ البَيَاض وَالسُّمْرَة وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ مُدَّة طَوِيلَة
وَظَهَرَ لَهُ كَرَامَات خَارِقَة مِنْهَا أَنَّ امْرَأَة شَكَتْ لَهُ
أَنَّ وَلَدَهَا أُسِرَ بِبِلَاد الفِرِنْج فَأَحْضَرَهُ إِلَيْهَا فِي قُيُودِهِ
فَاشْتَهَرَتْ كَرَامَاتُه فِي الآفَاق وَعَمَّتْ بَرَكَتُه عَلَى
الإِطْلَاق إِلَى أَنْ مَاتَ فِي تِلْكَ السَّنَة كَمَا تَقَدَّمَ أَنْتَهَى ذَلِكَ

وفي هذه السنة أعني سنة خمس وسبعين وستمائة فيها
جاءت الأخبار بأن التتار قد زحفوا على البلاد
ووصل أوايلهم إلى حلب وكان ملك التتار
شخصًا يقال له أبغا وقد جمع من العساكر نحو ستماية
ألف فلما سمع السلطان بذلك خرج من مصر على
جرايد الخيل هو والعسكر فلما دخل الشام
أقام بها وعقد مجلسًا بأن التتار قد ملكوا البلاد
وأن الخزاين نفد ما فيها من الأموال وأن القصد
أن يأخذ من أموال الرعية ما يستعان به على
على دفع التتار فأفتوه علماء الشام بأنه يجوز
له أخذ أموال الرعية فأخذ خطوطهم بذلك
ثم قال هل بقي من أعيان العلماء أحد قالوا نعم
بقي الشيخ محيي الدين النواوي رأس علماء الشافعية
فأحضره وقال له اكتب خطك بذلك مع الفقهاء
فامتنع من ذلك فقال له ما سبب امتناعك فقال
أنا أعلم أنك كنت في الرق للأمير أيدكين البندق
داري وليس لك مال ثم أن الله تعالى منّ
عليك وجعلك ملكًا وبلغني أن عندك ثمنية
الاف مملوك ولكل مملوك حياصة ذهب وعندك
مايتا جارية لكل جارية حلي فاخر ما بين ذهب
ولؤلؤ وفصوص مثمنة فاذا بعت ذلك جميعه
وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلًا عن
الحوايص الذهب وباعت جواريك الحلي التي
عندها أفتيتك بأخذ أموال الرعية فلما سمع ذلك
الملك

وفي هذه السنة أعني سنة خمس وسبعين وستمائة فيها توفي الشيخ محيي الدين من أعلام العلماء وهو صاحب

ذلك الملك الظاهر غضب منه ورسم بأن يخرج
من الشام ولا يقيم بها فقال الشيخ محيي الدين
السمع والطاعة وخرج من الشام وتوجه إلى بلده
نوى فوقف العلماء والفقهاء إلى السلطان وقالوا
أن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به
فرسم السلطان برجوعه إلى دمشق فامتنع الشيخ
من العود إلى دمشق وقال لا أدخلها والظاهر
في قيد الحياة فلم يقم الظاهر بعد ذلك إلا مدة
يسيرة ومات كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه قال
الشيخ شمس الدين الذهبي كان الملك الظاهر نعم الملك
لولا ما كان فيه من الظلم وأخذ أموال الرعية بغير
حق انتهى ذلك فلما خرج السلطان من دمشق توجه
إلى حلب تقاتل مع التتار فكسرهم وقتل منهم نحو
الثلث وهرب أبغا ملك التتار فتبعه السلطان إلى
الأبلستين فكان بينهما هناك وقعة أعظم من الأولى
فهرب أبغا فتبعه السلطان إلى دربند ثم رجع
من هناك إلى قيسارية وحاصر أهلها فأرسلوا يطلبوا
منه الأمان فأرسل لهم أمانًا على يد الأمير بيسري
فسلموا المدينة فدخلها السلطان في موكب عظيم
وكان يومًا مشهودًا فنزل السلطان بدار المملكة
وصلى بها ركعتين وحكم بين الناس وأقام بها أيامًا
ثم قصد التوجه إلى دمشق كل ذلك في أواخر سنة
خمس وسبعين وستماية ثم دخلت سنة ست وسبعين
فيها دخل السلطان إلى حلب فتوعك جسده
وأخذته الحمى فأسقوه الحكماء دوي مسهل فأفرط
في الإسهال وثقل في المرض فرحل من حلب في

محفة علي أنه يدخل الشام ثم مات في بعض الضياع
قبل أن يدخل الشام بليلة فكان ما قاله الشيخ
محيي الدين النواوي كشفاً منه فلما مات السلطان
كتم موته عن العسكر واستمر في المحفة الي
أن دخل دمشق فدفن بها ليلاً ولم يشعر
بموته أحد من الناس وكانت وفاته في يوم
الخميس ثامن عشرين المحرم سنة ست وسبعين
وستمائة وعاش من العمر نحو اثنين وستين
سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية
والبلاد الشامية سبعة عشر سنة وشهرين
ونصف وخلف من الأولاد عشرة ثلاثة ذكور
وهم الملك السعيد محمد الذي تسلطن بعده
والملك العادل سلامش وسيدي خضر لكنه
لم يتسلطن ولما مات الملك الظاهر رثاه
القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بهذه الأبيات

ما مثل هذا الرزء قلب يحمل • كلا ولا صبر جميل يجمل

الله أكبر إنها لمصيبة • منها الرواسي خيفة تتقلقل

لهفي علي الملك الذي كانت به • الدنيا تطيب فكل قفر منزل

الظاهر السلطان من كانت له • منن علي كل الورى وتطول

لهفي علي آرائه تلك التي • مثل السهام الي المقاتل ترسل

لهفي علي تلك العزائم كيف قد • غفلت وكانت قبل ذا لا تغفل

ما

وخلف من البنات سبعة

ولما توفي الظاهر بيبرس دخل الشيخ محيي الدين النواوي الي دمشق فقام [illegible] رابع عشرين [illegible] سنة ست وسبعين [illegible] ودفن بها رحمة الله عليه انتهى

ما للرماح تخوض للثار عدة • لكنها إذ ليس تعمل تعقل

سهم أصاب وما رأي من قبله • سهماً له في كل قلب مقتل

أنا إن بكيت فإن عذري واضح • ولئن صبرت فإنني أتعلل

خلف الشهيد لنا السعيد فأدمع • منهلة في أوجه تتهلل

وأما فتوحاته التي افتتحها في أيامه وهي قيسارية
وأرسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وأنطاكية
وبغراص والقصير وحصن الأكراد والقرين وحصن
عكار وصافيثا والمرقبة وحلباء وبانياس وطرسوس
وكانت هذه البلاد كلها بأيدي الفرنج وأما ما افتتحه
من بلاد الشرق وهي مدينة سيس أخذها من
أهلها بالأمان ودركوش وتلميش وزعبان ومرزبان
وليفون وأدنه والمصيصة وأما ما افتتحه بالحجاز
فدمشق وبعلبك وقلعة الصبيبة وقلعة شيزر
وعجلون وبصري من أعمال دمشق وصرخد وحمص
والقلت وتدمر والرحبة وتل باشر والخوابي وصهيون
وقلعة الكهف والقدموس والكرك والشوبك وبيت
المقدس ومدينة الخليل عليه السلام وأما ما افتتحه
من بلاد السودان وهي النوبة وأعمالها وقلعة
الخميس من أعمال برقة وافتتح عدة جزائر من
أعلا الجنادل وأما ما أنشأه من العمائر فإنه جدد

عمارة الحرم النبوي وجدد عمارة قبة الصخرة ببيت
المقدس واوقف على سماط الخليل عليه السلام جهات
كثيره باقيه الى الان وأما ما أنشاه بالديار المصرية
فمن ذلك قناطر شبرامنت بالجيزه وقناطر على بحر ابي
المنجا وقناطر السباع التي بالقرب من ميدان المهاره
وعمر سور مدينة الاسكندرية وجدد بناء المنار الذي
بها وانشا منار الثغر رشيد وجدد عمارة ثغر دمياط
بعد ما كان خرابا من ايام الملك الكامل وردم فم بحر
دمياط بالقرابيص حتى لا تدخل اليه مراكب الفرنج
وجدد عمارة قلعة الروضه التي انشاها الملك الصالح
ايوب واعاد الشواني التي كانت بالصناعة وحفر
بحر اشموم طناح وعمر القلاع التي ببلاد الشرق التي
اخربها هلاكو وعمر مدرسة بدمشق وانشا قرية
على فم وادي العباسه وسماها الظاهرية وانشا القصر
الابلق بدمشق وعمر الخان الكبير بالقدس وجدد
حفر خليج الاسكندرية وباشر حفره بنفسه وانشا
البرج الكبير بقلعة الجبل وعمر مدرسة تجاه البيمارستان
وعمر الجامع الكبير الذي بزقاق الكحل وانفق عليه
جمله مال قيل انه عمره من وجه حل من الغنائم التي
حصلت له من فتوحات بلاد الفرنج وكان مكان
هذا الجامع ساحة برسم الغبق يلعبون هناك بالملك
وهو الذي جدد عمارة جامع الازهر واعاد فيه الخطبه
بعد ما اقام خرابا من ايام الحاكم بامر الله وجدد عمارة
جامع احمد بن طولون وكان خرابا وجدد عمارة جامع
عمرو ابن العاص وكذلك جامع الحاكم وله اثار كثيره
بمصر والشام وغير ذلك من البلاد الاسلاميه انتهى

انتهى ذلك وفيه يقول الشيخ زين الدين بن
الوردي قوله
الملك الظاهر اخباره تشمل للداخل والقاطن
تاءملوا اخباره وانظروا ما فعل الظاهر بالباطن
قلت واخبار الملك الظاهر بيبرس كثيرة في عدة
مجلدات والغالب فيها موضوع ليس له حقيقة والذي
اوردناه هنا هي الاخبار الصحيحة التي ذكرها العلماء من
المؤرخين وكان الملك الظاهر بيبرس ملكا عظيما جليل
القدر مهابا كفوا للسلطنة وافر العقل عارفا باحوال
المملكة خضعت له ملوك الشرق وملوك الفرنج وكان
خفيف الركاب له موكب بالشام وموكب بحلب وكان
كثير الغزوات مشهورا بالفروسية وله اقدام في الحرب
وكان كثير الاسفار في الصيف والشتاء وكان يلقب بابي
الفتوحات لكثرة فتوحاته للبلاد والثغور وكان
يصنع في زيه شيئا اشارة لفرقة سنته
وكان يفرق الغنائم التي تحصل من الفتوحات على
عسكره حتى يرغبهم في القتال وكان محبا لجمع الاموال
كثير المصادرات لارباب الاموال لاجل التجاريد وهو
الذي رتب خيل البريد لاجل سرعة مجيء اخبار
البلاد الشاميه وكان حسن الشكل طويل القامه ابيض
اللون مستدير اللحية الغالب في لحيته الشعر الابيض
وكان مبجلا في موكبه منقادا الى الشريعة يحب العلماء
والصلحاء وفعل الخير ولو لم يكن من افعاله الحسنه
سوى رد الخلافه لبني العباس والكرامة لهم بعد
ما كادت ان تنقطع عنهم الخلافه وانفق على ذلك
جملة مال كما تقدم وهو الذي جعل لكل مذهب

قاضي كبير يعدل ويولي وكان الملك الظاهر جبار ملوك
الترك علي الإطلاق وقد قال القايل في المعني
تاه بخلق في الملوك أضحي يحير العرب والأعاجم
فالشه بالتبر لا يجيد واعجب لأخباره العظايم
أختاره الله من أنام لقمع أهل الفساد مارد
قد أظهر العدل في الرعايا وأبطل الجور والمظالم
فالله يرحمه كل يوم ما دام هذا الوجود قايم
ولما مات الملك الظاهر تولي بعده ابنه الملك السعيد
انتهي ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر بيبرس
البندقداري وذلك علي سبيل الاختصار من أخباره

ذكر سلطنة الملك السعيد أبو محمد بن الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي وهو الخامس من ملوك الترك وأولادهم بمصر

بويع بالسلطنة بعد موت أبيه الملك الظاهر
وكان مولده في صفر سنة ثمان وخمسين وستماية
وكان يسمي محمد بركة خان علي اسم جده لأمه
وكان القايم بتدبير دولته الأمير بدر الدين
بيليك نايب السلطنة فحلف له الأمراء وكان
الأمير بيليك من ذوي العقول قيل لما مات
الملك الظاهر في أثناء طريق الشام كتم الأمير
بيليك موته خوفا من التتار أنه لا يرجعوا علي
البلاد إذا بلغهم موت السلطان فدفن السلطان
بالشام تحت الليل ولم يشعر به أحد من الناس
ثم إن الأمير بيليك احتاط علي خزاين المال
والترك

والترك السلطاني وقصد التوجه إلي الديار المصرية
فكانت المحفة تمشي في الموكب وحولها الجنايب
ويشيعوا أن السلطان مريضا وكان لا يجسر أحد
أن يقرب المحفة وكانت الأطباء تحضر علي جاري
العادة وطبق المزاورة يدخل كل يوم إلي المحفة
واستمر الأمر علي ذلك حتي دخل إلي القاهرة
وطلع القلعة فعند ذلك أشيع موت السلطان
وتسلطن ولده عوضا عنه فلما تم أمره في ولايته
مشي في السلطنة علي نظام والده وصار منقادا
مع الأمير بيليك فساس أمره أحسن سياسة واستمر
علي ذلك مدة يسيرة ثم إن الأمير بيليك مرض في
أثناء ذلك وتسلسل في المرض حتي مات في أواخر
سنة ست وسبعين فكثر عليه الحزن والأسف وكان
أميرا دينا خيرا كثير البر والصدقات قليل الأذي في
حق الرعية وكانت الناس عنه راضية إلي أن مات
فلما مات طاش الملك السعيد واقتدي برأي الأوباش
فقبض علي جماعة من الأمراء منهم الأمير سنقر
الأشقر والأمير بيسري وكانا خجداشية والده الملك
الظاهر ثم قبض علي جماعة من الأمراء العشراوات
من مماليك والده ثم أخلع علي الأمير اقسنقر الفارقاني
واستقر به نايب السلطنة عوضا الأمير بيليك فأقام في
نيابة السلطنة مدة يسيرة ثم قبض عليه وسجنه بثغر
الإسكندرية ثم أرسل خنقه وهو في السجن ثم أخلع
علي الأمير كوندك واستقر به نايب السلطنة عوضا عن
الأمير اقسنقر الفارقاني واستمر الملك السعيد يفعل من

هذه المساوي حتى نفرت عنه قلوب العسكر وتمنّا كل
أحد زواله. ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة
فيها توفي قاضي القضاة المالكي شرف الدين السبكي
وهو أول قضاة المالكية بمصر. فاخلع السلطان
على القاضي نفيس الدين شكر واستقر قاضي قضاة
المالكية عوضًا عن شرف الدين عمر بن السبكي
وفيها عزل قاضي قضاة الحنابلة محمد بن العماد
الجماعيلي وهو أول قضاة الحنابلة. ثم تولى من بعده
القاضي مجد الدين عمر بن عبد الله بن عوض وفيها
توفي الصاحب بهاء الدين بن حنا فاخلع الملك
السعيد على القاضي برهان الدين السنجاري واستقر
به وزيرًا عوضًا عن بهاء الدين بن حنا فاقام في
الوزارة مدة يسيرة وخلع الملك السعيد من
السلطنة عقيب ذلك فقال فيه ناصر الدين بن
النقيب مداعبه
تطيرت الوزارة من قريب بصاحبها الجديد ومن بعيد
وقالت كعبه كعب مشوم ولا سيما على الملك السعيد
وفيها جاءت الأخبار بان نايب الشام خامر وخرج
عن الطاعة فجرد اليه الملك السعيد وخرج بنفسه
الى الشام فلما دخلها نزل بالقصر الأبلق الذي
انشاه والده فلما اقام اياما بالشام خامرت عليه
جماعه من الأمراء وقد عول الملك السعيد على
قبض جماعه منهم فلما تحققوا ذلك خرجوا من
دمشق وتوجهوا الى المرج الأصفر واتا مو ابه
فلما بلغ الملك السعيد ذلك ارسل اليهم بعض
الامرا

الأمراء ليمشي بينهم وبين السلطان بالصلح فلما توجه
اليهم عاد الجواب اليه بانهم ابوا من الصلح قاطبة
وامتنعوا من الحضور فلما بلغ ذلك خوند ام
الملك السعيد وكانت توجهت صحبة ابنها الى
الشام في محفة فركبت على فرس وتوجهت
الى الأمراء في المرج الأصفر فلما اجتمعت بالأمراء
ومشت بينهم وبين ابنها بالصلح فابوا من ذلك
فرجعت من عندهم والمجلس مانع فلما تحقق الملك
السعيد ذلك رحل من دمشق واخذ بقية الامرا
والعسكر وقصد التوجه الى القاهره فجمع معه
عربان جبل نابلس وعسكر دمشق وعسكر صفد
وعسكر طرابلس فلما وصل الى غزه نفق على ذلك
العساكر فاخذوا منه النفقه ثم صاروا ينسحبون
من عنده قليلا قليلا حتى لم يبق معه سوى
العسكر المصري فلما خرج من غزه جد في السير حتى
دخل سرياقوس فلما بلغ الأمراء الذي بمصر مجي
السلطان خرجوا على حميه ليقتلوه وكان من
لطف الله تعالى في ذلك اليوم ضباب ثقيل في
الجو فستره الله عليه حتى طلع الى القلعه ونجا
بنفسه فلما بلغ الأمراء طلوع السلطان الى القلعه
رجعوا من المطريه وحاصروه بالقلعه سبعة
ايام فلما راى من كان عنده في القلعه ان حاله
قد تلاشى صاروا ينسحبون من عنده وينزلون
الى الأمراء في الرمله فلما راى الملك السعيد عين
الغلب ارسل خلف امير المومنين احمد الحاكم بامر
الله ليمشي بينه وبين الامراء فيما يطلبون من

فتبسم الإمام أحمد وقال لهم أيش أخر هذا الأمر وما قصدكم قالوا قصدنا تخلع نفسك من السلطنة وتمضي إلى الكرك فرجع الإمام أحمد إلى الملك السعيد وأخبره بما قالوه الأمراء فأشهد على نفسه بالخلع من السلطنة بحضرة أمير المؤمنين والقضاة وأرسل الخلع إلى الأمراء وخرج من يومه إلى الكرك وكان الأمير بيدغان سم الموت متسعرا عليه فكانت مدة سلطنة الملك السعيد محمد بن الظاهر بيبرس بالديار المصرية نحو سنتين وشهرا وأياما قلت والملك السعيد هو صاحب الحمام التي عند سوق القبو فلما توجه إلى الكرك أقام بها مدة يسيره ومات وكان سبب موته قيل أنه لعب بالأكره في ميدان قلعة الكرك فتقنطر به الفرس فانكسر ضلعه ومات من وقته ودفن بالكرك ثم نقل من بعد ذلك ودفن بالقرافة الصغرى وقيل بل دفن بالشام على أبيه الملك الظاهر وكان الملك السعيد شابا جميل الصورة حسن الهيئة ولما خلع من السلطنة تولى من بعده أخيه سلامش انتهى ما أوردناه من أخبار الملك السعيد محمد بن الظاهر بيبرس وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك العادل سيف الدين سلامش بن الملك الظاهر بيبرس وهو السادس من ملوك الترك وأولادهم بمصر

بويع بالسلطنة بعد خلع أخيه الملك السعيد في ربيع الأول سنة

ومن الحوادث في [illegible]

سنة ثمان وسبعين وستمائة وكان له من العمر لما تولى السلطنة سبع سنين ونصف وكان يعرف بابن البدوية وكان حسن الشكل أحسن من أخيه الملك السعيد وكان القائم بتدبير مملكته الأتابكي قلاوون الألفي وكان يخطب باسميهما على المنابر وضربت السكة باسميهما على الدنانير والدراهم وكان في الحقيقة قلاوون هو السلطان وكان سلامش معه آلة ليس له في السلطنة إلا مجرد الاسم فقط ثم أن قلاوون رسم بالإفراج عن الأمير اقسنقر الفارقاني والأمير بيسري الذي كان الملك السعيد سجنهما بثغر الإسكندرية فلما حضر الأمير بيسري سلم أمور المملكة إلى قلاوون وكان مغرما بحب الصيد [illegible] بتحصيل فقبض الأتابكي قلاوون على جماعة من الأمراء وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية ثم أرسل بالقبض على جماعة من النواب وولى عوضهم من يختار وكان في الباطن يمهد الأمور لنفسه والأمراء في غفلة عن ذلك فلما صفا له الوقت خلع العادل سلامش من السلطنة وأرسله إلى الكرك هو وأخوه سيدي خضر فأقاما بالكرك فكانت مدة سلامش بمصر خمسة أشهر وأياما وبه انقضت دولة الملك الظاهر بيبرس كما بشر الإمام الشافعي بذلك في النوم وقد تقدم ذكر ذلك ولما خلع سلامش من السلطنة تولى بعده قلاوون انتهى ما أوردناه من أخبار العادل سلامش وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المنصور

سيف الدين أبو المعالي قلاوون الالفي العلائي
النجمي وهو السابع من ملوك الترك واول
لادهم بالديار المصرية بويع بالسلطنة بعد
خلع الملك العادل سلامش يوم الاحد ثاني
عشرين رجب سنة ثمان وسبعين وستماية وتلقب
بالملك المنصور ونودي باسمه في القاهرة
وضج الناس له بالدعا ودقت له البشاير
بالقلعة وكان اصله من مماليك الامير اقسنقر
الكاملي ثم انتقل منه الى الملك الصالح نجم الدين ايوب
فاعتقه في اثناء سنة سبع واربعين وستماية ولا زال
يترقا حتى بقي سلطان مصر فلما جلس على سرير الملك
وتم امره في السلطنة انعم على جماعة من
خشداشينه بتقادم الوف وهم طرنطاي
وكتبغا ولاجين وقفجق وسنجر الشجاعي وايبك
الخازندار وآقوش الموصلي وسنقر جركس
وازدمر العلاي وبلجق وبلبان الطباخ وغير
ذلك من الامراء ثم افرج عن الامير ايبك
الافرم واستقر به نايب السلطنة فاقام فيها
مدة يسيره واستعفى من النيابة فاعفاه
السلطان ورتب له ما يكفيه ولزم بيته ثم
اخلع السلطان على مملوكه طرنطاي واستقر به
صوابه طرنطاي
نايب السلطنة عوضا عن ايبك الافرم واخلع على
الامير سنقر الاشقر واستقر به نايب الشام فخرج
من يومه وكان الامير سنقر الاشقر مجدبا
وعنده جهل زايد فابعده المنصور قلاوون

قلاوون الى الشام ليكفي شره فما كفي ذلك وفي هذه
السنة اعني سنة ثمان وسبعين وستماية فيها توفي
قاضي القضاة الشافعي محيي الدين بن عز الدولة
فلما مات اخلع السلطان على القاضي وجيه الدين
عبد الوهاب البهنسي واستقر به قاضي القضاة
الشافعية عوضا عن بن عز الدولة وفيها عزل
السلطان قاضي القضاة الحنفية صدر الدين ابي العز
واخلع على القاضي معز الدين النعمان بن الحسن
واستقر به قاضي قضاة الحنفية عوضا عن ابي العز
وفيها اخلع السلطان على القاضي محيي الدين بن
عبد الظاهر واستقر به كاتب السر وهو اول من
لقب بكاتب السر وسبب ذلك ما حكاه الصلاح
الصفدي ان الملك الظاهر بيبرس رفع اليه مرسوم
بالقبض على بعض النواب فانكر السلطان ذلك وقال
انا لم ارسم بذلك وطلب الموقع وساءله عن ذلك
فقال ان الامير بلبان الدوادار رسم بذلك عن
لسان السلطان فقال السلطان ينبغي ان يكون
للملك كاتب سر يتلقى الكلام شفاها عن لسان
السلطان وكان قلاوون حاضر ذلك المجلس فوقعت
هذه الكلمة في اذنه فلما تسلطن اخلع على القاضي
محيي الدين بن عبد الظاهر واستقر به كاتب
السر فهو اول من تسمي كاتب السر وقد قال
القايل في المعنى

عليك بكتم السر لا تفشينّه ... وما كان من عيب فقابله بالستر
فان أخصاء الملوك كثيرة ... ولكن أحظاهم به كاتم السر

وموضوع هذه الوظيفة قراءة الكتب الوارده من
البلاد وكتابة أجوبتها وتصريف المراسيم الي ساير
الآفاق لقضاء حوايج الناس وكان كاتب السر يجلس
بحضرة السلطان لقراءة القصص واحدث في
ايامه وظيفة نظر الجيش وموضوعها النظر في امر
الأقطاعات ما يخرج منها وما يدخل اليها وتحرير
جزئياتها واحدث في ايامه وظيفة نظر الخزانه
وكانت وظيفه كبيره جليله موضوعها ان يستوعب
ما يخرج من بيت المال وما يدخل اليه وما يصرف
في امور المملكة وما يرد من البلاد الشامية وغيرها
واحدث وظيفة وكالة بيت المال وكانت وظيفه
جليله ولا يليها الا من هو من ذوي العداله
المبرزة واحدث في ايامه نظر الاسطبلات
وموضوعها التحدث في الاسطبل الشريف وعليق
الخيول وامر مناخات الجمال وما اشبه ذلك واحدث
في ايامه نظر كتابة المماليك وموضوعها معرفة اسما
الجند وانسابهم وقت العرض للاسفار وعند تفرقة
الجوامك والنفقات وما اشبه ذلك ثم ان السلطان
عزل الصاحب برهان الدين السنجاري من الوزارة
واستقر بالقاضي فخر الدين بن لقمان الذي كان
كاتب السر ايام الملك الظاهر بيبرس وكانت هذه
الوظايف كلها معلقة بديوان الوزارة من
ايام الخلفاء فانقسمت على عدة فروع في دولة
الاتراك لما تلاشى امر الوزارة في تلك الايام **وفيها**
توفي ابي المعالي يوسف بن رياح وكان
من

من أعيان الشعراء عصره وله شعر جيد فمن ذلك
قوله
قالوا انحلت لمن تهوي فقلت لهم لولا انحلت له ما
نلت مقصودي
هذا دليلك علي ما فيه من كرم والجود بالنفس اقصي
غاية الجود
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستماية فيها جاءت الأخبار
من دمشق بان الأمير سنقر الاشقر الذي استقر نايب
الشام خامر وخرج عن الطاعة واظهر العصيان
وادعي السلطنة لنفسه بالشام وباس له الأمراء
الأرض هناك وتلقب بالملك الكامل فاقام علي ذلك
مده يسيره ثم بطل امره وخشي من السلطان فهرب
الي صهيون **وفيها** جاءت الأخبار بان ابغا ملك
التتار زحف علي البلاد وارسل اخاه منكوتمر في
جاليش العسكر وقد وصل الي حلب وملك ضياعها
واخذ اطراف مدينة حلب واشرف علي اخذها فلما
بلغ السلطان ذلك خرج بنفسه هو والأمراء علي
جرايد الخيل فلما وصل الي غزه جاءت الأخبار بان
منكوتمر اخو ابغا لما بلغه مجي السلطان رحل عن
حلب بعد ما احرق ضياعها وقتل اهلها ونهب
اموالهم فلما بلغ السلطان رجوع منكوتمر الي بلاده
رجع من غزه الي القاهره فاقام دون الشهر ثم
جاءت الأخبار برجوع منكوتمر الي حلب وفعل اضعاف
ما فعله اولا فخرج السلطان ثانيا وهو علي جرايد الخيل
فتلاقا مع عسكر التتار علي المرج الاصفر وكان بينهما
وقعه عظيمه وقتل من الفريقين ما لا يحصي وتقنطر
منكوتمر عن فرسه وجرح فاحاطت به التتار وحملوه

وهربوا به وهو مجروح ووقع النهب في عسكر التتار
وغنم منهم عسكر السلطان ما لا يحصى من سلاح
وخيول وغير ذلك وكانت هذه الوقعة من
الوقعات المشهورة فلما حصلت هذه النصرة
للملك المنصور قلاوون قصد التوجه الى مصر
ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة فيها حضر
السلطان الى القاهرة فخرج الناس قاطبة الى
ملتقاه وزينت له القاهرة وطلع الى القلعة
في موكب حفل وحملت القبه والطير على راسه
ومشت قدامه الامراء حتى طلع الى القلعة
وفي هذه السنة توفي الشيخ ناصر الدين بن
المنير والشيخ جمال الدين الشريشي شارح
مقامات الحريري وفيها عزل السلطان فخر
الدين بن لقمان من الوزارة واعيد الصاحب
برهان الدين السنجاري ثم دخلت سنة
احدى وثمانين فيها قبض السلطان على
جماعة من الامراء منهم الامير بيسري والامير
بلتوت الشمسي والامير كشتغدي وجماعة كثيره
من المماليك السلطانيه وانعم بامرياتهم على مماليكه
وقتل منهم جماعه وفيها تزوج السلطان بخوند
اشلون بنت الامير نكاي وزفت عليه واقام
المهم سبعة ايام بالقلعة ليلا ونهارا حتى قيل
انصرف السلطان على ذلك المهم عشرة الاف
دينار وخوند اشلون هذه هي ام الملك الناصر

وفي هذه السنة توفي قاضي القضاة [illegible] الدين [illegible] نفيس الدين [illegible] محمد بن عباس [illegible]

الناصر محمد بن قلاوون وفي هذه السنة في رجب
توفي القاضي شمس الدين محمد بن خلكان الاربلي
ولد سنة ستمائة وكان من اعيان العلماء [illegible] صحيح
النقل وكان له شعر جيد فمن ذلك قوله
اشكالكم والبعد بيني وبينكم تخييل لي ان الفؤاد
لكم مغنى
وناجاكم قلبي على بعد داركم فان تسمتم لفظا واو
حشيتم معنى
وقد هجاه الاديب شميلة بعض بن البيتين وهما
امولاي بدر الدين قل لابن خلكان يا خذ حذرا
من لسان وحده
فاني ادريه واعرف اصله وتاريخه عندي وتاريخ
جده
وفي هذه السنة توفي الامير مجير الدين محمد بن
تميم الدمشقي وكان من فحول الشعراء وله
شعر جيد وهو من شعراء المائة السادسة ومن
نظمه الرقيق قوله
خليلي قد مال الفؤاد بحسنه غزال به عذر المحبين
واضح
ولا غرو ان مال الفؤاد بلحظه الم تعلما ان العيون
جوارح
ومن نكته المخترعة وهو قوله
ومهفهف الاعطاف قبل وردة بعقيل عند الرفا
مقبل
فاعارها طيبا وحيا بي بها فلثمت عاطر ثغره برسول

وفي هذه السنة [illegible] بن [illegible]

وتوفي في هذه السنة أيضا الشيخ بدر الدين يوسف
بن لولو الذهبي وكان من شعراء مصر من المائة السا[بعة]
أيضا وكان من فحول الشعراء وله شعر جيد فمن
ذلك قوله

وجدول يقلي مطلوكة بأكرتها والشمس ترشف ريق أزهار
الربا

يتكسر الماء الزلال على الحصا فإذا جرى بين الرياض
تشعبا

ومن لطايف تغزلاته قوله وقد ضمن المثل السا[ئر]

صدوا وقد دب العذار بخده ما ضرهم لو أنهم
خبروه

هل ذاك غير نبات نخل قد حلا لكنهم لما حلا
هجروه

ثم دخلت سنة اثنين وثمانين وستمائة فيها ابتدأ
الملك المنصور قلاوون بعمارة القبة التي تجاه
المدرسة الظاهرية وأضاف إليها قاعة القط[بية]
القطبيين وسماه البيمارستان المنصوري وأنشـ[أ]
بجوار القبة مدرسة تجاه المدرسة الصالحية وقـ[يل]
انتهى العمل من ذلك في مدة عشرة أشهر هكذا
نقله بعض المؤرخين وغالب ما فيها من الأعـ[مدة]
والأعتاب نقل من القلعة التي كانت بالروضـ[ة]
كما تقدم فلما كملت العمارة أوقف عليها عدة من
ضياع وأملاك وبساتين ومسقفات وغير ذلك
وجعل لها في كل يوم من الرواتب نحو ألف دينار
واشرط

واشترط في وقفه أن لا يمنع من دخول البيمارستان
من كان مريضا أو زمنا أو مبطونا أو مجنونا أو
من به عاهة ويقيم به إلى أن يبرأ أو يموت ورتب
لهم الأطبة والأشربة والسكر والمزاور والفراريج
حتى الخباز البلدي والتمر حنا والياسمين وجعل برسم
ذلك غبطات معروفة واشترط في وقفه أن في كل
ليلة يحضر من أرباب الآلات أربعة يضربون
بالعود حتى يسامرون الضعفاء وأجرى عليهم الجوامك
في كل شهر واشترط أيضا أن يرمي على سطح القبة التي
يدفن تحتها في كل شهر أربع أرادب قمح برسم الطيور
والحمام واشترط أشيا كثيره من هذا النمط ما لا فعله
أحد من الملوك قبله ولا بعده وهذا المعروف باق
إلى الآن وهو من حسنات الزمان تحتاج إليه الملوك
ولا يستغني عنه الغني ولا الصعلوك وقد قيل في المعنى

تمشي الملوك على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي
وتبتدع

وقال آخر

ما من مليك له ذكر يشاع به إلا الذي بعده للخير
آثار

قال الشيخ تقي الدين المقريزي وكان سبب
بناء هذا البيمارستان وهذا المعروف والأثار
العظيم الذي صنعه قلاوون قيل أنه أمر بشيء
كان له فيه اختيار فخالفه جماعة من العوام ورجموا
المماليك فغضب عليهم السلطان وأمر المماليك أن
يقتلوا كل من وجدوه من العوام فأقام السيف
يعمل فيهم ثلاثة أيام فقتل في هذه المدة ما لا يحصى

عدد هم من العوام وغيرهم وراح الصالح بالطالح
فلما تزايد الأمر طلع القضاه ومشايخ العلم الي السلطان
وشفعوا فيهم فامر بكف القتل عنهم بعد ما قتل
من جماعه كثيره فلما جري ذلك ندم السلطان علي ما
وقع منه فاشار عليه بعض العلماء ان يفعل شيا
من انواع البر والخير لعل ان يكفر عنه ما جري منه
فشرع في بنا هذا البيمارستان ووضع فيه هذا الخير
العظيم من الرواتب الجزيله لعل الله تعالي ان
يمحوا ما تقدم من ذنبه ان الحسنات يذهبن السيات
هكذي نقل المقريزي انتهي ذلك ثم دخلت سنة
ثلث وثمانين فيها خرج السلطان بنفسه الي نحو
البلاد الشاميه ثم توجه الي حصن المرقب وحاصره
ونصب عليه المناجنيق واستمر محاصره ثمانيه وثلثين
يوما فطلب اهله الامان فاعطاهم الامان وسلموا
الحصن ثم رجع السلطان الي الديار المصريه وفيها
عزل السلطان الصاحب هبة الله الاصفوني واستقر
مملوكه علم الدين سنجر الشجاعي وهو اول من ولي
الوزاره من الاتراك ودقت له علي بابه الطبلخانا
علي عاده وزرا الخلفا ببغداد ثم دخلت سنة
اربع وثمانين فيها ارسل السلطان الامير طرنطاي
نايب السلطنه بالقبض علي سنقر الاشقر الذي كان
نايب الشام واظهر العصيان وتسلطن بدمشق وقد
تقدم ذكر ذلك فلما وصل الامير طرنطاي الي صهيون
حاصر سنقر الاشقر اشد المحاصره فلما راي سنقر
عين الغلب ارسل يطلب من الامير طرنطاي

وفيها توفي ... [illegible] ... السلطان ... [illegible]

طرنطاي الامان فاجابه الي ذلك فلما وثق منه
بالامان نزل اليه من قلعة صهيون وقابل الامير
طرنطاي فحلف له علي مصحف شريف انه اذا قابل
السلطان لا يشوش عليه ولا يسجنه ولا يقتله فلما وثق
منه بذلك اخذ عياله واولاده واتي صحبة الامير
طرنطاي فلما بلغ السلطان مجي سنقر الاشقر خرج الي
تلقيه فلما وصل الي المطريه تلاقا هو وسنقر الاشقر
عند مسجد التبن فلما وقعت عين سنقر علي السلطان
نزل عن فرسه فلما راه السلطان نزل عن فرسه نزل
الاخر عن فرسه وتعانقا فبكي سنقر الاشقر وطلب
من السلطان الامان فاعطاه منديل الامان فوضعه
علي راسه ثم ركبا وطلعا الي القلعة وكان يوما مشهودا
وطلع في موكب حفل وهو راكب الي جانب السلطان
فلما طلع الي القلعة اخلع عليه السلطان خلعه ونزل
معه ساير الامرا الي بيته الذي في التبانه انتهي ذلك
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمايه فيها توفي
قاضي قضاة الشافعيه وجيه الدين عبد الوهاب
البهنسي فاخلع السلطان علي القاضي تقي الدين عبد
الرحمن بن القاضي تاج الدين بن بنت الاعز واستقر
به قاضي قضاة الشافعيه عوضا عن البهنسي وفيها في
رجب توفي الشيخ شهاب الدين احمد بن الخيمي وكان
من فحول الشعرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله
واعذب الخيمي
وا عذل حديثك يا عذول فان في اثنا عذلك ما
يسر سرايري
واذا اتيت من الملام بنا طق كفره من ذكر الحبيب
بنافر

وقوله ايضا

زمان الورد اعلام الزمان • وروح الراح راحة كل عاني •
وما اجتمعت همومٌ فانمحت • مع الصهباء يوما في مكاني •

وفيها توفي الشيخ محيي الدين بن قرناص الحموي وكان من فحول الشعراء وله شعر جيد فمن ذلك

قوله

أظن نسيم الزهر والروض قد روي • حديثا ففاحت من شذاه المسالك •
وقال دفي فصل الربيع فكله • ثغورٌ لما قال النسيم ضواحك •

قوله

أيا حسنها روضة قد غدا • جنوني فنونا بها فيها •
أتي الماء فيها علي رأسه • لتقبيل اقدام اغصانها •

وفيها قبض السلطان علي مملوكه سنجر الشجاعي وعزله عن الوزارة واخلع علي الامير بدر الدين بيدرا [illegible]
واستقر به وزيرا عوضا عن الشجاعي ثم صادر الشجاعي واستصفي امواله بعد ان عصره بالمعاصير وضربه كمسارات واحتاط علي موجوده • وفيها في ذي الحجه توفي قاضي قضاة المالكية تقي الدين بن عباس ثم ولي بعده القاضي زين الدين بن مخلوف النويري

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمايه فيها

توفي الشيخ ابو العباس احمد بن علي المرسي رضي

[illegible]

رضي الله عنه وكان اصله من الاسكندريه ومات بها ودفن هناك وهو تلميذ الشيخ ابو الحسن علي الشاذلي رضي الله عنه • وفيها توعك جسد الامير علي بن السلطان قلاوون وكان والده قلاوون ولاه السلطنة في ايام حياته وركب بشعار الملك وجلس علي سرير الملك وباس له الامراء الارض وتلقب بالملك الصالح وكان يجلس الي جانب والده قلاوون علي التخت وسبب سلطنته في حياة والده ان الملك المنصور قلاوون كان كثير الاسفار الي البلاد الشاميه فسلطن ولده الامير علي في ايام حياته ليكون عوضا عنه عصرا اذا سافر الي البلاد الشاميه فاقام علي ذلك مده في حياة والده ثم انه مرض ولزم الفراش وتسلسل في المرض وكانت علته حمة لبدية • ثم دخلت سنة

سبع وثمانين وستمايه فيها

في المحرم توفي الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن معضاد الجعبري الواعظ وعاش من العمر نحو سبع وثمانين سنه • وفيها توفي الشيخ ناصر الدين محمد بن حسن بن شاور الكناني المعروف بابن النقيب وكانت وفاته في ربيع الاول من هذه السنه وعاش من العمر نحو تسع وتسعين سنه وكان من فحول الشعراء وله شعر جيد فمن ذلك قوله

يجود والنسيم بالمنح • علي علاكمه تسرمدا •
فالطير احسن ما يغرد • عند ما يقع الندا •

وقوله

انته طوق فنني صنيعا • واسمع تحنك شكرا كلاهما ما يضيعه •
فاذا ما شجاك سجعي فاني • انا ذاك المطوق المسموع •

وفيها في ليلة الجمعة رابع شعبان توفي الملك الصالح
علي بن الملك المنصور قلاوون فلما مات حزن عليه
والده حزنًا شديدًا وكان الأمراء يجلوسا على باب
الستارة ينتظرون ما يكون من أمره فلما وقع
الصراخ في دور الحرم دخل الأمير طرنطاي نايب
السلطنة فوجد السلطان مكشوف الراس وشاشه
على الأرض وهو يبكي ويصيح فلما راه الأمير
طرنطاي على هذه الحالة فارمي الأخر شاشه
عن راسه ثم ان بقية الأمراء دخلوا على السلطان
وارموا كلوتاتهم عن روسهم فاقاموا على ذلك
ساعة ثم ان الأمير طرنطاي أخذ كلوتة السلطان
وباس الأرض هو والأمراء وناولها له فلبسها
ثم صبروا له ساعة وقال له أيش بقيت أعمل بالملك بعد ولدي
الذي كان يسلطن بالشام وباس الأرض ووضع
كلوتة السلطان على راسه واستمر العزاء قايمًا
تلك الليلة فلما أصبح يوم الجمعة شرع السلطان
في تجهيز ولده واخراجه فلما غسلوه صلوا عليه عند
باب الستارة ثم نزلوا به من باب المدرج فاراد
السلطان ان يمشي في الجنازة فمنعوه الأمراء
من ذلك ثم مشت الناس خلفه من أمير وقاضي
وغير ذلك حتى اتوا به الى تربة والدته خوند
خاتون التي بجوار المدرسة الأشرفية التي بطريق
السيدة نفيسة رضي الله عنها فدفن هناك وكان

وفي هذه السنة [سنة ثمان وثمانين وستمائة] توفي الرئيس علاء الدين بن النفيس شيخ الأطباء صاحب شرح القانون وكان علامة في عصره

185

وكان له مشهد حفل لم يسمع بمثله وكان ذلك
يوم الجمعة قبل الصلاة فلما أصبح يوم السبت
نزل السلطان لزيارة قبر ولده وجلس عنده
ذلك اليوم وحضر قراء البلد قاطبة واستمر المأتم
عمال سبعة أيام وكانت مدة حياة الملك الصالح علي
هذا نحو عشرين سنة وكان أكبر اخوته وخلف
ولدًا ذكرًا يسمى الأمير موسى وهو صاحب الربع
الذي فوق الغرابليين قال الصلاح الصفدي
فلما مات الملك الصالح علي فكتب القاضي محيي الدين
بن عبد الظاهر عن لسان الملك المنصور قلاوون الى
نايب الشام وبقية النواب مطالعات ضمنها ما جرى
على السلطان من فقد ولده ثم قال عن لسان
السلطان ونحن نحمد الله تعالى على حزن حزنا به
الأسبوب الفاخره وكان قصدنا ان نجعله ملكًا
في الدنيا فاختاره الله تعالى ان يكون ملكًا في
الآخرة انتهى ذلك ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة
فيها في ثالث عشر صفر خرج السلطان على حين
غفلة الى نحو البلاد الشامية فوصل الى طرابلس
وحاصر أهلها أشد المحاصره ونصب على سورها
المنجنيق واستمر يحاصرها نحو اربعة وثلثين يومًا
ففتحها بالسيف يوم الثلاثا رابع عشر ربيع الآخر
من سنة ثمان وثمانين وستماية فوردت البشاير
الى الديار المصريه بفتح طرابلس وجبيل ثم ان
السلطان عاد الى القاهرة فزينت له وحملت علي

راسه القبة والطير وكان يوم دخوله يوما مشهودا

وفيها جاءت الاخبار بان ملك النوبة هجم على مدينة اسوان ونهب ما فيها واحرق جروفها فلما بلغ السلطان ذلك ارسل الامير ايبك الافرم مع جماعة من العسكر فلما وصلوا الى هناك هرب منهم ملك النوبة فتبعوه الى اخر النوبة وكسروه كسرة قوية وغنموا منه اشيا كثيرة من جوار وعبيد وخيول وجمال وغير ذلك ورجع العسكر الى الديار المصرية

وفيها توفي الشيخ ظهير الدين بن البارزي الدمشقي وكان عالما فاضلا وله شعر جيد قال الشيخ اثير الدين ابو حيان رايت الشيخ ظهير الدين بن البارزي صوفيا بحماه فانشد لي من لفظه لنفسه

اراك فاستحيي فاطرق هيبة … واخفي الذي بي من هواك واكتم

وهيهات ان يخفي وانت جعلتني … جميعي لسانا في الهوى يتكلم

ثم دخلت سنة تسع وثمانين فيها في ربيع الاخر توفي الشيخ نور الدين علي بن الكفتي شيخ الاقراء وكان علامة في عصره وفيها في ثامن عشر شوال عزم السلطان الى التوجه الى عكا فنزل من القلعة وتوجه الى الدهليز وأقام بها حتى يتكامل خروج العسكر فلما اقام هناك توعك جسده وصار كل يوم يتزايد عليه الامر حتى ثقل في المرض ولزم الفراش وكان لما اراد السفر الى

عكا عهد الى ولده خليل من بعده ولقبه بالاشرف فلما سلسل السلطان في المرض اضطربت الاحوال وصار ولده خليل ينزل اليه من القلعة كل يوم لتفقد احواله وكانت الامراء يدخلون عليه كل يوم مع الحكماء فلما تزايد الامر عليه وتغير حاله منع الامير طرنطاي الامراء من الدخول عليه حتى ولده الاشرف خليل فلما تحقق الامراء موت السلطان جاوا الى الامير طرنطاي النايب وقالوا له انت تعلم ما بينك وبين ولد السلطان من حظوظ النفوس وقد صار الامر اليه والسلطان ما بقي فيه رجوة ومتى صار الحكم اليه فانه يقتلك لا محالة فبادر اليه وامسكه قبل ان يمسكك ونحن كلنا عصبتك فسكت الامير طرنطاي ساعة ثم قال للامراء كيف امسك بن بن استاذي او اقتله ويشاع عني بين الناس اني قتلت بن استاذي وانا مملوك والده فان رضيني وابقاني على حالي فكان الفضل له وان قتلني رحت شهيدا من جملة الشهداء ثم ان السلطان دخل في النزع فقعد الامير طرنطاي عند راسه حتى مات وغمضه بيده فلما اصبح الصباح جاءت الامراء على جاري العادة فلم يمكنهم من الدخول الى السلطان ثم ارسل خزاين المال والاطلاب التي كانوا مع السلطان برسم السفر القلعة ثم ان الامير طرنطاي ارسل عرف ولد السلطان ان والده قد مات واشار عليه ان لا ينزل من القلعة ووكل به مقدم المماليك ثم ان الامير طرنطاي حمل السلطان

وهو ميت في محفة وطلع به الى القلعه بعد
المغرب فغسله وكفنه ونزل به في تابوت
بعد العشاء والامراء واعيان الناس مشاة قدامه
وكثر عليه الحزن والاسف من الناس الى ان
وصلوا به الى البيمارستان فصلوا عليه هناك
ودفن داخل القبة التي تجاه مدرسة الملك
الظاهر بيبرس فكانت وفاته يوم السبت
سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة
ودفن ليلة الاحد وكانت مدة توعكه تسع
عشرة يوما وكانت مدة سلطنته بالديار
المصرية والبلاد الشامية احدى عشرة سنة
وثلاثة اشهر وستة ايام وزالت دولته

وقد قيل

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوما
على آلة حدباء محمول

ولما مات المنصور قلاوون خلف من الاولاد
ثلاثة ذكور سيدي خليل الذي تسلطن بعده
وسيدي محمد الذي تسلطن بعد اخيه خليل
وسيدي احمد ولد بعد وفاة ابيه وكان
الملك المنصور قلاوون حسن الشكل قصير القامة
دري اللون وكان قليل الكلام بالعربي غتمي
اللسان وكان شجاعا بطلا مقداما في الحرب
وكان مغرما بمشترى المماليك حتى قيل تكامل
عنده في وقت واحد اثني عشرة الف مملوكا
وهذا يدل على علو همته وحسن اعتقاده وهو

وهو عمارته للبيمارستان وما فعل فيه من وجوه
البر والخيرات العميمة ما لا فعله احد من الملوك
قبله ولا بعده وقد كفاه ذلك في الدنيا والاخره
ومن محاسنه انه غير تلك الملابس الشنيعة
التي كانت تلبسها المماليك في الدول القديمة
قيل كانت كلوتاتهم من صوف تحلي عميق وهي
مضربة عريض بغير شاش عليها وكانت المماليك
تربي لهم ذوايب شعر خلفهم ويجعلونها في
اكياس حرير احمر او اصفر وكانوا يشدون في
اوساطهم البنود البعلبكي عوضا عن الحوايص الفضة
والذهب وكانت اخفافهم من البرغالي الاسود
وكانوا يشدون فوق اقبيتهم اتافيهم من جلد وفيها
حلق من نحاس اصفر ويعلقون فيها صوالق برغالي
اسود وقد رسم تلك صوالق بيسع وبنة قمح ويعلقوا
فيه معلقه خشب كبيره وسكين كبيره وكانت لهم
منا ديل من الخام والطرح كل منديل قدر فوطه
كبيره يمسحوا فيه ايديهم وكانوا يربون لهم شوارب
قدر السالفة الكتان فلما تسلطن قلاوون ابطل ذلك
جميعه وجدد لهم هيئات جميله بخلاف ما كانوا عليه
من الهيئات الشنيعه وكان خلع الامراء المقدمين
من العتابي والطرد وحش فصنع لهم خلع من
المخمل الاحمر بالفرا السمور وهو اول من اسكن
المماليك في ابراج القلعه وسماهم المماليك البرجية
وأما ما فتحه في ايامه من الفتوحات وهم المرقب
فمجبله من بلاد الفرنج وطرابلس الغرب واللاذقية
وجبيل والكرك والشوبك وغير ذلك من البلاد الغربية

وأما ما أبطله من المظالم في أيامه وهو أن كانت
وظيفة تسمى ناظر الزكوات كان يؤخذ ممن له مال
زكاته في كل سنة حسبما تقرر عليه في الدفاتر القديمة
فإن مات صاحب المال أو عدم ماله يؤخذ ما
تقرر عليه في الدفاتر من أولاده وأولاد أولاده
أو أقاربه ولو بقي منهم واحد فأبطل قلاوون ذلك
وسطر أجر ذلك في صحيفته إلى اليوم ومما أبطله
من المظالم أيضا وهو أن كان يؤخذ من أهل مصر
للمبشرين إذا حضروا ببشارة فتح حصن أو نصرة
عسكر أو بسلامة الحاج أو ما أشبه ذلك فيجبى من
أهل مصر على قدر طبقاتهم في السعة ويعطى
للمبشر فأبطل ذلك ومما أبطله أيضا وهو أن
كان يجبى من أهل مصر عند وفاء النيل المبارك
ثمن حلوى وفاكهة وأغنام للشوى برسم السماط الذي
يصنع في المقياس يوم وفاء النيل فأبطل ذلك عن
الناس وجعل مصروفه من بيت المال وأبطل
في أيامه أشياء كثيرة من أبواب هذه المظالم وجعل
ذلك في صحيفته إلى اليوم كما قال القائل
الخير افعله لا تتركن وجوههم تدعو إليه
طوبى لمن جرت الأمور الصالحات على يديه
قال الإمام الإسنوي إن في رابع عشرين رجب
سنة ست وسبعين وستمائة توفي الإمام العالم العلامة
فريد عصره ووحيد دهره الشيخ محيي الدين يحيى
بن شرف أبو زكريا النواوي الشافعي قدس الله روحه
ليحذر أوجب ذلك من السهو

روحه ونور ضريحه مات ببلده نوى ودفن
بها وفيه يقول الشيخ زين الدين بن الوردي
لقيت خيرا يا نوى ووقيت من ألم النوى
فلقد نشا بك عالم لله أخلص ما نوى
وعلا علاه بفضله فضل الحبوب على النوى
وقوله فيه أيضا
أيا محيي الدين صارت نوى لها قيمة بك بين الورى
فما لك إلا تدعي الكيميا أليس قلبت نوى جوهرا
قيل مات الشيخ محيي الدين عن خمسة وأربعين سنة
ومن مصنفاته كتاب المنهاج على مذهب الإمام
الشافعي رضي الله عنه والعمل عليه الآن وكان من
الأئمة المجتهدين وتوفي في دولة قلاوون بن
المنيب وبين النحاس النحوي وغير ذلك من العلماء ممن
تقدم ذكره انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المنصور
قلاوون الألفي وذلك على سبيل الاختصار ولما مات
قلاوون تولى بعده ابنه خليل ذكر سلطنة الملك
الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور
قلاوون الألفي الصالحي وهو الثامن من ملوك
الترك وأولادهم بالديار المصرية تولى
الملك بعد أبيه بعهد منه وجلس على سرير
الملك يوم الأحد سادس ذي قعدة سنة تسع
وثمانين وستمائة وكان مولده سنة ست وستين
وستمائة فلما تسلطن ركب بشعار السلطنة ونزل من
القلعة إلى الميدان الذي تحت القلعة وسبب
ذلك أن الأمراء لما تولى الأشرف خليل لم يطلع

أحد منهم الي القلعة وخشوا من القبض عليهم فلما
علم السلطان ذلك نزل الي الميدان وهو بشعار
الملك وجلس بالميدان واستحلف له الأمراء قاطبة
ثم اخلع في ذلك اليوم علي سنجر الشجاعي واستقر به
وزيرا كما كان في حياة والده فلما تم أمره في
السلطنة تلقب بالملك الأشرف وباس له الأمراء
الأرض ونودي باسمه في القاهرة وضج له الناس
بالدعاء وفيه يقول الأديب محمد بن غانم
مليكان قد لقبا بالصلاح فهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لا شك في فضله ولكن خليل هو الأشرف
ثم ان الأشرف خليل عمل الموكب فلما تكامل الأمرا
قبض علي الأمير طرنطاي نايب السلطنة وكان
بينه وبين الأمير طرنطاي عداوة قديمة من
أيام والده والذي كان طرنطاي خايف منه وقع
فيه فلما قبض عليه تكلم الأمير طرنطاي الذي
ما قبض علي الأشرف خليل وسجنه قبل ان يقبض
عليه ثم ان الأمير طرنطاي اقام في السجن ثلثة
أيام ثم أمر السلطان بخنقه فخنق تحت الليل
وهو بالسجن في القلعة فغسل وكفن ونزل
به تحت الليل فدفن في تربته التي بالقرافة
الصغري وقد نال الأشرف خليل من الأمير
طرنطاي مقصوده فكان كما قيل
أحذر من الناس ولا في معرك الشك تجلك
في خلب ليث بث وخف أن تبت في قلب رجلك
وكان الأمير طرنطاي دينا خيرا كثير البر

البر والصدقات يحب فعل الخير وينقاد
الي الشرع ويقرب العلماء ثم ان السلطان
رسم للشجاعي أن يحتاط علي موجود الأمير
طرنطاي فنزل الي بيته وما أبقي ممكن في
الأذى لجماعة طرنطاي فرسم علي مباشرينه
وعياله ونسائه وسراريه وجميع حاشيته من
كبير وصغير وأحضر لهم المعاصير وعصر جماعة
منهم وقررهم علي الأموال والذخاير فكان الشجاعي
ينزل من القلعة كل يوم ويعاقب جماعة الأمير
طرنطاي فظهر له من الأموال والتحف ما لا يسمع
بمثله فحمل ذلك الي السلطان ثم ان السلطان
عمل الموكب واخلع علي الأمير بدر الدين بيدرا
واستقر به نايب السلطنة عوضا عن الأمير طرنطاي
ثم ان السلطان أرسل خلف القاضي شمس الدين
بن السلعوس وكان عمله من أيام الملك المنصور قلاون
قيل لما أرسل السلطان خلف بن السلعوس كتب اليه
مرسوم بالحضور وحشاه بخطه بقلم العلامة بين
السطور يقول يا شقير جد السير جا الخير وكان
الأشرف خليل كثيرا ما يحشي بخطه في المراسيم بين
السطور ومما حشاه أيضا انه قال في مرسوم أرسله
الي دمشق بابطال ما كان يوخذ من المكس علي القمح عند
باب الجابية علي كل أردب خمسة دراهم فكتب بخطه
بين السطور وقد أمرنا بان نكشف عن رعايانا
هذه الظلامة ونستجلب بذلك الدعاء الينا من
الخاصة والعامة فهو أول من حشا بخطه في المراسيم

من الملوك ولم يفعل ذلك غيره من الملوك فلما حضر
شمس الدين بن السلعوس من مكة جاء صحبة مبشر
الحاج وقد جد في السير قلت وكان أصل بن السلعوس من
دمشق وكان تاجرا فجاء الى مصر وكان له خط
جيد فسعى عند الأشرف خليل وهو أمير في أيام
والده قلاوون فجعله ناظر ديوانه وصار يتجر
له في الأصناف من البضايع نحو البلاد الشامية
فحصل له في تلك سنة جملة مال من الفوايد
فحظي بن السلعوس عند الأشرف خليل حتى
صار لا يصبر عنه ساعة فلما بلغ الملك
المنصور ذلك أمر بنفي بن السلعوس الى مكة
فأقام بها الى ان مات المنصور قلاوون فلما
تسلطن الأشرف خليل أرسل خلفه بالحضور
على يد نجاب فلما حضر استقر به وزيرا عوضا
عن الشجاعي وفوض اليه أمور المملكة يتصرف
فيها حسبما يختار وكان اذا نزل من القلعة نزل
معه الأمراء ورؤوس النوب بالعصي قدامه
يفسحوا الناس وكانت القضاة الأربع تركب
تركب قدامه كل يوم خميس واثنين الى ان
ينزل الى بيته حسبما رسم له السلطان
بذلك وكانت القصص تقرأ عليه فينفذ أمرها
من غير مشورة السلطان وناله من العز
والعظمة ما نال جعفر البرمكي أيام الرشيد ثم
صار بن السلعوس يبات عند السلطان ويقضي

ويقضي حوائج من صحبتها لشهلها كما قيل في المعنى
ملك اذا قابلت بشر جبينه فارقته والبشر فوق
جبيني
واذا لثمت يمينه وخرجت من أبوابه لثم الملوك
يميني
ثم دخلت سنة تسعين وستمائة فيها جاءت الأخبار
بأن ملك الفرنج صاحب عكا صار يقطع الطريق
على المسافرين من المسلمين في البر والبحر فلما
تحقق السلطان ذلك أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أن
يخطب في جامع القلعة ويحرض الناس على قتال
الفرنج فلبس السواد وخطب بالناس في جامع القلعة
خطبة بليغة في معنى ذلك ثم ان السلطان
عرض العسكر وأنفق عليهم وخرج بنفسه الى حصار
عكا فلما وصل الى هناك نصب حول المدينة خمسة
وسبعون منجنيقا وحاصرها حتى فتحها بالسيف يوم
الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من سنة تسعين
وستماية فلما افتتحها هدم سورها وقلعتها وكانت
عكا من أجل المداين وكانت بيد الفرنج فلما خربت
صار الناس ينقلون منها الرخام والأعمدة ومن
جملة ما نقلوه البوابة الرخام الأبيض التي على
المدرسة الناصرية التي بجوار البرقوقية وكان
هذا على كنيسة في مدينة عكا وكانت مدة حصار
عكا نحو خمسة أشهر وقد استشهد في فتحها من
الأمراء اثني عشر أميرا ومن جملة ذلك الغزي

نقيب الجيوش المنصوره وهو صاحب سويقة
العزي المعروفه به وقتل من المماليك السلطانية
مايه وعشرين مملوكا ولما فتح عكا توجه الي
صيدا وبيروت ففتحها تلك السنة وكان فتح
عكا من اجل الفتوحات فان الفرنج كانوا يشوشون
علي التجار وياخذون اموالهم ويقطعون
الطريق علي المسافرين في البر والبحر فلما
فتح الاشرف عكا رجع الي الديار المصريه
فزينت له وكان يوم دخوله يوما مشهودا
وحملت علي راسه القبة والطير ولعبوا
قدامه بالغواشي الذهب وفرشت تحت
حافر فرسه الشقق الحرير ولاقته القضاة
الاربع من المطريه فدخل من باب النصر
في موكب حفل فلما وصل الي البيمارستان
نزل عن فرسه ودخل زار قبر والده ثم
ركب وطلع الي القلعة فاخلع علي الامراء ونزلوا
الي بيوتهم قال الشيخ شرف الدين
الابوصيري ناظم البرده رايت في المنام قبل
توجه الملك الاشرف الي عكا بمدة قايلا ينشد
هذه الابيات

قد اخذ المسلمون عكا واشبعوا الكافرين صكا
وساق سلطاننا اليهم خيلا تدك الجبال دكا
واقسم الترك منذ سارت لا يتركوا للفرنج ملكا

فلما انتبه الشيخ شرف الدين اخبر بعده الرويا
جماعه

جماعه من اصحابه وكانت الرويا في شوال فخرج الملك
الاشرف في اواخر محرم فكان الامر كما قال الهاتف
في المنام قال القاضي كاتب السر محيي الدين بن
عبد الظاهر

يا بني الاصفر قد حل بكم نقمة الله التي لا تنفصل
نزل الاشرف في ساحلكم فابشروا واهنه بصل متصل

فلما فتح الاشرف عكا ورجع عظم امره واستخف بالامراء
فاخذ في اسباب القبض علي جماعة من الامراء فقبض
علي الامير لاجين السلحدار وكان نايب الشام فقبض
عليه وارسله من هناك الي ثغر الاسكندرية ثم قبض
علي الامير سنقر الاشقر الذي كان تسلطن بدمشق
كما تقدم وقبض علي الامير طقصوا والامير جرمك
وجماعه من الامراء وسجنهم بقلعة الجبل ثم ارسل
خلف الامير لاجين الذي كان نايب الشام فلما تكاملوا
سبعه من الامراء ببرج الحية الذي بالقلعه فلما
كان ليلة الاحد في العشرين من رجب امر بخنق هولاء
الامراء السبعه فخنقوا تحت الليل فلما ارادوا دفنهم
وجدوا الامير لاجين نايب الشام فيه الروح فاخبروا
السلطان بذلك فعطف عليه وامر بالافراج عنه ونزل
الي بيته قلت ولاجين هذا تسلطن بعد كتبغا سنة
ست وتسعين وستماية فكيف كان يموت وقد اوعده
الله تعالي ان يكون سلطان مصر فسبحان من لا يخلف
الميعاد فلما تعافا الامير لاجين انعم عليه السلطان
بتقدمة الف ورسم له بتقدم عصر ثم افرج عن الامير
بيسري وسبب ذلك ان السلطان لما جا من التجريده
وشق القاهره فوقف اليه اولاد الامير بيسري عند

المدرسة الكاملية وكانوا ستة اولاد ذكور فلما جاز
عليهم السلطان باسوا له الارض وكان فيهم من هو
مرضع فقال السلطان من هولاء فقال له الامراء
هولاء اولاد مملوكك بيسري فرق لهم السلطان
وقال يحصل الخير انشاء الله فلما طلع الى القلعة
وقبض على هولاء الامراء وقتلهم فعند ذلك افرج
عن الامير بيسري وانعم عليه بتقدمة الف واقام
بمصر انتهى ذلك **ثم دخلت سنة احدى وتسعين**
فيها جرد السلطان الى نحو حلب وحاصر قلعة
الروم ونصب حولها ثلثة وعشرين منجنيقا ففتحها
بالسيف يوم السبت حادي عشر رجب من
هذه السنة وكانت بيد الارمن ثم رجع السلطان
الى الديار المصرية وهذه التجريدة الثانية التي
خرج فيها بنفسه وفي هذه السنة اعني سنة احدى
وتسعين وستماية **فيها** في رمضان توفي الشيخ
فتح الدين بن القاضي محيي الدين كاتب السر بن
عبد الظاهر توفي في حياة والده وقد تفقه في
الانشاء وتقدم على والده في صنعة الانشاء
وكانت مولده بالقاهرة سنة ثمان وثلثين وستماية
وكانت وفاته بدمشق فيل لما مرض كتب الى
والده هذه الابيات اللطيفة وشرح حالة بهذه
الاشارة الظريفة **وهو قوله**

أن شئت تبصرني وتنظر حالتي فابك اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلي رقة ونحافة ولاجل قلبك لا اقول عليلا

فهو

فهو الرسول اليك مني ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وما احسن قوله ولاجل قلبك لا اقول عليلا فيه
ما يفتت الاكباد ويحرك الجماد انتهى ذلك **ثم دخلت**
سنة اثنين وتسعين وستماية فيها خرج السلطان
على حين غفلة وتوجه الى نحو الكرك وهذه ثالث
تجريدة خرج بمفرده ورسم للامراء بان يلاقوه
على دمشق فلما دخل الكرك اخلع على الامير اقوش
واستقر به نايب الكرك ثم توجه الى دمشق فاعرض
العسكر هناك وعين منهم جماعة الى نحو سيس فلما
وصلوا الى هناك ارسل صاحب سيس يطلب من
السلطان الامان فارسلت الامرا مكاتبات للسلطان
بذلك فارسل السلطان للامراء ان سلم قلعة بهسنا
حمدون وقلعة البهسنا وقلعة المرعش فاعطوه
الامان وان لم يسلم هذه الثلاث قلاع فحاصروه
فلما جاء الجواب بذلك سلم صاحب سيس تلك القلاع
الثلاثة وحصل الفتح ورجع العسكر من غير قتال
ثم ان السلطان اقام بدمشق مدة ثم توجه الى
حمص فاضافه الامير مهنا بن عيسى ثلثة ايام ثم ان
السلطان قبض عليه وعلى اخوته وولي الامير علي بن
محديثه عوضا عنه ثم ان السلطان رجع الى دمشق
ورسم للامير بيدرا نايب السلطنة ان ياخذ العسكر
ويتوجه الى القاهرة فامتثل ذلك ثم ان السلطان
اقام بدمشق بعد العسكر مدة وتوجه الى مصر فكان
يوم دخوله يوما مشهودا وزينت له القاهرة
بالزينة الفاخرة وسار في موكب حفل حتى طلع

الى القلعة، وفي هذه السنة اعني سنة اثنين وتسعين
وستماية فيها في رجب توفي القاضي كاتب السر
محيي الدين بن عبد الظاهر وكان بينه وبين
وفاة ولده فتح الدين دون السنة وكان
مولد القاضي محيي الدين سنة عشرين وستماية
فكانت مدة حياته اثنان وسبعون سنة وهو
اول من تسمى كاتب السر وكان عالما فاضلا سن
ناظما ناثرا وله ديوان ادبيات كله غرر ومحاسن
ومما ينسب اليه من التغزلات الرقيقة وهو قوله
لئن جاد لي بالوصل منه خياله واصبح مجهودا
رقيب ولايم
الا انما الاقسام تحرم ساهرا واخر ياتي رزقه
وهو نايم
ومن تضمينه البديع
لقد قال لي اذ رحت من خمر ريقه احث كوسا
من الذ مغبك
بلثم شفاهي بعد رشف سلافها تنقل فلذات الهوى
في التنقل
ولما توفي القاضي محيي الدين تولى بعده القاضي تاج
الدين بن الاثير وصار صاحب ديوان الانشا بمصر
وفي هذه السنة في شعبان توفي الامام الحافظ
الاسعردي نور الدين علي ومن لطايف مجونه قوله
لما ثني جيده للسكر مضطجعا وهنا ولولا شفيع
الراح لم ينم
ذببت ليلا عليه بعد هجعته سكرا فقالوا ذبيب
النور في الظلم
ثم دخلت سنة ثلث وتسعين وستماية فيها

وكان قد دفن بالقرافة الصغرى

وفي هذه السنة اعني سنة اثنين وتسعين وستماية فيها توفي قاضي القضاة شهاب الدين محمود [illegible] ... وتوفي بعده القاضي شمس الدين محمد السروجي الحنفي

توجه

توجه السلطان الى نحو البحيرة على سبيل التنزه
فخرج في ثالث المحرم فلما وصل الى هناك ضرب
حلقة في مكان يعرف بالحمامات وهو غربي تروجه
فاقام هناك مدة ثم قصد التوجه الى ثغر الاسكندرية
فارسل الصاحب شمس الدين بن السلعوس الى ثغر
الاسكندرية ليجهز الاقامات لاجل قدوم السلطان
فلما دخل بن السلعوس الى الاسكندرية وجد غلمان
الامير بيدرا النايب قد استولوا على البهار وادخلوه
الحواصل فحصل بين بن السلعوس وبين غلمان الامير
بيدرا تشاجر بسبب ذلك فارسل بن السلعوس كاتب
السلطان بما جرى له مع غلمان الامير بيدرا وما قالوه
وشرع يزيد على كل كلمة عشره واغلظ القول في
حق الامير بيدرا واخذ جراحاته عند السلطان حتى
حرده عليه ~~الامير بيدرا~~ وكان ذلك سببا لزوال
ملك الاشرف خليل ورب غش قد اتى من نصيح
وقد قيل في المعنى
يا نا قلا الي قول حاسدي لا ينبغي نقل الذي لا ينبغي
لا تؤذني في حجة النصح فما اسمعني السوء سوى مبلغي
ثم ان السلطان ارسل خلف الامير بيدرا وقت الظهر
فلما حضر بين يديه وبخه بالكلام وقصد القبض عليه
وتوعده بكل سوء فتلطف الامير بيدرا في الكلام
حتى خرج من بين يديه فاجتمع بخشداشينه من الامراء
واتفق رايهم على قتله وكان الاشرف خليل مولعا
بالصيد فاعطا العسكر دستورا بالتوجه الى القاهر
وخلا بنفسه فمضى العسكر وجماعة من الامراء وبقي

السلطان في نفر قليل من المماليك والخاصكية فلما كان
يوم السبت خامس عشر المحرم ركب السلطان
وانفرد وحده وليس معه سوى أمير شكار أحمد
بن الأشل فلما بلغ الأمراء ذلك ركب الأمير بيدرا
والأمير لاجين والأمير قراسنقر والأمير بهادر
وجماعة من المماليك السلطانية وشدوا في
أوساطهم تراكيش وسيوف وساقوا خلفه فوجدوا
السلطان وحده وليس معه سوى أمير شكار وبعض
مماليك جمدارية فقالوا هذا وقت انتهاز الفرصة

كما قيل

وانتهز الفرصة إن الفرصة تصير أن لم تنتهزها
غصة

فلما رآهم السلطان قاصدين إليه أحس بالشر وظهر
له منهم الغدر فلما قربوا منه عاجلوه بالحسام
قبل الكلام وكان أول من بادر إليه بالحسام
الأمير بيدرا النايب فضربه بالسيف على يده
فصاح عليه الأمير لاجين وقال ويلك الذي
يريد السلطنة يضرب هذه الضربة ثم ضربه
الأمير لاجين على كتفه بالسيف ضربة فوقع إلى
الأرض فجاء إليه الأمير بهادر رأس نوبة النوب
ونزل عن فرسه وأدخل السيف في دبره
وأطلعه من حلقه وما كان أحد من الأمراء يظهر
ما في نفسه منه وتركوه ميتا في الفضاء ملقى على
ظهره ومضوا وفيه يقول ابن حبيب

تبا لأقوام بمالك رقهم فتكوا وما رقوا لحالة
مترف

وافوه

وافوه غدرا ثم مالوا جملة بالمشرفي على المليك
الأشرف

ثم إن الأمراء رجعوا إلى الوطاق واشتوروا فيمن
يولوه السلطنة وهذه الواقعة تقرب من واقعة
المظفر قطز مع الظاهر بيبرس البندقداري ثم إن
الأمراء تحالفوا أن يكونوا عصبة واحدة ووقع
الاتفاق على سلطنة الأمير بيدرا النايب فباس له
الأمراء الأرض ولقبوه بالملك الأمجد وقيل بالملك
الرحيم ثم إن الأمراء توجهوا إلى القاهرة وركب
بيدرا تحت العصايب السلطانية وقبض على جماعة
من الأمراء منهم الأمير بيسري والأمير بكتمر السلحدار
وغير ذلك من الأمراء وسار في موكبه إلى الطرانة
فلما وصل الخبر إلى القاهرة بما جرى ركب العسكر قاطبة
والأمراء الذي كانوا بمصر وخرجوا على حمية فلما
عدوا من الجيزة ووصلوا إلى الطرانة تلاقوا هناك
الفريقين من العسكر فوقع بينهما هناك وقعة تشيب
منها النواصي فانكسر بيدرا ورجع إلى تروجة وكان قد
جمع من عربان البحيرة نحو خمسماية فارس فلما انكسر
تسحب من كان معه من العربان وغيرها فلما توجه بيدرا
إلى تروجة تبعوه المماليك الأشرفية فهرب نحو الجبل
فتبعه جماعة من المماليك فقبضوا عليه وأحضروه
بين يدي الأمير كتبغا فلما رأوه المماليك الأشرفية قطعوه
بالسيوف وشقوا بطنه وأخرجوا كبده وصار كل
أحد من المماليك يقطع منه قطعة ويأكلها من شدة
قهرهم على أستاذهم الأشرف خليل ثم إن الأمير

كتبغا حتى راس بيدرا وجعلها على رمح وارسلها الى
القاهره فطافوا بها ثم علقوها على باب بيته ثم ان
الامير سنجر الشجاعي نادى ان احدا من النوابية
لا يعتني باحد من العسكر الذي كانوا مع بيدرا
واستمرت الاحوال مضطربه هذا ما كان من امر
بيدرا واما ما كان من امر الاشرف خليل فانه
اقام ملقا في البرية ثلثة ايام لم يكفن حتى اكل
الذباب وجهه ويداه ورجلاه وقد قيل فيه

الم ترى ان الليث حقا تناهشت ذياب الفلا
منه ذراعا وساعدا
فلا تعذلا يا صاحبي على الاسى وعينا على صرف
الزمان وساعدا

ثم ان ايدمر الفخري والي تروجه حمل السلطان
من هناك على جمل واتى به الى القاهره فغسلوه
وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في مدرسته
التي انشاها بالقرب من مشهد السيده
نفيسه رضي الله عنها واما الامير بيدرا
فاخذت راسه وما بقي من جثته ودفن في تربته
التي انشاها بالقرافة الصغري وكان اول
من انشا تربة بالقرافة الصغري الامير يلبغا
التركماني ثم صارت الامرا تنشي بها ترب وخوانق
جليلة وذلك في دولة الناصر محمد بن قلاوون
في مبتدا سنة احدى وسبعمايه وكان من باب
القرافه الى تربة بيدرا ميدانا واحدا تسابق فيه
الامرا

الامرا بالخيول ويجتمع الناس هناك للتفرج
على السباق وكان الشرط في السباق من تربة
الامير بيدرا الى باب القرافه انتهى ذلك
وكان الاشرف خليل حسن الوجه ابيض اللون
مستدير اللحيه ضخم الجسد كبير الوجه وكان
مهابا في اعين الناس كفوا للسلطنه عارفا
باحوال المملكه وكان شجاعا بطلا مقداما وقت
القتال خفيف الركاب يحب الحركه والاسفار وكان
مسعود الحركات ولو طال عمره لفتح غالب بلاد
العراق ولا يعرف في ابناء الملوك من يناظره في
شدة العزم والشجاعه وقوة الباس وعلى هذا قد
اتفق ارباب التواريخ في ترجمته وكان يميل الى
شرب الراح وحب الملاح وكان حسن الفهم يقظ
القلب وكان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يقول
ما رايت ولا سمعت باحسن من فهم الملك الاشرف خليل
ولقد كنت احضر بالمراسيم للعلامه فما كان يعلم على
مرسوم قط الا ويقراه جميعه ويفهم ما فيه بل وكان
يخرج علينا باشياء كثيره في صنعة الانشاء ويرافيها
الصواب منه ولقد تغالظ في امره حتى صار يكتب
في علامته على المراسيم حرف الخاء فقط اشارة الى
الحرف الاول من اسمه ومنع الموقعين ان لا يكتبوا
لاحد من الامراء والنواب الزعيمي وكان يقول من
زعيم الجيوش غيري وله اشيا كثيره من هذا النمط
ولكن كان من مساوه اشيا كثيره منها انه قتل جماعه كثيره
من الامراء والنواب ومن مساويه انه قرب بن

السلعوس وجعله وزيرا وحكمه في الناس فحصل منه
الضرر الشامل ومن مساويه أنه لما توجه الي
الكرك أخرج أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري
وهما سلامش وأخيه سيدي خضر وكانا بالكرك من
حين تولي قلاوون فأخرجهما من الكرك وأرسلهما
الي القسطنطينيه صحبة الأمير ايبك الموصلي ثم
وأمهاتهما معهما فلما وصلوا الي القسطنطينيه أكرمهم
الاشكري ملك الفرنج ورتب لهم ما يكفيهم من
النفقه في كل يوم فاقاموا بها مده فاما سلامش
فادركته المنيه هناك فمات فلما مات صبرته أمه
وجعلته في شحليه الي ان اتفق عودها الي مصر
فحملته معها ودفنته بالقرافه ومات وله من
العمر نحو اثنين وعشرين سنه واما سيدي
خضر فانه عاد الي مصر كما سياتي ذكر ذلك في موضعه
انتهي ذلك وكانت قتلة الأشرف
خليل يوم السبت بعد العصر خامس عشر المحرم
سنة ثلث وتسعين وستمايه ومات وله من العمر
نحو ثلثين سنه وكانت مدة سلطنته بالديار
المصريه ثلث سنين وشهرين وخمسة ايام وأما
فتوحاته التي افتتحها في ايامه عكا وصيدا
وبيروت وعتليت وبهسنا وقلعة الروم
ومرعش وتل حمدون وصور وأما ما انشاه
من العماير وهي قاعة الأشرفيه التي بالقلعة
والايوان الأشرفي ومدرسته التي بجوار
مشهد السيده نفيسه رضي الله عنها وكان
معرما

معرما بمشتري المماليك حتي قيل بلغت عدة
مماليكه في هذه المدة اليسيره ستة الاف
مملوكا وفيه يقول الصفي الحلي من قصيدة
وهو قوله

يا ايها الملك الذي سطواته حلمت بها الأعداء في يقظاتها
ملك تقد له الملوك باذنه انسان أعينها وعين حياتها
شتت شمل المال بعد وفوره وجمعت شمل الناس بعد شتاتها
وظهرت بالعدل الذي امسي به في البلد يخشي ذيبها من شاتها

ولما قتل الأشرف خليل وقع الاتفاق من الأمرا
علي سلطنة أخيه محمد فسلطنوه عوضا عنه وتلقب
بالناصر انتهي ما أوردناه من أخبار الملك الأشرف
خليل وذلك علي سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وهو التاسع من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصريه

بويع بالسلطنة بعد أخيه
الأشرف خليل يوم الخميس ثامن عشر
المحرم سنة ثلث وتسعين وستمايه وكان له من
العمر لما تولي السلطنة نحو تسع سنين وكان مولده
سنة أربع وثمانين وستمايه وكانت أمه خوند
أشلون بنت الأمير تكاي فلما جلس علي سرير الملك
باس له الأمرا الأرض وتلقب بالملك الناصر ونودي
باسمه في القاهرة وضج له الناس بالدعاء ودقت

له البشاير فلما تم امره في السلطنة عمل الموكب
واخلع علي من يذكر من الامراء وهم الامير
كتبغا واستقر نايب السلطنة عوضا عن الامير
بيدرا واخلع علي الامير سنجر الشجاعي واستقر به
وزيرا عوضا عن ابن السلعوس واخلع علي الامير
بيبرس الجاشنكير واستقر به استادارا وكاشف
الكشاف وفي ذلك اليوم طاف والي القاهرة
براس الامير بيدرا وهي علي رمح ثم علقت علي
باب القلعة ثم نقلت وعلقت علي باب بيته ثم
بعد ايام دفنت في تربته التي في القرافة الصغرى
ثم ان الامير كتبغا اخذ في اسباب القبض علي جماعة
من الامراء الذين كانوا سببا لقتل الملك الاشرف
خليل فنزل الشجاعي وقبض علي الامير قفجق
السلحدار والامير قرمش والامير بوري والامير
لاجين جركس والامير مغلطاي المسعودي
والامير كردي الساقي وهو صاحب الحمام التي
كانت باللوق فلما قبض عليهم قيدهم وسجنهم
في البرج الذي بالقلعة ثم انه قبض علي جماعة
من المماليك السلطانية وسجنهم بخزانة شمايل ثم
ان الامير بيبرس الجاشنكير تولي عقوبة هولاء
الامراء الذي كانوا في البرج وصار يقررهم
علي من كان سببا في قتل الاشرف خليل فمنهم من
قتل ومنهم من لم يقتل ثم ان الامير كتبغا رسم
بقطع ايديهم وارجلهم وسمرهم علي جمال ثم
طاف

طاف بهم في القاهرة والمشاعلية تنادي عليهم
هذا جزاء من يقتل استاذه وكان لهم في القاهرة
يوم مشهودا ثم وسطوهم في الرملة عند سوق
الخيل ثم ان الشجاعي قبض علي الصاحب شمس الدين
ابن السلعوس واحتاط علي موجوده ورسم علي
اقاربه وعياله وحاشيته وصار يعاقب ابن السلعوس
كل ليله ويعصر اكعابه بالمعاصير حتي مات تحت
الضرب وكانت وفاته يوم الاحد خامس عشر صفر
من سنة ثلث وتسعين وستمايه فذهب ماله وزال
سلطانه

وقد قيل في المعني

لا تغترن بخير جاء من غلط ... فللزمان اسااات واحسانه

وكن من الدهر ان يصحو علي حذر ... فما تقدمت الا وهو سكرانه

قال الشيخ شمس الدين الذهبي كان للصاحب شمس
الدين ابن السلعوس اقاربا بالشام فلما صار اليه
من الامر ما صار ارسل خلف اقاربه فكلهم حضروا
الي القاهرة الا شخصا من اقاربه يقال له زين
الدين فانه ابا من الحضور الي مصر وخاف علي نفسه
وكتب الي ابن السلعوس وهو يقول له

تنبه يا وزير الملك واعلم ... بانك قد وطيت علي الافاعي

فكن بالله محتميا فاني ... اخاف عليك من نهش الشجاعي

فكان الفال بالمنطق فما عن قريب حتي جري عليه
ما جري ونهشه الشجاعي اي نهش انتهي ذلك
وفي هذه السنة اعني سنة ثلث وتسعين وستمايه

وفيها في جمادى الأولى توفي الأمير أحمد بن موسى
بن يغمور وكان من أعيان شعراء مصر وله شعر
جيد فمن ذلك قوله
سوداء بيضاء الشمايل حلوة ، معشوقة الحركات
والالفاظ
مشكلية انقاسها هندية هندية الالحاظ
وكانت وفاته بالمحلة ودفن بها وفيها توفي
الإمام الحافظ العلامة أبو القاسم عبيد بن محمد
بن عياش الشافعي ولد سنة اثنين وعشرين وستمائة
ومات في شعبان من تلك السنة ومن هنا
نرجع الى ما كنا فيه ثم ان الشجاعي صار يستخف
بالسلطان لصغر سنه فلما رأى الكلمة اجتمعت فيه
وصار صاحب الحل والعقد في تلك الايام حدثته
نفسه بالسلطنة فصار يرمي الفتن بين الامراء
وبين الأمير كتبغا نايب السلطنة وصار ينعم على
جماعة من المماليك البرجية ونفق عليهم في الدس
نحو ثمانين الف دينار وقال لهم كل من قتل
أميرا وجاء برأسه يأخذ اقطاعه وبركه وبيته
وصار العسكر فريقين فريق مع الشجاعي وفريق مع
كتبغا فلما كان يوم الجمعة ثالث عشرين رجب
وثب المماليك البرجية على الأمير كتبغا وتوجهوا الى
بيوت الأمراء فركب الأمير كتبغا هو وخشداشينه
وطلعوا الى سوق الخيل وحاصروا القلعة أشد
المحاصرة وقطعوا عنها الماء فنزل اليهم المماليك
البرجية وتحاربوا معهم في الرملة حتى كاد الأمير
كتبغا

[Marginal note: وفيها توفي الشيخ [illegible] جلال الدين [illegible] السيوطي [illegible]]

كتبغا أن ينكسر فجاء اليه الأمير بيبسري والأمير بكتاش
أمير سلاح والأمير بكتوت العلائي والأمير ايبك
الموصلي والأمير أقسنقر والأمير بلبان الحسني وغير
ذلك من الأمراء العشراوات والمماليك السلطانية
فكان بينهم وبين المماليك البرجية وقعة قوية فلم
تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسرت المماليك البرجية
وطلعوا الى القلعة مهزومين وكانوا يسكنون في
الأبراج التي بالقلعة وكانوا نحو اربعة الاف وثمانمائة
مملوكا فلما تزايد أمر الفتنة نزلت خوند اشلون أم
الملك الناصر الى باب السلسلة وأرسلت خلف الأمير
كتبغا وتحدثت معه من أعلى السور وقالت له ايش
آخر هذه الفتنة ان كان قصدك خلع ابني من السلطنة
فافعل وأرسله في مكان تقصده فقال لها كتبغا
أعوذ بالله السميع العليم والله لو بقي من أولاد أستاذنا
بنتا عميا ما خرجنا الملك عنها وانما قصدنا مسك الشجاعي
الذي يرمي بيننا الفتن فلما رأوا عصبة الشجاعي ان الكسرة
عليهم صاروا يتسحبون من القلعة وينزلون الى
عند الأمير كتبغا فلما رأى الشجاعي عين الغلب أرسل
يطلب من الأمير كتبغا أمانا لنفسه فلم يعطيه كتبغا أمانا
ولا وافقه على ذلك أحد من الأمراء ثم ان الشجاعي
دخل عند السلطان وقت الظهر فقال له السلطان
يا عمي ايش آخر هذا الحال الذي انتم فيه فقال
له الشجاعي هذا كله لأجلك يا ابن أستاذي فانهم
يقصدوا خلعك من السلطنة ويمسكوني أنا فقال
له السلطان يا عمي أنا أعطيك نيابة حلب وأخرج روح

عنهم واستريح من هذا الحال كله فلم يوافق
الشجاعي على ذلك واغلظ على السلطان في القول
فقام اليه جماعة من المماليك الذي حول السلطان
ومسكوه وقيدوه وارسلوه الى البرج فبينما
هو في اثناء الطريق خرج عليه جماعة من المماليك
الاشرفية قطعوا راسه وكان الذي قطع راسه
شخصا من المماليك يسمى بهاي الدين اقوش فلما
قطع راسه وضعها في فوطة حرير وارسلها الى
الامير كتبغا فلما وصل الذي معه الراس الى باب
القلعة قالوا المماليك البرجية الذي هم من
عصبة الشجاعي ما معك في هذه الفوطة قال
خبز سخن ارسله السلطان للامرا ليعلموا
ان عندنا الخبز كثير فتركوه حتى مضى ونزل
من القلعة ولو علموا ان معه راس الشجاعي
لقتلوه اشر قتله فلما نزل الى الرملة وضع
راس الشجاعي بين يدي الامير كتبغا فلما تحققوا
الامرا قتله توجه كل احد منهم الى بيته
وخمدت الفتنة ثم ان الامير كتبغا رسم
بان تعلق راس الشجاعي على رمح ويطاف بها
مصر والقاهرة فطافوا بها وهي على رمح طويل
والمشاعلية تنادي عليها هذا جزا من يرمي
الفتن بين الملوك وكان اكثر الناس يكرهون
الشجاعي من ظلمه فصاروا يعطوا المشاعلي شيا
من الفضة وياخذون منهم راس الشجاعي ويدخلون
بها عندهم في الدار ولا يزالون يصفعونها بالنعال

بالنعال والقباقيب حتى يشتفوا منه فدخلوا بها
حتى حارة زويلة وصار اليهود يدخلون بها
عندهم ويصفعونها بالنعال وربما قيل كانوا
يبولون عليها فاقاموا يطوفون بها ثلاثة ايام متوالية
حتى قيل ان المشاعلية كانت معهم برنية خضرا
يحصلون فيها ما يدخل عليهم من الناس من فضة
وفلوس فقيل انهم ملوا تلك البرنية فضة ثلاثة
مرات ولم يسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم
من الوقايع الغريبة وكان الشجاعي رجلا طويلا
ابيض اللون اشقر اللحية ازرق العينين رومي
الجنس ظالم الصورة عنده قسوة زايده اذا
ظفر باحد لا يرحمه فلما قتل لم يبكي له احد
من الناس قاطبة **فكان كما قيل في المعنى**

لا تفعل الشر فتسمى به وافعل الخير تجازى
عليه
اما ترى الحية من شرها يقتلها من لا
اساءت اليه

فلما قتل الشجاعي خمدت الفتنة وطلع الى القلعة الامرا
وعرضوا المماليك البرجية فكانوا نحوا اربعة
الاف وسبعماية فرسم لهم الامير كتبغا ان
ينزلوا من القلعة ويسكنوا في الابراج الذي
في سور القاهرة خلف البرقية فنزلوا من
القلعة وسكنوا بها ورتب لهم ما يكفيهم في كل
يوم وشرط عليهم انهم لا يركبوا ولا يخرجوا
من الابراج ثم ان الامير كتبغا قبض على جماعة
من الامرا ممن كان من عصبة الشجاعي وهم

الأمير بيبرس الجاشنكير الأستادار والأمير اللغماني
أمير آخور كبير وغير ذلك من الأمراء العشراوات
فقبض هم وأرسلهم الي السجن بثغر الإسكندرية
ثم أفرج عن جماعة من الأمراء وهم الأمير قبجق
السلحدار والأمير عبد الله حامل الجتر والأمير
قدمشي والأمير بوري والأمير لاجين جركس والأمير
مغلطاي المسعودي والأمير كردي الساقي والأمير
عمر شاه السلحدار وهو صاحب القنطرة التي عند
درب الشمسي فلما حضروا أخلع عليهم وأعادهم
الي وظائفهم وأمرياتهم ولما قتل الشجاعي أخلع
السلطان علي الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر
الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا واستقر به
وزيرا عوضا عن سنجر الشجاعي بحكم قتله كما تقدم
قلت والصاحب تاج الدين هذا هو الذي اشتري
الآثار الشريف النبوي وكان هذه الآثار عند
جماعة من بني إبراهيم بالينبع فتلطف بهم حتي
اشتراه منهم بستين ألف درهم فضة وحمله
الي مصر فأودعهم أولا في رباط الآثار المطل
علي بركة الحبش ثم إنه أنشأ مسجدا مطلا علي
بحر النيل ونقل إليه الآثار الشريف واستمر به
مدة طويلة وكانت الناس تقصد الزيارة إليه في
كل يوم أربعا فلما تلاشي أمر ذلك المكان وصار
منقطع طريق واستمر علي ذلك الي سنة تسع وتسعمائة
فنقله الملك الأشرف قانصوه الغوري الي مدرسته
التي أنشأها في الشرابشيين كما سيأتي ذكر ذلك
في

في موضعه وكان نقله عن مكانه غير شرط الواقف
وقبل ذلك نقله أيام الشيخ أمين الدين الأقصرائي
رحمة الله عليه فلم يوافق علي نقله من مكانه وقال
ما نتبع في ذلك الا شرط الواقف انتهي ذلك ثم
دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة فيها في يوم
عشر المحرم ركبت جماعة من المماليك الأشرفية تحت
الليل وفتحوا باب سعادة وهجموا علي اسطبلات
الناس وأخذوا خيولهم فلما طلع النهار أرسل الأمير
كتبغا قبض علي من فعل ذلك من المماليك وقطع
أيديهم وطاف بهم القاهرة ثم صلبهم علي باب زويلة
ووسط منهم جماعة وكان الذي فعل ذلك نحو
ثلثمائة مملوكا فلما اضطربت الأحوال اجتمعت الأمراء
وضربوا مشورة في أمر المملكة وقالوا إن السلطان
صغير السن وطمع فيه المماليك ومن الرأي أن
يتولي المملكة سلطانا كبيرا من الأتراك لتقمع المماليك
والعربان فوقع الاتفاق علي سلطنة الأمير كتبغا
فأرسلوا خلف القضاة الأربع وخلعوا الملك الناصر من
السلطنة وولوا كتبغا وبايعه الخليفة **فكانت** مدة
سلطنة الملك الناصر محمد في هذه المرة الأولي أحدي
عشرة شهرا وأياما ثم يعود الي السلطنة ثاني مرة
كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه انتهي ما أوردناه
من أخبار الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك علي سبيل
الاختصار **ذكر سلطنة الملك العادل زين
الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري وهو العاشر
من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية**

بويع بالسلطنة بعد خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون
يوم السبت حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين
وستمائة وتلقب بالملك العادل وجلس على سرير
الملك وباس له الأمراء الأرض ونودي باسمه
في القاهرة وضج له الناس بالدعاء قلت
وكان أصله من سبايا التتار أخذه الملك
المنصور قلاوون في وقعة حمص الأولى سنة
تسع وخمسين وستمائة فصار من جملة المماليك
السلطانية ثم بقي خاصكي ثم بقي أمير عشرة ثم بقي
أمير طبلخاناه ثم بقي مقدم ألف فلما قتل الأشرف
خليل وتولى أخوه محمد جعله نايب السلطنة عوضا
بيدرا ثم بقي سلطان مصر فلما جلس على سرير
الملك أخلع على الأمير لاجين واستقر به نايب
السلطنة عوضا عن نفسه وكان الأمير لاجين من
جملة من تواطا على قتل الأشرف خليل فلما قتل بيدرا
هرب لاجين واختفى في مادنة بجامع أحمد بن
طولون فأقام بها مدة طويلة ثم أن الأمير
كتبغا شفع فيه عند الملك الناصر وقابله به
فأنعم عليه السلطان بتقدمة ألف فلما تسلطن
كتبغا جعله نايب السلطنة وفوض إليه أمور
المملكة ثم أخلع على الأمير بهادر وجعله
حاجب الحجاب وهو أول من أحدث هذه
الوظيفة وجعلها وظيفة كبيرة ولم يكن قبل
ذلك شيء يقال له حاجب الحجاب فعظم أمرها من
يومئذ ثم أن العادل كتبغا صار ينعم على
جماعة من خشداشينه بتقادم الوف حتى
تقوي

[illegible]

تقوي شوكته ويروج أمره وتصير له عصبة
فالتف عليه جماعة من الأمراء وتعصبوا له
فراج أمره في السلطنة وثبتت قواعده وصار
له حلف من الأمراء والمماليك السلطانية ثم دخلت
سنة خمس وتسعين وستمائة فيها في ليلة الجمعة
ثامن ربيع الآخر توفي الشيخ الزاهد الناسك سيدي
فتح الأسمر رحمة الله عليه وهو فاتح بن عثمان بن
عبد الله الأسمر التكروري المراكشي قدم من
مراكش إلى ثغر دمياط على سبيل التجريد وكان
يسقي الماء بدمياط في الأسواق احتسابا لله من
غير أن يأخذ من أحد شيئا وكان يلازم الصلاة
في المسجد مع الجماعة وكان لا يرى إلا وقت إقامة
الصلاة فإذا سلم الإمام عاد إلى انعكافه وأشار
عليه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بالتزوج
فتزوج قرب موته ورزق ولدين وكان لا يقبل
من الناس شيئا وجدد عمارة مسجد الفتح بدمياط
وكان خرابا منذ سنين فبناه على سبيل التجريد
وساعدته الناس على بنايه ولما مات دفن بجوار
مسجد الفتح وكان سلوكه على طريقة السلف في
التمسك بالكتاب والسنة وكان له كرامات خارقة
وكان يبذل جهده في كتم حاله والله تعالى
يظهر خيره وبركته للناس وقبره في دمياط
يزار إلى يومنا هذا والدعاء عنده مجاب
قال الشهاب المنصوري

[illegible]

لعمرك ما دمياط الا حببة تهيم الورى منها باحسن منظر

وذات جمال ان تبسم ثغرها تبسم من معناه عن عقد جوهر

لها ناظر منه تصول بابيض وتطعن من فتح القوام باسمر

وفي هذه السنة ايضا كانت وفات الشيخ سراج الدين الوراق الشاعر الماهر وكان من فحول الشعراء وله شعر جيد معينا له على اغراضه وكان لقبه قابلا للتنكيت حتى قيل له لولا لقبك وصناعتك لذهب غالب شعرك وكان مولده سنة خمس عشرة وستمائه ووفاته في هذه السنة وهي سنة خمس وتسعين وستمائه وكانت مدة حياته ثمانين سنه وقد عاصر بن سنا الملك وابو الحسين الجزار والنصير الحمامي وناصر الدين حسن بن النقيب وشمس الدين بن دانيال الحكيم والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وادركه الشيخ جمال الدين بن نباته في اواخر عمره وله ديوان في الادبيات يشتمل على سبع مجلدات في القطع الكامل يسمى لمع السراج قيل ان الشيخ نصير الدين الحمامي قال للسراج الوراق عملت قصيده في الصاحب تاج الدين السبكي واشتهي ان تثني عليها اذا قراءت بحضرتك فلما انشدها النصير الحمامي بحضرة السراج الوراق فانشد السراج الوراق على الفور

أرتجالا

[illegible]

أرتجالا شاقني للنصير شعر بديع ومثلي في الشعر نقد بصير

ثم لما سمعت باسمك فيه قلت نعم المولى ونعم النصير

ومما وقع للسراج انه اجتمع هو وابو الحسين الجزار في مجلس بعض الرؤسا فقام ابو الحسين الجزار الى الخلاء ليقضي حاجة فقام السراج الوراق بين يديه بالشمعه فقال ابو الحسين انا نحو دنا ما نخرا الا على السراج فقال السراج قد اليت على نفسي ان لا اتيك على قط وكانت دقة السراج الوراق اقعد من دقة ابي الحسين ومما ساعد السراج الوراق في شعره من لقبه وصناعته **وهو قوله**

واخجلني وصحايفي سودا غدت وصحايف الابرار في اشراق

وموبخ لي في القيامة قايلا اكذا تكون صحايف الوراق

وقوله ايضا

الهي لقد جاوزت سبعين حجة فشكرا لنعماك التي ليس تكفر

وعمرت في الاسلام فازددت بهجة ونورا كذا يبدو السراج المعمر

وعمم نور الشيب راسي فسرني وما ساءني ان السراج منور

انتهى ذلك

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث العظيمة ان الطاعون وقع بمصر واعمالها واشتد الامر جدا

[illegible]

حتي صار الناس يتساقطون موتي في الطرقات من
نساء ورجال وأطفال حتي فني من اهل مصر نحو الثلث
قال الامام ابو شامة في تاريخه ان الملك العادل
كتبغا كفن من ماله في مدة يسيرة من مات من
الغرباء في الطرقات نحوا من مايتي الف وسبعين
الف انسان حتي جافت منهم الطرقات والحارات
والأزقة وصار الرجل يكون ماشيا فيقع ميتا في
الحال عن دابته او ماشيا وقد قال المجاز

يا طالبا للموت قم واغتنم هذا أوان الموت ما فاتا
قد رخص الموت علي اهله ومات من لا عمره ماتا

وتوفي في هذه السنة في شوال الشيخ سحنون المالكي
شيخ القراآت وكان علامة في عصره وتوفي فيها
أيضا الشيخ عبد الباري الصعيدي وكان أحد العلما
الصالحين بمصر وكان شيخ القراآت وفيها في ذي
القعدة توفي الامام العالم العامل العلامة البارع
الورع الناسك الزاهد ابو محمد عبد الله بن ابي جمرة
المالكي المذهب مات بمصر ودفن بجوار تربة
الشيخ تاج الدين بن عطا الله رضي الله عنهما وهو
الذي جمع الاحاديث الصحيحة عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم التي تقرأ عند قبره في
اول يوم من السنة فتجتمع الناس هناك ويفتتحوا
العام بزيارته ويسمعوا ما جمعه من الاحاديث
الشريفة انتهي ذلك ثم دخلت سنة ست
وتسعين وستمائة فيها وقع من الحوادث

العظيمه

العظيمه أن النيل بلغت زيادته الي اول توت خمس
عشرة ذراعا وثمانية عشر اصبعا ثم انهبط ولم يزد
بعد ذلك شيئا فشرقت البلاد ووقع الغلاء بمصر
وأعمالها وانتهي سعر القمح الي مايه وسبعين درهما
وانتهي سعر الشعير الي مايه وعشرين درهما كل
أردب وكذلك الفول وبلغ الرطل اللحم الي
سبعة دراهم وأبيع الفروج بخمسة عشر درهما وأبيعت
البيضة الواحدة بأربعة دراهم وأبيعت التفاحة
والرمانة والسفرجلة كل واحدة منهم بثلثين درهما
وأبيعت القطعة السلو بثقلها فضة فلما اشتد الامر
على الناس أكلوا القطط والكلاب والحمير والبغال
والخيل والجمال ولم يبقي عند أحد شيئا من الدواب
حتي قيل أبيع كل كلب بخمسة دراهم وكل قط بثلثة
دراهم وقد عم هذا الغلا ساير البلاد الشامية حتي
مكة والمدينة ولطف الله تعالي بأهل مصر فأرسل
عليهم جرادا كثيرا فأكل منه الناس قاطبة وصار
يباع منه كل أربعة أرطال بدرهمين وحصل به
غاية النفع للناس واستمرت هذه الشدة علي الناس
سنة كاملة حتي حضرت لهم غلال كثيرة من بلاد
الفرنج وغيرها ووقع الرخا كما قيل في المعنى

كن لمن يحمل هما ان هذا لا يدوم
مثلما تفني المسرات هكذا تفني الهموم

وفيها اعني هذه السنة خرج السلطان كتبغا الي نحو
البلاد الشامية لامر اوجب ذلك فلما دخل الشام

نزل بالميدان وحكم بين الناس ولعب هناك الأكرة
وصلى الجمعة بدمشق وأقام بها أيامًا وعزل من
عزل وولى من ولى واستقامت أموره فعند
ذلك قصد العود إلى الديار المصرية فلما رحل من
من دمشق ووصل إلى وادي الفحمة فوقع بين
الأمير لاجين نائب السلطنة وبين جماعة من
الأمراء تشاجر بسبب فشروي لا له أصل فبادر
الأمير لاجين وقبض هناك على جماعة من الأمراء
منهم الأمير بتخاص العادلي والأمير بكتوت
الأزرقي وغير ذلك من الأمراء وكان هذين
الأميرين جناحا الملك العادل كتبغا فلما جرى ذلك
رجع كتبغا إلى دمشق في نفر قليل من العسكر فلما
دخل دمشق احتوى الأمير لاجين على خزاين المال
وركب تحت العصايب السلطانية وقصد التوجه
إلى مصر وأما العادل كتبغا لما رجع إلى دمشق
أقام بقلعة دمشق وأطاعه عسكر دمشق وتعصبوا
له فما عن قليل حتى جاءت الأخبار من القاهرة
بأن لاجين قد تسلطن وتلقب بالملك المنصور
فعند ذلك تلاشى أمر العادل كتبغا وانفلت عنه
الناس وانحل برمه فأقام على ذلك أيامًا ثم
حضر إلى دمشق الأمير حسام الدين لاجين
استادار العالية وعلى يده مراسيم شريفة لقضاة
دمشق وللأمراء الذي هناك بأن يجتمعوا في دار
السعادة ويقروا مراسيم السلطان لاجين على
الملك العادل كتبغا فحضر القاضي بدر الدين بن

من جماعة الشافعي وبقية القضاة وطلبوا الملك
العادل كتبغا فحضر وقرأوا عليه مراسيم السلطان
لاجين بأن يخلع نفسه من السلطنة ويتوجه إلى
صرخد ويقيم بها وله ما يكفيه من النفقة في
كل يوم فأجاب بالسمع والطاعة وخرج من يومه
إلى صرخد وهو معزول مكرم ومعه عياله
وعياليه وغلمانه وبركه وتوجه إلى صرخد
فأقام بها فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية
إلى أن خلع من السلطنة سنة وعشرة أشهر إلا
أيامًا واستمر مقيمًا بصرخد إلى سنة تسع وتسعين
وستمائة فلما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكته
ثاني مرة أنعم على الملك العادل كتبغا بمملكة حماة
وأعمالها وكان الناصر محمد يميل إلى كتبغا دون مماليك
أبيه واستمر كتبغا في حماة إلى أن مات بها وكانت
وفاته في ليلة عيد النحر من سنة اثنين وسبعمائة في
دولة الناصر محمد بن قلاوون ودفن بحماة ثم نقل
من بعد ذلك إلى دمشق ودفن بسفح جبل قاسيون
وفي أيام العادل كتبغا في جمادى الأولى سنة خمس وتسعين
وستمائة توفي قاضي قضاة الشافعية تقي الدين عبد
الرحمن بن القاضي تاج الدين بن بنت الأعز وكان
أقام قاضيًا بمصر نحو عشر سنين ونصف ولما مات تقي
الدين أخلع السلطان كتبغا على الشيخ تقي الدين أبي
الفتح محمد بن مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري
القوصي المعروف بابن دقيق العيد رضي الله عنه
فاستقر قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية

عوضا عن تقي الدين بن بن بنت الاعز قال
السبكي في الطبقات لما تولي بن دقيق العيد تولي
علي كره منه وعزل نفسه عن القضاء غير مره
وكان السلطان كتبغا والسلطان لاجين يقبل يده
علي الحكم كلما طلع اليه فلم يلتفت له ولما تولي
اخلع عليه خلعة حرير محمل وكانت هذه عادة
خلع القضاة وغيرهم من ارباب والوظايف فامتنع
الشيخ من لبس الحرير وقال هذا حرام لا يجوز لبسه
وامر ان تكون خلع القضاة من الصوف فاستمرت
من يومئذ خلع القضاة صوف الي الان انتهي
ذلك وكان الملك العادل كتبغا قصير القامه اسمر
اللون اجرود اللحيه وكان موصوفا بالشجاعة
وكان دينا خيرا قليل الاذي سليم الباطن ومات
وله من العمر نحو ثلثه وثنين سنه ومن صفاتيته
كان سببا لخلاص الامير لاجين من القتل وشفع
فيه عند الملك الناصر من القتل لان لاجين كان
ممن تعصب في قتل الاشرف خليل فلما تسلطن كتبغا
جعله نايب السلطنه وفوض اليه امور المملكه
وكان لاجين باغي علي كتبغا وخلعه من السلطنه
من غير موجب وكان لاجين يظهر لكتبغا محبه
وهو في الباطن بخلاف ذلك كما قيل في المعني
والخل كالماء تبدي لي ضمايره مع الصفاء
وتخفيها مع الكدر
انتهي ما اوردناه من اخبار الملك العادل كتبغا
وذلك

وفي هذه السنة اعني سنة ست وتسعين وستمائة انتهت زيادة النيل الي خمس عشرة ذراعا وعشرة اصابع ثم انهبط ولم يوف فشرقت البلاد وحصل الغلاء العظيم

205

وذلك علي سبيل الاختصار ولما خلع كتبغا تولي
عوضه لاجين انتهي ذلك ذكر سلطنة
الملك المنصور حسام الدين لاجين بن
عبد الله المنصوري وهو الحادي عشر من
ملوك الترك واولادهم بالديار المصريه
بويع بالسلطنه وخلع الملك العادل كتبغا
من السلطنه لما دخل لاجين الي القاهرة
جلس علي سرير الملك وتلقب بالملك المنصور
وباس له الامراء الارض ونودي باسمه في القاهرة
وضج له الناس بالدعاء ودقت له البشاير في
القلعه قال الامام ابو شامه كان عادة
السلاطين يوم يكتب لهم التقليد بالسلطنة يركب
السلطان ويشق القاهره وهو لابس خلعة
السلطنة الجبة السودا والعمامه السودا المدوره
والسيف البداوي متقلد به فيشق القاهره في هذه
الابهة والوزير حامل التقليد علي راسه في كيس
حرير اسود والامراء وارباب الدوله مشاة بين
يديه حتي يطلع الي القلعه في ذلك الموكب العظيم
ويكون يوما مشهودا فبطل ذلك فلما تسلطن
لاجين شق القاهره وهو في هذه الابهة علي ما
ذكرناه فجاء في ذلك اليوم مطر عظيم واستمر المطر
سبعة ايام متوالية وفي ذلك يقول الوداعي
يا ايها العالم بشراكم بدولة المنصور رب الفخار
فالله قد بارك فيها لكم فامطر الليل واضحي النهار
قلت وكان اصل الملك المنصور لاجين من مماليك

الملك المنصور قلاوون فلما وثب الامير بيدرا نايب السلطنة
على الاشرف خليل وقتله كما تقدم وكان لاجين هذا
من جملة من تواطا على قتلة الاشرف خليل فلما تولى
الملك الناصر محمد اخو الاشرف خليل فاختفى لاجين في
مادنة جامع احمد بن طولون وكان هذا الجامع خرابا
بغير سقوف ولا ابواب مدة مائة وسبعين سنة
فاستمر لاجين مختفي في المادنة حتى شفع فيه كتبغا
وقابل به الملك الناصر فانعم عليه بتقدمة الف فلما ان
تسلطن كتبغا جعله نايب السلطنة عوضا عن نفسه ثم
فوض اليه امور المملكة جميعها وصار صاحب الحل
والعقد في ايام كتبغا فلما جرى ما جرى من لاجين في
حق كتبغا وتسلطن لاجين اخذ في اسباب عمارة
جامع ابن طولون وعمر في سطحه دكة برسم المبلغين
لتحرير الوقت واوقف على ذلك عدة جهات وهي
باقية الى الان واحيا رسوم هذا الجامع بعدما كان
خرابا واصرف على عمارته جملة مال من ماله وصار
ذلك في صحيفته الى الان ولما تم امر لاجين في
السلطنة اخلع على من يذكر من الامراء وهم الامير
قراسنقر المنصوري واستقر به نايب السلطنة عوضا عن
نفسه واخلع على الامير قفجق المنصوري واستقر به
نايب الشام فخرج من يومه الى الشام بغير طلب
واخلع على مملوكه منكوتمر واستقر به مشير المملكة ثم
عزل الصاحب تاج الدين بن حنا من الوزارة واستقر
بالامير سنقر الاعسر وزيرا عوضا عن تاج الدين بن
حنا وهو اول تركي ولي الوزارة بمصر ثم انعم على
جماعة كثيرة من خشداشيته بتقادم الوف وعلى

وعلى جماعة منهم باقطاعات سنية فتم امره في
السلطنة وخضع له العسكر ثم انه رسم باحضار
اولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري وكان الملك
الاشرف خليل ارسلهم الى القسطنطينية كما تقدم من
ذكر ذلك فامر باحضارهم الى مصر فاما سلامش بن
الملك الظاهر ادركته المنية بالقسطنطينية فمات
بها فصبرته امه حتى اتت به الى مصر في تحلية ودفنته
بالقرافة الصغرى وكان جميل الصورة حسن الشكل
وكان يسمى ابن البلد وقته واما اخوه سيدي خضر فانه
اتى الى مصر واقام بها مدة ثم طلب من السلطان
لاجين دستورا بان يحج فاذن له في ذلك فتوجه الى
الحجاز وحج ثم عاد الى مصر فاقام بها مدة ومات
ودفن على اخيه سلامش وبه انقرض نسل الملك الظاهر
بيبرس ثم ان الملك المنصور لاجين لما ثبت امره في
السلطنة قبض على نايب السلطنة الامير قراسنقر
وارسله الى السجن واخلع على مملوكه منكوتمر
واستقر به نايب السلطنة عوضا عن سنقر المذكور
فلما جرى ذلك عز على بقية الامراء ما فعله السلطان
انتهى ذلك ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستماية
فيها راى الملك المنصور لاجين ان يروك البلاد المصرية وهو
الروك الحسامي وكان ابتداء ذلك في يوم الاثنين
سادس جمادى الاولى من هذه السنة وكان المتكلم
في ذلك شخصا من المباشرين يقال له تاج الدين الطويل
فشرع في كتب قوايم بمساحة البلاد واسمايها فاظهر
النتيجة في ذلك وجار على الناس وضج منه الامراء
وساير الجند وكان لا يراعي في الايام خليلا حتى

قال فيه بعض الشعراء عفا الله عنه
تبا لكلوم الديش من بلدة ليس بها رفق لمحتاج
والسبعة الأوجه لا تنسها ولعنة الله على التاج
وكانت ضواحي مصر قبل ذلك مقسومة على أربعة
وعشرين قيراطا منها أربعة قراريط للسلطان
وعشرة قراريط للأمراء والإطلاقات وعشرة
قراريط للجند كلهم فرسم السلطان للتاج المذكور
أن يكفي الأمراء والجند بعشرة قراريط وأن
يزاد الذي يشكي من الأجناد قيراطا ويبقى للسلطان
ثلثة عشر قيراطا فشكوا الجند من ذلك وضجوا
وكان المتكلم في هذا الأمر الأمير منكوتمر النايب
فصارت تقابح الأمراء والجند أنحس مقابحة وكرهه
ساير العسكر وكثر عليه الدعاء من الناس وكان
الأمير منكوتمر من سيئات الدهر قبيح السيرة
ظالم الصورة يجمع بين قبح الفعل والشكل فلما كان
يوم الخميس ثامن رجب من تلك السنة فرقت
المثالات على الأمراء والعسكر بما تقرر عليه
الحال وهم غير راضيين بذلك وصار كل أحد من
العسكر بقصد الوثوب على السلطان ثم أن الأمير
منكوتمر حسن للسلطان بأن يقبض على جماعة
من الأمراء فقبض على الأمير أيبك الحموي وعلى
أميرين معه وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية
ثم أنه أرسل بالقبض على قفجق نايب الشام فلما
تحقق قفجق ذلك خرج من الشام هاربا وأخذ معه
جماعة من الأمراء منهم الأمير بكتمر الأبوبكري
والأمير

[illegible]

والأمير بزلار وغيرهما من الأمراء الذين كانوا
بدمشق فلما خرجوا من دمشق توجهوا إلى
عند القان غازان ملك التتار وكان هذا سببا
لوقوع الفتنة العظيمة الآتي ذكرها في محله
وفي هذه السنة توفي قاضي القضاة الحنبلي مجد
الدين عمر بن عوض فلما مات أخلع السلطان على
القاضي شرف الدين عبد الغني بن يحيى الحراني واستقر
به قاضي حنبلي عوضا عن شرف الدين بن عوض
ومن الوقايع في هذه السنة أن أمير المؤمنين أحمد
الحاكم بأمر الله استأذن السلطان بأن يحج فأذن له في
ذلك وأنعم عليه بمال جزيل يصرفه على إقامة يرك
مثل أمير الحاج الأول ولم يعهد بعده أن خليفة حج
وعاد إلى مصر إلا الحاكم هذا فخرج من مصر في يرك
عظيم فحج وعاد إلى مصر فأخلع عليه السلطان خلعة
سنية وأنعم عليه بتقادم مملوكية وكان السلطان
لاجين يضع الأشيا في محلها انتهى ذلك ثم دخلت
سنة ثمان وتسعين وستمائة فيها عزل السلطان
قاضي القضاة الحنفي شمس الدين السروجي وولى
القاضي حسام الدين حسن بن أحمد الرازي الحنفي
عوضا عنه ومن الحوادث في هذه السنة أن السلطان
كان صايما في يوم شديد الحر فتوجه إلى القصر الكبير يشم
فيه الهوى فأقام فيه إلى المغرب وفطر هناك وكان عنده
قاضي القضاة حسام الدين الرازي وإمامه محب الدين
بن العسال وشيخ العرب يتربك فصلى المغرب وفطر
ثم جلس يلعب الشطرنج فبلغ ذلك جماعة من المماليك
الأشرفية وكان في قلوبهم الغل للسلطان لاجين من حين
تواطأ على قتل الأشرف خليل فقالوا هذه وقت

انتهاز الفرصة فاتفقوا مع المماليك البرجية واجتمعوا
في دهليز القصر الكبير وكانت تلك الليلة نوبة
شخصين من السلحدارية يقال لهما نوغان الكرماني
وكرجي فلما دخل وقت العشاء تقدم كرجي الى عند
الشمعة ليصلحها فارمى الفوطة على النمجاه والسلطان
منكب على لعب الشطرنج لا يدري ما خبي له في الغيب
فلما مضى وقت التفت السلطان الى كرجي وقال
له غلقت ابواب الاطباق على المماليك البرجية
فقال له نعم فشكره واثنى عليه وكانت المماليك
البرجية واقفة بالسيوف في دهليز القصر من
بعد المغرب فلما ابطا السلطان في لعب الشطرنج
تقدم اليه كرجي وقال له يا خوند ما تصلي العشاء
فقال نعم فلما قام يصلي العشاء ضربه كرجي
بالسيف على كتفه فهلك له فبادر السلطان لياخذ
النمجاه فلم يجدها فقبض على كرجي وارماه الى
الارض فهجمت عليه المماليك البرجية الذي كانوا
في دهليز القصر ووقعوا في السلطان بالسيوف
فقطعوه قطعا فصاح عليهم قاضي القضاة حسام الدين
ويلكم فقتلوا استاذكم فتركوه ميتا في القصر مكانه
وغلقوا عليه الابواب ومضوا وتركوا عنده القاضي
حسام الدين والامام وشيخ العرب وقد نالوا قصدهم
من السلطان بالقتل

كما قيل في المعنى

لما رايت الغدر منهم بدا والبغض من اعينهم يلوح
فقلت للقلب ارتجع عنهم ما قصدهم هنك سوى
اخذ روح

ثم ان

ثم ان كرجي لما قتل السلطان توجه الى بيت الامير
منكوتمر النايب وكان ساكنا بدار النيابة بالقلعة فدق
عليه الباب وقال له قوم كلم السلطان فانكر منكوتمر
ذلك وقال لكرجي قتلت السلطان يا نحس وجيت
تقتلني قال نعم وكان بين كرجي ومنكوتمر عداوة من
قديم الزمان ثم ان كرجي احرق باب منكوتمر ودخل
قبض عليه وتوجه به الى الجب الذي كان بالقلعة يسجن
فيه الامراء وكان في هذا الجب جماعة من الامراء مسجونين
وكان منكوتمر سببا للقبض عليهم فلما عاينوا منكوتمر
قاموا اليه وقتلوه اشر قتله هذا كله جرى بالقلعة
تحت الليل ولم يشعر به احد من الناس فلما طلع النهار
شاعت الاخبار بذلك ثم ان الزمام شرع في تجهيز
السلطان فغسله وكفنه وصلى عليه ونزل به من باب
الدرفيل هو والامير منكوتمر فدفنا بالقرافة الصغرى
فكانت مدة سلطنة الملك المنصور لاجين الى ان قتل
نحو سنتين وشهرين واياما **وكانت** قتلته ليلة الجمعة
عاشر ربيع الاخر سنة ثمان وتسعين وستمائة ومات وله
من العمر نحو ثلثة وستين سنة **وكان** صفته طويل
القامة ابيض اللون اشقر اللحية ازرق العينين مهاب
الشكل موصوفا بالفروسية شجاعا بطلا دينا خيرا ابطل
في ايامه ما حدث من المكوس بالديار المصرية وكان مايلا
الى فعل الخير ولم يكن من سيئاته سوى مملوكه منكوتمر
لما ملك البلاد فاوقع الفتنة بين الامراء والسلطان وكان
يجلب الدعاء من الناس على السلطان بما يحدث منه من
المظالم حتى تمنى كل احد زوال السلطان لاجين وعود الملك
الناصر محمد من الكرك في ثاني يوم قتل السلطان لاجين

حضر الي الأبواب الشريفة الأمير بكتاش أمير سلاح وكان
توجه الي دمشق مع طايفة من العسكر بسبب القبض
علي قفجق نايب الشام فلما حضر نزل اليه نوغان وكرجي
الذي قتلا السلطان لاجين فلما وقعت عين الأمير بكتاش
عليهما قبض عليهما وأمر بتوسيطهما فوسطا في الحال
وكان بين قتلة الملك المنصور لاجين وبين توسيطهما
ليلة واحدة وقد أظهر سر السلطان لاجين فيهما انتهي
ذلك ثم ان الأمراء اجتمعوا بالقلعة وضربوا مشورة
فيمن يولوه سلطانا فوقع الاتفاق علي عود الملك
الناصر محمد بن قلاوون وكان مقيما بالكرك فأرسلوا
خلفه نجاب وعلي يده مطالعات من عند الأمراء
تتضمن سرعة أحضاره الي الديار المصرية فلما ورد
النجاب علي الملك الناصر تكاسل عن الحضور وتمنع
حتي يري ما يصير عمر من حال الأمرا فأبطا أحدي
واربعين يوما حتي دخل الي مصر واقامت مصر
بلا سلطان هذه المدة الي ان حضر انتهي ما أوردنا
من أخبار دولة الملك المنصور لاجين وذلك
علي سبيل الاختصار

والله تعالى

ذكر عود الملك الناصر محمد بن قلاوون الي السلطنة بالديار المصرية وهي السلطنة الثانية

دخل الي القاهرة يوم
الخميس ثامن جمادي الأولي سنة ثمان وتسعين
وستماية فلما دخل زينت له القاهرة وحملت علي
راسه القبة والطير ولاقاه القضاة الأربع من
المطرية فدخل القاهرة في موكب عظيم والأمرا
مشاة بين يديه وفرشت له الشقق الحرير

حتي

حتي طلع الي القلعة فحضر الخليفة الأمام أحمد والقضاة
الأربع وبايعوه بالسلطنة وجلس علي سرير الملك
وباس له الأمراء الأرض ودقت له البشاير ونودي
باسمه في القاهرة وضج له الناس بالدعاء نقل بعض
المورخين أن الملك الناصر محمد لما رجع من الكرك
بلغه ان الخليفة الامام احمد الحاكم بامر الله قال عنه
هذا خارجي فلما حضر الامام احمد للمبايعة وبخه الناصر
بالكلام وقال له تقول عني باني خارجي يا أسود الوجه
فلم ينطق الامام احمد بحرف واحد وكان الامام احمد
أسمر اللون جدا

قال الشيخ علاي الدين الوداعي

الملك الناصر قد أقبلت دولته مشرقة الشمس
عاد الي كرسيه مثلما عاد سليمان الي الكرسي
قبيل
لما عاد الملك الناصر من الكرك بلغه أن بن
المراحلي الشاعر قال عنه في قصيدة نظمها منها
ما للصبي وما للملك يكفله شأن الصبي بغير الملك
مألوف
فأحضره وقال له تقول عني ما للصبي وما للملك يكفله
فحلف بن المراحلي بالطلاق ثلاثة انه ما قال هذا البيت
وانما الأعدا ازادوا هذا البيت في القصيدة فعفي عنه
بشفاعة بعض العلماء انتهي ذلك ثم ان الملك الناصر
عمل الموكب وأخلع علي من يذكر من الأمراء وهم
الأمير سلار المنصوري واستقر به نايب السلطنة
عوضا عن منكوتمر وأخلع علي الأمير أقوش الأفرم
واستقر به نايب الشام عوضا عن قفجق المنصوري
وأخلع علي الأمير بيبرس الجاشنكير واستقر به أتابك

العساكر وكانت نيابة السلطنة يوميذ الي بدر من
الاتابكية ثم انه عزل قاضي القضاة حسام الدين
الرازي الحنفي واعاد شمس الدين السروجي وابقي
شيخ الاسلام بن دقيق العيد في قضاية الشافعية
وابقي القاضي المالكي بن مخلوف النويري وابقي
القاضي الحنبلي شرف الدين الحراني وابقي الامير سنقر
الاعسر في الوزارة وابقي الامير لاجين ~~في الاستادا~~
في الاستادارية وانعم علي جماعة من مماليك ابيه
بتقادم الوف وانعم علي جماعة من المماليك السلطانية
باقطاعات سنية وتم امره في السلطنة بخلاف المرة
الاولي فهذا كان شرح مبتدا دولته في هذه المرة
انتهي ذلك **ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمايه**
فيها جاءت الاخبار من حلب بان القان غازان ملك
التتار قد زحف علي البلاد ووصل اوايل عساكره الي
البيره وكان غازان هذا ابن ارغون بن ابغا بن هلاكو
الذي اخرب بغداد وقتل الخليفة وجري منه ما جري
فلما وردت هذه الاخبار الردية اضطربت احوال
الديار المصرية لعظم هذه البلية **وكان** سبب مجي
غازان وزحفه علي البلاد وهو ان قفجق نايب الشام
لما بلغه ان الملك المنصور لاجين ارسل بالقبض عليه
اخذ عياله واولاده وبركه وخرج من الشام هو
وجماعة من الامراء وتوجه الي عند القان غازان
فاقام عنده وحسن له ان يزحف علي البلاد ويملك
البلاد الشامية من غير مانع فان السلطان صغير
السن والامرا في خلف بينهم وانه اذا زحف لم يجد
من يقابله فجمع غازان العساكر فاجتمع معه نحو من

من مايتي الف مقاتل فلما ورد هذا الخبر علي السلطان
جمع الامراء وضرب مشوره فوقع الاتفاق علي ان
الاتابكي بيبرس الجاشنكير يتوجه الي حلب ومعه
خمسمايه مملوكا قبل خروج السلطان فخرج الاتابكي
بيبرس علي جرايد الخيل ومعه جماعه من العسكر ثم
في خامس عشر صفر من سنة تسع وتسعين وستمايه
خرج السلطان ومعه الامام احمد الحاكم بامر الله والقضاة
الاربع وساير الامراء والعسكر فجد السلطان في السير
حتي وصل الي دمشق في ثامن ربيع الاول من
تلك السنة فاقام بالشام يومين ثم توجه الي حلب
فتلاقا مع جاليش غازان في مكان يعرف بسلمية
بالقرب من بعلبك فكان بينهما هناك وقعة عظيمة
لم يسمع بمثلها فيما تقدم وقتل من الفريقين ما لا
يحصي عددهم واخر الامر انكسر عسكر السلطان
وهرب الملك الناصر الي نحو بعلبك فنهب التتار
برك السلطان والعسكر جميعه ثم ان القان غازان
زحف علي ضياع الشام ونهب ما فيها وسبا اهلها
فلما بلغ اهل الشام خافوا علي انفسهم ان لا يفعل
بهم كما فعل بغيرهم فخرج اليه علماء دمشق يطلبوا
منه الامان فخرج اليه قاضي القضاة بدر الدين بن
جماعة الشافعي والشيخ زين الدين الفارقي والشيخ
تقي الدين بن تيمية الحراني الحنبلي والقاضي نجم الدين
بن الصصري والقاضي عز الدين بن الزكي والشيخ عز
الدين بن القلانسي والقاضي جلال الدين القزويني
وغير هولاء من الفضلاء والزهاد فلما دخلوا علي غازان

وقفوا بين يديه فتكلم الترجمان مع غازان في أمرهم
بانهم جاوا يطلبوا منه الأمان فقال الترجمان قل لهم
اني أرسلت لهم الأمان قبل حضورهم فلما سمعوا ذلك
رجعوا الي دمشق واجتمعوا في جامع بني أمية وأهل
الشام قاطبة فقرا عليهم الأمان الذي ارسله لهم
غازان فلما سمعوه سكن ما كان عند أهل الشام من
الاضطراب ثم دخل الي دمشق الأمير قبجق الذي
كان نايب الشام فر وتوجه الي غازان واثار هذه
الفتنة العظيمة فلما دخل دمشق نزل بالميدان
الأخضر وارسل يقول لنايب قلعة دمشق سلم
الينا القلعة ولا تحوجنا الي حصارك فارسل نايب
القلعة يقول له كيف أسلم القلعة والملك الناصر
في قيد الحياة فلما بلغ غازان ذلك حاصر القلعة أشد
المحاصرة ونصب عليها المناجنيق واحرق البيوت
التي حولها فلم يقدر علي أخذها فلما كان يوم الجمعة
ثاني عشر جمادي الأولي من هذه السنة رحل القان
غازان عن دمشق واستناب عليها أميرا من التتار
يقال له قطلوشاه بك ومعه عسكرا من التتار
وولي الأمير قبجق نايب الشام كما كان أولا هذا ما
كان من أمر غازان وأما ما كان من أمر الملك الناصر
بعد هذه الكسرة فانه دخل بعلبك وأقام بها أياما
فتسامع به العسكر وتراجع اليه قليلا قليلا فلما تكامل
العسكر قصد التوجه الي نحو الديار المصرية فجد السير
حتي وصل الي القاهرة في خمسة عشر يوما فدخل الي
القاهرة علي حين غفلة وطلع الي القلعة وقد نهب
جميع بركه من صامت وناطق وكذلك الأمرا والعسكر
قاطبة

قاطبة فلما طلع الي القلعة فتح الزردخاناه وفرق
ما فيها من لبوس وخود وسيوف ثم فتح خزاين
المال ونفق علي العسكر فاعطا لكل مملوك
ثمانين دينارا واعطا لجماعة منهم سبعون
دينارا ولجماعة ستون دينارا واعطا لجماعة
خمسون دينارا ثم نفق علي عسكر الشام الذي
حضروا صحبته فاعطا لكل واحد منهم عشرة دنانير
ذهب وعشرة أرادب شعير وعشرة أرادب
قمح ثم نفق علي الأمرا المقدمين والأمرا الطبلخاناه
والأمرا العشراوات فاعطا كل واحد علي قدر
مقامه وكان القايم بتدبير مملكة الأمير سلار
نايب السلطنة والأتابكي بيبرس الجاشنكير ثم أن
الملك الناصر قصد العود الي محاربة غازان فبرز
خامه بالريدانيه وخرج من القاهرة ثانيا وصحبته
الإمام أحمد الحاكم بأمر الله والقضاة الأربع والأمرا
والعسكر فلما أراد الرحيل من الريدانيه تقلب عليه
العسكر وشكوا فنفق عليهم نفقة ثانية ثم رحل من
الريدانيه طالبا للبلاد الشامية فتقدم في جاليش
العسكر الأمير سلار النايب والأتابكي بيبرس الجاشنكير
فلما وصل الجاليش الي دمشق خرج اليه الأمير
قبجق نايب الشام وأظهر الطاعة للسلطان وباس
الأرض له وتكلم مع الأمرا بان السلطان يرجع
الي القاهرة ولا يدخل الي دمشق فان في ذلك عين
المصلحة فكاتب الأمير سلار للسلطان بما وقع من

أمر قفجق فلما راي السلطان ان ذلك صوابا رجع
الي القاهرة وكان رجوعه في أوايل شهر رمضان
من سنة تسع وتسعين وستمايه
في الشاذروان

ومن النكت اللطيفة نقل الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة ان
الملك المنصور قلاون أستاذ قفجق خرج يوما الي
خليج الزعفران على سبيل التنزه ومعه جماعة من
الأمراء فانشرح ذلك اليوم وذبح خروفا سمينا بيده
فلما حضر السماط قدموا ذلك الخروف في صدر
السماط فقطعه السلطان بيده واخذ لوح الكتف
وجرده من لحمه وتركه ساعة حتى جف ثم لوحه
علي النار قليلا ثم أخرجه ونظر فيه ساعه وأطال
فيه التأمل ثم تفل عليه والقاه من يده وظهر
في وجهه الغضب فسأله بعض الأمراء عن ذلك
بعد ان سكن غضبه فقال لا تخرجوا قفجق بعدي ولا
تولوه نيابة الشام فيحصل منه غاية الفساد وسوف
ترو ذلك ان خرجتوه من مصر وكانت هذه الواقعه
قبل ان يلي قفجق نيابة الشام بعشر سنين وكان الا
الأمر كما قال والملوك لهم فراسة في الأمور وقد

قيل في المعني

يري العواقب في أثناء فكرته ... كأن أفكاره بالغيب
كهان
لا طرفة منه إلا تحتها عمل ... كالدهر لا دولة إلا لها
شان

ولم يزل قفجق عند قلاون في غاية الطرد حتى توفي
قلاون لما تسلطن لاجين أستقر بقفجق نايب الشام
فاظهر العصيان فأراد لاجين القبض عليه فهرب الي عند

عند غازان وجري منه ما تقدم ذكره **قال** القاضي
محيي الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف حكالي الأمير
قفجق بعد أن جري منه ما جري ورجع الي القاهرة قال
لما تلاقا عسكر السلطان مع عسكر غازان فكاد غازان
ان ينكسر وهم بالهروب فطلبني ليضرب عنقي لأني كنت
السبب في مجيئه الي دمشق فلما احضرني بين يديه قال
لي أيش هذا الحال هذا كله ما هو شغلك فقلت له
القان يصبر ساعه فان عسكرنا لهم أول صدمه ثم يولوا
عن القتال فلا يقاملوا بعدها أبدا فلما انكسر عسكر السلطان
أراد عسكر غازان أن يزحف عليهم فقلت في نفسي متي
ان زحف عليهم لم يبقي منهم احد فقلت للقان أصبر ساعة
فان عسكرنا لهم حيل وخداع فربما يكون لهم كمين يخرج
علينا فننكسر فسمع لي وصبر ساعة حتى أبعد ثم عنا
فلو زحف عليكم ما بقي منكم أحد فلولا أنا ما سلم منكم أحد

فكان كما قيل في المعني

ولو شئت قابلت المسي بفعله ... ولاكنني أبقيت للصلح
موضع

نقتان
وفي أواخر هذه السنة أضطربت أحوال البحيرة ووقع
بها فتنة عظيمه وأختلف بقتان من العرب وهما جابر
ومرديس فنهبوا ضياع البحيرة جميعها وأحرقوا الجرون
فلما بلغ السلطان ذلك أرسل اليهم تجريده وكان باش
العسكر الأمير بيبرس المنصوري أمير دوادار كبير ومعه
عشرين أمير عشره وخمسماية مملوك سلطاني فلما وصلوا الي
الي البحيرة تحاربوا مع العرب فانكسروا أشد كسره وهربوا
نحو الجبال فاحتاط بهم العسكر وقتل منهم جماعه كثيره أي

من العرب وغنموا منهم جمال وخيل واغنام واسروا نسائهم
فلما حصلت هذه النصرة عاد العسكر الى القاهرة وهم في
غاية النصرة فطلع الامير بيبرس الدوادار الى القلعة
واخلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل الى بيته في موكب
حفل والامراء قدامه وكان الامير بيبرس الدوادار سعيد
الحركات وكان عالما فاضلا فقيها نحويا ينظم الشعر وله
شعر جيد والف له تاريخ سماه زبدة الفكرة في تاريخ
الهجرة وجمع فيه جملة محاسن وفوايد ومن شعره قوله

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
الناس في نظر العيون كما ترى ... صور وان قليلهم من يفهم

انتهى ذلك ثم دخلت سنة سبعماية من الهجرة
وهو القرن السابع والماية فيه رسم السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاون بتغيير زي اليهود
والنصارى والسمرة وكان سبب ذلك ما حكاه الشيخ
شهاب الدين بن ابي حجلة في السكردان ان شيخا مغربيا
كان جالسا بباب القلعة فدخل عليه بعض كتاب
الديوان وهو بعمامة بيضا فقام اليه ذلك المغربي
وبالغ في تعظيمه وظن انه مسلما فتبين له انه من
النصارى فدخل ذلك المغربي على السلطان وفاوضه
في الكلام بان يغير زي اهل الذمة فاجابه الملك
الناصر الى ذلك وامر باشهار النداء في القاهرة بان
اليهود يلبسوا عمايم صفر والنصارى يلبسوا عمايم زرق
والسمرة يلبسوا عمايم حمر فامتثلوا ذلك من يومئذ
واستمروا على هذه الهيئة الى اليوم فهذا كان سببا
لتغيير

لتغيير زيهم وفي هذه الواقعة يقول الشيخ شمس
الدين محمد الطيبي وهو قوله

تعجبوا للنصارى واليهود معا ... والسامريين لما عمموا الخرقا
كانما بات بالاصباغ منسهلا ... نسر السماء فاضحى فوقهم ذرقا

وقال الوداعي

لقد لبسوا الكفار شاشات ذلة ... تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما البسوكم عمايما ... ولكنهم قد البسوكم براطيشا

انتهى ذلك ومن الحوادث جاءت الاخبار من
البيرة بان جاليش غازان قد وصل الى الفراة
فلما تحقق السلطان ذلك جمع الامراء وضرب
مشورة وقال في المجلس انتم تعلموا اني رجعت
من التجريدة الاولى مكسورا ونهب جميع بركي
والان لم يبقى في بيت المال لا دينار ولا درهم
من اين انفق على العسكر فقال الامير سلار
النايب والاتابكي بيبرس الجاشنكير ونزعوا هذه
النفقة على المباشرين واعيان التجار واعيان الناس
ثم انتدبوا الامير سنقر الاعسر وزير الديار المصريه
لجبي الاموال من الناس فعمل في الناس بالنبابيت
والدراع وجبا منهم الاموال في اربعين يوما او
دون ذلك فتحصل من هذه الحركة نحو مايتي الف
دينار وكسور ثم ان السلطان نفق على العسكر وخرج
من القاهرة قاصدا لحلب فلما وصل الى غزة جاءت
اليه

الأخبار بأن نايب حلب كسر عسكر التتار كسرة قوية
ورجعوا الى بلادهم هاربين فلما بلغ السلطان
ذلك رجع من غزة وقيل كان سبب رجوعه
ان العسكر تغلب عليه هناك وطلبوا منه نفقة
ثانية لان التبن والشعير كان لا يوجد أصلا فلما
جرى ذلك رجع السلطان الى القاهرة وعين
الأمير بكتمر السلحدار وجماعة من الامراء العشراوات
والمماليك السلطانية بان يتوجهوا من هناك الى
حلب ويقيموا بها الى ان يظهر من أمر التتار ما
يكون فتوجهوا من هناك ثم ان السلطان عاد الى
القاهرة ودخل في موكب عظيم وطلع الى القلعة
وسكن الحال قليلا انتهى ذلك ومن الوقايع
في هذه السنة ان ربعا عند جامع قوصون وقع على
ثلاثين نفسا فمات منهم ثلثة وعشرين وسلم منهم
سبعة فأقاموا مدة يسيرة وسافروا في البحر
نحو الصعيد فهبت عليهم ريح شديدة فغرقت بهم
المركب فماتوا السبعة بالغرق بعد ان سلموا من
تحت الردم وعاشوا هذه المدة فماتوا بالغرق
ولم يموتوا بالردم فسبحان القادر على كل شي ذكر
ذلك ابن ابي حجلة ثم دخلت سنة احدى وسبعماية
فيها في ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى
توفي الخليفة الامام احمد الحاكم بامر الله وهو
أول خلفاء بني العباس بمصر قدم من بغداد
الى مصر سنة تسع وخمسين وستماية وقيل بل
كان قدومه سنة ستين وستماية في دولة الملك
الظاهر بيبرس البندقداري واقام في الخلافة
نيفا

نيفا وأربعين سنة وحج في دولة الملك المنصور
لاجين سنة سبع وتسعين وستماية وكان يلعب مع
السلطان الملك الناصر محمد بالأكرة وسافر معه الى
تجريدة غازان واستمر في الخلافة الى ان مات
ودفن بجوار تربة السيدة نفيسة رضي الله
عنها وبنيت عليه قبة وهو أول خليفة من
بني العباس دفن بمصر ولما مات الامام احمد
تولى بعده ابنه ابو الربيع سليمان المستكفي
بالله وهو ثاني خلافة من بني العباس بمصر
واليه تنتسب الخلفاء الى الآن انتهى ذلك
ومن الاعاجيب ما ذكره الشيخ تاج الدين بن
عبد الوهاب بن المتوج أن في يوم الخميس سابع
جمادى الآخرة من هذه السنة ظهرت دابة من بحر
النيل من نواحي المنوفية وهي عجيبة الخلقة
لونها لون الجاموس وهي بلا شعر وآذان كآذان الجمل
وعيناها وفرجها مثل الناقة ولها ذنب يغطي فرجها
طوله شبر ونصف وهو كذنب السمك ورقبتها
غلظ الشليف المحشو تبنا وفمها وشفتاها مثل
الكربال ولها اربعة انياب من فوق واثنان من
اسفل وطول كل ناب دون الشبر وعرضها عرض
اصبعين وفي فمها ثمانية واربعون ضرسا وهم مثل
بيادق الشطرنج وطول يديها من باطنها الى الارض
شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن
الثعبان اصفر مجعد ودور حافرها مثل الدحا وفيه

أربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظهرها
مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها إلى ذنبها
خمسة عشر ذراعاً وفي بطنها ثلاثة كروش ولحمها
أحمر يميل إلى الزرقة وطعمه مثل لحم الجمل وغلظ
جلدها أربع أصابع ما يعمل فيه السيوف فحملت من
هناك على عجلة تسحبها خمسة أجمال حتى أحضرة إلى
القلعة وشاهدها السلطان وكان يوم دخولها إلى
القاهرة يوماً مشهوداً انتهى ذلك **ثم دخلت سنة
اثنين وسبعمائة فيها** في يوم الجمعة حادي عشر
صفر توفي شيخ الإسلام قاضي القضاة الشافعية
تقي الدين أبو الفتح محمد بن مجد الدين علي بن
وهب بن مطيع القشيري القوصي المعروف بابن
دقيق العيد رضي الله عنه وكان مولده بساحل الينبع
في يوم السبت خامس عشر شعبان سنة خمس وعشرين
وستمائة وكان تلميذ الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضي
الله عنه ولما مات دفن إلى جانبه بالقرافة الصغرى
وقد فاق شيخه بن عبد السلام **قال** الشيخ تاج
الدين السبكي بن دقيق العيد هو العالم المبعوث
على رأس المائة السابعة كما جاء في الحديث وله عدة
مصنفات منها الإلمام في الحديث وشرحه وشرح
العمدة والاقتراح في مصطلح الحديث وشرح العنوان
في أصول الفقه وكتاب أصول الحديث وله ديوان
خطب وديوان أشعار أدبيات **ومن نظمه الرقيق
وهو قوله في نوع الجناس التام**

تهيم نفسي طرباً عندما ... أستلمح البرق الحجازيا

ويستخف

وفي هذه السنة توفي الصاحب [illegible] والله أعلم

ويستخف الوجد عقلي وقد ... لبست أثواب الحجازيا
يا هل أقضي من منى ليلتي ... وأنحر البدن المهاريا
وأرتوي من زمزم فهي لي ... ألذ من ريق المها ريا

نقل بعض المؤرخين أن القاضي تقي الدين بن دقيق
العيد كان يحنق على نوابه في تحكمونه بحسب الوقائع
قال الأسنوي ومع هذا رآه بعض أصحابه في
المنام وهو في سجن فسأله عن حاله فقال له أنا
معوق ههنا بسبب ما كان يعملوه نوابي من الأحكام
وتغطي علي فلما توفي بن دقيق العيد خلع السلطان
على القاضي بدر الدين بن جماعة واستقر به قاضي القضاة
الشافعية عوضاً عن بن دقيق العيد انتهى ذلك **ومن
الحوادث** جاءت الأخبار من حلب بأن طائفة من
عسكر غازان دخلوا إلى حلب على حين غفلة ومعهم
أمير يقال له قطلوشاه فذكروا أن بلادهم
أمحلت وقصدهم الإقامة بحلب حتى يشتد والهم
مغل وكل هذا حيل وخداع ثم بعد ذلك جاءت
طائفة أخرى نزلوا بالمرعش فأرسل نايب حلب
يكاتب السلطان بذلك فلما جاء هذا الخبر عين السلطان
جماعة من الأمراء المقدمين عدتهم ست أمراء وعين
معهم ألف مملوكاً وقد رسم أن يخرجوا على الفور مسرعين
فلما خرجوا ووصلوا إلى غزة جاءت الأخبار إليهم بوصول
القان غازان بنفسه وقد وصل إلى الرحبة فنزل
إليه نايب الرحبة وأرسل إليه الإقامات ومنع المحاصرة
عن المدينة فلما تحقق السلطان ذلك أحضر الأمير سلار

النايب والاتابكي بيبرس الجاشنكير وضربوا مشوره
في أمر غازان فأشاروا على السلطان بالخروج قبل
أن يتمكن العدو من البلاد فعلق الجاليش ثم
نادى بالنفير عاما ثم أن السلطان جمع طايفة من
عربان الشرقيه والغربيه فاجتمع معه ما لا يحصى
من العساكر وخرج على جرايد الخيل ومعه
القضاة الأربع والخليفة المستكفي بالله سليمان
فلما خرج من القاهرة تقدم له الاتابكي بيبرس مع
جماعة من العسكر فلما وصلوا الى الشام وجدوا
جاليش غازان وقد وصل قرب حماه فأرسل الاتابكي
بيبرس يستحث السلطان في سرعة الحضور
فجد السلطان السير حتى وصل الى الشام في مستهل
شهر رمضان فاحضر عربان جبل نابلس وعسكر
الشام وطرابلس فاجتمع معه من العسكر نحو مايتي
الف مقاتل فلم يقيم بالشام غير ثلاثة أيام
وبرز الى لقاء غازان فتلاقا الفريقين على مرج
راهط تحت جبل غباغب فكان بينهما وقعة لم يسمع
بمثلها فيما تقدم من الوقعات المشهوره فكانت النصره
بعون الله للملك الناصر محمد بن قلاوون وانهزم عسكر
غازان بعد أن قتل منهم نحو النصف وأسر البعض منهم

كما قيل في المعنى

جيوشه كالأسود أقحمت تقتحم الحرب بالعزايم
وسيفه في الوغى طويل له نفوس العدى غنايم
والنصر مذ جاوره سديد صير قلب الحسود وارم

وأما من قتل في هذه الوقعة من الأمراء وهم

وهم الأمير لاجين الأستادار والأمير سنقر الكافري
والأمير ايبك من الشمسي المعروف بالقشاش والأمير
أقوش حاجب الحجاب والأمير أيدمر المعروف بالزرد
والأمير أيبك من نقيب الجيوش والأمير علاي الدين
ابن التركماني والأمير علي بن ساخك والأمير بهادر
الدكاجلي وغير هولاي من أمراء دمشق وطرابلس
وصفد وحماه وغزه وقتل من مماليك السلطان نحو
ألف وخمسماية مملوكا هذا خارجا عما قتل من العربان
والعشير والغلمان وغير ذلك فلما حال بينهما الليل
التجا عسكر غازان الى جبل هناك وبات يوقد
النيران وبات عسكر السلطان ضاربا عليهم يزكا فلما
لاح الصباح من يوم الأحد خامس رمضان تخلف
عسكر غازان من المحاصرة وهلك من العطش والجوع
فصار يتسحب من الجبل الى الأودية فتتبعوهم مماليك
السلطان وحملوا عليهم بالسيوف فصيروهم كالدم في
الأرض وأسر منهم ما شاء والذي سلم منهم هلك
في الطرقات من الجوع والعطش المشي وقال القايل

مشوا متسابقي الأعضاء فيهم لأرجلهم بأروسهم عثار
إذا خاتوا السيوف تناولتهم بأسياف من العطش القفار

فلما حصلت هذه النصره للملك الناصر ارسل ببشارة
هذه النصره الى القاهرة الأمير بكتوت الفتاح ففرح
الناس بذلك ثم أن السلطان توجه الى الديار المصرية
فدخلها في ثالث عشرين شوال وكان يوم دخوله
الى القاهرة يوما مشهودا وزينت له زينة حفلة

وحملت على رأسه القبة والطير وفرشت له الشقق
الحرير تحت حافر فرسه ودخل من باب النصر
وشق القاهرة في موكب عظيم وحوله القضاة
الأربع والخليفة وضج له الناس بالدعاء فلما
وصل بين القصرين نزل عن فرسه وزار قبر
والده قلاوون ثم طلع إلى القلعة وحوله
الأمراء مشاة وبين يديه الأسارى الذي
أسروا من عسكر غازان وهم في زناجير حديد
وصناجق غازان منكسة وكانت هذه النصرة
على غير القياس وما النصر إلا من عند الله قيل
لما حصلت هذه النصرة عمل الأمير بيبرس
الفارقاني وهو صاحب الحمام التي تجاه مدرسة
الأمير علاء الدين ايدكين البندقداري هذه
القصيدة في الملك الناصر لما انتصر وكان الأمير
بيبرس الفارقاني أميًا لا يقرأ ولا يكتب وكان يزن
الشعر بالطباع وينظم منه ما لا تمجه الأسماع ومن
القصيدة الموعود بذكرها هذه الأبيات
إذا ما شئت أن تحيا هنيئًا فبادر للصناجق والبنود
ترى من تحتها ملكًا همامًا وفيًا بالمواثق والعهود
هو الضرغام خواض المنايا إذا ما الحرب تسعر بالوقود
أتى مثل الغمام بجيش مصر وكوسات كأصوات الرعود
لها وقع ترن الأرض منه وترعد منه آفاق الوجود
وأسياف لها لمع كبرق تقد بها العظام مع الجلود
فلا

وفي هذه السنة أعني سنة اثنتين وسبعمائة توفي فيها في شعبان
الشيخ علي بن علي الحنفي المصري رحمة الله عليه
ودفن عند الشيخ أبي العباس البصير

فلا برحت بلاده في علاه مصرفة بأسعاف السعود
ولا زالت ملوك الأرض طرًا له ما عاش أمثال العبيد
انتهى ذلك وإنما أوردنا هذه القصيدة هنا ليعلم
السامع أن في الأتراك من لا يخلو عن فضيلة
قيل لما انكسر عسكر غازان غنم منه عسكر السلطان
غنائم كثيرة من خيول وسلاح وبرك كما غنم عسكر
غازان من عسكر مصر لما انكسر الملك الناصر تلك المرة
والجزاء من جنس العمل كما قد قيل في المعنى
فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر
ومن الحوادث في هذه السنة أن في ثالث
عشرين ذي الحجة وقعت زلزلة عظيمة بالديار
المصرية وأعمالها وكان قوة عملها بثغر الإسكندرية
فهدمت سورها والأبراج الذي به وهدمت من
المنار جانب وفاض ماء البحر المالح حتى غرق البساتين
التي هناك وأما الديار المصرية فهدمت من جامع
الحاكم جانب وهدمت مأذنة المدرسة المنصورية
ومأذنة جامع الظافر ومأذنة جامع الصالح الذي
عند باب زويلة وهدمت جانب من حيطان جامع
عمرو الذي بمصر العتيقة وتشقق من هذه الزلزلة
مواضع بالجبل المقطم فلما تزايد الأمر خرج الناس
إلى الصحارى وهرب الناس من دكاكينهم وتركوها
مفتحة وخرجن النساء من بيوتهن مسبيات وظن
الناس أنها القيامة وسقطت أماكن كثيرة على الناس
وهلكوا تحت الردم وأقامت هذه الزلزلة تعاود
الناس مدة عشرين يومًا وقيل أن شخصًا كان

ببيع اللبن فسقطت عليه الدار فظن الناس انه مات
فاقام تحت الردم ثلثة ايام بلياليها فلما شالوا عنه
الردم وجدوا فيه الروح وقد تصلت عليه اخشاب
الدار فسلم وسلمت معه الجرة اللبن التي كانت في
يده وهذا من العجايب وكانت هذه الزلزلة في
قوة الصيف فجاء عقيبها ريح اسود فيه سموم تلفح
حتي اعمي علي الناس منها وقيل كانت هذه الزلزلة
متصلة الي دمشق والكرك والشوبك وصفد وغالب
البلاد الشامية

وقد قيل في المعني

زلزلت الارض فخاف الوري وابتهلوا الي العزيز
الحكيم
فليت كروا مع خوفهم قوله زلزلة الساعة شي
عظيم

ثم دخلت سنة ثلث وسبعماية فيها توجه الامير
بيبرس الدوادار لعمارة ما تهدم من الابراج
والسور بثغر الاسكندرية بسبب الزلزلة فكان
عدة ما سقط من الابراج سبعة عشر برجا ونحو
ستة واربعين بدنة ثم ان السلطان رسم للامرا
ان كل من كان ناظرا علي جامع يصلح ما تهدم منه
في الزلزلة فامتثلوا ذلك وشرعوا في اصلاح ما
فسد من ذلك وفي هذه السنة جاءت الاخبار من
بغداد بوفاة غازان الذي جري منه ما جري وكان
غازان من اولاد هلاكو الذي اخرب بغداد وقيل
ان غازان مات مسموما سمته زوجته في منديل
الفرش وكان موته بالقرب من همذان وحمل الي
تبريز

تبريز ودفن بها وكان قد عول علي ان يزحف علي
البلاد الشامية مدة اخري فكفي الله الناس شره

قال الوداعي

قد مات غازان بلا علة ولم يمت في السنة الماضية
بل شنعوا عن موته فانثني حيا ولكن هذه القاضية

وفي هذه السنة شرع السلطان في بناء مدرسته التي
بجوار البيمارستان ونقل الباب الرخام الابيض الذي
علي بوابة المدرسة الان من مدينة عكا قيل كان علي
باب كنيسة بها ثم دخلت سنة اربع وسبعماية فيها
حضر الي الابواب الشريفة صاحب دنقلة من اعمال
الصعيد وكان صحبته هدية للسلطان من رقيق وجمال
وابقار واغنام وغير ذلك فاخلع عليه السلطان خلعة
وانزله بدار الضيافة وفي هذه السنة توفي الشيخ
صدر الدين بن الوكيل وكان من فحول الشعراء
وله نظم جيد ومعاني رقيقة فمن ذلك قوله
قال لي من احب والبدر يبدو من خلال السحاب
ثم يغيب
ما حكي البدر قلت وجهك لما يختفي عنك ما يلوح الرقيب

وقوله ايضا

قلت وقد اسبل من لحاظه درر دموع وفؤادي ذاهل
واعجبا من نرجس في روضه يقطر منه الماء وهو ذا بل

ثم دخلت سنة خمس وسبعماية فيها انشا الامير
بيبرس الجاشنكير بعمارة خانقته التي برحبة باب
العيد قبالة الدرب الاصفر قيل لما كملت عمارة
هذه الخانقاه كتب الشيخ شرف الدين بن الوحيد للاتابكي
بيبرس ختمة في سبعة اجزاء في ورق قطع البغدادي

نقلو الشعر قيل ان الاتابكي بيبرس اصرف على ليقة هذه
الاجزاء الف وسبع مايه دينار حتى كتبت بالذهب
ووضعها في الخانقاه فهي من محاسن الزمان واوقف
علي هذه الخانقاه الاوقاف الجليله وجعل بها حضورا
وصوفيه ورتب لها اشيا كثيره من انواع البر والمعروف
انتهى ذلك ثم دخلت سنة ست وسبعمائه
فيها وقع الغلا بالديار المصريه وتشحطت الغلال
وشطح سعرها وعز الخبز من الاسواق وبلغ ثمن
الرغيف الخبز نصفين فضه واشتد الامر على الناس
ولكن اقام ذلك مده يسيره وانحل السعر قليلا
قليلا وظهرت الغلال في السواحل وفيها جاءت
الاخبار بان صاحب اليمن الملك المؤيد هزبر الدين
داود اظهر المخالفه للسلطان ومنع ما كان يرسله
في كل سنة من التقادم للسلطان فعز ذلك على
الملك الناصر وعين له تجريده وشرع في عمارة جلبات
ومراكب كبار بسبب العسكر وعين جماعه من الامراء
والمماليك السلطانيه فلما دخل الشتا اثني عزم السلطان
عن ذلك وبطل امرها وفيها توفي الشيخ ضياء
الدين الطوسي شارح الحاوي وتوفي الشيخ زين
الدين الفارقي وغير ذلك من العلماء ثم دخلت
سنة سبع وسبعمايه فيها دبت عقارب الفتن
بين السلطان وبين الامير سلار نايب السلطنه
وثارت بينهما فتنه عظيمه وكثر القيل والقال
ثم ان السلطان قبض على جماعه من الخاصكيه الذي
هم

هم من عصبة سلار وكان من اعيان الخاصكيه
الذي قبض عليهم بيبغا التركماني وخاص ترك
العلاي وبينمد الفارسي فلما قبض عليهم ارسلهم
الى القدس فعز ذلك على الامير سلار وفيها
جاءت الاخبار من حلب بان التتار قد تحركوا
على البلاد فلما تحقق السلطان ذلك عرض العسكر
وعين تجريده وعين بها من الامراء المقدمين
الامير جمال الدين اقوش الموصلي المسمى قتال
السبع وهو صاحب الغيط المعروف به والامير
شمس الدين آلدكز السلحدار وعين معهما امراء
طبلخانات وامراء عشراوات وخمسمايه مملوك سلطاني
ورسم لهم بان يتوجهوا الى حلب ويقيمون بها
الى ان يتبين من امر التتار ما يكون فلما شرعوا
في امر السفر وهموا بالخروج جاءت الاخبار
من حلب بان التتار وقع بينهم خلف ورجعوا
الى بلادهم فبطل امر التجريده ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة
في شهر رمضان اظهر السلطان انه يحج وشرع في
عمل اليرق وعين صحبته جماعه من الامراء وهم
الامير ايبك الخطيري الاستادار وهو صاحب الجامع
الذي في بولاق ورسم بان ينقل مراكب العقبه بالاقامات
الى ان يحضر السلطان وعين الذي يخرج صحبته وهم
الامير لاجين قرا امير مجلس والامير آل ملك
الجوكندار والامير بلبان المحمدي امير جاندار
والامير ايبك الرومي والامير بيبرس الاحمدي وغير
ذلك من الامراء الطبلخانات والعشراوات والمماليك
السلطانيه فلما كان يوم السبت خامس عشرينه

خرج السلطان من القاهرة وصحبته الامراء واخذ عياله
واولاده ونسايه فعيد عيد الفطر في بركة الحاج ثم
رحل فلما وصل الي العقبة جمع الامراء وصرح لهم بما عنده
كمين في خاطره من سلار النايب والاتابكي بيبرس
الجاشنكير ثم رسم للامراء الذي صحبته ان يرجعوا الي
القاهرة وانه قد اختار الاقامة بالكرك وخلع
نفسه من الملك واشهد عليه بذلك ثم انه ارسل
خزاين المال والجنايب والعصايب السلطانية والهجن
والكوابيش الزركش الذي كانوا معه صحبة
الامراء وقدر معهم ان اذا وصل المحمل الي العقبة
يرسلوا حتي يتوجه السلطان من هناك الي الكرك وكان
امير المحمل في تلك السنة الامير جمال الدين خضر بك
بن نوكبيه فلما وصل حتي يتوجه السلطان الي العقبة
ارسلوهم من هناك مع امير الي الكرك وصحبتهم
الشنيح وكان السلطان لما خلع نفسه من الملك كتب
مع الامراء مطالعة تتضمن انه رغب عن الملك
واختار الاقامة بالكرك وان الامراء يولوا من يختاروه
سلطانا عليهم فانه ما بقي له رغبة في الملك قال
الصلاح الصفدي وكان سبب توجه الملك الناصر الي
الكرك فانه كان مع سلار والاتابكي بيبرس كالمحجور
عليه لا يتصرف في شي من امور المملكة لاستبدادهما
حتي قيل انه طلب يوما رميسا بدري يرسله الي
الطباخ يصنعه شوي فمنع منه وقيل له حتي يجي
كريم الدين كاتب الاتابكي بيبرس فعز ذلك علي
السلطان واخذ في نفسه فاظهر انه يريد الحج في
تلك

تلك السنة فلما وصل الي العقبة صرح بما عنده الي الامراء
وتوجه من هناك الي الكرك فدخلها يوم الاحد عاشر
شوال فلما دخل الكرك زينت له ولاقاه نايب الكرك
فلما وصل الي خندق القلعة مد له جسر من الخشب
ليعبر عليه الي القلعة فلما مشا عليه تكاثرت حوله المماليك
فانكسر الجسر من تحت ارجلهم بعد ان تعدي فرس
السلطان بخطوتين فتساقطت المماليك الي الخندق
فانصدع منهم جماعة كثيرة ومات منهم واحد في
الخندق فتنكد السلطان لذلك فلما طلع الي قلعة
الكرك اقام بها ونزل نايب الكرك سكن بالمدينة هو
وعياله قيل لما رحل السلطان من العقبة وتوجه
الي الكرك رجع الامراء الذي كانوا معه الي القاهرة
فدخلوا يوم السبت ثالث عشرين شوال فلما بلغ
بقية الامراء مجيئهم ركبوا جميعا وطلعوا الي القلعة
فلما وقفوا علي مطالعة السلطان بانه رغب عن الملك
واشهد عليه بالخلع واختار الاقامة بالكرك فلما تحققوا
ذلك اشتوروا الامراء في بعضهم وقالوا ان عاودنا
السلطان في العود الي الملك نخشي انه لا يجيب الي
ذلك وتطمع العربان في البلاد الي ان يعود الجواب
الينا بما يكون ثم انفضوا ولم ينتظم لهم امر فلما كان
وقت الظهر اجتمع الامراء بدار النيابة وضربوا مشورة
فيمن يصلح للسلطنة وكانت الكلمة يوميذ مجتمعة في
سلار نايب السلطنة فتكلم الامراء معه بان يتسلطن
فامتنع من ذلك وحلف بالطلاق من نسايه انه ما يتسلطن
فترشح امر الاتابكي بيبرس الجاشنكير الي السلطنة وان
وان سلار يكون نايب السلطنة علي حاله فانتظم الامر

على ذلك وتحالفوا الامراء على السمع والطاعة لبعضهم
وتولى بيبرس الجاشنكير فكانت مدة الملك الناصر
في هذه السلطنة الثانية عشرة سنين وايامًا وسيعود
الى السلطنة ثالث مرة كما ياتي ذكر ذلك في موضعه
ان شاء الله تعالى وفي هذه السنة اعني سنة ثمان وسبعماية
في ذي القعدة توفي الامام الحافظ العلامة شمس
الدين محمد بن عبد الرحمن بن ابو شامة الحنبلي المؤرخ
وكان عمدة المؤرخين صحيح النقل انتهى ما اوردناه
من اخبار الملك الناصر محمد بن قلاوون على سبيل الاختصار
من ذلك

ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري وهو الثاني عشر من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية بويع

بالسلطنة بعد خلع الملك
الناصر محمد بن قلاوون بحضر الخليفة المستكفي بالله
سليمان والقضاة الاربع وبايعه بالسلطنة وتلقب
بالملك المظفر فركب بشعار السلطنة من الايوان
الاشرفي وحملت على راسه القبة والطير ومشت
بين يديه الامراء حتى جلس على سرير الملك وباسوا
له الارض ونودي باسمه في القاهرة وضج الناس
له بالدعاء وكان ذلك يوم السبت بعد العصر
ثالث عشرين شوال من سنة ثمان وسبعماية فلما تم
امره في السلطنة اخلع على الامير سلار واستقر به
نايب السلطنة على عادته واخلع في ذلك اليوم على
جماعة كثيرة من الامراء والمباشرين حتى قيل انه اخلع في
ذلك

ذلك اليوم نحو الف وثلثماية خلعة ما بين متمرات
وخلعه وكوامل مملة بقمور انتهى ذلك ثم دخلت
سنة تسع وسبعماية فيها في ربيع الاول توفي قاضي
القضاة الحنبلي شرف الدين الحراني فاخلع السلطان على
الشيخ سعد الدين الحارثي الحنبلي واستقر به قاضي قضاة
الحنابلة عوضا عن الحراني وفي هذه السنة كانت وفاة
الشيخ تاج الدين بن عطا الله ابو العباس احمد بن
محمد بن عبد الكريم الجد ابي ثم الاسكندراني وكان
مالكي المذهب صحب الشيخ ابا العباس المرسي وله تصانيف
كثيرة منها كتاب التنوير في اسقاط التدبير في الحكمة
وكتاب لطايف المنن في مناقب الشيخ ابي الحسن ولما
مات دفن بالقرافة الصغري رحمة الله عليه والدعا
عند قبره مجاب ومن الحوادث في هذه السنة
ان النيل توقف عن الوفا الى سابع عشرين توت
من الشهور القبطية ثم نقص في تاسع عشر بابه فضج
الناس لذلك وتشحطت الغلال وارتفع الخبز من الاسواق
واضطربت الاحوال جدا فرسم السلطان بفتح السد من
غير وفا وقد نقص عن الوفا ثلثة اصابع فلما فتح لم
يخلق المقياس لذلك واستمر الى سابع عشرين بابه فنقص
جملة واحدة فكان منتهى الزيادة خمسة عشر ذراعا
واصابع وعشر اصابع فشرقت البلاد وضجت العباد

قال النصير الحمامي

ان عجل النوروز قبل الوفا ... عجل للعالم صفع القفا
فقد كفى من دمعهم ما جرى ... وما جرى من نيلهم ما كفا

قال الطارمي ابراهيم بن دقماق في تاريخه ان في

هذه الواقعة صنفوا أهل مصر كلها وتحنوه وصاروا
يتغنون به العوام في أماكن المفترجات وغيرها
وهو هذا سلطاننا ركين ونايبنا دقين يجينا الما
من أين هاتوا لنا الأعرج يجي الما ويدحرج وكان الأمير
سلار النايب أجرود في حنكه بعض شعرات لأنه كان
من التتار الخطائي فسمته العوام دقين وكان الملك
الناصر محمد به بعض عرج فسمته العوام الأعرج وكان
بيبرس الجاشنكير لقبه ركن الدين فسمته العوام
ركين فلما فشي هذا الكلام بين الناس بلغ السلطان
فرسم للوالي أن يقبض علي جماعة من العوام فقبض علي
جماعة منهم نحو ثلثماية إنسان فرسم السلطان بضرب
جماعة منهم بالمقارع وأشهارهم في القاهرة علي جمال ورسم
بقطع ألسنة جماعة منهم فعند ذلك اضطربت الأحوال في
أوايل دولة المظفر بيبرس وصار العسكر فريقين
فرقة مع الملك الناصر وفرقة مع بيبرس الجاشنكير
والأكثر كان مع الملك الناصر ثم بلغ الملك المظفر بيبرس
أن جماعة من الأمراء كاتبوا الملك الناصر وهو بالكرك
فقبض عليهم وأرسلهم إلي السجن بثغر الإسكندرية ثم
قبض علي جماعة من المماليك الناصرية وأرسلهم إلي
قوص وكان عدتهم نحو ثلثماية مملوك فلما وقع ذلك من
الملك المظفر نفرت عنه قلوب الرعية من الأتراك
والعوام واختارت أجل منهم عودة الملك الناصر ثم صار
جماعة من المماليك الناصرية يتسحبون تحت الليل من
القاهرة ويتوجهون إلي عند الملك الناصر بالكرك
ويتركون بيوتهم وأولادهم فلما بلغ الملك المظفر
ذلك أرسل إلي الملك الناصر الأمير مغلطاي والأمير

وقد قال القاضي [illegible] في المعنى
[illegible]
قاطبه

والأمير قطلوبغا وعلي أيديهما مطالعة من عند الملك
المظفر فكان مضمون مطالعة الملك المظفر إلي الملك
الناصر إذا أنت لم ترجع عن مكاتبتك للأمراء وإلا
نقلتك من الكرك إلي القسطنطينية كما فعل الملك
الأشرف خليل مع أولاد الملك الظاهر بيبرس البندق
داري واستكثر فيها من التهديد عليه واستوعده
بكل سوء فلما وصلت هذه المطالعة إلي الملك الناصر
اشتد غضبه علي الأمير مغلطاي وقطلوبغا فأغلظ
عليه الأمير مغلطاي في القول فعراه وضربه بالمقارع
ثم اعتقله هو وقطلوبغا في الجب بقلعة الكرك ثم إن
الملك الناصر أرسل مكاتبات إلي نايب حلب ونايب
طرابلس ونايب صفد ونايب حماه وهو يقول لهم فيها
لما اشتد علي الضنك من الأمراء خرجت من مصر
وتركت لهم الملك ورضيت من الدنيا بأحقر الأماكن
وأضيق المساكن ليستريح خاطري من النكد فما برحوا
عني وأرسل المظفر يتهددني بالنفي إلي القسطنطينية
كما جري علي أولاد الملك الظاهر بيبرس وأرسل يطلب
مني مالك لا أخذ عليه وأنتم تعلموا ما لوالدي عليكم من
العتق والتربية وما أظنكم ترضوا إلي بهذا الحال فإما
أنكم تلفوا في أمر هولاء الأمراء الذي تعصبوا علي وإما
أني أتوجه إلي بعض ملوك الشرق وألتجي إليه قبل
أن يرسلوني إلي القسطنطينية ثم إن الملك الناصر أرسل
مطالعة المظفر بيبرس التي أرسلها له إلي نايب حلب وكان
الذي توجه إلي النواب بطالعات الملك الناصر شخصاً
يسمي تاج الدين زوزات من أبناء العجم فلما وصلت هذه

المطالعات الي النواب فاخذتهم الحمية الي ابن استاذهم
وتعصبوا له وارسلوا يقولون له نحن مماليكك
ومماليك ابيك فمهما شيت نحن طوع يدك وتحت
امرك فلما عاد الجواب الي الملك الناصر بالطاعة له
فرح بذلك واخذ في اسباب التوجه الي القاهرة
فخرج من الكرك ومعه جماعة من العربان فلما وصل
الي البرج الابيض من اعمال البلقا ارسل اقوش
الافرم نايب الشام يعرف الملك المظفر بذلك
وكان نايب الشام من عصبة الملك المظفر فلما وقف
المظفر علي مطالعة نايب الشام ارسل خلف سلار
النايب وضرب معه مشوره في امر الملك الناصر
فاشار سلار ان يرسل اليه تجريده فعرض العسكر
وعين منهم جماعه وعين من الامراء المقدمين
اربعه وهم الامير بلغار صهره والامير ايبك
البغدادي والامير الدكز السلحدار والامير اقوش
الذي كان نايب الكرك وعين معهم الفي مملوك
ثم ان الملك المظفر نفق علي العسكر واستحثهم في
سرعة التوجه الي الشام فخرجوا يوم السبت تاسع
رجب ونزلوا بالريدانيه فاقاموا بها يوم وليله ثم
عادوا الي القاهرة فتفاءل الناس بزوال الملك المظفر
وكان سبب عود الامراء والعسكر وهو ان ورد كتابا
من نايب الشام ان الملك الناصر تسلم الشام ودخل
اليها في موكب عظيم وزينت له وكان يوم دخوله
يوما مشهودا وان جميع النواب دخلوا تحت طاعته
وحمل الامير الحاج بهادر القبه والطير علي راسه
وضج اهل الشام له بالدعاء ونزل بالقصر الابلق الذي
بالميدان

بالميدان الكبير ثم مد له هناك الامير يلبغا السيفي نايب قلعة
دمشق مده عظيمه ثم ان الملك الناصر اخلع علي الامير
اقوش الافرم واقره نايب الشام علي عادته واخلع
علي الامير اسندمر كرجي واقره نايب طرابلس علي
عادته واخلع علي الامير بكتمر الجوكندار واقره نايب
صفد علي عادته واخلع علي الامير عدا الساقي واقره
نايب حمص علي عادته واخلع علي الامير علي نايب حماه
واقره علي عادته ثم حضر اليه الامير قرا سنقر نايب
حلب فاخلع عليه واقره علي عادته في نيابة حلب وهولاء
النواب كلهم منصوريه مماليك ابيه فلما كان يوم الجمعه
خطب باسم الملك الناصر علي منابر دمشق واعمالها فلما
تحقق الملك المظفر ذلك اضطربت احواله وضاقت
الدنيا عليه ونسي حلاوة اللحم بمرارة الاشنان كما قيل

اذا انت لم تشرب مرارا علي القذي ظميت واي الناس تصفوا
مشاربه

فلما كان يوم الثلاثا سادس عشر رمضان دخل الامير
سلار النايب ومعه جماعه من الامراء الي عند الملك
المظفر وقالوا له يا مولانا السلطان ان غالب الامراء والمماليك
توجهوا الي عند الملك الناصر ووقع الاختيار علي عوده
ومن الراي ان ترسل الي الملك الناصر تساله في مكان
تتوجه اليه انت وعيالك فلعله يجيبك الي ذلك وان لم
تبادر الي هذا والا هجمت العساكر ويهجموا عليك وانت هنا
فقال المظفر ومن يتوجه الي عند الملك الناصر بهذه الرساله
فقال الامير سلار يتوجه اليه الامير بيبرس الدوادار فانه
فقيه ومن ذوي العقول ويأخذ صحبته الامير بهادر اص
فلما وقع الاتفاق علي ذلك كتب الملك المظفر كتابا الي الملك

الناصر وهو يترفق له فيه ويسأله أن ينعم عليه بمكان
يتوجه اليه هو وعياله اما الكرك واما صهيون واما حماه
ثم ان الملك المظفر احضر الاربع القضاة وخلع نفسه من
الملك واشهد عليه بذلك وجهز الاشهاد على يد الامير
بيبرس الدوادار وبهادر آص فخرجا من يومهما
وتوجها الى الشام ومن غرايب الاتفاق أن
الساعة التي خلع فيها الملك المظفر كانت هي الساعة
التي ركب فيها الملك الناصر وخرج من الشام قاصدا الى
الديار المصرية وكانت ساعة سعد واستمر في هذه
السلطنة حتى مات على فراشه بعد مدة طويلة كما
سياتي ذكر ذلك في موضعه فلما وصل الامير بيبرس والامير
بهادر آص الى غزة تلاقيا مع الملك الناصر وباسا له
الارض وقدما له مطالعة الملك المظفر والخلع الذي
اشهد به المظفر على نفسه فلما راى الملك الناصر ذلك
فرح وقال الحمد لله الذي اصان الله دما المسلمين عن
القتال ثم انه خلع على الاميرين خلعتين وكتب معهما
امانا الى الملك المظفر وارسل له منديل الامان على
ايديهما ورسم لهما ان يتوجها من يومهما الى القاهرة حتى
يطمئن المظفر على نفسه واخرجهما من غزة في يومهما وجدا
في السير هذا ما كان من امر الملك الناصر لما توجها
اليه الامير بيبرس والامير بهادر آص واما ما كان من
امر الملك المظفر بيبرس بعد توجه الامير بيبرس وبهادر
فانه دخل الى الخزاين واخذ منها ما قدر عليه من
مال وتحف وسلاح وعين معه من مماليكه المشتروات
سبعماية مملوك واخرج لهم الخيول من الاسطبل السلطاني
وعين

وعين الامير بكتوت الفتاح والامير ايدمر الخطيري
والامير قجماس بان يتوجهوا معه فلما كان يوم الاربعا
سادس عشر رمضان نزل الملك المظفر من القلعة بعد
العشاء من باب الدرفيل واخذ معه من الاسطبل
السلطاني ثلث طوايل خيل من الخيول الخاص فلما بلغ
العوام نزوله اجتمع له السواد الاعظم عند باب القرافة
ورجموه بالحجارة والمقاليع وسبوه سبا قبيحا فلولا
انه اشغلهم بشي من الفضة نثرها لهم والا كان
قتل لا محالة فانه افحش في حقهم وشوش على جماعة
منهم كما تقدم فلما خلص منهم توجه الى بركة الحبش
فاقام بها ساعة حتى تكامل عسكره ثم توجه الى نحو
اطفيح فلما اصبح الصباح اشيع بين الناس هروب الملك
المظفر من القلعة فلما جرى ذلك دخل الامير سلار
النايب وختم على خزاين المال والحواصل السلطانية
واطلق من كان مسجونا من الامرا في الابراج بالقلعة
ثم انه ارسل يكاتب الملك الناصر بما وقع من امر المظفر
بيبرس وارسل الكتاب على يد الطنبغا الجمدار فلما كان
يوم الجمعة خطب باسم الملك الناصر على منابر القاهرة
قبل دخول الملك الناصر اليها فلما عاد الامير بيبرس
الدوادار والامير بهادر آص من عند الملك الناصر وجدا
الملك المظفر قد توجه الى نحو اطفيح فارسلا له الامان
وهو في اطفيح وكانت مدة غيبة الامير بيبرس الدوادار
والامير بهادر آص سبعة ايام وعادا بالامان الى
الملك المظفر ثم ان الملك الناصر خرج من غزة وجد في
السير فوصل الى خانقة سرياقوس ليلة عيد الفطر
فبات هناك وصلى صلاة العيد فخرج اليه القضاة الاربع

والأمير سلار النائب وسائر الأمراء فلما مثلوا بين يديه
باسوا له الأرض ودخلوا في خدمته **ذكر عود
الملك الناصر محمد بن قلاوون الى السلطنة
وهي السلطنة الثالثة** دخل الى القاهرة
يوم الخميس ثاني شوال سنة تسع وسبعمائة فزينت
له القاهرة وحملت على رأسه القبة والطير لكن
طلع من الترب ففرشت له الشقق الحرير من
راس الصوة الى القلعة فطلع من باب السلسلة
وجلس في المقعد الذي بالاسطبل السلطاني وقدامه
الاوزان والشبابة السلطانية وكان يوما مشهودا
وفي ذلك يقول الصلاح الصفدي
تثنى عطف مصر حين وافى قدوم الناصر الملك الخبير
وذل الجاشنكير بلا قتال وأمسى وهو ذو جأش نكير
إذا لم تعضد الأفلاك شخصا فأول ما يراع من النصير
فلما جلس بالمقعد حضر الخليفة المستكفي بالله سليمان
والقضاة الأربع وهم قاضي قضاة الشافعية بدر
الدين بن جماعة وقاضي قضاة الحنفية شمس الدين
السروجي وقاضي قضاة المالكية زين الدين بن مخلوف
النويري وقاضي قضاة الحنابلة سعد الدين الحارثي
وحضر كاتب السر شرف الدين بن فضل الله العمري
وحضر الوزير ضياء الدين النشاي فلما تكامل المجلس
التفت الملك الناصر الى القاضي بدر الدين بن
جماعة وقال له كيف تفتي بأني خارجي وبحيث قتالي
فحلف القاضي بدر الدين بالطلاق ثلاثة أنه ما
علم أن السؤال عن السلطان وإنما الفتوى على مقتضى
كلام المستفتي ثم إن الخليفة بايعه بالسلطنة واحضر

واحضرت له خلعة السلطنة وهي جبة سودا بطرز
زركش وعمامة سودا مدوره وسيف حمايلي فركب
من باب السلسلة والامراء قدامه مشاة حتى طلع
الى القلعة وجلس على سرير الملك وباس له الامراء
الارض ونودي باسمه في القاهرة وضج له الناس
بالدعا ودقت له البشائر ثم اخلع على الخليفة ونزل
بيته واخلع على النواب الذي حضروا معه خلع الاستمرار
واخلع على القضاة الاربع وارباب الدولة من المتعممين
والامراء ثم بعد انفضاض الموكب طلع اليه الشيخ
شمس الدين بن عدلان فاستاذن في الدخول عليه فارسل
يقول له انت افتيت انه خارجي وقتاله جايز ما لك عليه
دخول فقلت كفاني فيك وفي ابن المرحل قول الاديب
شهاب الدين الشار ساجي حيث **قال**
لحى المظفر لما فاته الظفر وناصر الحق وافى وهو منتصر
وقد طوى الله من بين الورى فتنا كادت على عصبة الاسلام تنتشر
فقل لبيبرس أن الدهر البسه أثواب عارية في طولها قصر
لما تولى تولى الخير من أمم لم يحمد والامره فيها ولا شكروا
وكيف تمشي به الأحوال في زمن لا النيل أوفى ولا وافاهم مطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته وابن المرحل قل لي كيف ينتصر
قال الشبلي وكلهم مظلومون مع الملك الناصر فإنهم
أفتوا بالحق ولكن أين من يفضي على نفسه ولو بالحق

وفي أثناء ذلك اليوم دخل الأمير سلار النايب على
السلطان وباس الأرض وسال السلطان أن
يعفيه من النيابة وأن يخرج من مصر ويتوجه
الى الشوبك فيقيم بها حتى ينقضي عمره وكانت
الشوبك جارية في أقطاع سلار فلما سال السلطان
في ذلك فبكا سلار وتضرع اليه وقال قد كبر سني
ووهن حيلي فلا زال يتضرع الى السلطان حتى
أجابه الى ذلك وأخلع عليه خلعة وخرج من يومه
الى الشوبك وكانت مدة نيابته بالديار المصرية
أحدى عشرة سنة وكسور وقد جاءته السلطنة من
قبل الجاشنكير وكان اميرا دينا خيرا كثير البر والمعروف
وافر العقل ثابت الجنان ساس الناس في أيام نيابته
أحسن سياسة وكانت الناس راضية عنه فلما خرج
من مصر وتوجه الى الشوبك عمل السلطان الموكب
وأخلع على الأمير بكتمر الجوكندار واستقر به نايب
السلطنة عوضا عن سلار ثم ان السلطان أرسل
الأمير بيبرس الدوادار والأمير بهادر آص الى عند
الملك المظفر وكان قد رحل من أطفيح وأتى الى أخميم
فلما توجها اليه تلطفا معه في القول حتى استخلصا
منه ما كان أخذه من الأموال من الخزاين عندما
توجه الى أطفيح واستخلصا منه الخيول التي كان أخذها
من الأسطبل السلطاني واستخلصا منه المماليك الذي
كانوا معه ثم قالوا له ان السلطان يقول لك امضي
الى الكرك وأقم بها ويرتب لك ما يكفيك فقال الملك
المظفر السمع والطاعة ثم رحل من يومه وتوجه
من هناك الى السويس ثم ان الأمير بيبرس والأمير

والأمير بهادر رجعا الى القاهرة وصحبتهما الأموال
والخيول والمماليك الذي كانوا مع الملك المظفر فلما
حضروا بين يدي الملك الناصر رد الأموال الى الخزاين
والخيول الى الأسطبل والمماليك الى الطباق ثم لما
بلغ الملك الناصر توجه المظفر من هناك الى السويس
أرسل الأمير أسندمر كرجي خلفه فقبض عليه من
أثناء الطريق وأحضره الى القلعة تحت الليل فسجن
بالبرج الكبير فلما كان يوم الخميس رابع عشرة ذي
القعدة جلس السلطان وقت الظهر في محل خلوة ثم
طلب الملك المظفر فلما مثل بين يديه وبخه بالكلام
وعدد له ما وقع منه من القبايح في حقه ثم ان السلطان
أحضر المشاعلي وأمر بخنق المظفر بيبرس بين يديه
فخنق حتى مات وقضي نحبه وكانت وفاته في يوم
الخميس المذكور أعلاه من سنة تسع وسبعماية فلما مات
أرسل السلطان الى زوجته وأمرها أن تدفنه فحمل من
القلعة ودفن في تربة في القرافة الصغرى ثم بعد
مدة شفع فيه بعض الأمراء عند السلطان فرسم
بنقله ودفنه في خانقته التي أنشاها عند الدرب الأصفر
بالقرب من خانقة سعيد السعداء قد دفن بها في أواخر
سنة تسع وسبعماية وكانت مدة سلطنته بالديار
المصرية أحدى عشر شهرا وأياما وكانت دولته أشر
أياما مع قصرها وقع فيها الغلا وشرقت البلاد من
عدم النيل ووقع الفنا والفتن بين الأمراء وثقلت
أمره على الرعية ولم يرا الناس في أيامه ما يسرهم من
الخير بل كانت كلها أنكادا وشرورا وخوف ووقوف حالا بين الناس

وكان الملك المظفر بيبرس جميل الصورة أبيض اللون
اشقر اللحية أشهل العينين وكان وافر العقل
عارفا بأحوال المملكة كفوا للسلطنة وكان كثير البر
والصدقات ولاسيما ما فعله في خانقته التي انشاها
من البر والمعروف ولكن تلاعبت به الدنيا كما
تلاعبت بغيره. كما قد قيل في المعنى

يا طالب الدنيا الدنية أنها شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا تبا لها من دار

انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المظفر بيبرس
الجاشنكير وذلك على سبيل الاختصار من أخباره
ثم دخلت سنة عشرة وسبعمائة فيها عزل
السلطان قاضي القضاة الشافعية بدر الدين بن
جماعة المقدسي وولى عوضه القاضي جمال الدين
سليمان الزرعي الشافعي وذلك في ربيع الاول من تلك
السنة. وعزل قاضي القضاة الحنفي شمس الدين
السروجي وولى عوضه القاضي شمس الدين محمد بن
عثمان الجزري وعزل قاضي القضاة الحنبلي سعد الدين
الحارثي وولى عوضه القاضي تقي الدين بن قاضي
القضاة عز الدين فعزل الثلاثة في تلك السنة وأبقى
قاضي قضاة المالكية زين الدين بن مخلوف النويري
لانه كان وصي الملك الناصر ثم عزل الحاجب ضياء
الدين النشائي وولى الناصري محمد بن الأمير بكتمر
الحاجب عوضا عن ضياء الدين النشائي وفيها قبض
السلطان على أخو الأمير سلار وقد بلغه عنه أنه
أنه اتفق معه جماعة من الأمراء على أنهم يقتلوا
السلطان فبادر اليهم وقبض على أربعة عشرة
أميرا في يوم واحد واودعهم في السجن بالقلعة
ثم ان السلطان أرسل يكاتب سلار بما وقع من
أخيه وعين الأمير سنجر الجاولي بأن يتوجه الى
سلار ويحضره من الشوبك فتوجه اليه وغاب
عشرة أياما وحضر وصحبته سلار مقيدا فاودعه
السلطان في السجن بالقلعة فأقام به أياما واشيع موته
وكان أصل سلار من مماليك الملك الصالح نور الدين
علي بن قلاوون الذي تسلطن في حياة والده قلاوون
وقد تقدم ذكر ذلك قال الصلاح الصفدي
لما سجن سلار بعث اليه السلطان بأكلة من السماط
فرده عليه ولم يأكل منه شيء وأظهر الحنق فمنع
عنه السلطان الأكل والشرب فأقام على ذلك أياما
فلما تزايد به الجوع أكل أخفافه من رجليه من
شدة الجوع فلما بلغ السلطان ذلك رق له وأرسل
يقول له قد عفى عنك السلطان ففرح بذلك وقام
ومشي خطوات ثم وقع ميتا من شدة الجوع وكان
سلار مربوع القامة غليظ الجسد أسمر اللون خفيف
اللحية له بعض شعرات في حنكه وكان تتري الجنس
وكان شديد الغضب صعب الخلق لكن كان ترفا في
ملبسه وهو الذي ينسب اليه السلاري الى الآن
وابتدا ذلك السلارية وقد اقترح أشيا كثيرة من
الملبوس ومن قماش الخيل والة الحرب وهي
منسوبة اليه الى اليوم وكان كثير البر والصدقات
وكان في سعة من المال ولما مات بالقلعة غسل وكفن

وكان موجود في المدرسة الجاولية التي عند الكبش ثم
ثم ان السلطان احتاط على موجود الامير سلار فظهر
له من الموجود ما لا يسمع بمثله قال محمد بن شاكر
الكتبي وقفت على قوايم بخط القاضي جمال الدين
بن الفويره تتضمن ما اشتمل عليه موجود الامير
سلار وهو ما ضبط اول يوم ذهب عين مايتي
الف دينار ومن الفضه اربعماية الف درهم واحد
وسبعون الف درهم وصناديق افرنجي مصفحه
بنحاس ضمنها فصوص ياقوت احمر بهرمان رطلين
فصوص بلخش رطلين ونصف فصوص زمرد
ذبابي عشرين رطلا فصوص ماس وعين الهر ثلثماية
قطعه لولو كبار مدور وزن مثقال كل حبه
العده ماية وخمسين حبه ثم في يوم الاثنين سابع
عشر جمادي الاولى ظهر له من الذهب العين
خمسه وخمسين الف دينار ومن الفضه الف الف
درهم ومن الفصوص المختلفه رطلان وظهر له
مصاغ من ذهب ما بين خلاخيل وسوار الوزن
اربع قناطير مصري ووجد عنده طاسات فضه عمل
الفرنج واطباق فضه وطشوت فضه واهوان ذهب
الوزن ست قناطير ثم في يوم الثلاثا ثامن عشره
ظهر له من الذهب العين خمسه واربعون الف
دينار ومن الفضه ثلثماية الف وثلثون الف درهم
ووجد عنده طلحات فضه للصناجق وقطزيات
فضه الوزن ثلاث قناطير ثم في يوم الاربعا تاسع
عشره ظهر له من الذهب العين الف الف دينار
ومن الفضه ثلثماية الف درهم ووجد عنده اقبيه حرير

[illegible]

حرير بفرو وتافتا ثلثماية قبا ووجد عنده اقبيه حرير ايضا
عمل الدار ملون بغير فرو سنجاب العده اربع ماية قبا ووجد
عنده سروج ذهب العده ماية سرج عبايات زركش على
محمل احمر ووجد عنده من الشقق الحرير الطرد وحش
وغيره الف شقه ووجد له عند صهره الامير موسى
ثمان صناديق لم يعلم ما فيها ووصل له مما كان اخذه
صحبته لما توجه الى الشوبك من الذهب العين ماية الف
دينار ومن الفضه اربع ماية الف درهم ومن القماش الملون
ثلثماية قطعه ووجد عنده من الخام ستة عشر نوبه وفيهم
خركاه خشب بغشا اطلس احمر مدقوم بزركش ووجد عنده
من الخيول الخاص ثلثماية راس دون الدشار ومن البغال
ماية وعشرين قطارا ومن الجمال ماية وعشرين قطارا وظهر
له مخباه في داره فيها اكياس ذهب ما يعلم لهم عده ووجد
له مخباه ايضا في مكان عند بيت الخلاده فيها ذهب سكب
بغير اكياس ما يعلم قدره ووجد له من الاملاك والضياع
والمعاصر والشون والمراكب ما لا ينحصر حتى قيل كان متحصله
في كل سنه من اجرة املاكه وضياعه ومستاجراته وحماياته
ما ينيف عن ماية الف دينار في كل سنة ووجد عنده
من المماليك والخدام والعبيد والجوار نحو ثلثة الف راس
ووجد عنده من الفرش والمقاعد والبسط الرومي ما لا
ينحصر ووجد عنده من الاغنام والابقار ما لا يحصى ووجد
عنده من الغلال ثلثماية الف اردبا في الشون على بعضها
ومع هذا مات بالجوع وهو في السجن فسبحان المانع قال
بعض المورخين عجبت من امر سلار في جمع هذه الاموال
العظيمه وكانت مدته في نيابة السلطنة احدى عشر سنه

فكيف حوى هذه الاموال العظيمة في هذه المدة اليسيرة والذي يظهر بعين الفراسة اما انه ظفر بكنز من كنوز القدماء واما انه اخذ هذه الاموال والتحف من بيت المال عندما توجه الملك الناصر الى الكرك فان مفاتيح بيت المال كانوا بيد سلار فاخذ من بيت المال ما قدر عليه وهذا الوجه اقرب من ان يكون ظفر بكنز انتهى ذلك وقد قيل في المعنى

اجمع وانت من الدنيا على حذر ... واعلم بانك بعد الموت مبعوث

واعلم بانك ما قدمت من عمل ... محصى عليك وما خلفت موروث

وفي هذه السنة اعني سنة عشرة وسبعمائة فيها كانت وفاة الشيخ شمس الدين بن دانيال الحكيم وهو صاحب كتاب طيف الخيال قدم من الموصل الى الديار المصرية في دولة الملك الظاهر بيبرس البندقداري وكان بن دانيال هذا شاعرا ماهرا وله شعر جيد فمن ذلك ما قاله عن نفسه وهو قوله

يا سايلي عن حرفتي في الورى ... وضيعتي فيهم وافلاسي

ما حال من درهم انفاقه ... ياخذه من اعين الناس

وقوله

ما عاينت عيناي في عطلتي ... اقل من حظي ولا بختي

قد بعت عبدي وحماري معا ... واصبحت لا فوقي ولا تحتي

وتوفي في هذه السنة قاضي القضاة الحنفي شمس الدين السروجي مات وهو منفصل عن القضاء وتوفي العلامة الحافظ التبريزي محدث مكة وغير ذلك من العلماء والفضلاء

ثم

[illegible]

ثم دخلت سنة احدى عشرة وسبعمائة فيها عزل القاضي شرف الدين بن فضل الله العمري عن كتابة السر بمصر واستقر كاتب السر بدمشق وتولى عوضه بمصر القاضي علاء الدين بن تاج الدين بن الاثير وكان عالما فاضلا شاعرا ناظما ناثرا ومن شعره وهو قوله

لا تعجب الناس للورقاء اذ سقطت ... على مليح بديع القد فتان

وانه مثل قضيب البان مختدلا ... والورق ما برحت تصبو الى البان

وفيها جاءت الاخبار من افريقية ببلاد الغرب بان قد خطب فيها على المنابر باسم الملك الناصر وكان سبب ذلك ان صاحب افريقية وهو ابو يحيى اللحياني قدم على الملك الناصر وقال له ارسل معي عسكرا الى افريقية فاذا فتحت البلد وملكتها التزمت للسلطان ان اقيم نفسي بها نايبا عنه فعين السلطان معه تجريدة نحو مائة مملوك ومعهم امير عشرة باشهم فلما توجهوا الى افريقية تسامعت بهم اهل تلك النواحي فالتف عليهم جماعة من المغاربة والعربان فعظم امر ابو يحيى ومشى على غالب بلاد تونس وحاصر مدينة افريقية حتى فتحها ودخل اليها وعلى راسه الصناجق السلطانية وحوله العساكر المصرية فطرد من كان بها من ملوك الغرب وملكها ابو يحيى فلما استقر بها خطب باسم الملك الناصر على منابرها كما قرر معه واستقر بها ورجع العسكر الى القاهرة ومن الحوادث في تلك السنة ان السلطان عزل نايب الشام الامير اقوش الافرم واستقر بالامير كراي المنصوري

[illegible]

وهو صاحب الحمام التي في سوق الغنم نايب الشام عوضًا
عن أقجوش الأفرم فأقام كراي في نيابة الشام مدة
يسيرة وأرسل السلطان قبض عليه وأعاد الأمير
أقجوش الأفرم إلى نيابته كما كان بها وفي هذه السنة
قبض السلطان على الأمير بلغق الجوكندار نايب
السلطنة وسجنه بالقلعة ثم أخلع على الأمير بيبرس
الدوادار واستقر به نايب السلطنة عوضًا عن بلغق
الجوكندار وفيها جاءت الأخبار من الشام بأن
نايب الشام قد تسحب من هناك هو والأمير قراسنقر
وتوجها إلى بلاد التتار وقد بلغهما أن السلطان يروم
القبض عليهما فهربا بسبب ذلك ثم دخلت سنة
اثنتي عشرة وسبعماية فيها جاء قاصد صاحب
اليمن وصحبته تقادم حفلة فأكرمه السلطان غاية
الإكرام وأخلع عليه وفيها حضر ملك النوبة
إلى الأبواب الشريفة وصحبته تقادم حفلة
للسلطان منها ألف رأس رقيق من عبيد وجوار
وخمسماية جمل وخمسماية بقرة خيسية وألف رأس غنم
وعشرين جمل عليها تحف وأشربة وغير ذلك فأكرمه السلطان
وأخلع عليه وفيها قبض السلطان على الأمير بيبرس
الدوادار الذي استقر به نايب السلطنة وسجنه
ثم أخلع على الأمير أرغون الدوادار واستقر به
نايب السلطنة عوضًا عن بيبرس المذكور وفيها
أخلع السلطان على الأمير تنكز الحسامي واستقر به
نايب الشام عوضًا عن أقوش الأفرم فلما تولى تنكز
نيابة الشام جعل السلطان نيابة دمشق أكبر من نيابة
حلب وكان من قبل الزمان نيابة حلب أكبر من نيابة

وفي هذه السنة أعني سنة احدى عشرة وسبعماية فيها في ثاني عشر رجب توفي الإمام
العلامة نجم الدين ابو العباس أحمد بن محمد بن علي بن الرفعة الأنصاري كان ثالث
الشيخين الرافعي والنواوي ولد سنة خمس وأربعين وستماية قال الإسنوي كان
ابن الرفعة إمام عصره في الشافعية

نيابة الشام ثم أخلع على الأمير سودون الناصري
واستقر به نايب حلب عوضًا عن الأمير قفجق
المنصوري وفيها ابتداء السلطان بعمارة جامعه
الذي في موردة الحلفا تجاه الروضة وهو الذي
يسمى بالجامع الجديد وكان بحر النيل يجري من تحته
صيفًا وشتاء قيل انتقل هذه الأعمدة التي
السلطان
من قلعة الروضة التي كانت هناك من أيام الملك
الصالح نجم الدين أيوب فنقل منها الملك الناصر أشياء
كثيرة من أعمدة وأعتاب وغير ذلك وفيها ابتدا
السلطان بعمارة الميدان الذي تحت القلعة وهو أول من
أنشأ هذا الميدان وبنا عليه السور وفي هذه السنة ابتدا
السلطان بعمارة الميدان الكبير الذي عند البركة الناصرية
وفيها حضر مملوك نايب حلب وأخبر أن التتار تحركوا على
البلاد فلما تحقق السلطان ذلك عرض العسكر ونفق وخرج
بنفسه في أوايل شهر رمضان قاصدًا إلى حلب فلما وصل إلى
غزة جاءت الأخبار بأن التتار لما سمعوا بمجي السلطان
تقهقروا ورحلوا عن البلاد فتبعهم نايب حلب وتحارب
معهم فكسرهم كسرة قوية ونهب بركهم وخيولهم فلما
تحقق السلطان ذلك رسم للعسكر بالعود إلى الديار المصرية
وتوجه هو من هناك إلى الحجاز الشريف ومعه بعض أمراه
فسميت هذه التجريدة الكذابة لرجوع العسكر من غزة
وفي هذه السنة في ربيع الآخر توفي الشيخ أبو الحسن علي
بن محمد بن هرون التغلبي المحدث الثقة عاش من العمر
ست وثمانين سنة ومات بمصر ودفن بها وهو صاحب
كتاب العرايس في قصص الأنبياء عليهم السلام وفي هذه
السنة عزل السلطان الناصر محمد بن بكتمر الحاجب عن

الوزارة واستقر بالأمير منجك اليوسفي وزيرا عوضا عن
الناصري محمد بن بلتمر الحاجب وذلك في ربيع الآخر من تلك
السنة وفي أيام منجك هذا ظهر اللحم السميط بالديار المصرية
ولم يكن يعرف قبل ذلك عصر الا في أيام منجك لما كان
وزيرا وفي هذه السنة توفي الشيخ شمس الدين
محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الافريقي وكان من
أعيان العلماء وكان له نظم رقيق فمن ذلك قوله
الناس قد اثموا فينا بظنهم وصدقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق قولهم بأن نحقق ما فينا يظنونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة بالعفو أجمل من إثم الورى فينا
وفيها توفي بن جبارة شارح الشاطبية وكان من أعيان
العلماء وفيها كانت وفاة الشيخ نصير الدين بن الحمامي
وكان من فحول الشعراء عاصر السراج الوراق وأبو
الحسين الجزار وبن دانيال وناصر الدين بن النقيب
وكانت تساعدهم صنايعهم والقابهم في نظم التورية
فمن ذلك قول النصير الحمامي من نوع التورية في صناعته
وهو قوله
وكدرت حمامي بغيبتك التي تكدر فيها العيش من كل مشرب
فما كان صدر الحوض منشرحا بها وما كان قلب الماء فيها بطيب
وقوله ولم يخرج عن النوع
لي منزل معروف ينهل غيثا كالسحب
أقبل ذا العذر به وأكرم الجار الجنب
وكتب الى السراج الوراق وكان السراج مقيما بالروضة يتنزه
وكم ترددت للباب الكريم لكي أبل شوقي والحبي مبيت
وأنثني خايبا فيما أؤمله فانت في روضة والقلب في نار
انتهى كلام

بلغ

انتهى ذلك ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمائة
فيها في ثالث عشر صفر حضر الملك من الحجاز وسبب
ذلك انه لما قضى حجه توجه الى المدينة الشريفة زار
النبي صلى الله عليه وسلم ثم توجه من هناك الى الشام
وأقام بها أياما وأتى الى القاهرة فلما دخل الى القاهرة
زينت له ولاقته القضاة الأربع وحملت على راسه
القبة والطير وفرشت تحت حافر فرسه الشقق
الحرير ولاقته المغاني من أثناء الطريق وكان يوما
مشهودا وهذه الحجة الأولى ثم ان السلطان أقام
بالقلعة نحو شهر وخرج بنفسه الى نحو بلاد الصعيد
بسبب فساد العربان وكان قد حصل منهم غاية
الفساد فلما تسامعوا بالسلطان هربوا الى الجبال فقتل
أكثرهم من العطش والجوع وأسر منهم نحو النصف
فصفدوا بالحبال وحملوا في المراكب الى القاهرة فلما
دخلوا رسم السلطان بسجنهم فسجنوا ثم صار
السلطان يستعملهم في حفر الجسور وهم في زناجير
ولما عاد السلطان من الصعيد أقام عند الأهرام مدة
على سبيل التنزه وكان قد دخل شهر رمضان فصام هناك
فلما قرب الفطر طلع الى القلعة وعيد بها وفي هذه
السنة شرع السلطان في روك البلاد الشامية وأحضر
جيوش الشام وأجناد غزة واعرضهم وفرق عليهم المثالات
حسبما وقع الاتفاق عليه وتوجه الأمير تجليس أمير سلاح
الى الشام وعلى يده المناشير والمثالات فتولى نايب الشام
امر ذلك وفي هذه السنة تحولت سنة اثنتي عشرة وسبعمائة
الخراجية الى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة الهلالية وحصل في
هذه السنة وقايع كثيرة وحوادث وغير ذلك انتهى

ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة فيها أخلع السلطان
علي كاتبه القاضي كريم الدين عبد الكريم بن عبد الله
بن السديد واستقر به ناظر الخاص وهو أول من
تلقب بناظر الخاص وأول من ولي هذه الوظيفة وهي
محدثة فرع من الوزارة وموضوع هذه الوظيفة
أن يكون مباشرها متحدثا فيما هو خاص من أمور
المملكة وعامة وأفردت إليه النفقات والكساوي
وخلع الأمراء والجند والأضحية وخلع عيد الفطر وكساوي
حرم السلطان وما يجري مجري ذلك فلما تولي هذه الوظيفة
القاضي كريم الدين عظم أمره وصار يتصرف في أمور
المملكة كالمختار وكانت الأمراء وأعيان الناس يركبون
في خدمته لما ينزل من القلعة الي بيته وكان الملك الناصر
أباح له التصرف في خزاين بيت المال من غير مانع وعظم
أمره علي ساير المباشرين وفيه يقول الشيخ جمال الدين بن
نباته المصري

يا كريما قد وافق الاسم بالفعل وأنسي في الفضل كل قديم
لا تخف نبوة الحوادث فالله كريم يحب كل كريم

وفي هذه السنة شرع السلطان في عمارة القصر الأبلق
وهو عبارة عن ثلث قصور متداخله في بعضها وفيهم
خمسة قاعات وثلاث مراقد قال بعض المؤرخين
ان الملك الناصر أكمل عمارة هذه الثلاث قصور في
مدة عشرة أشهر وهذا من العجايب وقيل فيه

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه شبابها الأيام
قرت به عين الملك وغردت بالبشر فيه بلابل وحمام

قيل لما انتهي العمل من القصر الكبير أولم السلطان في ذلك
اليوم

اليوم وجمع القضاة الأربع وساير الأمراء ومد خيمة
ومد سماطا حفلا وملأ الفسقيه التي بالقصر سكرا
وماء ليمون ووقفت رؤوس النوب علي الفسقيه يفرقوا
السكر علي الناس بالطاسات وأخلع السلطان في ذلك
اليوم علي المهندسين والنايبين والمرخمين والنجارين
والدهانين فجميع ذلك الفين وخمسماية خلعة فالمشدين
متمرات وللعوامل والبقيه خلع حرير وفرق علي الفعلة
لكل واحد عشرة دنانير وفرق علي الفقراء في ذلك
اليوم نحو خمسين ألف دينار ثم أحضر أخذ الليل الثاني
وأرباب الالات ووقد وقدة عظيمه وبات بالقصر
تلك الليلة وأحرق حراقة نفط بالدهلة وكانت ليلة
ملوكية لم يسمع بمثلها انتهي ذلك ثم دخلت سنة خمس
عشرة وسبعماية فيها شرع السلطان في روك البلاد
المصرية وأبطل الروك الحسامي وركل الروك الناصري
وهو المعمول به الآن فزاد عن الروك الحسامي أشياء
وانتقص عنه أشياء واستمر ذلك الي اليوم وفيها جاءت
الأخبار من دمشق بأن تنكز نايب الشام جمع النواب
وتوجه الي نحو ملطية وحاصر من بها من الأرمن
فلما رأوا عين الغلب طلبوا منه الأمان ففتحت ملطيه
بالأمان وذلك يوم الاثنين ثاني عشرين ربيع الآخر
من تلك السنة وفيها أعني سنة خمس عشرة وسبعماية
كانت وفاة الشيخ شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني
المعروف بالشاب الظريف وكان مولده سنة اثنين
وستين وستماية فكانت مدة حياته ثلثه
وخمسون سنة وكان من فحول الشعرا عصره وله

شعر جيد ومعاني رقيقه فمن ذلك قوله
يا ساكنا قلبي المعني وليس فيه سواه ثاني
لاي معني كسرت قلبي وما التقي فيه ساكناني

وقوله في واقعة حال

ولقد اتيت الي جنابك قاضيا باللثم للعتبات بعض الواجب
واتيت اقصد نظرة احيا بها فردت يا عيني هناك بحاجب

ثم دخلت سنة ست عشره وسبعمايه فيها

عين السلطان تجريده الي صحراء عيذاب بسبب فساد العربان فعين ست مقدمين الوف والف مملوك فلما وصلوا الي هناك توجهوا الي البلاد الحجاز وجاوزوا الاقاليم الثلاثه ولم يظفروا باحد من العربان العصاه فتقلق العسكر وكان غالب قوتهم الذره والشرب من الحفاير فرجعوا الي القاهره من غير طايل وفي هذه السنة كانت وفاة الشيخ علاي الدين علي بن مظفر الكندي المعروف بالوداعي وكان مولده سنة اربعين وستمايه فكانت مدة حياته ستا وسبعين سنه وكان من فحول الشعراء وقد تطفل الشيخ جمال الدين ابن نباته علي موايد نكته ومعانيه الغريبه في نوع التوريه وقد عاصر جماعه من الشعراء ممن تقدم ذكرهم وقد ادركه الشيخ جمال الدين بن نباته في اوايل عمره واجتمع عليه وطارحه بالاشعار ومما وقع للشيخ علاي الدين الوداعي انه توجه من دمشق الي

وفي هذه السنة فتحت ملطية علي يد تنكز نايب الشام عنوة وغنم منها غنايم كثيرة

الي مكان من ضياع الشام يعرف بالبلقا لزيارة شخص من اصحابه يلقب بالشمس فلما وصل الي البلقاء وجد ذلك الشخص قد توجه الي مكان يعرف بحسبان فكتب اليه بهذين البيتين وهما

اتيت الي البلقاء ابغي لقاكم فلم اركم فازداد شوقي واشجاني
فقالت لي الاقوام من انت قاصد لدوبايه قلت الشمس قالوا بحسبان

وله في واقعة حال وهي نكته غريبه

لقد سمح الزمان لنا بيوم غدا فيه النبي مع التميمي
تجمعنا كانا ضرب خيط علي في علي في علي

ومن مخترعاته البديعة

قال لي العاذل المفند فيها يوم جازت وسلمت مختاله
قم بنا ندعي النبوة في العشق فقد سلمت علينا الغزاله

وقوله ايضا

يا جنة كوثرها رضابه المروق وفوق غصن قده عذاره مطوق

قلت نكتة المطوق من مخترعات الوداعي لا يشاركه فيها احد قبله وقد تطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباته حتي في تسمية كتابه الذي سماه سجع المطوق ونظم من نكتة المطوق عدة مقاطيع انتهي ذلك ثم

دخلت سنة سبع عشرة وسبعمايه فيها اوفا النيل المبارك تاسع عشرين ابيب وزاد عن الوفا نصف ذراع فرسم السلطان بفتح السد بعد العصر خوفا من قوة عزم الماء ان يغلب السد وفي ذلك يقول المعمار

سمعت يوما شد مصر يقول النيل وانا زايد عندي
وكان هذا اخبارا ماديا فرحت أرويه عن السدي
وفيها شرع السلطان في عمارة الجامع الذي بالقلعة فوسعه
وزاد في طوله وعرضه وجعل فيه مقصورة حديد يصلي
فيها السلطان قلت واول من اتخذ المقصورة في الجامع
وصلي بها معويه بن ابي سفيان رضي الله عنه ثم ان الملك
الناصر زخرف هذا الجامع بالرخام الملون وبنا به القبة الخضرا والمادن
الخضرا وعلا سقوفه وزخرفها بالذهب قبل وانتهى
العمل منه في مدة ستة اشهر وصلي به في اول يوم
من رمضان وكان يوما مشهودا وخطب به القاضي بدر
الدين بن جماعة وفي هذه السنة توجه السلطان
الي زيارة بيت المقدس فزاره ثم توجه الي الخليل
عليه السلام فزاره ثم رجع الي الديار المصرية وفيها
ارسل السلطان تجريدة الي اهل ملطية فلما وصلوا الي هناك
حاصروا المدينة فطلب اهلها الامان فملكها عسكر
السلطان من غير قتال ولا حرب ونيب بها السلطان
نايبا من قبله وفيها في ذي الحجة توفي الشيخ زين
الدين محمد بن سليمان بن أحمد بن يوسف الصنهاجي
المراكشي ثم الاسكندراني كان من اعيان العلماء عالما
مالكيا شافعي المذهب انتهى ذلك ثم دخلت سنة ثمان
عشرة وسبعماية فيها عين السلطان تجريده الي برقه
بسبب فساد العربان لانهم منعوا غنم الزكاة التي
كانوا يرسلونها واظهروا العصيان فجرد اليهم
السلطان العساكر فحاربوا معهم وقتلوا منهم جماعه
وهرب الباقون الي بلاد الغرب وفي هذه السنة

شرع

شرع السلطان في عمارة مجراه من بحر النيل الي القلعة
تمشي الما في المجراة وعقد تحتها قناطر بالحجر الفص
النحيت وجعل لها سواقي تنقل له في عدة اماكن
وكان قد ابتدا بهذه المجراه من عند الرصد ثم
نقلها الي المكان الموجود بها الان عند درب الخولي
وفي هذه السنة شرع السلطان في عمارة الحوش الكبير
الذي بالقلعة وانشا به جنينه ونقل اليها الاشجار
والرياحين من ساير البلاد حتى من بلاد الهند مثل جوز
الهند والسنبل والقرنفل والكادي وغير ذلك
من الفواكه الشامية وفيها في جمادى الاخرة
توفي قاضي قضاة الحنفية شمس الدين الجزري
فلما مات خلع السلطان علي القاضي برهان الدين بن
عبد الحق واستقر به قاضي حنفي عوضا عن شمس الدين الجزري

وفيه يقول القايل

طوبى لمصر فقد حل السرور بها من بعد ما رميت
دهرا باحزان
كانه الله فقد تم الدليل علي تفضيلها مذ ولي
للحق برهان

وفي هذه السنة قوي عزم السلطان علي ان يحج
فعين معه اثني عشر اميرا مقدم الف وثلاثين اميرا
طبلخانات وعشراوات ومن المباشرين القاضي علا
الدين بن الاثير كاتب السر والقاضي فخر الدين ناظر
الجيش والقاضي كريم الدين بن السديد ناظر الخاص
فلما خرج الحمل من القاهرة تاهب السلطان بعده خرج

خرج ومعه الخليفة المستكفي بالله سليمان

ايام بالقلعة والسلطان في ارغد عيش وفيها جاءت
الاخبار من دمشق بوفاة القاضي شرف الدين عبد
الوهاب بن فضل الله العمري كاتب السر بمصر ثم نقله
السلطان الي كتابة السر بالشام فاقام بها حتي توفي
هناك وقد تجاوز من العمر اربع وتسعين سنة وكان
عالما فاضلا ناظما ناثرا عارفا باحوال المملكة ومن نظمه
الرقيق ما كتبه علي طاسة وهو قوله

رفيقتي تشفي نديمي ... وتجلي الكرب عنه
لو اصن عنه رضابي ... وهو عني لم يصنه
فغدا يرشف مني ... مثلما ارشف منه

ثم دخلت سنة عشرين وسبعماية فيها جرد السلطان
العساكر الي سيس فلما وصلوا اليها حاصروا من كان
بها من الارمن فطلبوا الامان فملكها العسكر واقام
بها باش العسكر نائبا من قبل السلطان ورجع عسكر
السلطان وهم في غاية النصرة فاخلع السلطان علي
باش العسكر خلعة ونزل الي بيته وفيها توفي
الشيخ شهاب الدين محمود ابو الثناء وكان عالما فاضلا
ناظما ناثرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله

عذبت سلبوا نومي ولم تك رمقتي ... كما سلبوا قلبي ولم
تشعر الاعضا
وطلقت نومي والجفون حوامل ... فمن اجل ذا في الخد
ابغت لها فرضا

وكانت هذه السنة قليلة الحوادث لم يحدث فيها
شيا من ولاية ولا عزل ثم دخلت سنة احدي
وعشرين وسبعماية فيها وقع من الحوادث

المحمل الي تاسع ذي القعدة فخرج من القاهرة ووجد
في السير فدخل مكة قبل الصعود الي الجبل بثلاث
ايام فاحرم من رابغ وكشف راسه ولما دخل الحرم
لبس مكان الطواف ومسحه بيده وتواضع هناك
الي الغاية وكان لا يطوف الا بالليل ثم صعد الجبل
وقضي مناسك الحج ثم رجع الي مكة واقام بها اياما
وفرق علي فقراء مكة نحو عشرين الف دينار وابطل
اشيا كثيرة من المكوس التي كانت بمكة ثم بعد ذلك
توجه الي المدينة الشريفة فدخلها وهو ماشي علي
اقدامه حافي كما قد قيل في المعني

دنوت تواضعا وعلوت مجدا ... فشاناك انخفاض
وارتفاع
كذاك الشمس تبعد ان تسامي ... ويدنوا الضوء منها
والشعاع

فلما دخل المدينة الشريفة زار قبر النبي صلي الله عليه وسلم
وهو مكشوف الراس ثم فرق علي فقراء المدينة
عشرين الف دينار كما فعل في مكة فلما انتهي امر الزيارة
قصد التوجه الي الديار المصرية فدخلها في اوايل صفر
وكان يوم دخوله الي القاهرة يوما مشهودا علي
حلم مواليه المقدم ذكرها وهذه الحجة الثانية انتهي
ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعماية فيها تزوج
السلطان ببنت ازبك خان صاحب الموصل فحضرت
من بلاد الشرق الي مصر في محفة مرقومة بالذهب
فلما طلعت الي القلعة اقاموا لهم عمال سبعة ايام

وحج معه السلطان في تلك السنة الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه

[illegible]

أن خوند طغاي زوجة الملك الناصر أم ولده انوك
توجهت في هذه السنة الي الحجاز الشريف وكان القاضي
كريم الدين ناظر الخاص متسفرا عليها وكان أمير
المحمل في تلك السنة الأمير جليس أمير سلاح وجماعة
من الأمراء العشراوات فخرجت من القاهرة
في ثامن شوال وكان يوما مشهودا فخرجت في
محفة زركش وصحبتها الكوسات والعصايب
السلطانيه فحجت ورجعت الي القاهرة في عاشر
المحرم فلما وصلت الي بركة الحاج نزل اليها السلطان
وتلقاها ودخلت في موكب عظيم والأمراء مشاه
قدام محفتها حتي طلعت الي القلعة وفيها جات
الأخبار بان العسكر لما رجع من سيس وقلعة اياس
رجع اليها الأرمن وملكوها وطردوا من كان بها من
قبل السلطان فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم تجريده
ثقيله فكان بها من الأمراء الأمير طرجي أمير مجلس
والأمير الماس حاجب الحجاب وهو صاحب الجامع
الذي بجوار زاوية الشيخ خلف والأمير أصلم وهو
صاحب الجامع الذي عند سوق الغنم والأمير
بهادر آص والأمير سنجر الجمقدار والأمير بكتمر
العلمي والأمير اقوش الأشرفي وغير ذلك من الأمرا
العشراوات وعين معهم نحو الفين مملوك سلطانيه
فخرجوا من القاهرة علي حمية وقصدوا التوجه الي
البلاد الحلبيه فلما وصلوا الي سيس حاصروا من بها
من الأرمن أشد المحاصرة حتي عجز منهم أهل
المدينة

وتوفي الحافظ الأقفهسي في هذه السنة [illegible] وعشرين وثمانمائة

236 ٢٢٤

المدينة وقتل منهم نحو النصف واخرب العسكر سور
المدينة واخذوها بالسيف واطرد عنها الأرمن
وجعلوا بها النايب الذي كان بها أولا وطردوه عنها
الأرمن وفيه يقول بعض الشعراء
عساكر السلطان قالوا اجعلوا علي مدينة سيس نايبه
رسيس
فقالت الأرمن من جا نا نجعله في القلعة يبقي بسيس
ثم ان العسكر اتوا الي القاهرة وهم في غاية النصرة
وفي هذه السنة شرع السلطان في عمارة ميدان
المهارة الذي عند قناطر السباع ووزع مصروف عمارته
علي أمير اخور كبير وبقية الأمرا الاخورية فانتجز العمل
منه في أسرع مده وفيها عزل السلطان القاضي علاي
بن الأثير عن كتابة السر واستقر بالقاضي محيي الدين
بن فضل الله العمري ثم دخلت سنة اثنين وعشرين
وسبعمايه فيها تغير خاطر السلطان علي القاضي كريم
الدين عبد الكريم بن السديد ناظر الخواص الشريفة
فقبض عليه وعلي ولده وهو أول من تولي ناظر الخاص
بالديار المصرية وقد نال من العز والعظمة ما لا ناله
غيره في عصره فلما تغير خاطر السلطان عليه احتاط علي
موجوده ورسم بنفيه الي الشوبك هو وولده وصادر
غلمانه ونسايبه وحاشيته واستصفي اموالهم ثم ان
السلطان اخلع علي القاضي تاج الدين بن عبد الوهاب بن
شمس الدين محمد واستقر به ناظر الخاص عوضا عن كريم
الدين ثم ان السلطان نقل كريم الدين من الشوبك
الي أسوان فسجن بها وهو مقيد بالحديد فاقام في

السجن مدة يسيرة ومات وهو في السجن قيل أنه لما
ضاق به الأمر عمد إلى خشبة وعمل فيها حبلا وشنق
نفسه به فمات ودفن بأسوان فلما مات أحضر السلطان
ولد القاضي كريم الدين وعاقبه أشد العقوبة وقرره
على الأموال والذخاير فأظهر في دهليز بيته مخباة
فيها من الذهب العين ما ينيف على ألف دينار ووجد فيها
من الفصوص والتحف ما لا يحصى هذا بعد ما ظهر له
من الموجود في المصادرة الأولى وقد اجتمع عنده مال
هذه الأموال في مدة يسيرة وكان السلطان قربه حتى أنه
سلمه مفاتيح بيت المال يتصرف فيها حيث ما يختار من
ذلك وكانت الكلمة مجتمعة فيه بموجب قربه من السلطان

فكان كما قيل في المعنى

احذر من خلة الملوك ولا تكن ... ما عشت بالتقريب منهم واثقا

فالغيث غوثك ان ظميت وربما ... ترمي بوارقه اليك صواعقا

نقل الصارمي إبراهيم بن دقماق في تاريخه أن القاضي
كريم الدين هذا شرب يوما دواء فجمع له كل ورد
كان بالقاهرة فنثره في داره حتى عم دور القاعة وعم
الدهاليز حتى فرش منه على ملاقي بيت الخلاء وأخذ
منه الناس ما قدروا عليه ثم إن العبيد أخذوا ما فضل
من ذلك الورد فباعوه بعشرة دنانير ودخل عليه
جماعة من الشعراء في ذلك اليوم يهنونه بشرب الدواء
فأنعم عليهم بمايتي دينار فمنهم الشيخ جمال الدين بن نباتة

يقول فيه في المعنى

أمطه

أمطه بالدواء ثياب الأذى ... وطب في الرواح به والغدو

وكدر أحاديث بيت الخلا ... ولكن على رغم أنف العدو

وكان القاضي كريم الدين هذا له بر ومعروف
وإنشاء جامعا بالجزيرة الوسطى وإنشاء خانقاه
بالقرافة الصغرى وأوقف على الجامع والخانقاه
عدة جهات ومات بأسوان ولم يكفن عمر
وعاش من العمر نحو ستين سنة انتهى ذلك

ثم دخلت سنة ثلث وعشرين وسبعماية

فيها شرع السلطان في عمارة خانقاه في سرياقوس
وهي من ضياع مصر قيل أنه رأى النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام وأشار عليه أن يبني في هذا
المكان خانقاه فلما انتبه من المنام شرع في عمارة
هذه الخانقاه فلما كملت قرر بها صوفية يقيمون بها
دايما وجعل الشيخ مجد الدين الأقصرائي شيخ الحضور
بها وكان عالما صالحا فصارت الصوفية قاطنين بها ورتب
لهم الرواتب وأوقف عليها الأوقاف الجليلة قال
المعمار في معنى ذلك

قد صار في الخانقاه عدة ... من فعلهم وهو شر عاده

لا يدفعون النصيب فيها ... إلا لمن يترك الشهادة

ثم إن بعض الأعاجم كتب للسلطان ربعة بالذهب
وكان مصروفها ألف دينار فجعلها في هذه الخانقاه
قيل لما كملت عمارة هذه الخانقاه نزل إليها السلطان
وبات بها وقرأ هناك ختمة وجمع القضاة الأربع وساير
الأمراء ولم تزل هذه البقعة تتزايد في العمارة إلى
أيام الملك الأشرف برسباي فبني هناك جامعا

وجعل به خطبة ولم تزل الناس تبني بها الدور الجليلة
والاماكن الفاخرة حتي صارت مدينة علي انفرادها
وسكن بها اعيان الناس وصارت من كنوز مصر وهي
حادثة من ايام الناصر محمد بن قلاوون انتهي ذلك ثم
دخلت سنة اربع وعشرين وسبعماية فيها من
الوقايع ان السلطان شرع في حفر خليج وابتداء
بحفره من عند موردة الجبس وسبب ذلك ان
الخليج الذي كان يسمي خليج الذكر تلاشي امره جدا
وضعف جريان الماء فيه فجدد الملك الناصر هذا
الخليج وسماه الخليج الناصري فلما شرع في حفره وزع
حفره علي جماعة من الامراء الذين لهم البلاد في
هذه الجهة فامتثلوا ذلك واحتفلوا بحفره حتي
نبع الماء من ارضه وتوزعوا حفره بالقصبة الحاكمية
فانتجز منه العمل في مدة شهرين قيل لما وصلوا
بحفر هذا الخليج الي بين الغيطان ارادوا ان يطلعوا
به من علي كوم الريش فجاءهم شخص من الصالحين
يقال له الشيخ خليل الدرطلي فاشار عليهم بان يمشوا به
من علي ارض الطبالة فمشوا به من هناك حتي طلعوا به
من قبالة زقاق الكحل فاختلط مع الخليج الحاكمي من
هناك وكانت بركة الدرطلي مقاطع للطبالة يقطعوا منها
الطين فباس الامير بكتمر الحاجب الارض للسلطان علي
تلك البقعة فانعم عليه بها فحفرها بركة واجري اليها الماء
من الخليج الناصري وعمل لها الجسر بينها وبين الخليج
وهي جارية في وقف الامير بكتمر الحاجب الي الان وانما
سميت بركة الدرطلي لان الشيخ خليل الدرطلي كان مقيما بتلك

البقعة

قوله ان يصنع [illegible] البشتكي [illegible]

والله اعلم

بتلك البقعة فعرفت به من يوميذ وفي ذلك
يقول الشيخ شمس الدين بن الصايغ الحنفي وهو قوله
في ارض طبالتنا بركة من هيشة للعين والعقل
ندحج في ميزان عقلي علي كل بحار الارض بالرطل
قيل لما اوفي النيل في تلك السنة ودخل الماء في الخليج
الناصري كان ذلك اليوم يوما مشهودا ونزل اليه
السلطان وشاهد كسره بنفسه وفي ذلك يقول الشيخ
شهاب الدين بن ابي حجلة وهو قوله
ولقد اقطع قال لي والنيل قد عم الخليج وصار
كالطوفان
اجري لنا السلطان بحرا ثانيا مالي بشكر نوالهن يدان
انتهي ذلك ثم دخلت سنة خمس وعشرين
وسبعمائة فيها وقع بالقاهرة مطر عظيم مثل افواه
القرب لم يسمع بمثله حتي غرقت الطرقات والاسواق
وجاء سيل عظيم انحدر من الجبل في بحر النيل حتي
تغير لونه وزاد في فسقية المقياس اربع اصابع
ووقع من هذا السيل عدة اماكن بالقاهرة وهذا كان
من غرايب الاتفاق ذكر ذلك الشيخ تاج الدين بن
المتوج المورخ انتهي ذلك وفيها حضر الي الابواب
الشريفة ملك التكرور المسمي موسي وصحبته تقادم
جليلة للسلطان فلما حضر اكرمه السلطان واخلع
عليه وسبب مجيئه الي مصر انه قصد ان يحج فحج ورجع
ثم توجه الي بلاده وفيها برزت المراسيم
الشريفة الي نايب حلب بان يمهد البلاد الحلبية
كما فعل نايب الشام بالبلاد الشامية فخرج من

القاهرة أمير عشرة وصحبته جماعة من المباشرين
فتوجهوا الى حلب بسبب روك البلاد على حكم
البلاد الشامية فالبلاد المصرية والشامية والحلبية
الآن في الروك الناصري ٭ وفيها رسم السلطان
بابطال الضرب بالمقارع من مصر وسائر اعمال
مملكته وكتب بذلك مراسيم شريفة وقرئت
على منابر مصر والشام وحلب فبطلت ذلك في
ايامه فعدت هذه الفعلة من محاسنه ٭ وفيها
أرسل السلطان جماعة من البنائين الى مكة وأجرى
بها عين ماء وهي العين المعروفة بعين بازان
فحصل لأهل مكة بها غاية النفع وهي الى الآن
جارية ويعم نفعها أهل مكة ٭ وفي هذه السنة
جاء النيل شحيحا وشرقت البلاد ووقع الغلاء
بالديار المصرية واضطربت أحوالها انتهى ذلك
ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمائة
فيها عمل السلطان الموكب في القصر وقبض على
الأمير طشتمر المعروف بحمص أخضر وعلى الأمير
قطلوبغا الفخري فأما الأمير طشتمر شفعوا فيه
الأمراء فأفرج السلطان عنه من يومه ٭ وأما
الأمير قطلوبغا الفخري فأرسله السلطان الى
الشام بطالا واستمر الأمير طشتمر ممقوتا عند
السلطان فانه كان مر اللسان صعب الخلق كثير
الشر ظالم الصورة ٭ وفيه يقول المعمار
لما طغى طشتمر واعتدى تفاءل الناس بأن فوالها
دنا

دنا حصاد الحمص المعتدي ٭ ولم تزل مصر بأفوالها
وفي هذه السنة عمرت القرية المعروفة بالنحريرية
من أعمال الغربية وكان سبب أنشائها ان الأمير
سنقر السعدي نقيب الجيوش المنصورة وهو صاحب
المدرسة التي بالقرب من حمام الفارقاني وكانت أرض
هذه القرية جارية في اقطاعه فعمر بها الأمير سنقر
جامعا وطاحونا وخانا ومعصرة ثم صارت تتزايد في
العمارة وسكن بها جماعة من الفلاحين فبلغ خراجها
في كل سنة خمسة عشر ألف دينار فسمع بها الملك
الناصر فبعث أخذها منه وصارت من جملة بلاد
السلطان فحصل للأمير سنقر قهرا عظيما بسبب ذلك
فأقام مدة يسيرة ومات ودفن في مدرسته التي
انشأها المعروفة بالسعدية انتهى ذلك ثم دخلت
سنة سبع وعشرين وسبعمائة فيها عزل السلطان
القاضي محيي الدين بن فضل الله عن كتابة السر واستقر
بها القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود ٭ وفيها حضر
الى الأبواب الشريفة الملك المؤيد عماد الدين صاحب
حماه وصحبته هدية جليلة للسلطان فأكرمه وأخلع عليه
وأقام بالقاهرة مدة ثم توجه الى بلاده وهو في غاية
الإكرام ٭ وفيها في سادس عشر رمضان توفي الشيخ الإمام
العالم العلامة كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد بن
عبد الكريم الأنصاري الزملكاني الشافعي ولد بدمشق
في شوال سنة سبع وستين وستمائة وتوفي ببلبيس في سادس
عشر رمضان من تلك السنة وحمل من بلبيس الى القاهرة
ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه

وكان من أعيان علماء الشافعية ومما وقع له أن شخصًا
من الشعراء يقال له ابو جلنك الحلبي دخل على قاضي
القضاة كمال الدين بن الزملكاني المشار إليه فامتدحه
بقصيدة سنية وصار ينتظر الجائزة فرسم له برطلين
خبز فعز ذلك على أبي جلنك فاتفق أن ابا جلنك دخل
يومًا الى بستان فاقام به يومه فقيل له ان هذا البستان
لقاضي القضاة بن الزملكاني فكتب ابو جلنك على باب
البستان هذين البيتين وهما من المخترعات

لله بستان حللنا دوحه في جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيرا رأت قاضي القضاة فنفشت أذنابها

فاستطرد في وصف البستان وتشبيه البان التشبيه الذي
من المخترعات ثم انعطف على هجو قاضي القضاة بألطف
عبارة وهذه من الوقائع الغريبة انتهى ذلك ثم دخلت

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فيها

شرع السلطان
في بناء قناطر على الخليج الناصري الذي حفره فبنى
عليه قنطرة عند موردة الجبس وبنى قنطرة دونها
تعرف الآن بقنطرة قدادار قيل ان قدادار كان
مشرفًا على عمارتها فعرفت به وبنى قنطرة بظاهر
باب البحر وبنى قنطرة عند بركة قرموط تعرف
الآن بالقنطرة العسراء وبنى قنطرة عند بركة
الرطلي تعرف الآن بقنطرة الحاجب قيل ان الأمير
بكتمر الحاجب كان مشرفًا على عمارتها فعرفت به وبنى
قنطرة عند زقاق الكحل تعرف الآن بالقنطرة الجديدة
فهؤلاء القناطر من انشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون

وكان قد تولى قضاء الشافعية بدمشق [margin note, uncertain reading]

[margin note, partly legible:] ... وبنى ... القنطرة ... هي ...

قلاوون انتهى ذلك

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة فيها

شرع السلطان في حفر البركة الناصرية
واجرى اليها الماء من الخليج الناصري وبنى القصر الكبير
بالميدان المجاور لهذه البركة وكان ينزل الى هذا
القصر ويبات به ويركب من هناك الى القلعة والامراء
في خدمته والعسكر مشاه من الميدان الى القلعة
وتجلس الناس على الدكاكين للفرجة وتكون ايام المواكب
من الايام المعدودة في القصف والفرجة وفي هذه السنة
رسم السلطان لولده الأمير أحمد أن يتوجه الى نحو
الكرك ويقيم بها ورتب له ما يكفيه فتوجه الى الكرك
وأقام بها وفي هذه السنة رسم السلطان بهدم
الإيوان الأشرفي الذي كان بالقلعة وبنا مكانه هذا
الإيوان الموجود الآن وعقد فوقه هذه القبة
العظيمة وكان يعمل فيه المواكب وتجتمع فيه الامراء ويكثر
به الزحام حتى قال فيه بعض الشعرا في المعنى

ما كان يكفي حد ذا الإيوان حتى ازداد قبته
فكأنني فيه خروف شوي ومن فوقي مكبته

وفيه يقول بعض الشعراء

فلو حاول الشهمان كسرى وقيصر نظيرًا له فيما أقاما وعمّرا
لأبصر كسرى كسر إيوان صرحه وقصّر عنه قصر قيصر في الورى

ثم دخلت سنة ثلثين وسبعمائة فيها

شرع السلطان
في انشاء دور الحرم فعمرها وبناها في نهاية في زخرفها وفي
رخامها وجدد بناء قاعة الاعمدة والبيسرية وبنا
الدهيشة المطلة على الحوش السلطاني وقيل انما
أكمل عمارتها ابنه الملك الصالح اسمعيل وقيل عمر الملك
الناصر محمد بن قلاوون غالب اماكن القلعة الموجودة

[illegible]

بها الآن وفيها حضر الى الأبواب الشريفة المقر السيفي
تنكز نايب الشام ليزور السلطان وينظر وجهه وحضر
صحبته تقادم حفلة للسلطان ما بين خيول ووشق
وصمور وسنجاب وقاقم وصوف وجمل وشقق حرير
ومماليك وجوار بيض وذهب عين وغير ذلك مما يهدى
للملوك فأكرمه السلطان واخلع عليه وأنزله بالميدان
الكبير فأقام مدة ثم توجه الى الشام على عادته
وفي هذه السنة أعيد القاضي محيي الدين بن فضل
الله الى كتابة السر وصرف القاضي شرف الدين بن
الشهاب محمود وما حكي عن القاضي محيي الدين
هذا أنه كان اذا دخل على الملك الناصر وقت العلامة
وخرج من عنده يحضر فوطة العلامة ويجمع ما فيها
من الرمل الذي يتناثر من العلامة بحضرة السلطان
فيجمع ذلك الرمل كله ويضعه في مرملته التي لنفسه
ويقول هذا رمل سعيد لا يرمى منه شي وكان اذا
كتب شيا رمله من ذلك الرمل الذي جمعه من فوط
فوطة العلامة بحضرة السلطان وفيه يقول ابن نباتة
يا سايلي عن كاتب السر الذي تعزى علاه الى اب اواه
هذاك غيث الله محيي الأرض من بعد الممات وذاك
فضل الله
ثم دخلت سنة احدى وثلثين وسبعماية فيها رسم
السلطان أن يعمل للكعبة الشريفة بابا جديدا من الخشب
السنط الأحمر فعمل لها هذا الباب الموجود الآن وصفحه
بالفضة عوضا عن الحديد وكان زنة تلك الصفايح
ثلاثون الف درهما فلما قلع الباب العتيق الذي كان
بها فوزنوا ما عليه من الفضة فكان زنتها ستون رطلا

رطلا فأنعم السلطان بتلك الفضة على بني شيبة خدام
البيت الشريف فتقاسموه بينهم وهذا الباب القديم
كان قد عمله الخليفة العباسي الملقب بالمقتفي بالله
في سنة اثنين وخمسين وخمسماية وفيها عمل السلطان
له مولد عظيم وقصد التوجه الى الحجاز الشريف انتهى ذلك
ثم دخلت سنة اثنين وثلثين وسبعماية فيها
كانت وفاة الشيخ الصالح الورع الزاهد الناسك
سيدي ياقوت العرشي رحمة الله عليه وكان عبدا
حبشيا من تلامذة الشيخ أبي العباس المرسي مات
بالاسكندرية في تلك السنة وعاش من العمر نحو
ثمانين سنة ودفن بالاسكندرية وكان له كرامات
خارقة وفيها عيد السلطان عيد الفطر وخرج في
سابع عشر شوال وقصد التوجه الى الحجاز الشريف
وهذه هي الحجة الثالثة وسبب هذه الحجة ان السلطان
لما عمل للكعبة هذا الباب الجديد المقدم ذكره قصد أن
يضعه على باب البيت الشريف بحضرته فحج في تلك
السنة والحجة العظيمة الزايدة في هذه الحجة وكان
صحبته من الأمراء الاتابكي بكتمر الساقي وولده الأمير
أحمد بن أخت السلطان والأمير أيدمر الخطيري وأظن
أنه صاحب الجامع الذي في بولاق والأمير جنكلي بن البابا
وهو صاحب الدرب المعروف به والأمير بيبرس الأحمدي
والأمير بهادر المعزي والأمير أيدغمش وهو صاحب الحمام
التي عند البسطيين والأمير قطز أمير اخور كبير والأمير
والأمير طقزدمر وهو صاحب القنطرة المعروفة به والأمير
سنجر الجاولي وهو صاحب المدرسة التي عند الكبش والأمير

قوصون صاحب الجامع والامير صوصون والامير بشتاك
الناصري صاحب الجامع المعروف به والامير طاير بغا
والامير اقبغا آص الجاشنكير والامير طقتمر الخازن وهو
صاحب الدرب المعروف به والامير قماري والامير
تمر الموسوي والامير مسعود حاجب الحجاب والامير
ايدمر امير جاندار والامير صاروجا نقيب الجيوش
المنصورة وهو صاحب الجامع الذي عند بركة الرطلي
فهولاء الامراء المقدمين غير الامراء الطبلخانات
والعشراوات فكان عدة من توجه صحبة السلطان من
الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات في
هذه الحجة اثنين وسبعين اميرا ما بين مقدمين الوف
وغيرها من الطبلخانات والعشراوات ومن المماليك
السلطانية نحو الفين مملوك فخرج الملك الناصر في موكب
عظيم ولم يقع له مثل ذلك في تلك الحجتين المتقدم
ذكرهما وفي اواخر هذه السنة في ذي الحجة توفي
الشيخ عبد العال خليفة سيدي احمد البدوي رحمة
الله عليهما ولما مات دفن بطندتا عند سيدي احمد
البدوي انتهى ذلك **ثم دخلت سنة ثلاث وثلثين**
وسبعماية فيها حضر مبشر الحاج واخبر بوفاة الاتابكي
بكتمر وولده الامير احمد بن اخت السلطان وكان الاتابكي
بكتمر صهر السلطان زوج اخته وكان سبب موتهما ان
الاتابكي بكتمر وولده لما رجعا من الحجاز ووصلا الى عيون
القصب بلغ السلطان ان الاتابكي بكتمر يقصد الوثوب
عليه هناك فلم يمكن السلطان ان يقبض على الاتابكي
بكتمر فدس عليه من اسقاه سما هو وولده الامير
احمد

احمد ثم مات الاتابكي بكتمر بعيون القصب ودفن بها
ومات ولده الامير احمد بنخل ودفن بها **قيل** لما
توفي الاتابكي بكتمر في ثاني المحرم من سنة ثلث وثلثين
وسبعماية احتاط السلطان على بركه الذي كان معه
فوجد معه خمسماية تشريف ما بين متمرات وكواهل
وخلع حرير ملون ووجد معه حملين قيود وزناجير
فتاكد عند السلطان صحة ما نقلوه عن الاتابكي بكتمر في
امر وثوبه على السلطان **وكان** الاتابكي بكتمر تحكم
على السلطان اذا راى منه الجور في حق الرعية وكان
السلطان يخشى منه ولا يخالفه فيما يامره به وكان السلطان
لا يتصرف في شيء من امور المملكة الا بعد مشورة الاتابكي
بكتمر وكان لا يهدى للسلطان شيا من التقادم حتى يهدى
للاتابكي بكتمر مثله او احسن منه فاجتمع عنده من الاموال
والتحف ما لا يحصى حتى قيل كان في اسطبله ماية سطل
نحاس بيد ماية سايس وتحت يد كل سايس طوالة
خيل من الخيول الخاص وكان الملك الناصر ينزل الى بيته
ويبات عنده في بعض الاوقات وكان الاتابكي بكتمر ساكنا
على بركة الفيل في البيت الذي عند المدرسة الجاولية
وكانت اخت السلطان تحته والسلطان في قبضة يده فعظم
امره في تلك الايام وصار صاحب الحل والعقد في دولة
الملك الناصر فثقل امره على السلطان الى الغاية **وكان** اصل
الاتابكي بكتمر من مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فلما
مات اخذه الملك الناصر مع جملة موجود الملك المظفر
بيبرس فحظي عنده حتى جعله في اول يوم ساقيا ثم صار
يترقى في دولة الملك الناصر حتى بقي اتابك العساكر وازوجه

السلطان باخته ورقا في تلك الايام حتى كاد ان يكون هو
السلطان قيل لما مات الاتابكي بلتمر رقا من بعده
الامير قوصون فانعم عليه السلطان بزردخانه
الاتابكي بلتمر فقوم ما فيها من السلاح وغيره
فكان بستماية الف دينار ثم ان الملك الناصر زوج
الامير قوصون باحدى بناته وصار صهر السلطان
كما كان الاتابكي بلتمر بل فاقه في العز والعظمة ووقع
له امور في تصرف المملكة ما لا وقع للاتابكي بلتمر
كما سياتي ذكر ذلك في مواضعه ومن النكت اللطيفة
قيل وقع يوما تشاجر بين الاتابكي بلتمر وبين
الامير قوصون فقال قوصون للاتابكي بلتمر انا
ما نقلت من الاطباق الى الاسطبلات بل اخذني
السلطان من شخص تاجر كنت في خدمته فلما اخذني
اتفق ان شخصا من الخاصكية توفي في ذلك اليوم
فانعم على السلطان باقطاعه وبركه وبيته وصرت
خاصكيا في ذلك اليوم ولم ادخل تحت رق وسبب
ذلك ان التاجر الذي كان عنده قوصون لما قال له
السلطان بعني هذا المملوك فقال التاجر هو حر
لوجه الله تعالى فاخذه السلطان بغير ثمن وجعله
في ذلك اليوم خاصكي ولم يقعد في طبقة ولم يكن تحت
حكم اغاة يتصرف في امره فلما سمع الاتابكي بلتمر كلام من
قوصون ما وسعه الا السكوت انتهى ذلك ثم ان السلطا
لما قضى حجه دخل الى القاهرة في خامس المحرم من تلك
السنة وكانت مدة غيبته ذهابا وايابا اربعة
وخمسون

خمسون يوما لا غير ودخل الى القاهرة في موكب
حفل وقد تزايدت عظمته وصفا له الوقت بموت
الاتابكي بلتمر ثم ان السلطان لما استقر بالقلعة
عمل الموكب واخلع على المعز السيفي قوصون الناصري
واستقر به اتابك العساكر عوضا عن الامير بلتمر الساقي
انتهى ذلك وفي هذه السنة اعني سنة ثلث وثلثين
وسبعماية فيها عزل السلطان قاضي القضاة الشافعية
بدر الدين بن جماعه وقد كف بصره واخلع على
الشيخ جلال الدين محمد القزويني واستقر به قاضي
قضاة الشافعية عوضا عن بدر الدين بن جماعه
وكان الشيخ جلال الدين القزويني عالما فاضلا وهو
مولف كتاب التلخيص في المعاني والبيان وفيها
عزل السلطان قاضي قضاة الحنفية برهان الدين بن
عبد الحق وولى القاضي حسام الدين بن عمر البسطامي
رضي الله عنه قاضي قضاة الحنفية عوضا عن برهان
الدين بن عبد الحق والقاضي عمر البسطامي هو الولي
المشهور في القرافة بجوار ابن الفارض وفيها توفي
الشيخ شهاب الدين النويري احدى المورخين
بمصر توفي في رمضان من تلك السنة وفيها
حضر الى الابواب الشريفة الامير مهنا بن عيسى من
عربان آل فضل واحضر معه تقادم حفلة للسلطان
فاكرمه واخلع عليه واقره على حاله شيخ آل فضل
ثم دخلت سنة اربع وثلثين وسبعماية
فيها رسم السلطان بنقل جثة الاتابكي بلتمر وجثة
ولده الامير احمد وقد تقدم ان الاتابكي بلتمر
مات ودفن بعيون القصب وولده الامير احمد

مات ودفن بنجله فرسم السلطان بنقلهما وان يدفنا
الاتابكي يلبغا وولده الامير احمد في الخانقاه التي
انشاها الاتابكي يلبغا في القرافة الصغرى وكان
الاتابكي يلبغا انشا هذه الخانقاه في القرافة الصغرا
بجوار مقام سيدي محمد وفا رضي الله عنه وانشا
بهذه الخانقاه حماما وفرنا وطاحونا وساقيه
وجنينه وقرر بها صوفيه وحضور وجعل للصوفيه
خلاوي في هذه الخانقاه يسكنون بها دايما وجعل
في هذه الخانقاه ربعه شريفه ملتوبه بالذهب
مصروفها الف دينار وكانت بخط بعض الاعاجم
ولم تزل هذه الربعه مقيمه بهذه الخانقاه والناس
يتوجهون الى هذه الخانقاه بسبب الفرجه
على هذه الربعه فانها كانت من محاسن الزمان
ولم تزل هنالك الى سنة تسع وتسعمايه فلما انشا
الملك الاشرف قانصوه الغوري مدرسته التي في الشرا
بشيين نقل هذه الربعه الى مدرسته وهي
مقيمه بها الى الان وكانت القرافه في دولة الملك
الناصر محمد بن قلاوون عامره اهله وبنت بها
الامرا الترب الجليله ولا سيما مزارات الاوليا التي بها

وفيها يقول بعض الشعراء

تعجبت من امر القرافه اذ غدت على وحشة
الموتى لها قلبنا يصبوا
فالفيتها ماوى الاحبه كلهم ومستوطن الاحباب
يصبوا له القلب

واستمرت القرافه تتزايد في العمارة الى سنة ثلاث
وثلثين

وثلثين واربع مايه وكانت الناس يرغبون في سكناها
ويختارونها على سكنة المدينه ولم يزالوا على ذلك
حتى ظهر بالقرافه شي يقال له القطربه فكانت
تنزل من الجبل المقطم في الليل وتختطف الاولاد
الصغار الذي في الترب فلما تزايد امر القطربه رحل
من القرافه اكثر الناس خوفا على اولادهم فهذا
كان سببا لخراب القرافه وتلاشي امرها من يوميذ
وقد حكي عن هذه القطربه انها كانت تنبش قبور
الموتى وتاكل اجوافهم وتتركهم مطروحين على
الارض فعند ذلك امتنع الناس من الدفن في القرافه
واستمر ذلك مده طويله حتى انقطع خبر تلك القطربه
وحكي ان شخصا خرج من اطفيح وهو راكب على حماره
في الليل فلما وصل الى حلوان راى امراه جالسه على
الطريق فشكيت له من ضعف المشي فحملها خلفه فلم
يشعر بالحمار الا وقد سقط ميتا فنظر الى المراة واذا
بها قد خرقت جوف الحمار بمخاليبها ففزع الرجل خوفا
منها على نفسه فلما اشيع امره بين الناس فكانت الاتراك
تخرج الى حلوان بالقسي والنشاب فلم يقدروا على تحصيل
تلك القطربه وراوا الى الحمار ميتا وقد اكلت جوفه عن
اخره نقل ذلك الشيخ تقي الدين المقريزي في الخطط
انتهى ذلك وكان صفة الاتابكي يلبغا ابيض اللون مشعر
بحمره اسود اللحيه معتدل القامه غليظ الجسد وكان
وافر العقل حسن العباره قليل الاذى محببا للرعيه وكان
يرجع الملك الناصر عن الظلم ويسمع له في ذلك وكان له
بر ومعروف واوقاف كثيره على جهات بر وصدقه
ولا سيما هذه الخانقاه التي انشاها في القرافه وما فعل فيها

من وجوه البر والخير انتهى ذلك وفي هذه السنة حضر
الأمير السيفي تنكز نائب الشام وكان يزور السلطان
في كل سنة مرة ويحضر صحبته تقادم جليلة للسلطان
فلما حضر أكرمه وأنزله بالميدان الكبير الذي عند
البركة الناصرية فأقام به مدة ثم توجه إلى الشام
فخلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل من القلعة
والأمراء في خدمته حتى وصل إلى الدهليز وكان
هذا آخر اجتماعه بالسلطان ومنتهى سعده كما سيأتي
ذكر ذلك في موضعه وفي هذه السنة توفي الشيخ
تاج الدين الفاكهاني من أعيان علماء المالكية ولد
سنة أربع وخمسين وستمائة ومات سنة أربع
وثلاثين وسبعمائة وفيها توفي الشيخ ناصر
الدين محمد بن شافع بن علي سبط القاضي محيي
الدين بن عبد الظاهر وكان عالما فاضلا وله شعر
جيد وهو من أعيان شعراء مصر فمن ذلك قوله

مولاي إن البحر طاز رتبة حياك وهو أبو الوفا
باء صبح

فانظر لبسطته التي قد أصبحت هي مشتهاه وروضة
المتمتع

أرخى عليه الستر لما جئته خجلا ومد تضرعا
بالأذرع

وفي هذه السنة في شعبان توفي الشيخ فتح الدين محمد
بن سيد الناس اليعمري وكان مولده في ذي القعدة
من سنة ~~أربع وستين~~ إحدى وسبعين وستمائة ومات
في

في هذه السنة وهي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان
حافظا علامة ناظما ناثرا راويا من أعيان الرواة
ومن شعره قوله

قضى ولم يقض من أحبابه أربا صب إذا مر خفاق النسيم صبا

لا تحسبن قتيل الحب مات ففي شرع الهوى عاش للإخلاص منتسبا

في جنة من معاني حسن قاتله لا يشتكي نصبا فيها ولا وصبا

ما مات من مات في أحبابه كلفا وما قضى بل قضى الحق الذي وجبا

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة فيها أفرج
السلطان عن جماعة من الأمراء الذين كانوا في السجن
بثغر الإسكندرية وهم الأمير بيبرس حاجب الحجاب
والأمير تمر الساقي والأمير غانم بن أطلس خان والأمير
طغلق والأمير بلاط اليونسي والشيخ علي الأوجاقي
والأمير بلرغي والأمير تنجاص والأمير لاجين
العمري والأمير بيبرس العلمي والأمير كجلي فلما حضروا
هؤلاء الأمراء إلى القاهرة أخلع عليهم وأعادهم إلى
أمرياتهم ثم بعد ذلك قبض على جماعة من الأمراء
وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية عوضا عن
من أفرج عنهم وفي هذه السنة شرع السلطان
في بناء قنطرة على بحر أبي المنجا عند شبين القصر
وفيها جاءت الأخبار من حلب أن الأرمن ملكوا مدينة
سيس وطردوا من كان بها من المسلمين فرسم

السلطان لنايب حلب بان يتوجه الى سيس هو ومن
في حلب من العساكر فخرج في سابع عشرين رمضان
وحاصر من في سيس من الارمن واحرق الضياع
التي حول المدينه واسر جماعة من الارمن نحو من
ثلثماية انسانا فلما وقع ذلك ثار من كان في قلعة
اياس من الارمن على المسلمين وحشروهم في خندق
واحرقوا ذلك الخندق بمن فيه من المسلمين وكانوا
نحو الفين انسان ما بين رجال ونساء وصغار
فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فجا هذا
الخبر الى السلطان ليلة عيد النحر فتشوش لذلك
واضطرب من هذا الخبر فدخل عليه بن الشهاب
محمود الثناء وانشده هذه الابيات وهي

ايا ملك الاسلام وابن مليكهم ومن ايد الرحمن
بالنصر جنده
ومن جيشه ملك الفضاء وانه ليهزم جيش الكفر
بالله وحده
اتاك بعيد النحر سعدك مخبرا لنا ان عيد النصر
ياتيك بعده
فصل لرب الناس وانحر فبعدها ستنحر من يد عدوا
مع الله ندة

انتهى ذلك وفيها شرع الاتابكي قوصون في بناء
خانقته التي هي خارج باب القرافه وكذلك في
انشاء جامعه الذي بالقرب من زقاق حلب ثم دخلت سنة
ست وثلثين وسبعماية فيها وقع الفناء والغلاء
بمصر ومات من الناس ما لا يحصى عددهم واستمر
الطعن عمال مدة اربعة اشهر ففتح السلطان له

له السلطان مغسل برسم الاموات الغربا فكفن من
ماله في تلك السنة من مات من الغربا فنحو من
عشرين الف دينار ووقع الغلا عقيب الفناء
فتناها سعر القمح الى سبعين درهما كل اردب
وعدم الخبز من الاسواق وماجت الناس على
بعضها فرسم للامرا ان يفتحوا شونهم ويبيعوا
منها للناس ففعلوا ذلك فانحط سعر القمح الى
ثلثين درهما كل اردب فلما دخل شهر رمضان
انحط سعر القمح جدا وكثر في العرصات وسكن
الرهج الذي كان فيه الناس ومن الحوادث
في هذه السنة ان السلطان تغير خاطره على
الخليفه المستكفي بالله ابو الربيع سليمان ورسم
له ان يتحول من مناظر الكبش ويسكن بالقلعة
فتحول من يومه وسكن بالقلعة هو وعياله
في البرج الكبير الذي كان الملك الظاهر بيبرس انزل
به الامام احمد الحاكم بامر الله عندما قدم من
بغداد فاستمر الخليفه المستكفي بالله ساكنا في هذا
البرج مدة ومنع السلطان الناس عنه ولم يمكن
الناس من الاجتماع به فاقام على ذلك نحو خمسة اشهر
حتى شفع فيه بعض الامرا عند السلطان فرسم
له بالنزول الى مناظر الكبش على عادته والسكن بها
وفيها ارسل السلطان تجريده الى سيس بسبب ما
فعله الارمن مما تقدم ذكره وفيها حضرت الحره
زوجة ملك الغرب طالبه التوجه الى الحجاز وحضر
صحبتها تقادم حفله للسلطان ومن جملتها اعجوبه

وهو ثور أصفر فاقع اللون كامل الخلقة وفي وسط
ظهره من الجانب الأيمن كتف طالع من رؤوس
أضلاعه وذلك الكتف عن فوق وذراع وحافر مفروق
مثل حافر البقر فكان يطوف بالقاهرة ويجبا عليه
كما يفعل بالسباع وكان يطوف القاهرة وعليه جل من
حرير أصفر وفي هذه السنة رسم السلطان للمقر
السيفي تنكز نايب الشام بان يتوجه الى عمارة قلعة
جعبر فامتثل ذلك وعمرها وجعل فيها جند سية
ونايب وأودع بها السلاح وكتب بذلك محضرا وأرسله
الى السلطان ثم رسم السلطان للأمير ازدمر الشمسي
نايب بهسنا بان يتوجه الى قلعة دزنده ويحاصر
أهلها فلما حاصرهم طلبوا منه الأمان وسلموا له
القلعة ثم توجه الى قلعة النقير وحاصرها ففعلوا
كما فعل أهل قلعة دزنده وسلموا بالأمان **وفيها**
توفي الشيخ عبد الواحد بن شرف الدين بن المنير
وكان من أعيان علماء المالكية ولد سنة احدى وخمسين
وستماية وتوفي في أثناء هذه السنة انتهى ذلك

ثم دخلت سنة سبع وثلثين وسبعماية فيها توفي
الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي كان
من أعيان علماء المالكية مات بمصر ودفن بها وقد
داعبه بعض شعراء مصر بهذه المداعبة اللطيفة
وهو قوله

ومغربي خاله مستخرج ليس له ذكر يري في الناس
فأمله وأشله وفقه كلت غدا منتسب لفاسي

وفيها قبض السلطان علي الحاج علي بن فضيل شيخ هلب نفي
ملوي وكان له دوا ليب ومعاصر وكان يزرع في

في كل سنة من القصب الحلو خمسماية فدان فلما قبض
عليه السلطان وجد عنده في الحواصل أربعة عشر
الف قنطار من السكر المكرر ومثلها قطرنبات ومثلها
عسل أسود هذا خارجا عن ما وجد له من العبيد
والجوار والغلال وغير ذلك من الذهب العين
والفضة فحمل ذلك جميعه الى الحواصل السلطانية
وأقام علي بن فضيل في الترسيم مده ثم أفرج عنه
وخلع عليه وأعيد الى حاله عن بنية ملوي انتهى ذلك

ثم دخلت سنة ثمان وثلثين وسبعماية فيها
تغير خاطر السلطان على الخليفة المستكفي بالله أبي
الربيع سليمان ورسم له بان يتوجه هو وعياله
الى قوص فخرج من يومه وتوجه الى قوص ومعه
أولاده وعياله فشق ذلك على الناس ولم يستحسنوا
منه هذه الفعله **قال** الشيخ زين الدين عمر بن
الوردي في هذه الواقعه **وهو قوله**

أخذ جو كم الى الصعيد لأمر غير مجد في ملتي واعتقادي
لا يغيركم الصعيد وكونوا فيه مثل السيوف في الأغماد

وكان سبب ذلك ان الخليفة المستكفي بالله رفعت
اليه قصة بان شخصا له على الملك الناصر دعوه شرعية
فكتب عليها الخليفة ليحضر اف يوكل وأرسلها الى الملك
الناصر فلما قراها شق ذلك عليه وبقي في خاطره منه
فتغافل عنه مده ثم رسم باخراجه الى قوص فلما
خرج أقام بقوص مدة ثلاث سنين ونصف ومات
هناك في شعبان سنة احدى وأربعين وسبعماية فكانت
مدة خلافته عمر خمس وثلثين سنة وسبعة اشهر

وأيامًا وكان المستكفي بالله لما خلع من الخلافة عهد
إلى ولده أحمد من بعده وثبت ذلك العهد على
قاضي قوص بشهادة أربعين رجلا من العدول
فلما حضر ذلك العهد بين يدي الملك الناصر فلمه
عمشبه لما في نفسه من الخليفة المستكفي بالله ثم إن
السلطان عقد مجلسا وجمع القضاة الأربع بسبب
من يلي الخلافة فلما رأوا القضاة ذلك العهد غسلوا
بحكم قاضي قوص وانفض المجلس مانعا ولم يولي
السلطان أحمد بن المستكفي بالله واستمر على عدم
ولايته لأحمد فأقامت مصر بلا خليفة أربعة
أشهر فكانت الخطباء لا يدعون إلا للسلطان فقط
ولم يذكرون اسم الخليفة فلما كان يوم الخميس
ثاني جمادى الأولى طلب السلطان ابراهيم بن الإمام
أحمد الحاكم بأمر الله أخو المستكفي بالله سليمان فولاه
الخلافة على حين غفلة بعد أن تروى أربعة أشهر
في أمر من يلي الخلافة ولم يولي أحمد بن المستكفي بالله
لما عنده من حظ النفس من أبيه فولي ابراهيم وهو
الثالث من خلفاء بني العباس بمصر وتلقب بالواثق
بالله فتولى ابراهيم من غير عهد واستمر في الخلافة
إلى أن مات الملك الناصر قال الشيخ شهاب
الدين بن حجر رحمة الله عليه في تاريخه لما تولى ابراهيم
هذا أمر الخلافة كانت العامة تسميه المستعطي بالله
لقذارة نفسه وطمعه وكان في الخلافة عارية مستنده
إلى أن تولى الإمام أحمد بن المستكفي بالله سليمان كما

كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه وفي هذه السنة
أعني سنة ثمان وثلثين وسبعمائة فيها توفي القاضي
محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري كاتب السر
بالديار المصرية توفي في شهر رمضان من تلك السنة
وعاش من العمر ثلاثة وتسعين سنة وكان عالما فاضلا
شافعي المذهب تولى كتابة السر بمصر والشام وكان
من أعيان الرؤساء بمصر ثم إن السلطان أخلع على القاضي
علاء الدين علي بن القاضي محيي الدين بن فضل الله
واستقر كاتب السر عوضا عن أبيه محيي الدين فلما تولى
كتابة السر بالديار المصرية قال فيه المعمار

لابن فضل الله فضل عمَّ الناس وفي
كيف لا وهو على علم السر وأخفى

وفي هذه السنة عزل السلطان قاضي قضاة الشافعية
جلال الدين محمد القزويني واستقر بالقاضي عز
الدين عبد العزيز بن القاضي بدر الدين بن جماعة
المقدسي ثم دخلت سنة تسع وثلثين وسبعمائة فيها
تغير خاطر السلطان على النشو ناظر الخواص الشريفة
وسلمه إلى الأمير بشتاك الناصري حاجب الحجاب فلما
تسلمه عاقبه أشد العقوبة حتى مات تحت الضرب
واحتاط على موجوده جميعه من صامت وناطق وكان
السلطان قرب النشو هذا حتى صار عنده في أعلا
المراتب كما كان كريم الدين بن السديد وكان يظن
أن الدهر قد صفا له فكان كما قال الإمام علي
كرم الله وجهه من أمسى من الدنيا وهو على جناح

أمن أصبح منها وهو على قوادم خوف فلما مات النشو
أخلع السلطان على صهر النشو واستقر به ناظر الخاص
عوضا عن النشو فجاء أظلم منه • وفيه يقول المعمار
قد أخلف النشو صهر سوء • قبيح فعل كما تدروه
أراد للشر فتح باب • فأغلقوه وسمروه
ومن الوقايع في هذه السنة أن ظهر بالقاهرة
امرأة تسمى الخناقة فاشتهر أمرها بين الناس وكانت
تحتال على النساء والأطفال وتخنقهم وتأخذ ما
عليهم من الثياب فلما شاع أمرها وبلغ السلطان رسم
لوالي القاهرة أن يقبض عليها فلا زالوا يتتبعونها حتى
قبضوا عليها فأشهروها في القاهرة ثم شنقوها على
باب زويلة وكان لها يوم مشهود لما علقت للشنق
انتهى ذلك • وفيها توفي الشيخ ركن الدين محمد بن
القوبع التونسي المغربي كان من أعيان علماء المالكية
ثم دخلت سنة أربعين وسبعماية فيها في صفر
توفي سيدي أنوك بن السلطان الملك الناصر محمد
توفي في حياة والده وكان أنوك هذا بديع الجمال مليح
الشكل وكان الملك الناصر يحبه دون أولاده ومات
وله من العمر نحو عشرين سنة فحزن عليه السلطان
حزنا شديدا وتأسف عليه • وقد رثاه الصلاح
الصفدي بقوله فيه
مضيت وكنت للدنيا جمالا • وحق عن النجوم الزهر
فقدك
ومن عجب الليالي فيك أن لا • تموت أبوك يا أنوك
بعدك
وكان

وكان الغالب بالمنطق • وفي هذه السنة تغير خاطر
السلطان على المقر السيفي تنكز نايب الشام فأرسل
اليه الأمير بشتاك الناصري والأمير يلبغا اليحياوي
وصحبتهم جماعة من المماليك السلطانية وأرسل على أيديهما
مراسيم شريفة لأمراء دمشق بأن يكونوا لهم عونة على
قبض الأمير تنكز نايب الشام فلما وصلا اليه قالا له
ان السلطان رسم أن تحضر الى القاهرة فقال تنكز
أنا بالأمس كنت عند السلطان فما يصنع بي الآن
فقالا له ان السلطان يريد أن يزوج ابنته بابنك فقال
تنكز أنا لي شغل في هذا الشهر وقد عزمت للتوجه الى
عربان نابلس لأصلح بينهم ولكن امضوا أنتم الى مصر
وأنا أحضر وولدي بعدكم فأغلظ عليه في العبارة
الأمير بشتاك الناصري في القول ولم يسمع له وأرسل
كاتب السلطان ان تنكز امتنع عن الحضور الى الأبواب
الشريفة واثخن جراحاته عند السلطان فلما سمع السلطان
هذا الجواب ازداد حنقه على تنكز وعين له تجريدة
صحبته الأمير طاجار الدوادار الكبير بالقبض عليه ولو ان
تنكز حضر مع الأمير بشتاك والأمير يلبغا الى عند السلطان
ما كان يحصل له الا كل خير ولكن ضل رأيه عن الصواب فلما
وصل الأمير طاجار الى دمشق قال لتنكز قم احضر
الى عند السلطان فامتنع تنكز من الحضور وقال
للأمير طاجار امضي أنت وأنا أمضي بعدك بثمانية أيام
فرجع الأمير طاجار الى مصر وما ابقى ممكن في حق
تنكز فازداد السلطان غيظا على تنكز وعين له تجريدة
ثقيلة وفيها ست أمراء مقدمين وخمسماية مملوك ورسم
للنواب ان يمشوا عليه من هناك فلما وصلوا الى دمشق حاصر

حاصروا تنكز اشد الحصار فطلب منهم الامان ونزل
اليهم وفي رقبته منديل فقبضوا عليه وقيدوه وكان
ذلك يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة سنة اربعين
وسبعماية فلما مسك تنكز احتاطوا على موجوده فوجد
له من الذهب والتحف والقماش ما لا يسع مثله فمن
ذلك من الذهب العين ثلثماية الف دينار وثلثين
الف دينار ومن الفضة النقرة الف الف درهم وخمسماية
الف درهم ووجد له من الفصوص الياقوت والبلخش
واللولو الكبار ثلث صناديق ووجد عنده من
الطرز الزركش والحوايص الذهب والخلع الاطلس
ماية وخمسين بقجة ومن القماش الصوف الملون ومن
الصمور والوشق والسنجاب وغير ذلك خمسماية بقجة
ووجد عنده من البسط والفرش والاواني ما حملته
الى القاهرة على ماية وخمسين جمل ووجد له ودايع
عند الناس ما ينيف عن مايتي وخمسين الف دينار
ومن الفضة الف الف وماية الف درهم وظهر له
من الاملاك والضياع بمصر والشام ما قوم بمايتي
الف دينار هذا خارجا عن الخيول والبغال والجمال
والغلال والمماليك والعبيد والجوار وخلع نسايه وغير
ذلك فوصل ذلك الى الخزاين الشريفة صحبة الامير
بشتاك الناصري ثم حضر الامير تنكز نايب الشام صحبة
الامرا وهو مقيد فلما حضر الى الخطارة رسم السلطان
بان يتوجهوا به من هناك الى السجن بثغر الاسكندرية
فمضوا به الى السجن من هناك فلما سجن اقام في السجن
اربعين يوما وهو مقيد ثم ان السلطان رسم بخنقه

والكلبش الزركش

بخنقه فارسل اليه الحاج ابراهيم بن صابر مقدم
الدولة فخنقه وهو بالسجن فلما مات غسلوه
وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه بثغر الاسكندرية
فذهبت روحه واخذ ماله وتخلى عنه سلطانه

وقد قيل في المعنى

لا فهم في الدنيا لمستيقظ يلمحها بالفكرة الباصره
ان كدرت عيشته ملها وان صفت كدرت الاخره

وقال بعض الحكماء ثلثة لا يامن اليهم العاقل المال
وان كثر والملوك وان قربوا والمراة وان طالت
صحبتها واستمر تنكز مدفونا بثغر الاسكندرية
مده يسيره ثم ان بعض الامرا شفع فيه بان
ينقل جثته الى دمشق ويدفن في مدرسته
التي انشاها بدمشق فرسم السلطان بنقله من
الاسكندرية الى دمشق فنقل في اواخر سنة احدى
واربعين وسبعماية ودفن بدمشق وفيه يقول
الصلاح الصفدي

الى دمشق نقلوا تنكزا فيا لها من اية ظاهره
في جنة الدنيا له جثة وروحه في جنة الاخره

وقوله فيه ايضا

في نقل تنكز سر اراده الله ربه
اتى به نحو ارض يحبها وتحبه

وكان اصل تنكز من مماليك الملك المنصور لاجين ولهذا
كان تنكز يدعى بالحسامي فلما قتل المنصور لاجين وعاد
الملك الناصر الى السلطنة اخذ تنكز من جملة موجود الملك
المنصور لاجين فصار من مماليك الناصر محمد بن قلاوون

فأخرج له خيلا وقماشا وجعله خاصكيا ثم بقي أمير عشرة
ثم بقي أمير طبلخاناه ثم بقي مقدم ألوف كل ذلك في
دولة الملك الناصر فلما راج أمر تنكز جعله الملك الناصر
نايب الشام في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة عوضا
عن الأمير اقوش الأفرم واستمر تنكز في نيابة الشام
ثمانية وعشرين سنة وهذا لم يتفق لأحد قبله من النواب
فعظم أمره وكثرت أمواله وكان له عند السلطان منزلة
عظيمة حتى كان يكاتبه في المراسيم أعز أنصار المقر الكريم
العالي وزاده في الألقاب عن العادة وكان السلطان
لا يفعل شيئا من أمور المملكة حتى يرسل يشاور تنكز
عليها وكان تنكز يزور السلطان في كل سنة مرة ومعه
الهدايا والتقادم الحافلة ويقيم عنده أياما ثم يخلع عليه
ويمضي إلى الشام واستمر على ذلك حتى وقع بينه وبين
السلطان وعادت المحبة بغضة وتغير خاطر السلطان عليه
ودبت بينهما عقارب الفتن فأرسل قبض عليه. قيل
سئل بعض الحكماء ما السبب أن تستحيل المحبة بغضة
ولا تستحيل البغضة محبة فأجاب أن خراب العامر أسهل
من عمارة الخراب وكسر الزجاج أسهل من تصحيحه

وقال الشاعر

لا تفرح بعد هجرك لي تحسب أني بالجفا أرضه
الولاية بعدها عزلان والمحبة بعدها بغضه

وقال سفيان الثوري لا تقرب السلطان إلا كما تقرب
الأسد فإن طاوعته أتعبك وإن خالفته أعطبك وكان
صفة الأمير تنكز أسمر اللون خفيف العوارض طويل
القامة حسن الشكل وافر العقل سديد الرأي حسن
السياسة في أحكامه وكان دينا خيرا كثير البر والمعروف

والمعروف فمن ذلك أنه أنشأ خانقاه عند تحت الجبل
الأحمر بالقرب من قبة الهواء وأنشأ له جامع بدمشق
وله غير ذلك أوقاف كثيرة على جهات بر وصدقة
وكان طاهر الذيل عن الزناء واللواط لكنه كان
صعب الخلق شديد الغضب إذا غضب على أحد لم
يرضا عنه أبدا أو يقع عند حظ نفسه ولا يطلق له
مسجون قط وبالنسبة إلى غيره كان خيار نواب
الشام مطلقا وكان محبا لأهل دمشق انتهى ذلك من
أخباره. ثم دخلت سنة احدى واربعين وسبعمائة
فيها تزايدت عظمة الملك الناصر وصفا له الوقت
وكثرت مماليكه حتى صار راتبه وراتب مماليكه في
كل يوم من اللحم الضان ستة وثلاثين ألف رطل
وبالغ في مشتري المماليك حتى بلغ عدة مشترواته
اثنتي عشرة ألف مملوكا وهو أول من اتخذ الشاشات
والقماش للعسكر والسيوف المسقطة بالذهب والفضة
والحوايص الذهب والطرز الزركش والريش والأقبية
المفتوحة المغرا بالقاقم والسنجاب وهو أول من
رتب المواكب بالقصر الكبير وشرب السكر بعد السماط
ورتب وقوف الأمراء في المواكب على قدر منازلهم
في الوظايف وكذلك الجمداشرين ورتب بيات
الأمراء بالقصر ليالي المواكب ورتب أشيا كثيره
من نظام المملكة وهي باقية إلى الآن ومشى عليها من
جاء من بعده من الملوك على ذلك النظام وقد
طالت أيامه في السلطنة بخلاف من تقدمه من
الملوك وصفا له الوقت وصار غالب الأمراء والنواب
مماليكه ومماليك أبيه ولا يعلم لأحد من الملوك آثار

مثله ولا مثل ما يليه حتى قيل قد تزايدت في ايامه
الديار المصريه والبلاد الشاميه من العماير مقدار
النصف من جوامع وخوانق وقناطر وجسور
وخلجان وغير ذلك من العماير بالقلعه وغيرها
قال الشيخ سيف الدين ابو بكر بن ايدك في تاريخه
لقد وقفت على تواريخ الملوك السالفه فما سمعت
لاحد من الملوك مثل اخبار الملك الناصر محمد بن
قلاوون وما وقع له من الوقايع الحسنه فانه خطب
خطب له في اماكن لم تخطب فيها لاحد من الملوك
غيره وكاتبوه ساير الملوك من مسلم وكافر
وهادوه وصار جميع العسكر من كبير وصغير في
قبضته وفيه يقول الشيخ صفي الدين الحلي
من قصيده
الناصر السلطان قد خضعت له كل الملوك مشارقا
ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة ويعد راحات
الفراغ متاعبا
يرجى مكارمه ويخشى بطشه مثل الزمان
مسالما ومحاربا
فاذا سطا ملاء القلوب مهابة واذا سخا ملاء
العيون مواهبا
ولم يزل الملك الناصر محمد قايما على سرير ملكه حتى
مرض وتسلسل في المرض ومات على فراشه
وكانت وفاته في ليلة الخميس في العشرين من ذي
الحجه سنة احدى واربعين وسبع مايه فمات وله من

من العمر نحو ثمانيه وخمسين سنه فلما مات دفن
بعد العشاء على والده قلاوون داخل القبة المنصوريه
وكانت له جنازه مشهوده وكثر عليه الاسف والحزن
من الناس ان اجل الله اذا جاء لا يوخر كما قيل
حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار
ومكلف الايام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
طبعت على كدر وانت تريدها صفوا من الاقذار
والاكدار
ليس الزمان وان حرصت مسالما طبع الزمان عداوة
الاحرار
واذا رجوت المستحيل فانما تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال ساري
وكانت مدة سلطنة الملك الناصر محمد بالديار المصريه
والبلاد الشاميه ثلثه واربعون سنه وثمانية اشهر
وايام وذلك دون خلعه من السلطنة وقد خلع
ثلاث مرار فكانت مدة الخلع دون الولايه نحو اربع
سنين وايام ولما مات خلف من الاولاد احدى عشرة
ولدا ذكرا دون البنات فاما الذي من اولاده تولى
السلطنة وهم سيدي ابو بكر الذي تولى بعده وسيدي
احمد الذي كان بالكرك وسيدي كجك وسيدي شعبان
وسيدي اسمعيل وسيدي حاجي وسيدي حسين وسيدي
صالح فهذه الثمانية تولوا السلطنة بعده كما سياتي
ذكر ذلك في مواضعه واما الذي لم يلي السلطنة
من اولاده وهم سيدي رمضان وسيدي حسين
وسيدي يوسف واما الذي توفي في ايام حياته من اولاده

وهم سيدي ابراهيم وسيدي محمد وسيدي أنوك
وسيدي علي فهذا مجموع ما جاءه من الأولاد
الذكور دون الإناث وأما فتوحاته التي
فتحت في ايامه وهي مدينة آمد وملطية وقلعة
أياس ودار بلده وبهسنا والمرعش وتل
حمدون وقلعة النقير وقلعة نجيمة والهارونية
وكاورا واشقنيد كار وغير ذلك من الفتوحات
وجرد في ايامه الى البلاد الشامية والحلبية عدة
تجاريد وحج في ايامه ثلاث حجات وزار القدس
والخليل عليه السلام ثلاث مرات وأما من
تولى نيابة السلطنة في ايامه وهم الأمير كتبغا
الذي تسلطن والأمير سلار والأمير بكتمر الجوكندار
والأمير بيبرس الدوادار المنصوري والأمير أرغون
الناصري مملوكه وأما قضاته الشافعية القاضي تقي
الدين بن دقيق العيد والقاضي بدر الدين بن جماعة
المقدسي والقاضي جمال الدين الزرعي والقاضي جلال
الدين القزويني والقاضي عز الدين بن القاضي
بدر الدين بن جماعة وأما قضاته الحنفية
والمالكية والحنابلة فقد تقدم ذكرهم من مبتدا
دولته وأما وزرائه الأمير سنجر الشجاعي والصاحب
تاج الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا والصاحب
فخر الدين الخليلي تولى الوزارة في ايامه مرتين
والأمير سنقر الأعسر والأمير ايبك البغدادي
والصاحب شمس الدين محمد بن الشيخي والأمير ايبك

[illegible]

أيبك الأشقر وهو أول من تلقب بمدبر المملكة ثم تولى
الصاحب بن عطا ثم تولى الصاحب ضياء الدين النشائي
والصاحب بدر الدين محمد بن التركماني والصاحب أمين
الدين بن الغنام تولى الوزارة في ايامه ثلاث مرار
وتولى الأمير بكتمر الحاجب والأمير مغلطاي الجمالي
وأما كتاب سره القاضي شرف الدين بن فضل الله
والقاضي علاء الدين بن الأثير والقاضي محمود
أبو الثناء والقاضي محيي الدين بن فضل الله وولده
القاضي علاء الدين بن فضل الله وأما نظار
جيوشه القاضي بهاء الدين بن الحلي وأظنه صاحب
الغيط المعروف به والقاضي الفخر وهو صاحب القنطرة
المعروفة به تولى في ايامه مرتين والقاضي قطب
الدين بن شيخ المدرسة السلامية والقاضي شمس
الدين بن التاج والقاضي مكين الدين بن قزوينة
وهو صاحب الغيط المعروف به والقاضي جمال الدين
جمال الكفاه وأما نظار الخاص القاضي كريم الدين
بن السديد وهو أول من تلقب بناظر الخاص وهي
وظيفة محدثه ليس لها أصل في ايام الخلفا وتولى
بعده القاضي تاج الدين بن عبد الوهاب وتولى
شخص يسمى النشو ثم تولى من بعده صهره وهو
الذي هجاه المعمار كما تقدم وأما دواداريته الأمير
عز الدين ايدمر الناصري والأمير أرغون الناصري
والأمير رسلان والأمير الجاي الناصري والأمير صلاح
الدين يوسف بن الأسعد والأمير بغا والأمير
طاجار الناصري وأما ما انشاءه في ايامه من البناء
وهو القصر الكبير الأبلق الذي بالقلعة والقصرين

[illegible]

الذي تليه وعمر الايوان الكبير وعقد فوقه القبه
العظيمه وعمر الدهيشة المطله على الحوش السلطاني
وقيل انما اكمل عمارتها ابنه الملك الصالح وعمر الجامع
الذي بالقلعة والجامع الجديد المطل على بحر النيل
عند موردة الحلفا وعمر خانقاة سرياقوس وعمر
الحوش الكبير الذي بالقلعة وعمر دور الحرم
كلها وعمر المجراه المتصله بالقلعة واجرا اليها الما
من بحر النيل وعمر سور الميدان الذي تحت القلعه
وعمر الميدان الكبير الذي عند البركة الناصرية
وانشا به القصر الكبير وغرس حوله الاشجار وحفر
الخليج الناصري واجري اليه الماء من عند موردة
الجبس وحفر البركة الناصرية واجري اليها الماء
وعمر ميدان المهاره الذي عند قناطر السباع
وانشا على الخليج الناصري عدة قناطر وعمر قناطر
ام دينار وقناطر شبين وقناطر ابو صير
وقناطر اللبيني وعمر الجسر الذي بشبرا منت وعمر
جسرا بالفيوم وجدد عمارة الجامع الذي يسمى بالرصد
وجدد عمارة جامع راشده وجدد عمارة مشهد
السيده نفيسه رضي الله عنها ووضع به المحراب
الذي حرره على القبلة وجدد عمارة قبة
الامام الشافعي رضي الله عنه وعمر زاوية الشيخ
رجب التي تحت القلعة وعمر الاسطبل السلطاني
وجدد عمارة الطبلخاناه السلطانيه وعمر زربية
بثغر دمياط وله غير ذلك من الانشاء اشيا كثيره
بمصر والشام واجري عين بازان التي بمكة وصنع
للبيت الشريف بابا مصفحا بالفضة وهو الموجود على

على الكعبة الشريفة الى الآن واما ما ابطله من
في ايامه من وجوه الظلم وهو ضمان المغاني وكان
عبارة عن اخذ مال من النساء البغايات وذلك
لو خرجت اجل امراة من نساء القاهرة تقصد
البغا ونزلت اسمها عند امراه تسمى الضامنة واقامت
بما يلزمها من القدر الذي يتعين عليها لما قدر اكبر من
الحكام تمنعها عن البغاء وعمل الفاحشه وكان يحصل
من ذلك لنساء اعيان مصر وبناتهم غاية الفساد من كل
فابطل هذه الفاحشة العظيمة من مصر وكان يتحصل من
هذه الجهة جملة مال وابطل ايضا ما كان يوخذ
ممن يبيع ملكا له عن كل الف درهم عشرين درهما
فابطل ذلك جميعه وكان يتحصل من هذه الجهة ايضا
جملة مال وابطل من هذا النمط اشيا كثيره كانت
بمصر من وجوه المظالم وصارت في صحيفته الى الآن
قال بعض المؤرخين لم يلي من ابناء الملوك قاطبه
ملك مصر اعظم من الملك الناصر محمد وهذا متفق عليه كل
مؤرخ ولما مات الملك الناصر محمد تولى بعده ابنه
ابو بكر انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الناصر محمد
بن قلاوون وذلك على سبيل الاختصار تمت

ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين وهو ابو بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو الثالث عشر من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو اول من تولي الملك من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون

بويع بالسلطنة بعد موت ابيه بعهد منه وكان في اولاده
من هو اكبر منه ولكن الملك الناصر اختار سلطنته من

بعده دون أولاده وقدمه عليهم فتولى الملك
وله من العمر نحو عشرين سنه فلبس شعار الملك من
دور الحرم وركب من باب الستارة والأمراء
مشاة بين يديه حتى دخل القصر الكبير وجلس على
سرير الملك وباس له الأمراء الأرض وتلقب بالملك
المنصور ونودي باسمه في القاهرة وضج له الناس
بالدعاء ودقت له البشائر وذلك في يوم الخميس
حادي عشرين ذي الحجة سنة احدى وأربعين وسبع
مائة فلما تم أمره في السلطنة عمل الموكب بالقصر الكبير
واخلع على من يذكر من الأمراء وهم الأمير
طقزدمر صاحب القنطرة التي عند مدرسة قراتجا
الحسني واستقر به نايب السلطنة بمصر واخلع على
الأمير قوصون صاحب الجامع واستقر به اتابك
العساكر بمصر واخلع على الأمير طشتمر المعروف بحمص
أخضر واستقر به نايب حلب واخلع على الأمير طاجار
واستقر دوادار كبير على عادته ثم دخلت سنة
اثنين وأربعين وسبع مايه فيها عمل السلطان
الموكب واخلع على الخليفه الامام احمد بن المستكفي
بالله سليمان وهو صاحب العهد المقدم ذكره الذي
توقف الملك الناصر في ولايته فتعصبت له الأمراء
فعزلوا ابراهيم الذي كانت العوام تسميه المستعطي
بأمر الله وولوا الخليفه احمد بن المستكفي بالله وتلقب
بالحاكم بأمر الله مثل لقب جده الامام احمد فوافقه في
الاسم واللقب فكان رابع خليفه من بني العباس بمصر
وفيها عزل السلطان القاضي علاء الدين بن فضل الله
عن كتابة السر وولى القاضي شهاب الدين بن فضل الله
اخو

أخو القاضي علاء الدين وكان عالما فاضلا ناظما ناثرا وهو
صاحب كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وله
كتاب في صنعة الإنشاء وهو قوله

يا طالب الإنشاء خذ علمه عني فعلمي غير منكور
ولا تقف في باب غيري فما تك خلقة الأبد سنوري

وكان مولد القاضي شهاب الدين هذا في شوال
سنة سبعمايه وكان من أعيان شعراء مصر وكان من
أذكياء العالم ومن نظمه الدقيق قوله

أنا مع التمكين في تحت رتبتي ليس يشك الناس في عفتي
يثني على ملف لساني الورى في حال اثقالي وفي خفتي
كم من يد ممتدة في الغنى صارت بما تحويه في كفتي

ومن تغزلاته

جاءوا بأنواع من الطيب لنا تحملها معشوقة ممشوقة
قلت خذا الطيب لكم جميعه بشرط أن لا تأخذوا المعشوقة

ومن الحوادث في هذه السنة أن العسكر صار فريقين
فرقه مع الاتابكي قوصون وفرقه مع الأمير طاجار
الدوادار ثم ان الأمير طاجار حسن للسلطان أن يقبض
على الاتابكي قوصون وهو في الخدمة بالقصر الكبير فاسر
السلطان ذلك الى بعض الخاصكيه وكان من طبعه
الدهج والخفه فتوجه الخاصكي الى عند الاتابكي قوصون
وذكر له ما قد عول عليه السلطان من القبض عليه
فأخذ حذره منه فكان حال السلطان كما قيل في المعنى

اذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء من سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

فلما تحقق الأتابكي قوصون ذلك أجتمع بالأمير أيدغمش
أمير اخور كبير وجماعة من الأمراء وذكر لهم ما عول
السلطان عليه فاتفقوا الجميع على خلعه فلما كان يوم
الموكب لم يطلع الأتابكي قوصون إلى القلعة فاضطربت
الأحوال في ذلك اليوم ثم إن الأتابكي قوصون طلع
القلعة بعد الظهر وقبض على الملك المنصور وهو
في دور الحرم وأرسله إلى قوص فسجن بها وأرسل
معه أخويه سيدي يوسف وسيدي رمضان وهما
أشقته وكان خلع الملك المنصور في أواخر صفر من
تلك السنة فكانت مدة سلطنته نحو ثلاث شهور
لا غير فلما أرسله إلى قوص شرع في القبض على جماعة
من الأمراء فقبض على الأمير طاجار الدوادار والأمير
بشتاك الناصري وعلى جماعة من الأمراء العشراوات
ثم أرسل الأميرين إلى السجن بثغر الإسكندرية ثم قبض
على جماعة من المماليك السلطانية فقبض على نحو مايتي
مملوك قيل لما وصل الملك المنصور أبو بكر إلى قوص
فسجن بها وأقام في السجن أياما ثم إن الأتابكي قوصون
أرسل إلى متولي ناحية قوص بأن يقتل الملك المنصور
وهو في السجن فقتله خنقا ثم قطع رأسه وأرسلها
للأتابكي قوصون في الدس وكتم موته عن الناس ثم
فشا قتله بين الناس وهو أول من قتل من أولاد
الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان ذلك سببا لزوال أمر
الأتابكي قوصون ودماره أنتهى ما أوردناه من
أخبار الملك المنصور أبي بكر وذلك على سبيل الاختصار
يتلوه الجزء الخامس في أخبار الملك الأشرف

256

بالأشرف علاي الدين كجك ومن ولي من أخوته
من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون **قيل**
كان بعض الحكماء يقول لولده يا بني اكتب أحسن
ما تسمع واحفظ أحسن ما تكتب وحدث بأحسن
ما تحفظ **وقد قال القايل**

اذا رمت جمعا فاجتهد أن تجيده … لعلك يوما أن تفوز بأغربه
فإن كان درا البسوك جماله … وأن كان صخرا حق أن يرجموك به

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة على يد كاتبها
ومؤلفها فقير رحمة ربه محمد بن أحمد بن اياس
الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وذلك يوم الأحد
ثاني عشر شهر الله المحرم الحرام افتتاح عام سنة
أحدى وتسعمائة من الهجرة
النبوية العربية وصلى
الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم ورضي الله
عن كل الصحابة
أجمعين والتابعين
لهم بإحسان
إلى يوم
الدين
وسلم
انتهى
ذلك

٩٠١

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısım: Fatih
Yeni
Eski: 4197